



This is a digital copy of a book that was preserved for generations on library shelves before it was carefully scanned by Google as part of a project to make the world's books discoverable online.

It has survived long enough for the copyright to expire and the book to enter the public domain. A public domain book is one that was never subject to copyright or whose legal copyright term has expired. Whether a book is in the public domain may vary country to country. Public domain books are our gateways to the past, representing a wealth of history, culture and knowledge that's often difficult to discover.

Marks, notations and other marginalia present in the original volume will appear in this file - a reminder of this book's long journey from the publisher to a library and finally to you.

Usage guidelines

Google is proud to partner with libraries to digitize public domain materials and make them widely accessible. Public domain books belong to the public and we are merely their custodians. Nevertheless, this work is expensive, so in order to keep providing this resource, we have taken steps to prevent abuse by commercial parties, including placing technical restrictions on automated querying.

We also ask that you:

- + *Make non-commercial use of the files* We designed Google Book Search for use by individuals, and we request that you use these files for personal, non-commercial purposes.
- + *Refrain from automated querying* Do not send automated queries of any sort to Google's system: If you are conducting research on machine translation, optical character recognition or other areas where access to a large amount of text is helpful, please contact us. We encourage the use of public domain materials for these purposes and may be able to help.
- + *Maintain attribution* The Google "watermark" you see on each file is essential for informing people about this project and helping them find additional materials through Google Book Search. Please do not remove it.
- + *Keep it legal* Whatever your use, remember that you are responsible for ensuring that what you are doing is legal. Do not assume that just because we believe a book is in the public domain for users in the United States, that the work is also in the public domain for users in other countries. Whether a book is still in copyright varies from country to country, and we can't offer guidance on whether any specific use of any specific book is allowed. Please do not assume that a book's appearance in Google Book Search means it can be used in any manner anywhere in the world. Copyright infringement liability can be quite severe.

About Google Book Search

Google's mission is to organize the world's information and to make it universally accessible and useful. Google Book Search helps readers discover the world's books while helping authors and publishers reach new audiences. You can search through the full text of this book on the web at <http://books.google.com/>

W. 9
PRINCETON U.

Princeton University Library



32101 064066473

Sābunji, Luwīs

ديوان

Diwān

شعر النحلة

المنظوم

في خلال الرحلة

(طبع في المطبعة التجارية بلاسكندرية سنة ١٩٠٤)

(RECAP)

2274

.7783

.1901

~~AREA~~

ديوان

شعر النحلة

المنظوم

✽ في خلال الرحلة ✽



وهو اول ديوان انتهى بنظمه وترتيبه على اسلوب الشعر العصري العالم العامل والاستاذ الفاضل المنضم في سلك رجال الجمعيتين العلميتين المعروفتين احدهما باسم (اكااديمية الاركاڊي) برومه . وثانيتهما باسم (الجمعية الاسيوية الملكية) بلندرة . والمنتخب سابقاً من ولي عهد ملكة انكلترا البرنس أف ولس ✽ اليوم الملك البرادوارد السابع ✽ معلماً لتعليم اللغات الشرقية بدار الفنون المعروفة باسم (ايمبريال انستيتيوت) بلندرة . والمشرّف بارادة سنية من حضرة صاحب الشوكة والاجلال مولانا المعظم السلطان ابن السلطان السلطان الغازي ✽ عبد الحميد ✽ خان الثاني بتعليم انجاله الامراء النبياء العظام علم التاريخ . والمترجم اخص جلالته الملكية من الانكليزي والعربي والفرنسوي والايٲيلاني الى التركي لويس البري الصابنجي المشهور

2-27-67

1945

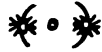
❖ بصاحب نشرة النحلة ❖

ولما كان الاستاذ المشار اليه قد نظم القسم الاعظم من قصائد هذا الديوان
في خلال سياحته حول الكرة الارضية قال فيه :

خرجتُ اطوفُ الارض اجني زهورها
واذخرُ شهداً في خلال الخلية
فشعريَ شهدٌ والقوافي قفيرهُ
وجهديَ نحلٌ في رياض البرية



طبع هذا الديوان بالاسكندرية بعناية حضرة السيدة الفاضلة والكتبة
البارعة الكسندرا افيرينوه صاحبة مجلتي (انيس الجليس) العربية و (لوتوس)
الفرنسية
سنة ١٩٠١



الفاتحة

قال ناظمه : ففتحُ بعد الحمد باسمك ديوان نخلتني في رحلتي وسلوتي في
غربي يا فاتح باب البيان . وبحثُ لك بسرَ قريحتي في نجوتي يا غارس سليقة
القريض في الانسان . واطلقتُ عنان يراعي في مضمار ذكرك السامي يا واضع
الفصاحة في اللسان . ولدتُ بكَ في شدتي يوم الكريهة والهوان . واخلفتُ اليك
يوم طوّحتني طوايحُ الزمان . وابتعدتني التقادير عن الاهل والاطوان . وحرمني
الدهر رؤية والدين والاخوان . وفرّق عني شمال الاحباب والخلان . فصرتُ اذا
اسودت الدنيا في عيني وانا اسير الغربة . واشتدت عليّ ازمةُ المحنة وانا رهين
السكرية . خلوتُ الى دار وحدتي . وهجرتُ اخواني واهل مودتي . واتخذتُ
الدواة كاسي وطاسي . وجعلت نديمي يراعي وسميري قرطاسي . لاطنيّ برحيقي
المداد سعير ظليّ وابردُ بالثغزل حرّ اتقاسي . والتعبي بالقريض عما كنت اقامي .
فكنتُ تارةً أهو بالخلاعة والمجون . وطورًا استطرق طريقة ابي نواس والمجنون .
واخرى اتعابني بالثغزل وانا كهلُ مغبون . ومذهبي في كل ذلك مذهبُ ما جاء
في الكتاب المكنون :

والشعرَاءَ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ . أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ : فَاتَّخَذَتْهُمُ الشُّعْرُ مَلْعَىٰ وَمَلْعَبًا . لَا فَنَاءً وَمَشْرَبًا . لَا جَرِمَ أَنَّ الْقَرِيبُضَ بَسْتَانَ أَهْلَ الْإِدَابِ . وَفَاكِبَةٌ ذَلِكَ الْبَسْتَانُ لَذَّةُ الْإِلْبَابِ .
 فَجَلُّهُ مَرَامِي مَنْكَ يَا إِخَا السَّدَادِ . إِنْ تَقْصُرْ عَنِّي عَنَانَ الْإِتْقَادِ . وَتَسْتَرْ هَفْوَتِي . وَتَغْفِرْ لِي قَلِيلَ زَلَّتِي . وَتَسْدِلْ ذَيْلَ الصَّفْحِ عَنِ الْمَزَلِ وَالْخِلَاعَةِ . وَتَطْوِي كَشْحَ الْمَلَامَةِ عَنِ فَلَاتِ الْبِرَاعَةِ . وَقَدْ اسْتَهْبَدْتَ مِنْ نَفْسِي إِنْ اتَّحَشَىٰ مَا اسْتَطَعْتَ تَنْمِيقَ الْقَرِيبُضِ بِكَلَامٍ لَغْوِي غَيْرِ مَأْنُوسٍ . لِثَلَا يَجْنِاجُ مَطَالَهُ إِلَى الْقَامُوسِ وَالْجَامُوسِ . فَإِنَّ قَضَىٰ انْقَارِي . مِنْهُ وَطَرًا كَانَ ذَلِكَ مَأْمُولًا . وَالْأَقْضَىٰ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا



❖ رَجَاءٌ ❖

لَا تَبْرِمَنَّ الْحُكْمَ فِيهِ قَبْلَ مَا * تُلُوْ مِنْ الدِّيْوَانِ آخِرَ شَعْرِهِ
 لَا يَحْكُمُ الْقَاضِي بِأَمْرِ قَبْلَ أَنْ * يَتْلُو عَلَيْهِ الْخَصْمُ آخِرَ عِذْرِهِ



تقدمة الديوان

بالخضوع والشكران

الى

اعتاب حضرة صاحب الشوكة والاقبال . رب

المكارم والافضال . الخليفة الاعظم

والمولى الانعم . والملاذ الامين

امير المؤمنين

خادم الحرمين الشريفين . سلطان البرين . وخاقان البحرين . مولانا السلطان
ابن السلطان . السلطان الغازي

❖ عبد الحميد ❖

خان الثاني . خلد الله ملكه . وجعل الدنيا بأسرها سلمه . وادام سعادة
ايامه . وصير البسيطة كلها قبضة يديه وطوع احكامه . وجعل لواء عدله المنشور .
منصوراً الى يوم النشور . ودول الايام على يديه دائرة . ووجوه السعادة الى
مساعيه مسافرة سافرة . واجنحة النعم بابوابه مفتوحة وبانبائه ظائرة . وعزائم
التوفيق لارائمه مسخرة وباعدائه ساخرة . سليل ملوك كريمة جواد . من قال
في مثله الشاعر واجاد :

قومٌ اذا عيبت الزمان باهله * كان المقر من الزمان اليهم -
واذا اتيتهم لدفع مُلته * جادوا عليك بما يكون لديهم -
فلا زالت سلسلة سلطنته متصلةً بملقات الزمان . واعلام دولته مصونة من
طوارق الدهر في وقاية الرحمان .

اما بعد فيا امير المؤمنين . وحامي بيضة المسلمين . لما ملأ الارض
بالطول والعرض . صيت صفاتك الحميدية . ومناقبك العسجدية . زفت اليك
عرانس افكار تزين جيدها بعقد من جمان الشعر جاءت مصاريعه اجمل من
غداثر الشعر . فجد يا هولاي المنان . بتديد الاحسان . على غادة هذا الديوان .
وانظر اليها بعين الرضوان . فان حازت لديك حسن القبول . حسب المأمول .
صارت بجاهك السامي فريدة في تاج الدهر . وواسطة المقد في قلائد الشعر .
وانت متشد بالعر والنصر . ليوم النشر والحشر .

باب المديح

قد فتحت باب المديح تيمناً بمدح سلطان سلاطين الزمان
 ونخبة سلاطين بني عثمان . مولانا السلطان ابن
 السلطان . السلطان الغازي * عبد الحميد *
 خان الثاني . ورفعت القصيدة الآتية
 الى اعقاب حضرته الملوكية يوم
 دخولي في خدمته السنية
 بصفة مترجم خاص لجلالته
 المعظمة . وذلك

سنة ١٨٩٠

٢

القصيدة

أب سيفك الملك السعيد موبد
 قد قت في تحت الخلافة بالتقى
 ام بالامان تسوسه يا سيد
 تحي حى دين بملكك يخلد
 والحزم والعزم السديد تصونه
 والسيف والاقلام رأيك تعضد
 والملك اضحى في زمانك مزهراً
 ولواؤه بالمجد فوقك يعقد

في ارض دولتك العلية قد جرى
 قُلت سيفَ الملك ارنأا عن ابـ
 سيفٌ اذا انقضت صواعقه على
 واذا سلتَ السيف من غمدي فرى
 فلأنت سيف النصر يوم كريمة
 يا قابض السيف الصقيل وحائز الـ
 يا صاحب البطش الشديد ومالك الـ
 بك دارتِ الهالات من اهل النهى
 ظلُّ المليكِ على العبادِ مخيمٌ
 حمدَ الملائكُ ربهم يوماً على الـ
 والناس من فرط المسرة كبروا
 فاهناً ودُم ملكاً على كل الوري

نهر العلوم وطاب منه الموردُ
 والشرعُ يثبتُ والخلافةُ تشهدُ
 جيش العدى فالجؤُ منه يرددُ
 واذا اشرت الى العداة تبددوا
 ولأنت ركن الدين يوم يشيدُ
 مجد الاثيل بشوكة لا تُتجدُ
 حزم الـديد بفكرة تُتوقدُ
 فهمُ النجوم وانت فيهم فرقدُ
 رب الخلافة بالجنود مؤيدُ
 تخت استوى عبد الحميد الامجدُ
 وتوشخوا ثوبَ الحبور وعيدوا
 في سعدك الدنيا تدوم وتسعدُ



تخصية

بولادة خير السلاطين الغازي عبد الحميد خان الثاني
اطال الله عمره وخلد ملكه

لما اراد الله محو غياهب
وكذاك حين اراد نشر معارف
اخذت يده من رياض جنانه
فبدا لنا من صنعه وفعاله
خلق الغزاة في السماء تجملا
في ملك عثمان ليرقى للعلی
مسكاً وكون ما اراد مكملا
عبد الحميد المجنبی خير الملا

تخصية ثانية

رفعت الايات الآتية الى اعناب حضرة مولانا الاعظم
السلطان الغازي ❁ عبد الحميد ❁ خان
الثاني تبريكاً بعيد ولادته السعيدة
وذلك في ١٠ شباط الرومي
لعام ١٣٠٩

لقد سر في يوم الولادة اربع
وملك بني عثمان ايضاً لانه
ونادى لدى العرش الملائك سجداً
« مجيد » وام الملائك اجمع
« بعبد الحميد » المجنبی لاح يسطم
لك المجد في ما اليوم للناس تصنع

وجئتُ بصوتِ الابتهاالِ منادياً
 ليحيَ طويلاً بالسعادةِ اربعُ
 « حميدٌ » ودينٌ ثم ملكٌ وامةٌ
 تدومُ دوامَ الكونِ والشمسِ تطلعُ
 فيا عصرِ مجدٍ وانتشارٍ وغبطةِ
 ويا عيدُ الفُ مثلِ يومكِ يرجعُ



تبريك اخر

رفعت الايات الاتية الى اعناب حضرة مولانا الاعظم
 امير المؤمنين السلطان الغازي ﴿ عبد الحميد ﴾
 خان الثاني تبريكاً بعيد جلوسه
 المأنوس وذلك في ١٩
 اغسطس الرومي
 لعام ١٣٠٦

يباركُ مَنْ في البرِ والبحرِ والسما
 لقد ضاءَ عرش الملكِ يومِ جلوسه
 لنورٍ اذا البدر المثير اصابه
 على اس ملكٍ ساسه بدروسه
 بنورِ تجلي من علو شمسوسه
 خسوفٌ انارَ البدرَ وقت عبوسه
 المجدى ﴿ عبد الحميد ﴾ المجنبي نجلوسه

التبريك

رفعت القصيدة الآتية الى اعناب الحضرة السلطانية
تبريكاً بعيد الجلوس المائوس وذلك
بالاستانة العلية سنة ١٣٠٧ هجرية

جلست على تخت الخلافة بالنصر
هنيئاً ليومٍ سرّ كلُّ بعده
ولا نقلت الحسام بيعة
وقالوا لقد سرّ الحميد بعده
تسوس شمس في البروج كواكباً
ففي عهدك المسعود زادت معارف
وفاضت على الدنيا بحار مكارم
امير حوى حملاً وبأساً وهيبة
امير ملوك الارض تعرف قدره
امير يسوس المؤمنين بجله
امير له في الارض ظلُّ عدالة
امير حذا حذو النبي بفضله
امير يحجُّ المؤمنون ببابه
سألتُ الهى ان يُعيد جلوسه
وريث جدود في الرئاسة والامر
وكبر من في الجوّ والبحر والبر
اتاك من العرش الملائك بالبشر
ومدّ له بالملك والسعد والعمر
وملك اسمى من شمس ومن بدر
وزاد نعيم الناس قدراً على قدر
كما فاض في الطوفان بحر على بحر
وفيضاً ومداً لا يعابان بالجزر
وتهدى اليه من نفيس ومن در
ويحيي ذمار المسلمين من الضر
تفياً فيها العالمون من الغدر
وأوتي وحي الدين والشرع والبر
الى كعبة الوجه المنور كالنجم
علينا باعيادٍ تعود بلا حصر

تخصّية

بعيد المولد النبوي الشريف

رفعتها إلى أعقاب العرش الحميدي وذلك في ١٠ ايلول الرومي
لعام ١٣٠٨

الى العربِ وافي بالرسالة احمدُ وجاءَ بآيات الكتابِ يوحدُ
واوحى الى « عبد الحميد » بامرهِ اليك من الربّ الخلافة تسندُ
تعمم بملكِ واغتبط بخلافةِ وصلّ وسلمَ كلما عادَ مولدُ

تهنئة

بجلول ليلة المعراج

رفعته الى اعقاب الخليفة العظيم حضرة السلطان الغازي
﴿ عبد الحميد ﴾ خان الثاني
سنة ١٢٠٩ رومية

في الليلة انغراء عرج احمدُ وصفوف جندي العرش اجمع تنشدُ
يا جنة الخلد افتحي باباً لهُ وافي محمد في السماء يمجّدُ
وافي شفيعاً للخليفة داعياً بدوام ملك بالسعادة يخلدُ
طوبى لها من ليلة فيها غذا « عبد الحميد » مع الملائك يعبدُ

التبريك

بعيد الجلوس الأُنوس في ١٩ اغسطوس الرومي

لدام ١٣٠٩

تبارك يومٌ قَتَ فيه مقلداً بيعة هل الملك سيفَ الخلافةِ
تسلمَ زمامَ الملكِ بالحزمِ واعنصم بدينٍ وعدلٍ تنجُ من كل آفةِ

* تبريك *

بصوم رمضان المبارك

رفعتهُ الى اعنابِ حضرة امير المؤمنين مولانا الخليفة

المعظم السلطان اغازي عبد الحميد خان

الثاني وذلك في ٢٤ شباط الرومي

تبارك صومٌ يا خليفة صيتهُ يخرُّ له جوق الملائكِ سجداً
لقد سرَّ بالصوم المبارك ربنا وسرَّ به من صام حقاً وودداً
تصلي وتطوى في نُقى وعبادةٍ وتجيَّب الليالي في الدعاء تهجداً
رعى الله ديناً قد رعيتَ حقوقهُ فكنتَ اماماً للفرائض مرشداً

﴿ تبريك ﴾

بعيد الفطر السعيد

رفعته الى اعقاب الخليفة المعظم حضرة السلطان الغازي
﴿ عبد الحميد ﴾ خان الثاني وذلك

في ٣٠ رمضان لعام ١٣١١

قد صمتَ بالتقوى صياماً لائقاً بخليفةِ حسناته لا تنكرو
لما وفيتَ فروضَ دينِ محمدٍ وافاك من لدنِ الرحيمِ مُبشراً
اصبحتَ في الاسلامِ قدوة صائمٍ فأثابكَ الرحمانُ اجراً يُذخرُ
كملتَ بِبركِ بالصيامِ وبالتقى واليومَ مسروراً بعيدكُ ففطرُ
فانعم بيومِ الفطر انِ نهاره عيدُ على كل البرية اكبرُ

﴿ تبريك آخر لشوكته ﴾

اكلت صوماً بالدعاء وبالتقى واليومَ بالعيد المبارك ففطرُ
بوركتَ من عيد سعيدٍ بسعدهُ من سعدِ سلطانِ البرية اصغرُ
يفديك بالارواح كل موحدٍ يا من به الدين المين موقرُ
حظ البرايا من معاد مواسمٍ شيبٌ وهمٌ وانحلالٌ يظهرُ
لكن حظك من تكرر عودها حظ الازهار في الربيع تنورُ
والصوم والافطار والعيد الذي عيدته علينا اكبرُ
في مثلها لا تنتهي لك نعمةُ وسنوك فيها بالسعادة تزهُرُ

تبريك اخربعيد الجلوس

سلطاننا « عبد الحميد » المجنبي في مثل هذا اليوم سيفاً قلداً
وعلى سرير الملك قام مويداً بخلافة نبوية لن تجحداً
فاعاد للاقطار سابق مجدها بجلوسه والعر فيها جدداً



تبريك بععيد الاصمحي

رفعت الايات الآتية الى اعتاب حضرة مولانا السلطان
الغازي عبد الحميد خان الثاني وذلك سنة ١٣١٥
هجرية بالاستانة العلية

عيد الضحية كل عام مرة ولنا بملكك كل يوم يظهر
بك يفخر الملك العزيز وملة في ظل عدلك بالمراحم تستر
فلقد ثبتت الظلم عن معج الوري والخلق طراً بالعدالة بشروا
ثقت بالتعليم شعبك فارتوى بياه ان المعارف كوثر

بوركت من عيد سعيد يومه فيه تكبر للرحيم ونحمر
دم واغضب واملك قلوب رعية بالحب لا بالسيف انت مظفر



تبريك آخر

رفعت هذين البيتين الى اعناب الحضرة السلطانية تبريكاً
بدخول سنة ١٣١٢ هجرية

تبارك عام بالسعود مجدد اذا مر سعد قام سعد مكانه
يعيش «حميد» كل عام منعماً ويقضي دواماً بالسعود زمانه



تبريك آخر

نظمت هذين البيتين بثماني لغات وهي الكلدانية والسريانية
والعربية والتركية واللاتينية والابتنالية والفرنسوية والانكليزية
وطبعتهما بكل هذه اللغات على مرآة ذات اطار
(برواز) فصي مرصع بحجارة الماس والياقوت
والعقيق والفيروز ورفعتها الى اعناب حضرة
مولانا السلطان الغازي عبد الحميد
خان الثاني يوم عيد جلوسه الفضي
وذلك سنة ١٩٠٠ لليلا

تبارك عيد قد تكرر خمسة وعشرين عاماً بالسعود مجمل
سألت الهى ان يديم بقبطة مليكاً على العرش استوى وتكلاً

الاستغفار

منة ١٣٠٧ هجرية

النقصُ من صفةِ الخليفةِ فطرةً والصفحُ من صفةِ العليِّ الاعظمِ
فاذا عفا عبد الحميدُ بجله عن ذنبِ عبدِ تائبٍ متندمِ
فاق الخلائقَ بالسماحةِ قلبه واقتصَّ عفواً من جنائيةِ مجرمِ



﴿ شدة الحزم وثبات الجنان في السلطان عبد
 ﴿ الحميد خان ساعة الزلزلة العظمى
 ﴿ يوم عيد الاضحى ﴾

بأمر مولانا امير المؤمنين اعزه الله في الدنيا واسفروجه يوم
 الدين بالاستعداد الى عيد الاضحى السعيد قبل حلوله باسهر وبانتخاب
 عدد مفروض من الاكبش العظيمة وبعلفها وتسمينها وبالاعنناء بنظافتها
 وغسل صوفها وتمشيطه وهملاً جراً لتكون اهلاً لتضحيتها قرباناً لله . وقد
 قال لي الموكل بهذه الاكبش ان بعضاً منها اي الاكبش المعدة
 لقرايين الحضرة السلطانية نفسها يبلغ ثمن كل كبش منها نحو ثلاثين
 ليرة . والمعدة لقرايين الامراء انجال مولانا السلطان يبلغ ثمن كل
 كبش منها نحو ٢٥ ليرة . والاكبش المعدة لقرايين الحرم السلطاني
 يبلغ ثمن كل كبش منها من ١٥ الى ٢٠ ليرة . ويبلغ عدد تلك
 الاكبش اكثر من مائة كبش . ولا يقتصر كرم امير المؤمنين على
 هذا فقط بل يتكرم على كل من المتوظفين في المابين الملوكي بشاة
 او اكثر حسب مقامه وعدد اعضاء عائلته ليضحيتها قرباناً يوم عيد
 الاضحى

ومتى حل يوم العيد السعيد صدرت الارادة السنية الى جميع
 رجال الدولة وروساء الجيوش والقواد والصدور العظام بان يقبلوا الى

قصر « طوله بانجه » بلباسهم الرسمية ليرفعوا الى اعنابه الملوكية التبريك
والتهنئة بحلول العيد

فكان حلول عيد الاضحى هذه السنة يوم الاحد المصادف ٣١
من شهر آذار لعام ١٩٠١ ونهض مولانا السلطان مبكراً جداً وصلى
صلاة العيد بموكبٍ حافل في جامع « بشكطاش » ثم ركب في
موكب حافل وسار الى قصر « طوله بانجه » لتقدمه كتائب الجيوش
ويتلوها رجال المايين الملوكي بلباسهم الرسمية المطرزة بالتصعب وعلى
صدورهم وسامات الدولة العثمانية فقط . (لانه لا يسوغ لاحد على
الاطلاق ان يحمل وساماً اجنبياً في حضرة امير المؤمنين) ولما وصل
الى القصر الموكب الملوكي نزل امير المؤمنين عن المركبة وركب بوقار واجلال
درج الرخام المغطى بالطنافس ثم اخذ السكين من احد الموظفين في
المايين الملوكي . وكان رعيان القصر قد اعدوا الاكباش المملوفة التي
اسلفنا ذكرها ومشطوا صوفها الابيض الطويل وزينوا قرونها الكبيرة
وجباهها وصوف ظهرها بورق الذهب وشرائط من الحرير الاحمر والازرق
والابيض وجعلوا على رؤوسها تيجاناً من الورق المذهب المزين بزهور
مصنوعة وریش وقطع مرآة ووضعوها صفيين بين ايدي مولانا السلطان .
وقبض كل جزار بيده اليمنى على قرن كبش من الاكباش ولبث
منتظراً الاشارة من حضرة امير المؤمنين ليخمر الكبش . ويلبس كل
جزارٍ منهم في مثل هذا الوقت جبةً من الجوخ الاخضر تصل اذيالها
الى تحت ركبتيه : وحواشيها مطرزة باسلاك الذهب . ويضع على رأسه

قبعا منحروط الشكل مصنوعاً من الجوخ الاخضر وعليه تطريز باسلاك
القصب وله شُرابة طولها نحو نصف ذراع مصنوعة من الحرير الاخضر
واسلاك الذهب وهو يرخيها من امام على كتفه

ولما حان وقت ذبح القرابين سلمت الحضرة السلطانية السكين الى
رئيس اولئك الجزارين وامرتهُ بذبح القرابين نيابةً عنها . ثم صعدت
درج القصر بالعز ولاجلال ودخلت قاعة الاستراحة ولبثت هناك مدة
قصيرة تاهباً للدخول الى قاعة العرش

﴿ وصف قاعة العرش ﴾

ان قاعة العرش في وسط قصر « طولها بانجمه » المشيد على ساحل
البوسفور من جهة اوروبا . وهي اكبر قاعة قام بناؤها على وجه
الارض كلها في الطول والعرض والارتفاع . وعليها قبة عظيمة جميلة
الشكل قامت على اثنين واربعين عموداً . وبما زاد هذه القاعة حسناً
وغرابةً في السعة ان قبتها العظيمة مسندة الى اعمدة ليست مركوزة
في صحن القاعة بل مصطفة صفاً ظريفاً في لصق جدرانها وقد بقي
الصحن كلهُ خالياً منبسطاً يسهل الجولان فيه وينشرح الصدر به . وقد
رايت قصور ملوك فرنسا بباريس وقرسابل وقصور ملوك الانكليز
بقرية وندزر ومدينة لوندرة وقصور ملوك ايتاليا بمدينة تورين ورومه
وقصر الباباوات والواتيكان برومه فما شاهدت فيها قاعةً جمعت بين
السعة والعلو وحسن هندسة البناء مثل قاعة « طولها بانجمه »

وقد وضعوا في صدر القاعة على نحو خمس أو ست اذرع عن الجدار عرش امير المؤمنين متجهاً نحو البحر . وهذا العرش كرسي مستطيل الشكل كالسرير يبلغ طوله نحو ذراعين ونصف ذراع . وارتفاعه من امام نحو ذراع وعرضه نحو ذراع ونصف ذراع وارتفاعه من وراء نحو ثلاث اذرع . وكله قطعة واحدة من الذهب الايريز المسبوك سبيكة واحدة في قالب المندام وحسن الصنعة . وعلى ظاهره نقوش محفورة في صلب الذهب . وسلك جدار العرش نحو ثلاث عقد . وعلى مقعده فرش محشوبيريش النعام وغطاؤه قماش من الحرير الاحمر المنقوش بقصب الذهب

وكان هذا العرش سابقاً للمالك مصر من عائلة « الغوري » غنمه منهم السلطان سليم الغازي لما فتح لديار المصرية عام ١٥١٢ لئيلاد . ومفروش امام هذا العرش مكان موطىء قديم امير المؤمنين سجادة من الحرير المطرز باسلاك قصب الذهب تطريزاً بديع الصنعة . وفي اربع زوايا قاعة العرش اربعة شمعدانات من النفضة الخالصة يبلغ ارتفاع كل منها نحو ثماني اذرع . وله قاعدة مسدسة الجهات يبلغ سمكها نحو شبر ومحيطها نحو ست اذرع . وعلى رأس كل شمعدان عشرون مشعلاً لايقاد نور الغاز الهيدروجيني وعلى كل مشعل قبع من البلور المنقوش لينع نفوذ الغاز من المشعل بعد انطفائه . ويوجد كذلك في كل زاوية من اربع زوايا القاعة شمعدان من الباور النقي في شكل ثريا جمعت بين حسن الصنعة وجمال الهيئة . ثم يوجد ثريا اخرى عظيمة جداً في غاية

من الحسن واثقان الصنعة وكلها من البلور النقي المثمن معلقة في
سقف قبة قاعة العرش بسلسلة نصفها الاعلى من الفضة ونصفها الاسفل
من جنس بلور الثريا . ويبلغ طول هذه الثريا البديعة الصنعة نحو ٤٠
ذراعاً ومحيط دائرتها الوسطى نحو ثلاثين ذراعاً . وهي مركبة من دوائر
عديدة مختلفة القطر في الكبر قد تركب بعضها على بعض بترتيب يناسب
كبرها وصغرها فانك ترى قطر دائرتها السفلى اكثر من ذراع .
وما فوقها من الدائرة يزيد قطرها درجة عما تحته . وكلما ارتفعت
الدوائر زاد قطرها بنسبة بعدها وارتفاعها وتكبر بالتدرج حتى يبلغ
قطر الدائرة الوسطى منها نحو ثلاثين ذراعاً . ثم تأخذ الدوائر بان تصغر
بالتدرج حتى يصير قطر اعلى دائرة منها نحو ذراع . وفي هذه الثريا
ما ينيف عن ٢٠٠٠ مشعل لايقاد نور الغاز الميدروجيني وعلى كل
مشعل بلورة منقوشة في شكل قبع جعلت منعاً لنفوذ الغاز من انايبه
قبل الاشتعال (١) وارض القاعة مرصوفة بتقاطع خشب السنديان
المصقول والمصبوغ بصباغ يقلد لون خشب الجوز . ويفرش خدام القصر
يوم المعايذة في صحن القاعة سيوراً من الطنافس الثمينة المنسوجة في
المعمل السلطاني بالاستانة يباع عرض كل منها نحو ذراع ونصف ذراع
ليمشي الزوار عليها وقايةً من الزلق على خشب ارض القاعة المجلو جلواً

(٢) نقل هذه الثريا ٨٥٠٠ اقة . واشتعل في تركيبها بالقاعة رجل اورو باوي
نحو سنتين وكان ياخذ معاشاً ٣٠ ليرة في الشهر . وكانت الثريا قد صنعت
باوروزيا واتي بها قطعاً ثم تركبت في سقف القاعة

صقيلاً . اما ستف القبة وجميع جدران القاعة فنقوش بالقلم والالوان نقوشاً جميلة بديعة الصنعة . ولقاعة العرش ثمانى عشرة نافذة على طبقتين . ست منها من جهة حديقة القصر وراء العرش . منها ثلاث نوافذ كبار في الطبقة السفلى وثلاث في الطبقة العليا فوق الرواق . ومثلها ست نوافذ في الجهة التي عن شمال العرش . ونافذتان وباب يُفضي الى ساحل البحر من الجهة التي حذاء العرش . وفوقها كذلك ثلاث نوافذ وكلها مصونة بالواح من البلور . وفي الشقة العليا من القاعة اربع شرفات فالشرفة التي تجاه العرش يشغلها الذين يعزفون بالموسيقى السلطانية . والشرفة التي عن يمين العرش يشغلها سفراء الدول الاجنبية ومن لاذ بهم من الاصحاب الذين يتشرفون بمشاهدة رسم المعايدة من ذلك العلو الشاهق وقد أُعدّ في هذه الشرفة من كرم امير المؤمنين للسفراء المشار اليهم مائدة عظيمة عليها من المأكول والمشروب والاقراص الحلوة افانين افانين .

﴿ وصف المعايدة الملوكية ﴾

لما يفرغ امير المؤمنين من ايفاء فريضة ذبح القرابين يسير الى حجرة الاستراحة ويلبث فيها مدة قصيرة حتى تنتهى مراسم المعايدة . ثم ينهض الى قاعة العرش ويدخلها من بابٍ بينها وبين حجرة الاستراحة ويتصب واقفاً امام العرش ووجهه الى جهة البحر وليف الحرس السلطاني الخاص ورجال الموسيقى يكررون تهليل الدعاء الملوكي ثلاث مرات « بادشاهم

جوق يشاء . ثم تصدح الموسيقى السلطانية بانغام مطربة تنتشر في قبة القاعة وتنزل على الحاضرين بارض القاعة كأنغامٍ نازلة من السماء تسعر الالباب وتهتز لها طرباً الياف القلوب ما دامت ذرت الهواء مهتزة بها في قلب الاثير . وقد سمعت انغاماً موسيقية كثيرة في اوروبا وامريكا ولم اسمع فيها انغاماً تشابه هذه في الطرب سوى في رومه وذلك في المعبد المشهور باسم «كابلا سستينا» في الفاتيكان يوم جمعة الالام ويوم عيد الفصح لما يصلي البابا صلاة العيد في كنيسة القديس بطرس رئيس الحوارين والموسيقى تعزف في رواق من اروقة تلك القبة الشاهقة من داخل . وكان الطرب قد اخذ بمجامع قلبي الى درجة كنت اشعر بان صوت تسبيح الملائكة آتٍ من السماء ومنتشر في هواء القبة

ثم اصدر امير المؤمنين الى ابراهيم بك رئيس التشريف امره الملوكي بالمبادرة الى المعايدة . وفي الحال اصطف رجال الملبين الملوكي وراء العرش صفاً واحداً في مقدمتهم رئيس الحجاب (سرقنا حاج علي بك) ورئيس الكتاب (تحسين بك) وثاني كاتب (عزت بك) مع نقيب الحجاب واغاوات الحرم السلطاني . ثم اقبل اولاً نقيب الاشراف وهو لابس جبة خضراء وطاطماً رأسه ثلاثاً وسلم بسلام الخلافة ووقف تجاه العرش على بعد نحو عشر اذرع ثم بسط ذراعيه وتلا الفاتحة وفعل امير المؤمنين فعله وتبعه كل من كان في قاعة العرش من المسلمين . وفي ختام الفاتحة تقرب نقيب الاشراف الى العرش وقبل ذيل امير المؤمنين ثم رجع القهقري ووجهه نحو العرش وطاطماً رأسه ثلاثاً وسلم بيده ثلاثاً

سلام الخلافة وانصرف

اما سلام الخلافة فهو ان يغني الانسان الى الارض بنصف جسمه ويمد يده اليمنى الى ان تلمس الارض ثم يرفعها الى جبينه باحترام ويكرر ذلك ثلاث مرات على فترات اشارة الى ان « تراب اقدام الخليفة على الرأس والعين » . ورأيت في القوم من كرر ذلك السلام اكثر من ثلاث مرات ومشى القهقري مسافة طويلة ووجهه يحاذي وجه امير المؤمنين ولا يلفت اليه ظهره حتى يغيب عن منظر شوكته ثم اقبل بعد نقيب الاشرف الصدر الاعظم الحالي وتبعه الصدر السابق ثم بقية الوزراء الملكية كل واحد منهم في صف رتبته وساروا نحو العرش من جهته اليمنى . وكان امير المؤمنين منتصباً على قدميه في الطرف الشمالي من العرش وكفاه المجلتان بالقفاز الابيض مستندتان الى قبضة سيف الخلافة ووجهه متجه نحو الوزراء المقبلين الى المعابدة . وكان فؤاد باشا واقفاً عن الطرف الايمن من العرش وعلى كفيه سير من الحرير الاحمر المقصب باسلاك الذهب عرضه نحو شبر وطوله نحو ذراع وفي طرفه شراريب من اسلاك القصب المفتول فاذا اقبل الوزير وصار بينه وبين العرش مسافة نحو عشر خطوات سلم اول مرة بسلام الخلافة ثم مشى بضع خطوات وسلم ثانية بسلام الخلافة . ثم دنا من العرش وسلم ثالثة بسلام الخلافة ولثم طرف السير المذكور الذي على راحتي فؤاد باشا ورجع القهقري مسلماً بسلام الخلافة ثلاث مرات كما فعل سابقاً من دون ان يدنو من شخص الخليفة او يلمس ثوبه . ثم تنحى

الى الجهة اليمنى من العرش ووقف هناك على بعد نحو عشرين خطوة منه . ثم تبعه باقي الوزراء ورجال الدولة من اصحاب رتبة « بالا » واصحاب الرتبة الاولى وفعّلوا فعله

ولما فرغ هؤلاء من المعايدة جلس امير المؤمنين على الطرف الايمن من العرش ووجه شوكته متجه نحو الشمال من العرش . ثم انتقل فواد باشا ايضاً من يمين العرش الى شماله والسير المذكور على راحتيه . فاقبل حينئذ وزراء الجهادية والضباط صفّاً كل منهم في صف رتبته ومقامه وساروا الواحد بعد الاخر للمعايدة وسلموا بسلام الجندية على بعد خطوات ثلاث مرات من دون ان يحنوا ظهورهم عند السلام كما فعل الوزراء . واثموا طرف السير الذي في يد فواد باشا ثم رجعوا القهقري وسلموا بسلام الجندية وتنحوا الى جهة الشمال من العرش ووقفوا هناك صفّاً تجاه صف الوزراء ورجال الدولة

فلما فرغ من المعايدة صف اصحاب رتبة « الفريق » وابتدأ بالمعايدة اصحاب رتبة اللوآء وكانت الساعة الثالثة الا ربعاً من شروق الشمس سمع صوت رجّة خفيفة حصلت من اضطراب واصطكاك وقعا في قطع بلور الثريا الكبيرة المعلقة في وسط القبة من قاعة العرش وكنت وقتئذ على بعد نحو عشرين خطوة من امير المؤمنين . وبيننا انا ابصر بالثرىا متفقداً احوالها اذا بصوت الرجّة قد اشتدّ وما زال يزداد تدريجاً حتى صار اهتزازاً عنيفاً تناثرت من عزمه قطع بلور الثريا وسقطت على فرش القاعة وتكسرت ارباً ارباً . فعندما رأى الناس ذلك الحال شملهم الخوف

ولكن كانت الموسيقى السلطانية تصدح باءذب الاتمام واطربها كل ذلك الوقت . وكما كانت قلوب بعض الناس تهتز بانقامها طرباً كانت اقدام بعضهم مع قلوبهم تهتز بالزلزال رعباً . غير ان امير المؤمنين السلطان الغازي عبد الحميد خان الثاني كان جالساً على عرش الخلافة بجنان ثابت ومتأهباً لقبول المعايدة غير مبالٍ بالاهتزاز والزلزال . ولكن لما دام اشتداد الاهتزاز مدةً وخشي الناس من خطر عواقبه وسقوط سقف القبة حاولوا الخروج من قاعة العرش الى القاعات المجاورة ولبث بعضهم فيها يدعون الى الله بصوت جهير ويطلبون النجاة . ولما رأى امير المؤمنين خروج الناس مع قواد الجيش من القاعة وانقطاع المعايدة نهض عن العرش بوقارٍ عظيم وهدوء تام ومشى الهوينى بعض خطوات نحو قاعة الاستراحة التي كانت في اهتزازٍ وارنقاص مثل قاعة العرش . اما انا فلبثت في قاعة العرش مع فرقة قليلة من الناس . وقلت لنفسي : الى اين الفرار من هذه القاعة السلطانية قاعة العرش والاجلال التي لا مثيل لها بين قاعات ملوك الدنيا كلها : فاذا كانت الزلزلة تهدم هذه القاعة (لا سمح الله) . فتهدم معها القصر بتمامه . واذا فررت من القاعة ربما ادركني الموت تحت رواقٍ من اروقة القصر او دهاليزه الطويلة ومخادعه الكثيرة قبلما اتمكن من الخروج الى الفضاء . فان كان الاجل قد عجل فالموت في قاعة العرش النسيجة وتحت قبتها العظيمة لامر جلل لا يحصل كل يوم لاي من كان ولا استطيع ان اخنار له مكاناً احسن من هذا المحل . ولا سيما انني القائل الابيات الآتية من قصيدة الفخر

وغيريَ يخشى الموتَ فوقَ سريره
 وانيَ لا اخشى الحمامَ بوقعة
 اذا دُكتِ الافلاكُ والكونُ قدهوى
 تراني ثبّأً ساخرًا دونَ لفته
 فان قدَّ قلبَ الخلقِ من رطبِ طينةِ
 فقد قدَّ قلبي من صلابةِ صغرةِ

اما اذا كان اجلي ما حلَّ بعدُ فان الله تعالى ينقذني حتى من
 تحت الانقاض كما انقذني سنة ١٨٥٦ للميلاد حينما خسفت بي الحجرة
 في حضرة البابا بيوس التاسع مع كثيرين من الكرادلة والاساقفة وسفراء
 الدول في كنيسة الولاية انيسة برومة حيث لبثتُ مدفوناً تحت الانقاض
 مدة من الزمان

وبينما اردد هذه الافكار في عقلي شعرت بان الهزة قد خفت
 وايقنت بزوال الاخطار فأسفتُ على حرمانني من موت مجيد ائيل .
 وسررتُ بعودة امير المؤمنين الجليل . متجالاً بالهيبية والوقار . بوجه
 يتلأأً بالانوار . وتكلمت بانيس طلعتة الابصار . وقرت بها الانتظار

فلما عاد النظام وجلس امير المؤمنين على العرش بكمال الاحترام
 عاد صف اللوآء الى اكمال المعايده . ولما فرغ قواد الجيش كلهم وخرجوا
 من القاعة تبعم في المعايده رجال الملكية من اصحاب الرتبة الاولى من
 الصنف الاول وسلوا بسلام الخلافة وفعلوا ما فعل غيرهم قبلهم وتثموا
 حُرِف السير ورجعوا القهقرى ولحقوا برجال العسكرية والموسيقى السلطانية

تصدخ بانتقام مطربة . ولما فرغ هؤلاء ايضاً من المعايدة نهض مولانا امير المؤمنين عن العرش وكررت الجيوش تهليل الدعاء السلطاني ثلاث مرات علي انتقام الموسيقى « الحميدية » وسار الى قاعة الاستراحة . ولبثت انا في قاعة العرش مع رجال المايين الملوكي نتظر رجوع شوكته ثانية الى قاعة العرش . وخرج منها الوزراء واصحاب رتبة « البالا » واصحاب الرتبة الاولى من الصنف الاول (١)

وبعدما استراح امير المؤمنين نحو ربع ساعة عاد بالعز والاجلال الى قاعة العرش بين تهليل الدعاء والانتقام الموسيقية ولبث واقفاً امام العرش وامر بدخول الصدور العظام والمشايخ لاجل المعايدة فدخل اولاً اخو شريف مكة المكرمة وعلى شمله شيخ الاسلام ووقفنا في وسط القاعة تحت الثريا تجاه امير المؤمنين وبسطا ايديهما وقراً الفاتحة بصوت منخفض وقراً معها امير المؤمنين وتبعم في ذلك جميع الموحدين الحاضرين ثم صلوا وسلموا

ولما فرغوا من الدعاء تقدم اخو شريف مكة وشيخ الاسلام نحو العرش وسلما ثلاث مرات بسلام الخلافة كالعادة ثم ارتى الواحد بعد الآخر على قدمي امير المؤمنين يريد تقبيلها فامسكه شوكته بيده

(١) يبلغ عدد الوزراء من الملكية والعسكرية نحو مائة . وعدد رجال « البالا » نحو ٢٢٠ وعدد اصحاب الرتبة الاولى نحو ٣٨٠ وعدد الصدور العظام من رتبة « روم ابلي باباسى » نحو ١٧ ومن رتبة « انا طولى باباسى » نحو ١٠ - ومن رتبة « استانبول باباسى » نحو ٢٧ - وعدد المشايخ من اصحاب رتبة « الحرميين الشريفيين » نحو ٦٦

تلطفاً فنهض ولثم يده ثم ذيله ورجع القهقري مسلماً بسلام الخلافة ثلاث مرات . ثم تبعها باقي الصدور كل في صفة حسب رتبته وفعلوا ما فعل شيخ الاسلام من الانحناء والسلام وقبل امير المؤمنين معايدتهم وهو منتصب على قدميه . ولما فرغ الصدور من المعايدة جلس شوكته على العرش واقتبل معايدة باقي المشايخ حسب العادة

وبعدما خرجت الصدور والمشايخ من قاعة العرش امر امير المؤمنين رجال المايين الملوكي بايفاء مراسم المعايدة وانتصب فؤاد باشا عن يمين العرش وعلى راحتيه سير الملك وصدحت الموسيقى السلطانية بالانغام المطربة وقدم قبل الكل صاحب الدولة والعناية حرم اغاسي ثم تبعه باقي الاغاوات ورئيس الحجاب والكتاب الاول والثاني ثم المترجمون وفعلنا جميعنا ما فعله قبلنا الوزراء ورجال الدولة وسلمنا بسلام الخلافة ثلاث مرات وقبلنا سحج السير ثم رجعنا انقهرى ونحن نسلم بسلام الخلافة بين خطوة وخطوة وامير المؤمنين جالس على العرش ينظر الى معايدتنا بعين الرضى والقبول . وهكذا ختمت المعايدة بسلام . ثم نهض امير المؤمنين عن العرش بهيئة ووقار وعز واجلال بين تكرار التهليل بدعاء « بادشاهم جوق يشا » والموسيقى السلطانية تصدح بانغام مطربة وعاد الى قصر « اليلدز » بالعز والاجلال محفوفاً بكتائب الجنود المظفرة والخدم ينثرون الدنانير في الطريق على الفقراء الذين كانوا يدعون لشوكته بطول العمر والاقبال . وفي اثناء ذلك عرض القريض على البال فانشدت في ارتجال

﴿ النظم ﴾

انعم صباحاً « يا حميدُ » وبكرِ
 قد حلَّ عيدُ والضحيةُ تفتدي
 رفع الملائكُ ما ذبعت الى السما
 لا تخشَ بأساً ان شعرتَ بهزّةِ
 رجفتُ عمادُ العرشِ حين تزلزلت
 ومن الثريا قد تناثر عقدُها
 وتناثرت منها النجومُ على الثرى
 لما اعترت قواد جيشك رعبةُ
 فرّوا الى الدهليزِ خوفَ مُلّةِ
 اظهرت هذا اليومَ عزماً للورى
 واقبض على السكينِ كبرِ وانحرِ
 نفس الفتى من كل ضيرٍ مخطرِ
 وتقبل الرحمانُ نذركَ فابشرِ
 وارتمج ركنُ العرشِ لا تُتحدّرِ
 ارضُ ومادت كالفنا المتخطرِ
 في قاعةِ العرشِ الجليلِ الانورِ
 في متدى « عبد الحميد » الاكبرِ
 وتوهّموا قربَ الحمامِ الاحمرِ
 فبقيت وحدك في السريرِ كعترِ
 بالفعل اذ كذّبت قولَ المفترى

والا كانت الزلازل من اعظم المضائب التي نكبت بها الكرة
 الارضية مع سكانها رأيت ان اذكر في هذا الباب شيئاً من احوالها
 واسبابها ثمّة للفائدة فاقول

اولاً - تحدث الزلازل في الليل اكثر من النهار . وقد احصى
 المدققون نحو خمسمائة زلزلة وزلزلتين حدثت وقوعهما في بلاد اسفيصرة
 فوجدوا عدد الزلازل التي حدثت في الليل ثلثمائة وعشرين زلزلة . وهذه
 كلها حدثت بين الساعة السادسة بعد الظهر وبين الساعة السادسة قبل

الظهر . ووجدوا ايضاً ان الزلازل التي تحدث قبل نصف الليل تكون دائماً اشد من الزلازل التي تقع بعد نصف الليل . وقد عينوا لذلك اسباباً طبيعية

ثانياً - تحدث الزلازل في الاراضي الجبلية الحديثة التكوّن بالتأثيرات البركانية اكثر من حدوثها في السهول

ثالثاً - تحدث الزلازل في فصل الشتاء اكثر من فصل الصيف والتي تحدث في شهري كانون الاول وكانون الثاني تكون اكثر شدة من غيرها . وسبب ذلك كثرة سقوط الامطار التي تسوق المياه الى شقوق الارض . فان هذه المياه متى تطرقت الى قلب الارض ووصلت الى الصخور المسخنة بجمارة المواد النفطية المشتعلة تحدث في الصخور انفجاراً وتفلقاً . والانفجار يحدث هزة في قشرة الارض

رابعاً - ان الهزة التي تحدث في قشرة الارض تنتشر في خلالها بسرعة غريبة . فقد لاحظ العلماء ان الهزة التي حصلت من زلزلة بيلاد اليابان انتشرت بسرعة ٩٨٠٠ قدم في الثانية . وقال الجنرال « ابوت » انه حسب سرعة انتشار الهزة التي حصلت من الزلزلة العظيمة التي مزقت بامر كا الشمالية صخوراً عظيمة يقال لها « فلود روك » (*Flood Rock*) فوجدها انتشرت بسرعة ٢٠٥٢٦ قدماً في الثانية . وتختلف سرعة هذا الانتشار حسب اختلاف طبيعة قشرة الارض وتكوينها . فان الهزة تنتشر في الاراضي الرملة الرطبة باقل سرعة من انتشارها في الاراضي الصخرية . وقد دقق في ذلك المعلم « ميلن » (*Milne*) وقال انه وجد

الهزة تنتشر في الاراضي الرملية الرطبة بسرعة ٨٢٥ قدماً في الثانية حال كونها تنتشر في الاراضي الصخرية بسرعة نحو ١٦٦٥ قدماً في الثانية . وبناءً على ذلك اذا تيسر للانسان ان يسبق ويعرف وقوع الزلزلة قبل حدوثها وان يركب اسرع قطار على السكة الحديدية لينجو من اخطارها لما تمكن من الهرب من وجهها لان سرعة انتشار هزة الزلزلة هي اكثر من سرعة سير القطار بنحو ٣١٦ مرة

خامساً -- ان الزلازل التي كانت عواقبها وخيمةً على الارض وعلى سكانها لكثيرة . منها زلزلة حدثت في مدينة لزبون سنة ١٧٥٥ للميلاد . فهذه الزلزلة دفنت تحت انقاض تلك المدينة نحو عشرة الاف من النفوس . والذين بقوا احياء بعد الهزة الاولى التجأوا الى رصيف الميناء لينجوا من خطر الانقاض . فباغتتهم الهزة الثانية ورفعت مياه البحر الى علو ٥٠ قدماً ثم جرفت الى اعماق البحر كل الرصيف وكل من كان عليه . ثم انشقت الارض تحت البحر وابتلعت كل السفن التي كانت في الميناء ثم طبقت عليها ولم يظهر منها فيما بعد اثرٌ على وجه الماء .

اما اسباب الزلازل فكثيرة منها معروف عند المدققين ومنها مجهول الى عصرنا هذا . فجلُّ الاسباب المعروفة لدينا هي كما يأتي

اولاً - تأثير جاذبية القمر في قشرة الارض

ثانياً - تأثير المد والجزر في البحار

ثالثاً - ضغط الهواء على قشرة الارض وسطح البحار

رابعاً - الانفجار الذي يحدث في الجبال البركانية

خامساً - الانفجار الذي يحدث أحياناً في معامل البارود
سادساً - الانفجار الذي يحصل في قلب طبقات الارض من جراء
تطرق المياه الى الصخور المسخنة باشتعال المواد النفطية . فتمتئد لاس الماء
هذه الصخور الشديدة الحرارة تفرقت من ساعتها وحدثت اهتزازاً عنيفاً
في قشرة الارض

سابعاً - تموج المادة النارية المائعة التي في مركز الارض . فهذه
الكتلة من المادة المائعة اذا لامست جدران قشرة الارض من داخل
فعلت بها فعل امواج البحر بصخور السواحل اي انها تجرف من جدران
قشرة الارض بعض الصخور العظيمة بقوة تفوق ادراك البشر . ومتى
سقطت تلك الصخور في بحر تلك المادة المائعة فرغ مكانها
فيتدحرج اليه ما جاوره من الصخور ويشغله . وعلى هذا الاسلوب
صخر يعقب صخرآ في التدحرج فيحصل من جراء ذلك ارتجاج وهزة هائلة
في قشرة الارض ثم ينتشر الى سطحها . وقد يكون مركز الهزة على عمق
ثلاثين ميلاً من سطح الارض وربما كان اقل من ذلك الى نحو ميل
ونصف ميل وهلمّ جراً

ثامناً - ان السبب الاكبر لحدوث الزلازل في الكرة الارضية وفي
جميع الشمس والنجوم والكواكب هو الله جل جلاله الذي وضع للمادة
على الاطلاق نواميس ثابتة لا تتغير تستسن بها . ثم ساسها بحكمته الازلية
وسخرها متى شاء لاجزاء مقاصده الالهية في خلائقه . فهو حكيم على
كل شيء قدير

كتاب

الى صاحب السمو والاقبال رب المكارم والافضال الامير
الخطير والحديوي الكبير صاحب الرأي والتدبير سيد الاراضي
والبلدان مالك مصر والسودان ملاذ الادباء حامي الشعراء رب
الدولة المعظم

* عباس حلي *

باشا المنعم اعزه الرحمان ورفع شأنه في كل مكان ما تلاماً
الفرقدان وتعاقب الملوان

سلام طيب على طيب الوصف والذكر سلام ارق من نسيم
الصبا في مطلع الفجر سلام شريف على مويد العلم الشريف بالنظم
والنثر سلام شذاه اذكى من المسك الاذفر والعطر سلام لطيف
على صاحب السيف والقلم من كان فضله اشهر من نار على علم
ادام الله ايامه بالسعادة وجدد عليه حال المجد والسيادة ولا اخلى
عينه من قرّة ولا حرم نفسه من مسرة

اما بعدُ فان بطاقتي الى سموكم عذراء خريدهٌ ودره فريده
 زفت اليك يوم استنشقت طيب ذكرك الاذكي من الند وعشقت
 بالاذن لا بالعين محاسنك عن بعد وقد قال في المعنى بشار واجاد
 في ما اليه اشار

ياناس اذني لبعض الحلي عاشقةٌ والاذن تعشق قبل العين احيانا
 فلو نهضت بي القدمان واسعدني الزمان لقدمت الى الباب
 العالي واسرعت اليه اسراع محب الى حبيبهِ الغالي لأفك ما
 لك علي من حقوق الشكران واتلو آيات الثناء باللسان لكن لا
 قصرت خطوة العبد وحرم خطوة القصد ولزمه مع وضوح العذر
 ان يفتح عن وجوب الشكر خدم بما يني عن فكره المريض من
 نظم قوافي هذا القريض

فتفضل غير مأمور بقبول ما حوته ألوكتي وانظر بعين
 الاستحسان الى نسيج بردتي فثلك ممدوحٌ ومثلي مادحٌ ومثلك
 روضٌ ومثلي فيه صادحٌ
 هذا وختام الخطاب في هذا الكتاب رفع الدعاء بطول بقائك
 وغاية الفوز بلقائك



الاحلاص

رفعت هذه القصيدة الى اعناب حضرة صاحب الدولة والنخامة
عباس حلي باشا خديوي مصر
المعظم

بك القطرُ معترُّ أيا واحد العصرِ
بك الزُّورُ مُرتجٌ وشعبكُ مُرتجِ
أُسبقُ من يثني عليك بشعره
يقولون لي قرطُ أميراً ميجلاً
فان قلتُ شمساً فالشمسُ معيبةٌ
لقد حارَ حالَ العقلِ فيك معدداً
نقولُ المعالي انتَ نقطةُ مركزي
وقطرُ ندى الاحسانِ غيثُ مكارمِ
لقد حزتَ ملءَ الفخرِ مذ جزتَ بحرهُ
لديك من الاوصافِ ما لا تُحدهُ
ذخرتَ من الافضالِ كنزاً مخلداً
وملكك مهترٌ من المجدِ والفخرِ
بيتُ على الآمالِ في معرضِ الصبرِ
فيعبطُ في مضمارِ مدحٍ دماً فكري
فقلتُ قريضُ المدحِ بحرٌ بلا حصرِ
بليلٍ وانُ بجرّاً فلم ينجُ من جزرِ
فلا عجبٌ ان حارَ من غارِ في البحرِ
ودائرةُ الامجادِ فيك استوى قطري
يفيضُ على الظمانِ نهراً من القطرِ
اليك نسبتُ الفخرِ يا صاحبِ الفخرِ
براعةُ اربابِ البراعةِ والشرِ
مكافاتهاً تلقاك في النشرِ والحشرِ

فلا زلت للاوطان انسان عينها
 بمدحك تسجيبي ونظمي مرادف
 وان كان شخصي اليوم عندك نكرة
 غريب بلاد في اراض بعيدة
 يقولون ان الاذن تعشق تارة
 يقولون وادي النيل ارض سعيدة
 لقد صدق الراون فيما تحدثوا
 على عرش مصر قام عباس ناهضاً
 وشيد اركان الديانة والتقى
 وقال لليل الجهل ول ولا تعد
 وازهر وادي النيل والنيل مبشر
 وجاد عليه بالسكرم والندی
 زهور ربيع الجود طرزها الندى
 وشاد بروج الامن فوق حصونه
 ولولا هلال العدل هل بافته
 فيا سعد وادي النيل قدم حظه
 ارى الجدة في الاقبال والعلم شاكر
 لقد فاح روح الفضل منه تفضوا
 امير حوى من كل فضل نفسه
 عرائس افكار نفائس حكمة

كما جئت في عليك انسان ذا العصر
 نجار مجود مدح خل بلا عذر
 فلا بد من ذكرى يمر على الفكر
 قريب وداي عند خل بلا عذر
 فقد عشقت اذني وعقلي لم يدر
 وفيها امير ذو ايد بلا حصر
 ويشهد نيل حده الجود كالنمر
 بمجد بلا حد كبحر بلا جزر
 وهدم ابراج الضلالة والكفر
 لقد لاح نور العلم في مصر كالنجم
 بوال تولى القطر بالعدل والامر
 ووشى رباه بالرياحين والزهر
 بابيض فعل المجد والفتح والنصر
 وصان بنيه من عدو ومن ضر
 لما سلمت تلك الاراضي من الذعر
 بوال رقى طود الفضائل كالخضر
 اياي امير جوده جل عن بحر
 بروض ذكي الند والزند بالنشر
 وضاهى جدوداً بالبسالة والقدر
 تجلت بانوار على دارة البدر

هشاشةُ اخلاقٍ بشاشةِ طلعةِ شهامةِ نفسٍ حالةِ العسر واليسرِ
لامدحها ما دمتُ حياً وان أمتُ فتتلو عظامي مدحها في ثرى القبرِ

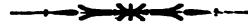


تخصية

رفعت القصيدة الآتية الى صاحب الدولة نصري افرنقو
باشا الحلبي يوم صار والياً على جبل لبنان وذلك
في بيروت سنة ١٨٦٩ ميلادية

الشرق ييسمُ والجبالُ تبشرُ والخلق في ثوب السرور تكبرُ
لاحت علامات الحبور على الربى لما أتى لبنان منك مبشرُ
خفقت على قلل الجبال ييارقُ وبتغر بيروت المسرة تكثرُ
اهلاً وسهلاً بالوزير المجنبي راياته فوق الروابي تنشرُ
ولقد حباك الحكم من حكم الورى لبنان دان لشوكة لا تكسرُ
فاقبض زمام الحكم واحكم في الملا فالعدل في صحف الصدور مسطرُ
ته وافخر بالامن واحم ذماره في ظل رايك السلام مقررُ
فشائلُ قد زينت بمحاسن وفضائلُ تنى عليك وتبشرُ

ومواهبٌ مثل الجورِ زواجرٌ ومناقبٌ اعدادها لا تحصرُ
ان تقررِ المعروفَ تجنِ ثماره ويدوم بين الناسِ فضلكِ يُشكرُ
لم يقضِ هذا النظمُ حقَ مناقبِ قد قمتَ فيها فردَ فضلِ يُذكرُ
قد انطقت اوصافك الحسنى في وكن بها قصرتُ حملكِ يعذرُ



تبريك

رفعت الايات الآتية الى صاحب الدولة افرنقو باشا تبريكاً
لهُ بالنشان المجيدي من الرتبة الاولى
وذلك في «بيت الدين» عام ١٨٦٩ م

أبدرُ «بيت الدين» في ليلةِ القدرِ ام اعناض وسمُ الملك فيك عن البدرِ
وسامُ اتاكم من ملكِ اقامكم اميراً على لبنانَ بالحكم والامر
ونادى بانعام السرورِ مهلاً عليكم بني الاوطانِ مُدّاً لواء النصرِ
بعثتُ بني لبنانِ نصري اليكمو وكيلاً فكونوا طابعين لما يجري
نشاني عليه وسم شأني وسلطتي وسمتُ به عبدي التزيه عن القدرِ
تنعم بما اولاك مولاك انهُ وسامُ كبرِ قد تلالاً في الصدرِ
تبارك يومٌ قد اتيتك واصفاً وساماً مجيدياً بصدرك يا نصري

﴿ الخطبة الرمضانية ﴾

ارسلتها من « لندن » مشفوعةً بنظمٍ الى صاحب السيادة
والسعادة السيد يرغش بن سعيد حاكم زنجبار تبريكاً
لهُ بصوم رمضان وعيد الفطر
وذلك سنة ١٨٨٢ للميلاد

اما بعدُ فقد احلكَ الله ايها الامير الهام والسيد القمقام محلاً
رفيعاً شامخاً واعطاك ملكاً سعيداً راسخاً وحذّر عليك الافات ووقاك
شر العاهات وجعل ايامك الغراء بالاقبال مشمولة واصوامك بالثواب
مقبولة واعاد عليك رمضان بعد رمضان وافرج عليك حلل الجبور في
كل عيدين ما تعاقب الملوان واسبع على آلك الكرام سوانح الاحسان
وخص بلادك السعيدة بالخصب والامان

﴿ النظم ﴾

تبارك عيدٌ قد بدا في المشارقِ على ابن سعيدٍ من خيار الخلائقِ
اميرٌ نجيبٌ من سلالة سيدٍ هدى قوم اعرابٍ لخير الطرائقِ
اميرٌ تولى زنجبار بعده وصان حماها من جميع الطوارقِ
وسهل درباً اعثرت كل طارقٍ ونظم في البلدان كل المفارقِ

اميرٌ يقود الجيش تحت عجاجةٍ وجنداً عليه هان فتح المقاتلِ
تولى بلاداً رقباً منها نسيها وطابت تمورٌ من نخيلِ بواسقِ
لها سيدٌ ما قاد في الحرب مثله جيوشاً اتاها النصر تحت السراقِ
اميرٌ اذا اشتد الوغى سلَّ سيفه وكسر في الهيجاء كل البوارقِ
حسامٌ خبا الرحمان للعرب نصله جلاه اميرٌ في الخيول السواقِ
سقى الله ارضاً انت خير امامها وعرشك اعلى من جبالِ شواهِقِ



﴿ الرويا ﴾

مدحت بهذه القصيدة السيد برغش سلطان زنجبار في صورة
خلمٍ وذاك « بانندن » خمسِ خلونٍ من كانون
الثاني لسنة ١٨٨٦

(القصة)

اما الباعث على هذا الخطاب وسرد الحديث في هذا الباب فهو
اني بتُّ ذات ليلةٍ وقد خيم فيها سواد العثان والضباب وتنضد الثلج
على الروابي والمضاب فلزمتُ فيها من شدة البرد الوحدة في الدار
ولذتُ بالكانون كما بد النار فأرخت الحرارة اعصابي وذبلت اجفاني

واهدابي وغلب عليّ النعاس فحلت كأني قد غبت عن الحواس
وامثلت بين يدي مولاي برغش سيد الناس فنظمت فيه رؤيائي
بحضرة الجلاس

﴿ النظم ﴾

رأيتك والاجفان غمضى براحة
حلت باني قد رأيتك جالساً
رأيت جبلاً من حجار كريمة
رأيت حواليك الجواهر جمّة
تنضد منها للنحور قلانداً
حلت باني قد سرّيت بلحظة
حلت بان الغيث ابطأ وفده
رأيتك في شبه الغمامة مقبلاً
رأيت بجوراً من يديك تدفقت
حلت باني اذ لمست بمحشمة
حلت بان القحط فاش بقطرنا
حلت بان البعث حان اوانه
رأيتك تسعى قبل طي وبرمك
ولما بدا منك امثال لامره
لانت اعمّ العرب جوداً ومنحة

حلت وحلي صادق دون خيبة
محاظاً بنور ساطع فوق سدة
نقطع منها ثم تعطي بكثرة
وفيها من الياقوت أكبر قطعة
تزين اعناق العذارى الجميلة
وصرت لديكم في نعيم وغبطة
وعمّ الديار الجذب في كل بقعة
تصب على الارض السيول برحمة
وسالت على كل الوهاد الوسيعة
يديك بكفي صرت اسخى البرية
ويوسف هذا العمرات يدسرة
ونودي بمن فاق الانام بمنحة
الى عرش رب الكائنات بحفلة
اثابك خيراً في مجامع جنّة
فقلت وقولي صادق دون ريبة

التعزية
ثم التهنة

هذه صورة الكتاب الذي انفذته من مدينة « لندن » الى حضرة السيد خليفة امير زنجبار المعظم تعزية له بفقد شقيقه المرحوم السيد برغش رحمه الله رحمة واسعة . وتهنة له بجلوسه على تخت مملكة زنجبار وذلك سنة ١٨٨٨ ميلادية

ارفع هذا الكتاب الى معالي الاعتاب واخص به المولى المعظم والسيد المنعم صاحب مملكة زنجبار المجيد وامامها الفريد

﴿ السيد خليفة بن سعيد ﴾

خلد الله ملكه وابقاه وجعل الجنة بعد عمر طويل مثواه
اما بعد فقد انقضت على ديار زنجبار ذات الخيرات واليسار
صاعقة دهياء في ليلة ليلاء وسافت على سلك البرق خبرين ذوي
وجبين هذا ساء وهذا سرّ هذا قرّح الجفون وهذا اقرّ
اما الاول فبما قضاه الله تعالى وقدره من وفاة مولانا المجيد وامامنا
الصنديد السيد برغش ابن السيد سعيد الشهيد سقى الله بغيث الرضوان
عهدهما وتراهما وجعل فسيح الجنان مقرها ولاجرم ان من رجح

حزمه واشتدَّ عزمه لم يحزن على من بدل الدنيا بالآخرة واعناض
عن الغبطة الفانية بالسعادة الباقية . فكم فارق الناس الاحبة قبله
وسوف يفارق الاباء الابناء بعده . ومنذُ اعيا دواء الموت كل طيب
نق غراب اليبين في نادي البعيد والقريب . وقد قلت ارثيه رحمة
الله عليه

مضى من قضى خيرة الحياة سبيله عليه من الاماق ينسكب الدم
وخلف للاهلين بعد انصرافه نموذج فضل تفتيه فنتم
اقام اساس الملك فوق دعائم رصينة ركن لا تُدك وتهدم
انار بنبراس المعارف قومه وارغم انف الجهل والجهل يرغم
وابطل سوقاً للرفيق بملكه وقال ارتعوا في الامن يا قوم واغتموا
اعد له المولى بجنه خلد سريراً عليه يستوي ثم نعم
هذا ما كان من الخبر الاول

واما الثاني فما حباك الله من الجلوس على تحت الامارة المأنوس
وخولك ملكاً جليلاً وقلدك سيفاً صقيلاً وتوج هامتك بعمامة المجد
والافتخار وعقد على ملكك كلمة الاجماع والاقرار ولا ريب في ان
البؤس يخلفه السعد السريع كما يخلف كروب الشتاء صفاً الربيع
فلقد سرت بالجلوس المأنوس السرائر وضربت زنجبار طبول البشائر
واخذت الارض زخرفها من كل زام وزاهر وسجعت الخطباء باسمك
الشريف حتى اورقت بذكره طرباً اعواد المنابر وبدت من طلعتك
المزيرة على وجوه الدنانير والدرهم سمة البشائر وانتشرت في ارجاء

البلاد حتى ملئتُ بها ايدي العباد وتسابقت الالسن بحمد العليّ
 المنان على جعل هذا البيت الرايح البنيان سماءً زينها بالدراري
 الغراء كلما غاب عنها كوكب أوت اليها كواكب زهراء فلقد
 استويت على تخت ملك انشأته دولة أزدية وساسه رجال من اهل
 الحزم بشوكة قوية وورثت الحزم منهم واخذت العزم عنهم حتى
 حق لك ان نقول

قبضتُ قضيب الملك ارثاً وبيعةً

اسوسُ به قومي وارشدُ امتي

جملت رفيقي الرفق والعدل سنتي

تطأ من اهل الارض طراً لشوكتي

فتفضل عليّ ايها الامير صاحب الاصاله والتدبير بقبول ما
 اودعته من التهاني بطون رقعتي وما نسجته من مدحك في بردتي
 وشرفني بخدمتك العالية كما شرفني اخوك السيد برغش مدة السنين
 الخالية وطوق عنقي بطوق الامتنان ما توالى الفرقان



الطواف

نظمت هذه القصيدة مدحاً في منيف باشا حينما كانت ناظر
المعارف الجليلة وانا يومئذٍ بدار السعادة . ووسمت
القصيدة « بالطواف حول كعبة العلم المنيف »
وذلك سنة ١٨٩١ ميلادية

الى « كعبة » العلم المنيف وركنه
وكبر لما عاين « البيت » بهجة
ومن « زمزم » ماء المعارف يستقي
ويستلم « الركن » الذي قام فوقه
ويزمل في الاشواط عدواً ثلاثة
ويرقى « صفا » بيت المعارف جهده
ويرمي جمار الجهل في « عرفاته »
فانت « منى » حجي وقصدي وحاجتي
ثواب طواف عند صاحب « كعبة »
لديك من العلم المنيف مناهل
غدت كل اعضائي بمدحك السنأ
فيغبط نظمي مسمي عند لفظه

أتى يستضي من نور افكاره الفكر
وطاف مقام العلم ينجده الذكر
ويشفي الذي بالجهل قدمه الضر
اساس فنون لا يقوم لها حصر
وياثم « صخر » العلم من شوقه الثغر
وينحط منه نحو « مروة » مفار
فيكمل في وادي « منى » الحج والنحر
يجود لديك المدح والنظم والنثر
ونيل علوم من لديك هو الاجر
رويت بها عقلي فضاء بها الفكر
تعدد اوصافاً اذا اشرق الفجر
وفي كل اوقاتي يردده الذكر

شهر خورشيد

نظمت هذه القصيدة وارسلتها الى حضرة صاحب السعادة خليل
افندي الخوري ناظم ديوان « العصر الجديد » تهنئة
له بوسام « شير خورشيد » وذلك - فيما كنت
في بيروت سنة ١٨٦٥ ميلادية

« الشمس والاسد »

عجباَ لشمسٍ في السما تُتغَرَّبُ
ومن الغرابة انها لما رأت
هجرت بروجاً في نطاق سمائها
فتبرجت في صدره بشعاعها
شمسُ القريض بنورها وشهابها
هو كوكبُ الشرق الذي بهر النهى
اوصافهُ الغراء عند نديمه
نفقت لديه سوق كل فضيلة
وافى من الاقطار يطلبُ عليه
ما جاءه ذو مشكل الا غدا
سحر العقول بقوله وبديعه
عن برجها في الارضِ برجاً تطلبُ
صدر الخليل على الحجرِ يفلبُ
وهوت اليه بالصبايةِ تغربُ
وبدت على اَسَدٍ نثيهُ وتعجبُ
عن صدر خلي لا تقيبُ وتغربُ
بضياء علمٍ لا يزولُ ويحجبُ
اصفى من الخمر السلافِ واعذبُ
والفضلُ بجر لا يجفُّ وينضبُ
ربُّ النهى وبعلمه يتهذبُ
مستبشراً من حلهُ يتعجبُ
لما رقى متن المناير يخطبُ

رقت معانيه وطاب قريضه وحناسه وبديعه يستعذب
 نعماً لدرِ قصائدٍ منظومةٍ كالعقدِ «في العصر الجديد» ترتب

الوالدة

نظمت هذه القصيدة مدحاً في والدتي العزيزة وأنا يومئذٍ بمدينة

لندن وذلك في بدء عام

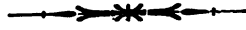
١٨٨٧ للميلاد

رعى اللهُ أمّاً افتديها بمهجتي
 لقد زيتتها من صباها فضائلُ
 حلاها ذكاءً والكمالِ جمالها
 كساها ملكُ العرشِ ثوبَ طهارةٍ
 فتاةٌ احبت والديها وآلها
 عروسٌ احبت زوجها حبَّ زوجةٍ
 وحلت لديه في مقامٍ مكرمٍ
 ولما ابتلاها الدهرُ غدرًا بفقدهِ
 تردت من الافضل اجمل حلة
 وفاقت نساء الارض طراً بعفة
 ومنحةً عقلٍ زيتتها بحكمة
 تيس به بين النساء الزهية
 وصارت مثلاً صالحاً لخليفة
 فعلق قلباً في فتاة امينة
 كريمة اصلٍ عن جدودٍ كريمة
 وصرنا يتامى قاصرين بغربة

تولت غذانا والقيامَ بامرنا
وكم من ليلٍ قد قضتها تسهداً
يُثقل نومُ جفنِ امِّ حنونةٍ
تهزُّ سريري اذ يهزُّ فؤادها
تحسُّ باوجاعي وتمرض كلما
يحنُّ على كل الانامِ فوءادها
اناها من الاقطار صاحب آفةٍ
تحلُّ عقاقيراً تركبُ بلسماً
شديدة نفوى والتعبد دأبها
تصوم وتطوى ثم تسهر ليلها
غذاها طفيفٌ والتكشف الفها
تداري فقيراً ثم تطعم جائعاً
تسلي حزينا او تعزي ثواكلاً
عسى ان يطيل الرب مدة عمرها
ويجعل عمري ان يكون علاوةً
أزّين نظمي بامتداح صفاتها
سلامٌ على الوجه الصبح اذا بدا
سلامي على من كان قلبي رهينها
سلامي على امِّ اراها بمهجتي
فدامت ودام المدحُ فيها مكرراً

وضحت نفيس العمر منها لفتية
تلازم مهدي في منامي ويقظتي
فيظفر حبُّ الوالدات برقدة
سرورٌ بنوي واضطجاعي وغبطتي
دهتني من الامراض اسهل شدة
وتشفي ضناهم في حنانٍ ورحمة
فداوت كلوم الجسم منه بحكمة
وتجبرُ كسر العظم جبراً بصنعة
تصلي وتدعو كل يومٍ وليلة
ونفقو من النساك خيرَ طريقة
وتزهد في لهوٍ وكل ملذة
وتكسو عراة الناس احسن كسوة
وتبذل نفساً والنفيس بطيبة
ويجعل طول العمر مقرون صحة
على عمراة من خيار الخليفة
واكسو به المعنى وشاح الحقيقة
مُضياً كشمس في اوان الظهيرة
وعقلي وفكري عندها كل لمحمة
سلامي على امِّ ولية نعمتي
وعطر ثناها فأنح في البرية

نظمتُ قريضي في نظامِ قلادةٍ وطوقتُ جيداً طوقتهُ بعفةِ
 لعمرى عقودِ الدرِّ يُنثرُ نظمها وعقد قريضي دائماً طولَ حقةِ
 يدومُ دوامَ الكونِ فيكِ محمداً وذكرِكِ باقٍ في نسيجِ قصيدتي
 خلتها من ابنِ صاغها عقدِ جوهرِ يزينُ نحورِ الوالداتِ الكريمةِ



لِينُو

« نينو » « نينو » وما ادراكَ من « نينو » ؟ « نينو » هو
 اليوم قمام القوم وحبر الاحبار ومستودع الاسرار هو البابا ليون
 الثالث عشر المجنبي من بين ابناء البشر فان رمت ايها الخلل الحكيم
 والقارى الحكيم استماع حديث هذا الخبر العظيم والشيخ الكريم الجالس
 على عرش الفاتيكان بالعز والمجد والشان من كان عرشه المنحف باللعان
 ارفع من عرش كسرى انوشروان يشارُ اليه بالبنان اصغِ الى قولي
 بامعان فاسردهُ عليك بافصح بيان والله تعالى المستعان

﴿ القصة ﴾

روى القس « سلفاني » الذي كان « لِينُو » في حديثه القرين

الثاني قال : أترى الآن هذا الحبر الهرم الطاعن في السن والقدم من
اضغى جلدًا على عظم وصار الى حالٍ من السقم تكاد نسمةٌ من
الريح تنسفه الى العدم؟ فهو ذلك « نينو » المهام والفتى المقدام الذي
كان في عنفوان الشباب قنصاً جسوراً وصياداً في بأسه نفوراً لا
يخشى وحوش الغاب بل يرتعد الوحش منه ويهاب واينما شمَّ اثرَ
صيدٍ وثب وحيثما صادف قنصاً عنكب شاباً ونصب وكان يجمع
صبية القرية ويتولى قيادتهم بسلطة وامرة ويزحف بهم الى اخرج
المسالك واصعب المهالك وهو لهم في الاخطار مشارك وفي طليعتهم
كقيصر في الجحافل وكسرى في المعارك واينما رأى صبية في غوغاء
اغرام بالمهيجاء فكان في كل فتنة مقداماً يرفع لكل ثورة اعلاماً
واذا دخل في جدال مع الاقران والامثال كان اكثر الصبية قساوة
واشد من حمل فيهم هراوة وكان يتسلق ذرى الجبال ويشب من
صغر عال الى كتيب منهل ووثوب الوعال في طلب النهال حتى
كان يدهش الاقران باقتحامه غرائب الحدثان فاين « نينو » ذلك الزمان
من « نينو » اليوم صاحب الفاتيكان الالبس الطيلسان والمتجلى
بالارجوان والقابض على الصولجان سجان من بحكته يقدر ويغير
الحاق كما يشاء ويدبر

﴿ الترجمة ﴾

ولد « نينو » في قرية كرپينيتو (Carpineto) وسمى باسم « فنجنسو

فراري « *Vincenzo Ferreri*) الشهير واستحلت امه اسم « نينو بصيفة للتصغير وكان ابوه « لودوفيك بيجي » *(Lodovico Pecci)* امير كتيبة من كتائب الجنود الايتالية وامه ابنة « كولادي ريانزي » *(Cola di Rienzi)* القاضي في المحاكم العالية فورث « نينو » من امه جودة العقل والحزم واخذ عن ابيه الجرأة والعزم وكانت امه وهو في المهد تفتخر به افتخاراً بلا حد ولما كانت تراقصه على الذراعين وتلثمه بين العينين كانت تقني له بصوت جهير انت هو « البابا الصغير » انت هو « الحبر الكبير » ومن النكت الغريبة في طفولية « نينو » العجيبة ان امرأة من ائيف المهجنة تبيع اقراصاً من الجبنة اقبلت يوماً بمقتطف حقير الى دار « نينو » الصغير فهرول الطفل اليها لاعباً وللجن الطري جاذباً فقالت له المرأة بابتسام أتبتني جنباً يا غلام فسمعت امه ذلك انكلام وبادرت الى المرأة باحندام وقالت لها . ليس ابني بغلام من غلمان الجبال فالتست المرأة عذراً في الحال وقالت لها : اقول اذا يا كاردينال فقاطعتها امه وقالت لها بصوت جهير كلا بل هو « البابا الصغير » فلما شب « نينو » عن الطوق وادرك ما كان في قلب امه من الشوق الى احرازه مقام الباباوية والاستواء على السدة البطرسية زاده ذلك طمعاً في طلب المعالي وزهد بما كانت تطمح اليه انظاره في الجنديّة من التعالي وصار في طلب الفضائل والعلوم يُغالي ويحبي بالدروس الميالي ويسعى جهده في طلب الرئاسة حتى ادرك لقب القداسة . وقد جمعتُ في بعض ابيات ما لهذا الحبر الكبير من حميد

الصفات تهنته لقداسه باكاله خمسين عاماً من رئاسته وهو يخدم
الرب الصباوت بدرجة الكهنوت وذلك ايام كنت بلندرة في بدء
سنة ١٨٨٨ ميلادية

﴿ النظم ﴾

اروض جواد الفكر في حلبة الثنا
لقد كنت في سن الشباب بغابة
فقد صرت صياداً تصيد كبطرس
وكيلاً لسيمان بن يونا ونائباً
فاكملت في الكهنوت خدمة مذبح
وصرت لنا في الفضل خير نموذج
فيا لك من حبر تجل مقامه
واهدت اهالي الشرق والغرب جملة
عليك ايا من في الانام نفرّدا
تصيد وحوشاً او طيوراً تعمدا
وقمت رئيساً في الكنيسة مرشداً
اقامك عيسى في البرية اوحداً
بخمسين عاماً كنت فيه مجبداً
ونلت من الرحمان قدراً وسودداً
ملوك نحت ناديك طوعاً وسجداً
لباناً ومرّاً مستطاباً وعسجداً

﴿ دار الندوة ﴾

مررت ذات يوم بدار الندوة البريطانية «Parliament» المشهورة بمدينة
لندرة الحمية فبصرت بينائها الشاغل وعلوها المباح وهي قائمة على
خفة نهر «التمس» المحجوب عن اشعة الشمس فلأت غيني هندستها

الغوئية ونقوش جدرانها البهية فاثال وحي القريض على البال وانشدت
 في ارتجال وذلك في سنة ١٨٨٧ ميلادية
 تيهي افتخاراً في بنائكِ واعجبي يا دارُ فيها العزُّ قامَ بندوةِ
 يا دارُ فيكِ الانكليزُ تعزّزتِ وسطتِ باجمادِ على المسكونةِ
 دارُ بنتها الانكليزِ لحقها فيها يفي النوابُ حقَّ الامةِ
 دارُ على « ثمسٍ » تشيد ركنها بهياكلٍ منحوتةٍ من صخرةِ
 دارُ بناها الاقدمون وشيدوا ركن البناءِ على اساس الحكمةِ
 نقشَ المهندسُ سقفها وجدارها بنقوشِ اهل « الغوث » احسن نقشةِ
 فرضت رجال الملك فيها سنةً للدين والدنيا وكل مهمةِ
 واذا أُصيبوا بالبلاءِ تجمعوا وتداركوا بالحزم كلّ ملةِ



﴿ الاسقفية ﴾

بعث هذا النظم والكتاب من لندرة الى بعض الاصحاب
 تهنئةً لهُ بارنقائه الى درجة الاسقفية وذلك
 في ١٨ ايار امام ١٨٨٧ ميلادية

الكتاب

كتابي اليك ايها السيد المفضل كتاب مستفسرٍ عن الاحوال
 بلغك الله غاية الآمال وقرن مساعيك بالتوفيق والاقبال . اما بعدُ

فقد بُلغتُ والبلاغ خير وقت كل ضمير انك نقلت مقاليد الاسقية
وتوليت مهام الطائفة السريانية متعك الله بهذه الرتبة العالية وجعل
اقدامك في مراقبي المعالي راقية ولعلي بما تستغرقه هذه الرتبة المنيفة
من انشغال البال وكثرة البلبال والانهاك في خيار الاعمال فقد اوجزت
التهنئة في المقال وقلت فيك هذه الايات في ارتجال فنحذا ممن لم
يخطر لك ودُّه القديم على بال

❖ النظم ❖

تذكرتُ عهداً قد مضى بماهدي	وملتُ لخلِّ في الصبأءُ معاهدي
ذكرتُ وداداً قد تقادمَ عهدهُ	فحنَّ فوءادي للحبيب المباعدي
سررتُ بما بُلغتُ من خير ناقلِ	بانك قد قلدتَ خيرَ المقلدِ
سعتُ فأعطيتَ الجزاءَ مضاعفاً	ونلتَ مقاماً فيه جلُّ المقاصدِ
وعظتَ وبشرتَ الانامَ بنعمةِ	وذذتَ بجدِّ عن حياض المعائدِ
تجرتَ بفضلٍ ثم فزتَ برجمهِ	فأنعم لك البشري بنيلِ المحامدِ
عرضتُ علي خلي القديم مدائحي	وقلتُ ولا نقصُ يُعيبُ قصائدي
فخذها على بعدٍ هديةً قائلِ	تذكرتُ عهداً قد مضى بماهدي

الكرم

مدحت بالقصيدة الاتية السير روبين داود ساسون المشهور
بالثروة والكرم وانا يومئذ بمدينة لندن
وذلك سنة ١٨٨٦ للميلاد

صيتُ المكارم لابن طيِّ يسندُ
ابن البرامكة الذين تفاخروا
احيي ابن ساسون المكارم بعدهم
بذل البرامكة العطايا للورى
بذل الهدايا حاتم من نوقه
«رويين» اعطى الناس من امواله
هذا ابن ساسون الذي شاع اسمه
لورمتُ تعداد المكارم في الورى
نجلتُ كريمٌ والكرامة امه
يجري الى القصاد بحر هباته
بحرٌ طفوحٌ مدهُ متزايدٌ
الكف بحرٌ والاصابعُ انهرُ

والجودُ في الفضل بن يحيى يُعهدُ
ابن ابن طيِّ بالغنائم يسعدُ
هم انجمٌ «رويين» فيهم فرقدُ
من مال ملك الجباية يحشدُ
نوقاً غزاها ثم قام يبددُ
والمال بالعقل السديد ينضدُ
في الغرب حتى الهند قامت تشهدُ
«رويين» فيه الجود اجمع يوجدُ
والجودُ والده الاصيل الامجدُ
بحرٌ بلا جزرٍ يفيضُ ويزبدُ
مدٌ سفوحٌ فيضه لا ينفدُ
والبذل غيثٌ قطره يتجددُ

وعلى التكرم قد تعود كفه
لو شاء قبض الكف يوماً لاعنت
اعطى العطايا ثم زاد مضاعفاً
اغنى البرايا بالهبات تبرعاً
يسخو اذا بجل الزمان على الورى
وتزاحم الزوار عند مقامه
دار له الاضياف حلوا صحنها
فبني له برج المعالي جوده
ان عد اهل الجود كان امامهم
يفنى البخيل وذكره وحطامه
والمرء يفعل كل ما يتعود
منه الانامل واشمازته اليد
فوق الذي اعطى اذا جاء الغد
وفرا فواءداً من عدو يحسد
ويمينه من فيض بجر اجود
نار القرى بدياره تتوقد
وسماطه لبنى السبيل بمدد
وعلى اساس المجد قام يشيد
«رويين» ذو الفضل العميم الامجد
اما الكريم فذكره لا يخمد



الببل المصداح

القصة

اعتري جسي النحول وشمل قواي النحول ثم دهاني مرض امتد
مداه وعرقته مداه حتى كاد يسلبني ثوب الحيا ويسلني الى ابي

يحيى فاستشرتُ في حالي طبيباً كان لي حبيباً فإشار عليّ بالاستحمام
بماء « ويشي » الشافي الاجسام من جميع الاستقام فاستصوبتُ ما دلّ
عليه وأشار اليه وبرحتُ الدار وفارقتُ الاهل والجار وخضت
الجار وركبتُ القطار وسرتُ تلفظني أرضُ الى ارضٍ ويمجذبني
رفعُ من خفضٍ وقصدتُ مدينة « ويشي » في استجمالٍ ونزلتُ فندقاً
الى جانب نبع « اوييتال » وهو النبع الذي كان الاستحمام بمائه مطلوباً
والشفاء منه مرغوباً وبيننا انا انا انزه ذات ليلةٍ بين اشجار الحديقة سمعتُ
صوتاً رخيماً من مسرح المدينة والناس يوقعون بالبنان على البنان
ويمجذون ذلك الغناء الرنان فقلتُ لصاحبي الذي كان يجانبي يا هل
تري من المغنية ؟ فقال لي هي السيدة اديلينا كلورندا با تي اليهودية
نخفتُ الى المسرح بشوقٍ شديدٍ لاسمع صوتاً تمنيتُ استماعه من زمنٍ
مديد . فرأيتُ وما ادراك ما رأيتُ ؟ وسمعتُ وما ادراك ما سمعتُ ؟
سمعتُ هزارةً يصدح على الميدان ويمامةً مطوقةً تفرّد على الاغصان
وورقاً تسجع في الاراتك وهورية هيفاء تسبح بين الملائك وبلبلاً
يصدح في الافنان وعندليباً يشدو في روض الجنان . فاذا رمت ايها
القارئ اللبيب ان تحيط علماً باحوال هذا العندليب فهناك قصة هذه
الدرة اليتيمة وترجمة حالها العجيبة

ولدت هذه القينة الشهيرة بمدينة مدريد الكبيرة من عائلة
اسرائيلية فقيرة ولما بلغت الحول الخامس من عمرها طلبت فن
الموسيقى من امها فانتها بعلم ماهر حسب المرغوب وصار يلقي عليها

الدرس المطلوب . وما مرَّ على ذلك حولُ تام حتى فتق الزهر من
الأكام فوجد المعلم فيها للفنَّاء استعداداً عظيماً وصوتاً جهوريًّا رخيماً واعنى
بتعليمها غاية الاعناء حتى انقنت فن الغنَّاء ثم عزمت على الترحال
فشدَّت الرحال وخرجت في اهلها من ارض منبتها الى نيويورك
الشهيرة بكبرها والغنية بالها وغنت اول مرة فيها وهي لم تتجاوز
السابعة من عمرها . ونالت الفي ليرة انكليزية على غنَّاء ليلة في القاعة
الموسيقية ثم عولت على سفر طويل وغنت في « بوينوس آيرس »
عاصمة البرازيل واخذت من صاحب قاعة الانعام كل ليلة الفين
وخمسمائة ليرة بالتام . ودامت على ذلك تتجول في الممالك وهي تحشد
ريالات امريكا وليرات الانكليز وتعم في بحرٍ من الذهب الابريز .
ثم رحلت الى مدينة شيكاغو بامريكا الشمالية وغنت فيها احدى وعشرين
ليلة متوالية واخذت من صاحب قاعة الانعام ستة واربعين الف
ليرة بالتام . ثم استدعاها اسكندر الثالث قيصر الروسية لتغني في
قاعاته الملوكية فأنفت وشمخت وأبت الذهاب اليه وشقَّ ذلك عليه
ولكنه كظم غيظه عليها حتى خيلَ لها انه غير ملتفت اليها . فلما
استدعاها بعد ذلك صاحب مسرح هنالك . لتذهب اليه وتغني
لديه درى القيصر بذلك وحرَّم دخولها الى الروسية وانتقم منها بذلك
على تلك السيئة . وما زالت هذه القينة البديعة تشخص من بلدة الى
بلدة قريبة وبعيدة وتجوب الافطار وتلج مقاهم الاخطار حتى غنت
في اعظم مدن اوروبا وامريكا والاورستال من الشرق الى الغرب ومن

الجنوب الى الشمال وهي تسحر العقول برخيم صوتها الجهير وتغلب
 بغنائها قلب الكبير والصغير وتجمع الاصفر البراق من جميع الافاق
 وقد قيل ان المال الذي ربحته بغنائها في البلاد قد جعلها اغنى العباد
 وقد صارت اليوم صاحبة الكرات والربوات يُضرب المثل بغنائها بين
 لفيف المغنيات . وقد شادت لها قصوراً شامخة ومنازل باذخة في بقع
 من الارض بية وفي جنائن بازهارها زهية تختلف اليها حسب اختلاف
 الفصول والمواسم وتحبي فيها ليلي السرور بالولائم والمراسم وكانت الملكة
 فكتوريا المرحومة تجل مقام هذه القينة المشهورة وتدعوها كثيراً الى
 تناول الطعام على مائدتها الملوكية وتسامرها كثيراً في الفنون الموسيقية
 وقد جاوزت سن الخمسين وصوتها الرخيم على اصله المتين وتظهر
 في المراسح صبية بنت عشرين . وهي لا تشرب شيئاً من
 الكحول والخمر ولا تنهك في المآكل والمشرب اتباعاً للجمهور
 وهذا لمن اقوى البواعث على حفظ صوتها وجمالها ودوام نشاطها وقواها
 على حالها ثم انها تفرك بشرة وجهها كل صباح بضرب من الدهان
 تستخرجه من عظام بعض الحيوان وتخمره بضعة ايام بمقاير عديدة ولم
 تطلع احداً على سرها سوى ملكة انكلترا الجديدة . وذلك لما بينها
 من المودة القديمة

وقد كنت شفت سمعي بغناء هذه القينة البديعة في المراسح
 مراراً عديدة . ولكن لما سمعتها آخر مرة تقني في مسرح عظيم بلندرة
 كان ثوبها الابيض من ديباج الحرير الرقيق وعلى رأسها وصدورها

واذبال ثوبها زهر انيق . وكان غناؤها في مرشح عظيم ضمن بناء
 مستدير جسيم يقال له اليوم « ألبرت هل » بلسان القوم واسم هذا
 البناء الكبير والمرشح المستدير على اسم البرنس ألبرت الشهير زوج
 فكتوريا المرحومة واثارها الجليلة بلندرة معلومة . وكان في المرشح وقتئذ
 نحو ١٥ ألفاً من السامعين وكلهم بغناه تلك الورقاء الصداحة مسحورين
 وكنت فيهم من جملة المفتونين . ولما انفضَّ محفل الغناء وانصرف الناس
 بالهناء انصرفت في القوم الى منزلي وعقلي في غنائها كالبتي . ولما
 صحت من سكرة سحرها الفتان وزال الهوس عن عقلي الوهان زينت
 كألوف عادتي باصناف الزهور حمزتي ووصفتُ امامي على خوان
 الكتابة من كل زهرٍ وورد باقة في زجاجة وانشدت شعر الشاعر
 البديع في ازهار الربيع

مرحباً بالربيع في اذار وباشراق بهجة الانوار
 من شقيقٍ واقحوانٍ ووردٍ وخزامى ونرجسٍ وبهارٍ
 زهرةٌ عند زهرةٍ عند اخرى كاقتران الدينارِ بالدينارِ
 او كاوراق مصحفٍ من لجينٍ مذهبات الاخماس والاعشارِ
 ثم تخمست القناة واستحضرت الدواة وجددت باعنائك ليقتي
 وحبري وزحزحت اللثام عن وجه عروس شعري واستنزت الوحي
 في النظم المقبول فاتاني صوت من السبع الطباق يقول . انشد يا صاح
 في البلبل المصداح ما اوحيه اليك فقلت لبيك لبيك وانشدت

﴿ النظم ﴾

أصوتك في القاعات ام صوت بلبل
 ملاك لدى عرش الاله مسبح
 فانت ملاك الارض انت هزرها
 اراك بثوب ابيض وزهوره
 دهشت لعمرى بين صوت مفرد
 لما الله من خورية قد تجسمت
 تركب انعاماً على دق آله
 اذا رفعت صوتاً رخياً بنغمة
 ارى السقف والجدران ترقص جملة
 ارى الناس افواجا سكارى بنغمة
 يصفق تحميذاً لصوت غنائها
 متى الصوت والانفاس مادت حسبته
 فيا بنت عمران ويا اخت مريم
 لك الله من صوت جهمر برقة
 يدوم صدى صوت ولحن ونغمة
 يفرّد في الافنان كالمغزل
 سمعت له صوتاً كصوت ميجل
 وصوتك احلى من ملاك وبلبل
 زنابق روض فوق رأس مكلل
 ووجه صبح بالجمال مكمل
 وجاءت الى ارض بثوب مزمل
 وتطرب روحاً بالغناء المعلن
 رأيت لفيف الطير قد حط من عل
 على وقع نغمات تموج وتنجلي
 تموج كامواج وتهوي كجندل
 لفيف النشاوى عن يمين وشمال
 « نسيم الصبا جاءت برّيا القرنفل »
 سحرت بانغام وصوت كجلجل
 يحمل من الارواح في كل منزل
 كما دام منك الجيد غير معطل

باب الفخر

يقوم الفخر في العلماء والمشعراء مقام الفخر في الملوك والامراء
 اذا افتخر هؤلاء تجددوا بالسيف والقنا وتباهوا بالفتك بالمدي .
 اما العلماء فيفتخرون ببراعة اليراعة وافانين الصناعة ونزقي الحضارة
 وتوسيع نطاق التجارة ويتباهون بمذاقة عقولهم الثاقبة واختراعاتهم التي
 تأتي المراقبة وقد استغرق هذه الطريقة كثير من الابداء واجاد في
 التفاخر طائفة من الشعراء . اشتهر فيهم الامام علي ابن ابي طالب (رضه)
 وابوبكر الارجاني والقاضي الرشيد ابو الحسين الأسواني وعنترة بن
 شداد وعمرو بن معدي كرب ومطرس بن ربي وعبدالله بن رواحة
 الانصاري والقريط بن أنيف وشهاب الدين بن فضل الله وابن سناء
 الملك وحسان بن ثابت الانصاري وكعب بن مامة الحبر اليهودي
 والسموال بن عادياء اليهودي وابو تمام وابو الطيب احمد بن الحسين
 الملقب بالثني وابو العلاء المرعي وغيرهم كثيرين يضيّق المجال عن
 ذكرهم . وقد حذوت حذو الاوائل والاواخر ولا بأس ان وقع الخاطر

على الخاطر وَقَعَ الحافر على الحافر . واخذت عنهم هذه المثائل وما
اكثرت بقول القائل :

هل غادر الشعراء من متردم ؟ بل قلت : لا بأس في التقليد
للمتقدم . ثم انشئت القصائد الاتية بمدينة لندرة وذلك في ٢٣ آب
لعام ١٨٨٦

* الفخر بالعلم *

خلفتُ لعلمٍ لا ليوم كريمة	قفي العلم لا في الحرب احقاق شهرة
ولست بقوالٍ اذا الخيل اقبلت	حصاني دلالٌ بسوق المينة
كذاك جوادي ليس من نسل ابجر	ولا صاري صمصامة في كريمة
ولكن رماحي والسيوف واسهمي	مدامع اللام على خد رفعة
وليس نغار المر ايض ضيقل	ولكن فغار الحر اسود صفحة
يراع على القرطاس كاد صميرها	يقوق على وقع القنا في الوبيعة
رايت الوري بالعلم تدرك رفعة	فجزت مراميه بكل عزيمة
لهوت بعلم عن ملاء ولدة	وطرفي طلاح الى اوج رفعة
عدلت بجزم عن اغان وقينة	وملت الى كسب العلوم الصحيحة
ابض بالقرطاس اسود ليلتي	انير بنبراس المعارف فكرتي
فطبلي ومزماري وكاسي وغادتي	كتابي واقلامي وحبري ورقعتي

وكنتُ اذا مدَّ السَّماطُ عشيَّةً
 اطالع اخبار الصَّحائف كلها
 كما ان جسمي بالماكل يفتدي
 وحين جفا جنبي عن الفرش ليلتي
 وما عادني قطُّ السَّهاد ولم اقم
 وعن لغبٍ ان كنت اغفوساعدي
 ولما دعاني ديك صبحٍ منبهاً
 اذا سرت الهوى في الرياض فدفتري
 وكم من برودٍ في السياسة حكمتها
 وكم من قوافٍ قد نحتُ بنكرتي
 وفي البر والبحر العظيم قصائدي
 وليلٍ اتاني فكر نظمٍ بداهةً
 فاشعلت شيئاً من قضيبٍ برأسه
 حذوتُ بفعلي حذو آدمَ عندما
 وقلتُ قريضاً في صبائي تصيباً
 وعهدُ شبابي كان عهد تشبٍ
 ولا لومٍ ان كان القواد بطيشه
 وما قلتُ في عهد الشباب وبعده
 اذا قلتُ قال الناس قولي تفاخراً
 وان قلتُ شعراً كثرتهُ عشائرُ

وجيءُ بافنان الطعام الشبية
 واقطفُ منها صرف زهر الحقيقة
 كذلك عقلي يستضيء بحكمة
 جعلت قراطيسي سميري وسلوتي
 له من كراريسي نديماً بوحدتي
 يضمُّ طروسي ضمَّ زوجٍ لزوجه
 أعدتُ دروساً قلتها في العشية
 رفيقي وانسي في مسيري وجلسي
 وكم قلتُ شعراً في شوارع بلدة
 وما خمدت في الليل قطُّ قريحتي
 يرددها الحادي وربُّ السفينة
 ولا حبرٍ عندي في دواني وليقتي
 كتبتُ بفحيمٍ فكر تلك البديهة
 اتاه من الرحمان الهامُ كتبه
 واعذب شعري كان شعرُ الشيبة
 بهيفاً نجدٍ افتديها بمهجتي
 يشبُّ شوقاً في محاسن ظبية
 حريُّ بعفوي من كرام عشيرتي
 ودانٍ لمراي كل صاحب فطنة
 وردَّ الصدى رجع الصدى بقصيدتي

ولولا كتابُ جاءَ للمخلوقِ رحمةً
 قرأ لي الاقلامُ بالفضل والحجى
 فاني جميلٌ والسؤالُ قبله
 يمجني سبحانُ ان قتُ خاطباً
 وان قت من فوق المناير زاجراً
 وخرتُ لدى العرش الملائك سجداً
 وان قت بين الصم والبكم خاطباً
 ولي منلق ان مسَّ اذان اطرش
 ولو رحمت اشدوني الرياض مفرداً
 ملكتُ وملكي ملك علم وحكمة
 ملوكُ بلا علم عبيدُ اذلةُ
 لصار قريضي عندهم اس سة
 وشري ونظمي يشهدان بحجة
 واين الرجال الناظمون بنسبي
 وقسُ ينادي قد ظفرت بشهرتي
 قرعتُ سماع السامعين بزجرة
 واجهر اهل الارض طراً بتوبة
 انقذُ سمع الصم جوهر خطبتي
 اعاد اليه السمع مثل عجيبة
 لاوقف شدوي الطير عن كل قبة
 وسدتُ رقاب الجاهلين بفطنتي
 عبيدُ بهم هم ملوك البسيطة

﴿ الفخر بعلو الهمة ﴾

خلقتُ لعلياء ونخري ورفعة
 هو الفخر ان يرقى الفتى طود شهرة
 وان يمنطي اقباب كل ملة
 واني من القوم الذين بفضلهم
 ولي همة شماء حيث بعثها
 الى الفخر والعلواء اسى بهمتي
 بثابت عزم لا بقدم عشيرة
 وان يرتدي دياج كل فضيلة
 مشوا فوق هامات البيوت القديمة
 يذلُّ لما الصنديد في كل بعثة

قرعتُ بها دهري على رغم انفه
 الى ارفع الامجادِ اسعى بهمتي
 وغير سبيل الفضل لستُ بسالكِ
 نخورُ بفضلي بين قومي وفاخرُ
 واني لطلاع الثنايا وليس لي
 ومن اصل قومٍ قد تعالت فروعهم
 وقد طفتُ اقصى الارض شرقاً ومغرباً
 وما طاف قبلي من بني سام طائفُ
 ونقبَ دهري في خزانهِ خلدِه
 فقال : جعلتُ المجدَ عرشاً تحوزهُ
 فعارض قومُ قوله دون فكرةٍ
 فقد قال عيسى : في التواضع رفعةُ
 اذا اتضع الانسانُ نالَ كرامةً
 فقلت : وهل يأبى الكرامة في الورى
 فانَّ اتضاعَ النفسِ في حبِّ ربها
 سوايَ يحليني بانضاعِ مصنعِ
 وغيري يخشى الموتَ فوق سريره
 اذا دكت الافلاك والكون قد هوى
 فان قدَّ قلب الخلق من رطب طينه
 علوت ذرى الافلاك حتى رايتها

وفزتُ ولم ارجع بدون الغنيمةِ
 ويرشد حزبي في التصاعد خطوتي
 وتهدي سبيلي للفضائل همتي
 بسبقي اهل الفخر في كل حلبةِ
 قرينُ يباري خطوهُ بعض خطوتي
 ودلت على حسن الاصول بحجةِ
 وصيتي سرا قبلي الى كل بقعةِ
 ولا دارَ حول الارض غيري كدورتي
 زماناً فلم يظفر باشباهِ دعوتي
 لك الحق فيه صفقةٌ بعد صفقةِ
 وقالوا له : ناقضت كل حقيقةِ
 ومجدتُ مع الابرارِ في دار جنةِ
 ومن يطلب الامجادَ يبلُ بخيبةِ
 سوى غيرِ حيٍّ مرتضٍ بالحظيرةِ
 لاعظم فضل عند رب البريةِ
 واني اباهي بالمبادي القويةِ
 واني لا اخشى حرابِ المنيةِ
 تراني ثبتاً ساخراً غير منقلبِ
 فقد قدَّ قلبي من جلاميد صحرةِ
 تسير امامي سير فضلي وشهرتي

وشدت بابرّاج الحجرة منزلاً . وفي قلب نجم القطب عينت قبتي
 وفي قلة الجوزاء تخفق راية . باسمي واهل النجم تخطب سلطتي
 تراني الثريا مع كثير نجومها . فحسد نجمي وانتشار اشعتي
 أحب حياة لي حياة عزيمة . واحسن عمر عمر فضل وحكمة

❖ الفخر بمراعاة الذمام ❖

ورثت مراعاة الذمام سلالة . رعيت ذمام الناس منذ فتوتي
 فما ولدت حواء من صلب ادم . ابراً ووافي ذمة من قبيلتي
 ولا رزق الخلاق امأ ووالداً . وليداً شيبه ذا وقاء وذمة
 ولو صور النقاش شبه مروة . لصدّر شبيبي في مثال الحقيقة
 نقرت لي الاعداء رغماً بانني . اراعي ذمام الخلّ حتى المنية
 واجزي بخير من دهاني بشره . واصفع عن قوم ارادوا مضرتي

❖ الفخر بالكرم ❖

اذا ضافني من ضلّ ليلاً سبيله . عقرت فواءدي لا فواء مطبتي
 ولا ترحل الاضياف حتى عيونهم . نقرت واسديهم مزادة رحلة
 تقياً ظلي كل سارٍ وشاردٍ . ونال صلاتي من شكاء ضيقة

بذات حطامي دون من لسائلي
فلوزار داري ليلة طيف حاتم
وصيت سخائي لو تجلي لبرمك
فمن لم يكن من طبه الجود فليقم
واعطيت من مالي بقايا البقية
لاكبر جودي واستمد عطيتي
لقال لويس قد معي اليوم شهرتي
على الحرص ابقى من سخاء بكلفة

* الفخر بالحرص على الزمان *

حرصت على وقتي كحرص مقتر
يقولون لي ساعات عمرك عسجد
كثيراً يضيع البرء فرصة مغنم
وقال حكيم رب وقت تضيعه
وكان ملك الروم قيصر احرص
فاذ رام وصف الحرب ضمن موجزاً
تفرد بين الروم والعرب دهره
اذوت بحرصي حذو كسرى وقيصر
على ماله والوقت اثن قنيه
فقات صدقتم والثواني بفضه
ويفقد ربع الدهر بعض بطرفة
يكون ضياع العمر فيه بحسرة
انام على وقت يضيع بسلوة
«اتيت» «شهدت» الحرب «فزت» بنصرة
بنز يراع ثم سيف وحمله
ومن يحد حذوي يحظ يوماً برفعة

* الفخر بالصبر *

شجاع هو الانسان يقطع دهره
صبوراً على الاحوال من كل وجهة

وليس شجاعاً من يخوض عجابةً
 فلو ادركت ابناء قومي مصائبي
 لكان لهم ان يظرقوا عند ذكرهم
 ولو طرق الابطال طيف تجلدي
 فكم ليلة باتت حشاي على الطوى
 اذا ما عراني اليأس من حل مشكل
 وكنت اذا ما العين بالدمع اشرفت
 وان سرت بين القوم سرت مفاخرًا
 ابش بوجه المرء ان زار او جفا
 كذا فليكن صبر الكريم اذا بنا
 اذا لم يخض مضمار كل مله
 وما نابني من فرط ضنك وشده
 صفاتي ويبحثوا عند اقدام صوري
 لقالوا الفتى نعم الفتى في الحقيقة
 ونفسي ملأى من فخار وعزة
 طرقتُ بحزم باب كل وسيلة
 كتمت عن الاغيار تسكاب دمعتي
 كأني من دنيائي في الف نعمة
 واجزي بخير من رماني بخيبة
 زمان به عند اشتداد المصيبة

﴿ الفخر بالروءة ﴾

القصة - حدث اليأس بن النعس قال : اشتدت علي ذات يوم
 وطأة الافلاس واثقلت منكبي احمال الديون للناس واحرج صدري
 الفقر حتى سالت له من منافسها النفس وانا امنيتها بسوف ولعل وبقايا
 ادوات الحدس واطهر من الضعف قوة وابش في وجه الصديق والعدو
 من باب الروءة واكبس الملح على الجرح واسبر بميل الصبر اعماق
 القرح وارفل بين الناس في حل النعمة وبطني خميص يطوي الليالي

بلا لكمة وروحي تجرع غصص الفاقة والافلاس والناس يضربون
 الامثال بثروتي في حضور الجلاس الى ان شق ثوب الاصطبار عن
 نحول حالي . وفقه صديقي معنى شقائي ونفاد اخر درهم من مالي .
 فانبري علي بالتعنيف والتفريع . وحلمي على رفع واقعة امري الى الامير
 على انه المجيب السميع . فقلت له : خل عنك هذا التفريع فانه من
 اشد ادوات العذاب وان اسنة التعنيف اشد من مخالب العقاب . واحر
 من نار العقاب . فان كان قولك يقارب الصواب . فعندي عليه مائة
 جواب وجواب . اجل ان من حملت اسمه الي . واشرت به علي . لسيد
 كريم جواد ذو فضل وبيض ايادي ولكن قد سارت الامثال . بمثل
 هذه الاحوال « ان من اكثر التسال يلب بالحرمين . وان الزيادة شقيقة
 النقصان . » واني لا كره تكدير بال ذلك الهمام لعلمي بان كثرة الطرق
 تفك اللحام . فاجابني ذلك الصديق الصدوق . وقد تنفس الصعداء من
 فؤاد شفق وقال : « بارك الله فيك وفي مروءتك وزاد في علو همتك
 فهل قلت في ذلك شعرا . تخلد به للمروءة ذكرا » فانشدته ما اوحاه
 الي الخاطر وانا لديه حاضر . وذلك في ١ شباط لعام ١٨٨٦

﴿ الفخر بالمروءة ﴾

دعيني من الروض البهيج المطر ومن راحة صهبا في كف جوذر

ومن غايات في برود ومزور
 يدور ولا يدري على اي محور
 على زورة المحبوب وسع فاءذري
 ولا يفنديه في قلامه اظفر
 نعدت من فراغ الدهر فضلة مفقر
 فاني ضحوك والعتا في تسيار
 وفي القلب جمر ناره في تسير
 سيوري ولا يدري مغيب ومحضوري
 فيحسب ان الدهر من بعض عسكروري
 كما صنع الراوي بهوابة عنبر
 كما يكذب الكروب ضحكا ويفتري
 الخالي هم نجيبها غير مفجر
 سوى يافوادي احلم ويا مهجتي اصابري
 رضىهما له في المهد سبعة اشهر
 لنفسي وصيتي من شماته مزور
 لكي لا يدق العظم منه تحسري
 عناه عنائي واعتراه تمرصري
 شروط الولا تنفيس عيشة موسر
 ولا كل حمل مثل حمل التضرر
 ودار الورى عند الشدايد تظفر

ومن نعم الاوتار في مجلس الصفا
 فان فوادي لم يعد قط شاعرا
 فلا تعذلي المشتاق ان لم يكن له
 قرب فتى يرجو سعادة جاره
 وما ذاك عن بطل ولكن حظه
 خليلي خل اليوم عنك ملامتي
 اذا سرت في وجهه ينش في الحشا
 يراني عدوي ضاحك فليسوءه
 ويلقاني الخالي الابي بهجته
 لعمرى اضحى الضحك مني تصنعا
 فيكذب بك تارة ببكائه
 وجق دموع اذرفتها مدايع
 قضيت زمانا في الهوان ولم اقل
 يشيب ما قاسيته من نوائب
 واخفيت ضنكي عن عدوي صيانة
 وكتمت حزني عن صديقي مروءة
 فلو ادرك الخل الحميم خصاصتي
 فان كان ميسور الحياة فليس من
 كفى الراء داء ان يقيم بحمله
 محضتك نصحا فاتخذة فريضة

وعش عند اقدم الروءه صابراً على الدهر صبر الفاضل المتحذر

﴿ الفخر بالثبات ﴾

اسير الى نيل العالي ماثراً
ولا اختشي مما يقدر في غد
وكم من نذير قد اتاني محذراً
عركت زماني بالتجارب فانجلي
وذلاً لقرني الدهر لما نطحته
وقرّ بفضل النذل حين صرعه
لقد هان عندي الموت لما عرفته
ولولا تصاريف الزمان وغدره
فادرك سؤلي بالثبات واظفر
ولو جاءني من عالم القيب مخبر
فكان رسولاً في السرور يبشر
عليّ صديقي والعدو المعير
وخرّ كثور تحت قرني يشخر
وما زال باع الندّ عني يقصر
وصرت باهوال الملمات اسخر
لكنني ارى اني من الدهر اقدر



باب الحماسة

دفعني يد المقادير الربانية الى ارجاء الاقطار النيلية سنة الاثنتين
والثمانين بعد الثمانئة والالف ميلادية فتوغلت في الامصار المصرية
وتحرّشت بالمسائل السياسية وشاهدت غوائل الحرب القائمة على قدم
وساق بين الشرق والغرب فثارت في فؤادي الحمية الوطنية وقت
الايات الآتية تشويقاً للجيش المصرى

❖ الدفاع ❖

الى الحرب يا ابطال قومي تأهبوا
وسيروا ودرع الجديغشى صدوركم
وقوموا الى حمل السلاح تأهباً
هلوا فاني في طليعة جيشكم
وهبوا سريعاً واسرجوا الخيل واركبوا
وذودوا عن الاوطان والعرض واغلبوا
لحرب عوان برقها اليوم خلب
وصدري بمن عنكم اليوم بمجب

اسير ورمحي في الفوارس عاملٌ
 ولي فرسٌ لا يرهب الموت ان دنا
 يشق صفوف الجيش ان صار مقمماً
 لكل امرء عرضٌ ودينٌ مقدسٌ
 جدودٌ لنا كانوا الضرائع في الموتى
 بنوا كل حصن في البلاد ممنع
 وساسوا رعايا كل حذبٍ بعد لهم
 بلادٌ جبلنا من اديم ترابها
 بلادٌ تروت من دماء جدودنا
 قصورٌ بناها العم والحال قد غدت
 وغيدٌ تعودن الدلال بجزنا
 ألا فانظروا الاهرام كيف بهمجدهم
 سلوا عنهم اثار طيبة فهي من
 ألا شمروا يا قوم عن ساعد الحجي
 أليس حياة المرء ذلٌ وحسرةٌ
 فان جباناً في الواقعة مفسدٌ
 وان شجاعاً واحداً بين جحفل
 فكم من كمي عد في الف فارس
 اذا دارت الحرب العوان تجلذوا
 وحتموا الحياض الصافات وقوموا
 وسيفي دراكاً في المفارق يضرب
 ويعبجه خوض العجاج فيطرب
 ويرتد عنه بالجامم يلعب
 وحق ميين لا يهان ويسلب
 اليهم بنود النصر والفخر تنسب
 وقادوا جيوشاً لا تعد وتحسب
 وسادوا بلاداً نيلها ليس ينضب
 أتؤخذ منا دون عدلٍ وتعصب
 وضمت رفات الفاتحين تنكب
 تدك مبانها البغاة وتخرب
 أتسبي ولا تاقى سوى الام تندب
 ثنيه وعن آثارهم كيف تخطب
 خلال سطور الدهر تلي فنكتب
 فشمس معالي الشرق في الغد تعرب
 اذا عاش في اسر العدى يتقلب
 سواء وسيف في الوغي ليس يسحب
 يعزز جيشاً في الطعان ويرهب
 الى الموت يمشي او الى الخنف يركب
 وجدوا فان النصر بالجد يكسب
 رؤوس العوالي في الصدور وضوبوا

إذا اخلط الجيشان كفتاً ومعصماً
 ألا قاتل الله الطعام وجيشهم
 ألم تعلموا ان الاجاب امة
 فمن خاض هيماء المنايا فان يفز
 ومن فرّ ولى النصر عنه مشمراً
 يموت جباناً خاملاً ولئن بعش
 هناك يعدّ الشهم شهماً ويحسب
 وقاتل وغداً ليس في الطعن يرغب
 لحكمهم ومن احمر الموت اصعب
 ففتح وان يفقد فله يذهب
 وليس له من ساعد الموت مهرب
 ففي نار تبكيت الضمير يعدّ

❖ الوطن ❖

قلت الايات الآتية في شارع اكسفورد بلندرة وذلك عند باب
 حديقة « هيد بارك » المسمى باسم « مريل ارج » في ٨ اب سنة ١٨٨٨

ارواحنا مبذولة لبلادنا
 ودماؤنا مهراقة تحت القنا
 نحمي الحمى يوماً اذا طمع العدا
 فينا ونبسم للحمام اذا دنا
 وعلي الهجرة قد اقيم بناؤنا
 فمن الذي يجني على ذاك البنا
 فالفخر مكتسب على قدر الجحى
 والمرء في هذي الدنى ما احسنا

بطل كسروان

« تحارب الرياح امواج البحار فيعقد الصلح على كسر سفن الشراع
والبحار »

هذا ما سارت به الامثال من غابر القرون ومتخلف الاجيال
وتناقضه المحافل والكتائب واثبت صدقه عجائز الايام وبنيات التجارب
فاصغ ايها القارئ اللبيب . واعبر بهذه العبر ايها الفاضل الاديب واتل
محزوناً غرائب هذه القصة . التي اورثت عموم الشرفيين الف حسرة
وغصة .

❖ القصة ❖

نافس داود باشا متصرف لبنان قوماً من الموارنة في كسروان
ثم دخلت المنافسة الشخصية في ادوار عمومية فنفتح بعض من رجال
البلاد في ايقاد نار الاحقاد حتى ارتفع منها اللهب واندلع لسانه
المهيب . ولفح الطائفة المارونية في كسروان . وقامت وقعدت لهذه
المسألة القرى والبلدان وعظم بين القوم الشقاق وقامت الحرب العوان
على قدم وساق فقام عندئذ رجل من اعيان البلدان وابطال الفرسان

يقال له « يوسف كرم » وكان اذ ذاك اشهر من نار على علم و اراد اصلاح ذات البين وازالة الاحقاد من الطرفين . فلما ادركت الدولة العلية صانها رب البرية عاقبة الاحوال الوخيمة بادرت الى اخراج يوسف كرم من سورية . فرضي يوسف كرم ونزع عن الاوطان وفارق الاهل والخلان وسار الى رومة عاصمة البلاد الايطالية حيث تعير المكان وفراق الاهل والخلان اضراً بصحة فمات شهيد خيبة الآمال مأسوفاً عليه من الاصحاب والآل . و كنت في اثناء ذلك بشفر بيروت المحمية سنة ١٨٦٩ ميلادية فنظمت في مديح هذا البطل قصيدة حماسية اقراراً بفضله وبسالته في المعامع الحربية . وان لم اكن من ابناء الطائفة المارونية . وقد حدا بي الى ذلك حبي لكبار الرجال وتقديري مكانة رجل الفضل والاعمال لاني من يكرمون الفضل في حد ذاته ويخدمونه ويجلون مقامه ويمدحونه فالفضل لا ينحصر في مذهب وملة ولا تحنكره وتستبدُّ به امة ولا يعرف الفضل الاذووه ولا يقدره حق قدره الابنوه فما اتيت في هذا الباب من نثر ونظم وخطاب برهان جلي قاطع ودليل راهن ساطع على نزاهة نفسي من الاغراض الدنية . وتجرد قلبي من الاحقاد والحزازات الرديئة حتى في حق الطائفة المارونية البهية وذلك خلافاً لما يتوهمه في البعض من الافراد من اصحاب الاغراض والفساد والله در عنتره بن شداد الذي قال في المعنى واجاد
لا يحملُ الحقدَ من تلوبه الرتبُ ولا ينال العلي من طبعه الغضبُ

❖ النظم ❖

ما كلُّ لفظٍ في خطابك يفصحُ
 ما كلُّ من نثر الكلام بباحٍ
 قد يحسنُ الناسُ الكلامَ ونما
 وقعَ الجدلُ على حروبك في الوري
 أنتَ الامير ابن البسالة في الوغى
 والطودُ يشهدُ انك البطل الذي
 ياضرغماً يحمي حمي وطن غدا
 جردتَ سيفاً من نصالِ صواعق
 ورويت ارضك من دماءِ كرائم
 كم هامةٍ يوم القتال فلقتها
 خضتَ الوغى بصوارمٍ فتاكةٍ
 فلذُ القنابلِ في العجاجةِ نارها
 افنيتَ جيشاً في الجبالِ مشتتاً
 غلبتَ جنودك جيشهم في حملةٍ
 واستبشرت اهل الجبالِ بنصرةٍ
 لا زهر الا في الكمام ضاحكٍ
 ما كلُّ معنى في مديحك يصلحُ
 ما كل من نحت القوافي يفصحُ
 نظمي بوصفك كالجمان منقحُ
 فاخواني يُثنى وعرٌ يقدحُ
 فرسانُ جيشك في المعامع ترمحُ
 في نصره كل البرايا تفرحُ
 يسديك شكراً لا يُحدُّ ويشرحُ
 افرندهُ بدم الاعادي ينضحُ
 ولحومهم للطيرِ ظلت تطرحُ
 فتخضبت تلك الوجوه الكلع
 ونصالحها زند المنيةِ نقدحُ
 تكوي وتحرق والجمجم تُلْفَحُ
 ووهادها بدم الاعادي تطفحُ
 من موثقٍ او من صريعٍ يذبحُ
 والطودُ يرقصُ والروابي ترحُ
 لا دوح الا مأسٌ يترنحُ

لا غصنَ إلا مائلٌ متراقصٌ لا طيرَ إلا في الحدائقِ يصدحُ
يا نصرَةَ الأوطانِ يا مجدَ الربِّ لبنانَ فيكَ مظفرٌ يتمدحُ
يا شجبةَ الأبطالِ يا ليثَ الوغى تسمي الحلائقَ في ثناكِ وتصبحُ

❖ الاغراء ❖

نظمت هذه الايات وانا راجع من المدينة الى منزلي في قطار
السكة الحديدية التي تسير تحت اقبية مدينة لوندرة وذلك في ١ تشرين
الاول لعام ١٢٨٢ م

يا راكباً متن الجواد الادم اقبض على صمصامة ثم اهبم
اضرب رقاب الجائرين بمجدها واصبغ بما اجريت من ذاك الدم
خض حلبة الاهوال واقدم لا نقل « هل غادرَ الأبطال من متردِّم »
سر في سبيل الفضل وارق سماكه كي لا يقال « الفضلُ للمتقدم »
وذا جبتَ فانتَ اكبرَ خاسرٍ وقرعتَ سنناً كالفتى المتندم

باب الافانين

* عجائب النحلة العسلية *

القصة - النحلة من اعجب الهوام المفصلي الطيار . واليها تنتسب الطائفة العسلية . قيل : سميت «نحلاً» لان الله تعالى نحلّ الناس العسل الذي يجني من لعابها . وهي ذبابة ذات بنية لطيفة . وسط بدنها مكعب . وموءخرها مخروط ومسلح بحمة تحمي بها نفسها من عدوها . ورأسها مدور مبسوط . وركب في وسط بدنها اربع ارجل ويدان متناسبة المقادير . وهي وبيوتها المسدسة الزوايا وجناها ونشاطها من اعجب الاشياء . ولها امير يسوسها بشرائع جمهورية . ولها على قدر فطرتها نصيب من التعقل والادراك . ومن خصائصها الخلقية التي تفوق بها مطلق الحيوان هي انها اذا ماتت بُعثت من رمادها فتية . وقد اسهب الشاعر فرجيل اللاتيني في الكتاب الرابع من اشعاره الموسوم باسم «جورجيكاً» بالطريقة الفنية المستعملة لاحياء النحل بعد موتها . وقد ضربنا صفحاً عن ذكرها هنا لضيق المجال

اما طائفة النحل فعلى اربعة انواع . منها ما كان اباً و تقتصر وظيفته على التوليد . ومنها ما كانت اماً و تقتصر وظيفتها على وضع البيض . ومنها ما كان للخدمة والعمل و وظيفته جني الزهور وبناء اقراص الشهد واستحضار العسل . ومنها ما كان اميراً يقال له « اليسوب » و شأنه السهر على حفظ رعيته وسياستها . وللجميع عيشة واحدة مشتركة و تسكن النحل في عشٍ تتخذهُ اما في الكهوف واما في الجبال . وفي بلاد « كستوكي » من اميركا الشمالية كهف كبير جداً يسكنه ملايين في ملايين من النحل من قرون عديدة . ولا يستطيع احد الدخول الى الكهف ما لم يكن مدرعاً و قايةً من لسع النحل . وفي هذا الكهف قناطير مقنطرة من العسل الذي يجري كفدران في ارض الكهف . اما النحل الداخن فيتخذ الناس لهُ عشاً اصطناعياً يقال لهُ « الفقير » او « الخلية » او « الكوارة » او « العميرة » . و يأوي الى كل فقير من خمسة عشر الف الى نحو ثلاثين الف نحلة من التي تجني الزهور و تستحضر اقراص الشهد و العسل

و يتفق لبعض من النحل ان يهجر فقيره و يوغل في الغاب و يجتمع الى غصون الاشجار . و يقال لهُ « الشلح » او « الطرد » او « الثول » . و يتألف غالباً من نحو ٦٠٠ الى ٨٠٠ ذكر بلاحة و انثى واحدة بحمة . ولما عند النحل مقام عظيم جداً حتى اذا مست الحاجة الى مرور نحلةٍ من النحل بالملكة فتتحاشا تلك النحلة من لفت ظهرها الي جلاتها و متى دنا الشتاء ماتت كل ذكور النحل و بقي اليسوب و الملكة

مع النحلات العاملات مخفيات في القفير وانقطعن عن الاكل مدة الشتاء كله . ومتى دنا الربيع هين من خمولهن واقتنن بالعسل الباقي من السنة الحالية

اما لسع النحلة فمؤلم . فاذا لسع الانسان من نحلة اقتضى له ان يخرج اولاً الحمة المقروفة من جسمه ثم يغسل الجرح بماء وخل او بماء مزوج بروج العرق او ان يهرس بين اصبعيه قليلاً من ورق المدنوس المعروف ويفرك به محل اللسعة فيزول الالم بسرعة (١)

ومن طبائع هذا الهوام العجيب انه يمتص خلاصة الزهور ويحولها الى عسل بقوة حيوية لا توجد في معدة سواه من الحيوانات . وقال « السيرجون لوبوك » (Sir Jhon Lubbock) انه اشتغل كثيراً في ملاحظة احوال النحل فوجد بعد كثرة التجارب ان النحل في افتقادها الزهور تفرق بين الالوان وتفضل اللونين الازرق والوردي من الزهور على بقية الالوان .

وقد وجد المدققون في احوال النحل ان كل نحلة تمتص خلاصة

(١) للمدنوس خصائص اخرى طيبة مجربة . منها ان اكله يسهل البول ويفتح المعدة المتقبضة ويزيل ضعفها . فمن اراد استعمال المدنوس لهذه الامراض فليأخذ نحو مائتي درهم من الماء القراح ويضع فيه نحو عشرة دراهم من هذا النبات البستاني ويشرب من ذلك اناء ما شاء . واذا اصاب الانسان الم في خرسه واخذ قليلاً من ورق المدنوس وهرسه بين اصابعه ثم جعله حبة صغيرة ووضعها في ثقب الاذن التي من جهة الضرس المولم زال الالم عن خرسه في برهة وجيزة

ثلاثة ملايين زهرة من زهور الحقل حتى تستطيع ان تصنع من تلك الخلاصة ١٢ درهماً من العسل . اما العناصر التي تتركب منها المادتان السكرية والشمعية فهي « الاكسيجين » (مولد الحموضة) « والهيدروجين » (مولد الماء) و « الكربون » (الفحم) . وكلها توجد في عصارة العسل بمقادير معلومة . ولذلك كان للعسل خصائص علاجية لا تنكر . منها التلطيف والتصريف والتطهير . هذا ما عدا الحلاوة اللذيذة . وهو اشرف طعام للانسان وانفع من السكر . لان هذا محصول نباتي صرف والعسل نباتي وحيواني معاً

ولما رأى الاقدمون ما في النحلة اللطيفة من شرف الصناعة وحسن الخدمة للانسان جعلوها رمزاً للاعمال العظيمة . ثم لما عينوا فيها اجتماع الهيئة وانتظام الانضمام والحكمة في تدبير احوالها اتخذوها اشارة الى الاتحاد والتعاقد . وكان اليونانيون يزعمون ان النحل خاق ليقيت بعسله معبودهم « زوس » في طفولته . وان اول من عني باجناء العسل من النحل كان ابن معبود الجمال « افلون » فينتج مما تقدم ان النحلة هي اشرف الموام وانفعها خلقة . لانها مع صغرها ولطفها تعمل ما لا يستطيع غيرها عمله . ولها من الجد ما لا يوجد في سواها . وهي تخدم الانسان بطبعها لا بتطبيعها . وتنفعه اكثر مما ينفعها وتغذيه وهو لا يهتم بطعامها . ولا ذباب اعف من النحلة ولا هوام اشط منها في العمل . ولا حيوان سواها يربي خلفه احسن تربية منها ولا طيار يغرم بالعمل اكثر من غرامها به . ولا يفتر نشاطها ولا تكمل عن العمل وان شاخت .

ومن حسن دأبها القيام بعاش اولادها وملكها وحشمه خير قيام فان اميرها « اليعسوب » لا يكلف نفسه مشقة استحضار العسل . فعلى النحلة وحدها ان تُجشم الاعمال المبرحة في اجتناء الزهور واملاء اقراص الشهد غسلاً شهيماً . فان اتفق للانسان ان يقف الى قرب فقير النحل ساعة لرأى بعضاً من النحل يسهر على حفظ الموهونة ضمن الخلية صيانةً لها من اقحام الزناوير . وبعضاً منها يخرج الى الرياض لاجتناء خلاصة الزهور وحملها الى المخازن المشاعة . وبعضاً منها ينقي الفقير من الاقدار . وبعضاً يحضن البيض ويعتني بتربية الصغار منها . فكان الناظر يرى هنالك امةً منتظمة الحال يتعاون افرادها بنشاط عظيم على القيام بمصالح الجمهور وتوسيع دائرة المعاش وسد عوز الحياة بائتلاف هو ركن العمران . والله در من قال

يا نحلة طوفي رياضاً وارتمى

وارعي زهور حدائقٍ وتمتعي

طوفي الرياض وفي الرياض فعرشي

ثم اقفني ازكى الزهور الينع

ولا جرم ان عيشة النحل بين الطف الازهار وازكاها رائحة واغنداؤها باحلى المأكلى من العسل يجعلها من اسعد المخلوقات لكن لا تدوم هذه السعادة عليها طويلاً . لان الطبيعة قد سخرت طائفة اخرى من النحل لمحاربتها وتنقيص عيشها الرغيد عليها . ولا يخفى على من له المام باحوال النحل انه طائفتان . ولكل طائفة امير من جنسها .

فلا مير الاول ظريف الشكل لطيف البنية . مذهب الاجنحة . خفيف الحركة على ظهره نقوش لامعة ونقط ذهبية اللون . وهو يسود طائفة من النحل تشابهه في البنية والحلال لا في اللون والنقوش . وقد سماها الطبيعيون بالطائفة « الهلالية » . والامير الثاني هو قبيح الحلقة ضخم الرأس كبير البطن اغبر اللون لا جمال له . وهو يسود طائفة من النحل تشابهه في نوعية التركيب واللون . وقد عرفها العلماء بالطائفة « السيفانية »

ومن صفاتها الذميمة شن الغارات . وهي قليلة الشغل والتعميل كثيرة الشغب والقتل مدار معاشها على الغزو . ولذا كانت هذه الطائفة المتوحشة من النحل وبالأعلى على الطائفة الهلالية وعلى اميرها ولا تنفك من منازلته في حرب عوان . وللعرب عند النحل نظام واصول . وذلك : يصطف الجيشان المتقاتلان في الهواء . ثم يبرز الاميران الى المبارزة والكفاح . وريثا الاميران يبنارزان تحوط كل طائفة باميرها وتنتظر ثموغ صبر نتيجة المبارزة وهي تشخذ حمايتها على مسن خراطيمها تأهباً للنزال والكفاح . ومتى ادرك التعب الاميرين المتبارزين نزل الجيشان الى الميدان واختلط الجحفلان وقامت على الساق الحرب العوان . فيسمع لها في كبد السماء ضجيج ودري يشبهان جلبة الفرسان . فتساقط اجنحة الجرحى فيعملها الحرس المحافظ على الصفوف بكل اعناء واهتمام الى خارج الموقعة . ويحوط القواد بالجيش ويستفزون الجبان على البسالة ويردون المنهزم الى ميدان الكفاح . ولم يزل الجيشان في قتال

وصدام حتى يغلب احدهما او يقتل احد الاميرين . وفي الغالب تدور الدائرة على الطائفة « السيفانية » وهكذا تختم تلك الحرب المواهية . هذا ما كان من امر النحلة المسلية واما ما كان من امر النحلة لمعنوية فقد ابدع بوصفها واجاد ابن غانم المقدسي وافاد :

﴿ غرائب النحلة المعنوية ﴾

قال : فنادت النحلة : يا لها من نحلة . ما صحَّ في روايتها رحلة . فالعارف من ظهر معناه قبل دعواه وعلم صفاء سره من نجواه ومن محا حقيقة دعواه ثبتت حقيقة معناه . فلا نقل قولاً يبطله فعلك ولا تُتربِّ فرعاً ينقضه أصلك . تراني لما طاب مطعبي وصفا مشربي كيف رُفعت رتبتي وعلا مناصبي وكمل ادبي لولا اني اكلت الحلال ولزمت اشرف الحلال حتى صرت كالخلال اسلك سبيل ربي ذللاً واشكر من نعمه فصولاً وجملاً ابغني المباح الذي ليس على آكله من جناح فاجعل في الجبال بيوتي ومن مباح الاشجار قوتي ابغني بيوتاً يعجز كل صانع عن تأسيسها ويتحير اقليدس في حل شكل تسديسها . ثم اسقط على الزهر والثمر فلا اكل ثمرة ولا اهشم زهرة بل اتناول منها شيئاً على هيئة الطل فاتعذى به قائمة وان قل . ثم اعود الى عشي وقد صفا كدر عيشي فاشتغل في وكري بفكري وذكري واخلص لمولاي شكري ولا افترعن الذكر ولا

اغفل عن الشكر وقد انتج علمي وعملي شمعي وعسلي فالشمع ثمرة
 العمل المقبول والعسل ثمرة العلم المنقول فالشمع للضيء والعسل
 للشفاء . فاذا اتاني قاصدٌ يستضيء بضيائي وان اتاني عليلٌ يستشفي
 بشفائي فلا اذيقه حلاوة نفعي حتى اجرعه مرارة لسعي ولا أنيله
 شهدي الا بعد مكابدة جهدي . فان اقتنصه مني قهراً احامي عنه
 جهراً وادافع عنه بروحي واقول يا روح روحي . ثم اقول لمن جناني
 واستخرجني من جناني انت يا جناني عليّ جناني . فان كنت
 للرموز تعاني فقد رمزت لك في معاني انك لا تصل الى وصالي حتى
 تصبر على حرّ نصالي :

اصبر على مرّ هجري	ان رمت مني وصالا
واترك لاجل غرامي	من صدّ جبلاً وصالا
وومت اذا شئت تحيي	واستعجل الاجالا
ان كنت معنى تمنا	فقد ضربت مثالا
فان فهمت رموزي	اقدم والا فلالا

❖ مقابلة بين النحلة العسلية والنحلة الغزلية ❖

لا يخفى على اولي الالباب ما بين نحلة العسل ونحلة الاداب
 من النسبة في المعاني والاسباب . فان في النحلة العسلية سريرة تميز بها
 خصائص الازهار وفي النحلة الغزلية مندوحة لتحرى بها اذبح الاشعار
 فطرت النحلة العسلية على طاعة الامير وطبعت النحلة الغزلية على اطراب
 الامير والكبير والصغير . تبني الاولى بيوتاً لذخر العسل بالعناء والصبر

وتنشد الثانية اعذب ابياتٍ من الشعر . صوّرت النحلة العسلية في
هيئةٍ نحيفة وطبعت النحلة الغزلية بتصاوير لطيفة . تجني طائفة النحل
العسلية زهور الحدائق وتقطف النملة الادبية ازهار الحقائق . تنتقل
النملة العسلية في رياض الازهار وتنتقل النحلة الغزلية بديوان اشعارها
الى اقصى الامصار . يخرج من لعاب النحلة العسلية عسلٌ فيه شفاءٌ
للناس ويجري من اشعار النحلة الادبية انهار حقائقٍ تُطيبُ الانفاس .
فسبحان من خلق التحلّين وزينها بجلتين احدها عسلية وثانيها
غزلية . ولذلك اشدت الابيات الاتية في نحلتي الادبية . وذلك سنة
١٨٦٩ لهيلا

يا نحلتي اهلاً فما عهد الوفا	ما بيننا ان يستحيل الى الجفا
طال الفرق وظن بعض ذوي الحجى	درست معالمنا ومعدنا عفى
لله كم ارقت جفوني ليلة	تأبى الرقاد ودمعها ان تكففا
لا طيف منك يزورني لابثه	شوقاً اذا عاف القلوب تلتففا
أترى يدوم لنا اللقاء بلا قلى	يمحشى وهل فعل العداة تصرفا
قالت الا اعذر ان بعدي لم يكن	عمداً ولا منى بحقك مجحفا
لما رأيت عواذلي نبذوا الحيا	وحسام السنة الحواسد ارهفا
ما ان سكت مهابةً لكنتني	لازمت اخدار الفقير تعقفا
فالان اذ حرب الضفائن اشهرت	فلا بنين مساكني فوق الصفا
ولا جعلن من القريض كتاباً	ولا صنعن من الصوارم احرفا

يا ويل من سمحت به ايدي القضا
يا ويله يوماً ازج بابر تي
ومن الضلالة دحض امره ثابت
ان يستخف بما اقول معنفا
منه الفؤاد فهل يصادف مسعفا
وعلى المخاصم ان يكون المنصفا

...

حتى اذا جاء الشتاء يبرده
والبرق اومض والرعود قواصف
وعلى الفصون من الخريف بقية
والارض اصبح ثوبها خلقاً ومن
خمام نذهب للغمير فانه
وذرا انثلوج على البقاع وكثفا
والغيث من مقل السحاب أذرفا
والروض قد عرتي واسقمه الحفا
طلب المحال وجوهها ان تعرفا
يحوي المأكّل والمشارب والدفا

...

ومتى اتى فصل الربيع بورده
والارض قد لبست كساء اخضراً
ابني الرياض وقد تضوع نشرها
واصيغ من تلك الازهار عسجداً
عسلي علاج فاشربوا من خمره
وبقيتي شمع يضيء لكم ومن
قد شرف القرآن ذكري في النورى
وكسى العراء من الازهار زخرفا
والغصن من ورق الربيع تفوفا
فتطيب لي فيها الجنا والموقفا
للناس تريباً ولي فوق الكفا
من دون اثم واطلبوا منه الشفا
فضل الحياة لاجلكم كم أسرفا
واتى بتزكيته النبي المصطفى



صدرت بالايات الاتية مجلة النحلة لما اعدت نشرها بمصر
عام ١٨٩٥

اتحفنكم احبابنا بيشارة عادت اليكم بالمسرة نحتي
قد طال ما لزمت فقير سكوتها واليوم في فصل الخطاب تجلت
لا ريب فيها نخلة وطنية في كفها جاءت بشهد حقيقة
حييا محياها البشوش بلطفكم واستقبلوها في مقام حبيبة



رن في الاكوان صوت هاتف اتبه يا غافلا فالفجر عاد
والمليك المجنبي من عرشه قال قولا يتنخي منه الجماد
يا بني الاوطان هبوا ما لكم عن علوم في خمول وابتعاد
قد غرسنا جنة العلم لكم واتخبنا نخلة تجني المواد
بادروا واستقطفوا من شهدها من جناني تجني زهر السداد

* تربية النحل *

اما تربية النحل فتحتاج الى عناية شديدة . ولذلك يجب على مربيها ان يختار محلاً مصنوناً عن الارباح . لان الريح تصدها عن نقل المئونة الى القفير . وان يجعل القفير في وقاية من اذى الطيور والهوام التي تلحق اضراراً بالزهور التي ترعاها النحل وتنفض قطرات الندى عنها . لان في قطر الندى نفسه خواص عسلية تمتصها النحل بشراهة . ثم ان ينتبه مربى النحل الى صيانة القفير عن تعدي الحرباء والسنونو والزناير فان هذه الحيوانات تبدد شمل النحل وتفسد موهنته المذخورة في خبايا القفير . وان لا يغفل عن ابعاد محل القفير عن مرابط البهائم حيث رائحة السرجين المتخمّر تبلي النحل بالصداع . وليكن مقام القفير قريباً من الرياض المزهرة والحدائق المنضرة ومجاري المياه العذبة ولا سيما الاحواض النبات في مياها زهر النوفر الزكي الرائحة ويجب على من يعتني بتربية النحل ان يضع في مجاري المياه القريبة قليلاً من الحصباء او الحجارة الصغيرة حتى يحل عليها طرد النحل ويستقي من الماء متى عطش او ليسهل عليه الالتجاء اليها بعد الاستحمام . وان يزرع كذلك الى جوار تلك المجاري ما استطاع من الزهور الزكية الرائحة

اما بناء القفير فيصح ان يكون مضموراً من سايخ لحاء الشجر او من

اغصانها المرنة . وان يكون ذا منفذٍ حرج وذلك لغابتين . الاولى لمنع دخول البرد الى القفير في فصل الشتاء لان البرد يجمد العسل فيعسر على النحل ان نقتات به . والثانية لدفع اذى الحر الشديد عن اقراص العسل لان شدة الحر تذوب الشمع فيسيل العسل ويطفح من مخازنه الشمعية ويهرق على جدران القفير ويتلف . ولذلك نرى النمل بسريرتها تطلي جدران القفير من داخل بمادة دسمة من الشمع الغليظ صيانه من نفوذ البرد الى العسل من مسام القفير . وزيادة في الوقاية ينبغي لمربي النحل ان يطلي بالصلصال او الطين اللزج خارج القفير وان يظله بسعف البقل او اصناف الزيتون المورقة متى اشتد البرد في الشتاء والحر في الصيف . وحذار من وضع القفير الى قرب شجر السنديان . فان في ذلك خواص كيمياوية تضر بمزاج النمل . ويجب على مربي النحل ان لا يسمح لاحد ان يشوي بقرب القفير حيوان السرطان فان رائحته مضره بالنحل . ويحذر ايضاً من وضع القفير في اماكن قريبة من المستنقعات والايحال . فان رائحة التتانة والعفونة المنتشرتين من المستنقعات لسم زعاف للنحل . وكذلك فليكن محل القفير بعيداً عن الكهوف والصخور الشاهقة لان صوت الصدى يصدع النحل . ومتى انقضى فصل الشتاء ودخل الربيع يجب فتح منفذ القفير لتخرج النمل الى الرياض وتجنبي الزهور وتباشر في التعسيل والتخليف

ثم يتفق في فصل الربيع ان يشرذ طردً من النحل ويخرج تارةً الى الاشجار واخرى الى الكهوف ويعسل بكر عسله خارج القفير . واذا

ترك هناك ربما لحق به كل النحل واخلى القفير . بناءً على ذلك يجب ان يصير السعي في استرجاع الطرد الى القفير . وطريقة اعادته الى القفير كما يأتي : متى شردت طائفة من النحل وخرجت الى الاشجار والكهوف وجب في الحال قص اجنحة ملوك النحل فيعجزون عن الطيران ويلزمون القفير . ومتى انتبه طرد النحل الى اغياب العسوب لا يتأخر عن الخروج في طلبه . ولما كان العسوب مقصوص الجناحين يابث اما داخل القفير او يبقى حائماً على منفذه غير مقتدر على مفارقتها . فيراه طرد النحل ويسرع اليه ويلق به ويعود بكمله الى القفير

وحدة الحال بين النحل

تعيش طوائف النحل بعيشة مشتركة في منزل واحد يعرف بالقفير وفيه يذخر مؤونته بالاشتراك . ولكل نخلة حق شرعي في تلك الذخيرة العساية . فنقتات بها ونقيت اولادها بدون كلفة او اخلاف . فلا يقع نزاع في هذا المنزل المشاع . ولا يرى خصام على قوت ولا مشاجرة على متاع او مأوى . بل كل ما يوجد في القفير مشاع للجميع . ولهذا لا يكدر صفو عيشها فقر ولا جوع ولا ظمأ . بل وحدة الحال في المعاش تكون سعادتها في مراتع وحدة الوطن . ومن سريرة طوائف النحل انها تذكر فصل الشتاء وقساوة برده وقحط غلته وضنك ايامه فتجهد نفسها في فصل الصيف في جمع المؤونة واملاء اقراص الشمع بالمسل ذخيرة للربيع . ثم تتقاسم الشغل على السواء فمنها طائفة تسهر على حفظ المؤونة

ضمن القفير وتصونها من الهوام المعادية . ومنها طائفة تخرج افواجا الى الحدائق والرياض لتجني خواص الازهار وتحملها الى المخازن العمومية في القفير . ومنها طائفة تعني في تنقية القفير من الاقذار بالتناوب . وعلى هذا النمط تتعاون طائفة النحل على الشغل وتوسيع نطاق العمل لاجل رفاهية المعاش وكل ذلك بنشاط وائتلاف دون اختلاف

زمان تفصيل النحل

متى قدم الربيع حان اوان التعميل وحينئذٍ نتقاسم طوائف النحل اقسام الاشغال بالتبادل فمنها من يضح ارض القفير بلعاب لزج ، ومنها من يبني على ذلك اقراص شمع ذات حجرات مسدسة الزوايا ومنها من يملأ تلك الحجرات بقطر العسل وعلى هذا الاسلوب تتناوب النحل في الشغل كما تتناوب امر المعيشة وهذا من دواعي النشاط والحرص على الزمان لانه اذ كانت المادة التي يتكون منها اللعاب اللزج دون التي يتكون منها الشمع والتي يتكون منها الشمع دون التي تصلح لقطر العسل اقتضى التناوب في الشغل لان النحلة التي تكون قد وضعت اساس قرص الشمع بلعابها اللزج لا تتمكن في الوقت نفسه من بناء قرص الشمع ولذلك عندما تنتهي النحلة الاولى من وضع اساس القرص ترحل في الحال الى اجتناء مادة جديدة وتليها حالا نحلة اخرى وتأخذ ببناء قرص الشمع ومتى فرغت هذه من بناء قرص الشمع

اقبلت الاخرى في العسل واخذت تملأ حجرات الشهد بقطر العسل وهذا النشاط في التعاون على الشغل لمن اغرب الغرائب حتى ان تربية الخلف ايضاً تكون عند النحل بالتناوب ومثل ذلك حراسة القفير يتناوبها الحفير ونقل المؤونة يتم بتبادل المعونة وطردُ منها يطرد الذباب الغريب عن القفير ومنها ما يجني عصير الصعتر ومنها ما يلقط لب الزنبق الاصفر وطائفة تحوم على تويج القرنفل واخرى تمتص خواص الورد والفل وكلها في تعاضد وتعاون على الشغل بدون تكاسل في العمل ولا تفتر عن هذا الاجتهاد حتى يبسط الدجى جناحيه في الافق فتفتنم راحة الرقاد حتى الشفق ومتى انبلج الفجر المنير قامت النحل في نَفسٍ وازدحام الى منفذ القفير وخرجت الى اجتناء الياسمين والفل وامتصاص زلال الندى والطل



﴿ الانتقاد ﴾

« الانتقاد » في اصطلاح اللغة مصدر « انتقد » الدراهم اي ميزها ونظر فيها ليفرق بين المقبولة وبين المرذودة منها لزيّف وغش فيها وفي اصطلاح الادباء والكتاب يراد به « التعقيب » على ما باثار الكتبة

من العيوب وسقط المتاع وتقدير ما بها من جيد الكلام وكل ذلك على الاصول والقوانين المرعية بين الكتاب ويقابل هذا ما اضطلع عليه ادباء الافرنج بلفظة « كريتيك » (*La Critique*) وهي كلمة مشتقة من لفظ يوناني الاصل « كريتاريون » (*Criterion*) وجعلته اللاتين « كريتاريوم » (*Criterion*) ويقال به بالعربية « القسطاس » وهو اقوم الموازين الذي يوخذ دستوراً للعمل او هو « ميزان العدل » فاشتقت الافرنج كلمة « كريتيك » ووضعتها اسماً لفن النظر في الكلام ولانتقاء صحيحه من فاسده وخبيثه من جيده طبق العدل والانصاف

اما بعض من كتاب عصرنا وشعراء زماننا واصحاب النشرات في ايماننا فقد سهوا عن معنى « الانتقاد العادل » وعن غاياته الحميدة والادبية واتخذوه واسطة لتشفي الصدور وبث ما فيها من الحزازات والاحقاد في حق الرقباء ومالوا عن اصلاح ما يعثرون عليه من الهفوات الى الطعن والقدح في الاشخاص والاكتثار من الشتائم بكلام غليظ يتردد تارة في لفظه حتى الرعاع في الازقة والشوارع . وهذا دليل على بعد الكتاب بللمشرق بمرحل عن الكتاب بالمغرب . فالجدير بكتابنا وشعرائنا ان يقتدوا بنجيار ادباء الافرنج ويقربوا منهم في علو جنابهم وظرافتهم ويتعدوا عن دناءة رعاى الازقة وفظاظتهم .

« فالانتقاد العادل » فن من الفنون العالوية بل دون طب ادبي وحكمه حكم الادوية والعقاقير فمن المرضى من لا يوشرفيه الدواء ومنهم من يهلك به ومنهم من ينال الشفاء به . كذلك الانتقاد فن

العلماء من يسعى اليه بنفسه تمعداً ويستجلب التنديد على تصنيفه ليتخذه
 دستوراً لاصلاح هفواته . ومنهم من يعتصم بسمو عقله واصالة رأيه وسعة
 معارفه فيرى مصاف المتقدين دونه ويستخف بلسع عقارب اقلامهم
 ومن العلماء من قضى عمره بطوله في قلقٍ وكدر لا مزيد عليها
 من جراء المتقدين على هفواته . ومنهم من قتله الانتقاد رأساً . ولقد
 ثبت بالامتحان ان الشعراء اشد الناس شعوراً بالانتقاد . ومنهم من
 كبا ومات كمداً من جرائئه . ومن جملتهم الشاعر «كاسانيس» [Cassagnes]
 الفرنسي . فانه جنٌ ثم مات من تأثير انتقاد نده «بوالو» [Boileau]
 على قريضة . كذلك بلغ الكدر كل مبلغ من «توركوتو طاسو» الشاعر
 الايتلياني (Torquato Tasso) صاحب الديوان المشهور «باورشليم المعتوقة»
 (Jerusalemme Liberata) لما رأى الناس باديء بدء لم يقدروا ديوانه
 حق قدره . ولذلك اعمل الفكرة في اعادة نظم كل بيت من ديوانه
 مرتين انقاء من انتقاد انداده على هفواته ومع ذلك لم يفلح فقطع اليأس
 به ومات مخنل الشعور . ولو اعنصم بالصبر لعاش ورأى اقبال الادباء
 على ديوانه ولكن شدة حساسته وحادثة نزاقته ساقته الى الموت ريثما
 كانت رجال دار الفنون على اهبة الاقرار بفضله وجودة قريضة . ولكن
 لما قبض قبل اوانه وضعوا على جثته اكليلاً من اغصان الفار اعترافاً
 بكونه من ملوك الشعراء الاربعة . ولكن ما الفائدة من ذلك وقد حال
 الجريض دون القريض وكذلك العلامة «هوكورث» (Hawkworth)
 الانكليزي الذي كان نابغة القرن الثامن عشر مات كمداً من جراء

انتقاد حساده على تأليفه . ومثله ايضاً الشاعر « بنيامين استلنكفليت »
 (Stillingfleet) الانكليزي المعاصر له مات كمدأ من انتقاد « جيفورد »
 (Gifford) الشاعر الانكليزي الممدود من فحول الشعراء الذي انتقد على
 ديوان شعره المسمى باسم « اندنيمون » [Endimion] . ولن اغرب القرائب
 ان لورد « بايرون » (Lord Byron) صاحب ديوان « دون جوان »
 (Don Joan) المشهور كان شديد الحساسة والتأثر من الانتقاد . فهذا
 البطل الذي خاض عجاجات الحروب وما بالى باهوالها كان اذا قرأ
 انتقاد رقبائه على قريضه ارتعد قلقاً واضطرب حانقاً . وكذلك
 الفيلسوف اسحاق نيوتن (Newton) الراجح العقل والممدود من كبار حكماء
 الانكليز والمشهور بجزمه وثبات جنانه كان يجفل من انتقاد خصومه على
 مؤلفاته . وساقه هذا الخوف الشديد من التنديد الى اخفاء قسم من
 مؤلفاته في التاريخ حتى مات

اما العلامة جونسن [Jonson] فكان بعكس ذلك يسعى بنفسه في
 اغراء انداده بالتعقب على تأليفه . وكلما ازداد الناس انتقاداً
 لمصنفاته ازداد بذلك فرحاً وسروراً لانه كان يهتدي بالتنديد الى خطائه
 فيصلحه . واذ غفل المنتقدون عن التنديد بأليفه حسب ذلك استخفافاً
 منهم بمصنفاته . وعلى هذا النمط كان النحات « كانوفا » [Antonio Canova]
 الايتالي الذائع الصيت في سائر الاقطار يعرض على الناس الهياكل والتماثيل
 التي كان ينحتها ليرسم انتقادهم على ما فيها من النقائص بقصد اصلاحها
 ولما انشأ على قبر البابا اكليمينضوس الثالث عشر بهذا الاسم « Clemente XIII »

تماثيل من الرخام في جملتها هيكلى اسدين تنكر واخلط بالشعب
الذي اجتمع في كنيسة بطرس السليح برومة لمشاهدة ذلك الضريح
ليتمكن من استماع اقوال المتقدين على تلك التماثيل . ولما تفرق الشعب
كان « كانوفا » المشار اليه قد سمع وعرف ما كان من النقائص في تماثيله
فانكب على اصلاحها . وكان ابوحيان الشاعر العربي من جملة هؤلاء
الفعول حتى اجاد في ما افاد بقوله

عداي لهم فضل عليّ ومنّة
فلا اذهب الرحمان عني الاعاديا
همُ بحثوا عن زلتي فاجنبتها
وهم ناسوني فاكتسبت المعاليا
فبذا الرجال . وعلى كل راجح العقل ان يقتدي بنموذج هؤلاء

الابطال . ومن المؤلفين البارعين من اعنصم بالدهاء والذكاء وسبق
المتقدين الى الطعان وكسرحمة اقلامهم قبل النزال وما ترك لم سيلاً
الى المجوم عليه . من جملتهم المعلم اسحق « ديزرائلي » « *Isaac disraeli* »
ابو اللورد بيقنسفلد . فانه كتب في فاتحة اول كتاب من مؤلفاته هجواً
قطع به جرأة المتقدين وقال من جملة ما قال : من الناس من قطع
اليأس بهم من الاقدام على التأليف والتصنيف والانشاء من جراء قصر
باعهم وخمول عقولهم . ولما كسدت سوق سلعتهم وحبطت اعمالهم وخابت
املمهم من الفلاح في فن التأليف اقتصروا على جعلهم التنديد بتأليف
اساتيدهم حرفةً خسيصةً يستعينون بها على تحصيل اسباب معاشهم .

وكذلك المصورون لا ينجون من نكبة التنديد . ولكن منهم من
تمكن من الخمام نده الخماماً لا ردّاً عليه . من جملتهم ميكائيل انجاول

بوناروتي *Michael-Angelo Buonarotti* العدود من المصورين والنحاتين والمهندسين والشعراء الايتليانيين والذي اشتهر ببناء قبة كنيسة القديس بطرس السليح برومة وبتصوير سقف معبد في الفاتيكان يقال له «كابلاسيستينا» *Capella Sistina* فكان كـردينالاً من جملة الكرادلة قد انتقد على المصور المار ذكره . فلما صور في صدر جدار «كابلاسيستينا» صورة النسر والحشر المشهورة صور شبيه الكردينال المشار اليه في صورة رجل محكوم عليه يتدهور في جملة الاشقياء الى نار جهنم وله اذنان كاذني حمار . وما زالت صورته الى هذا اليوم في المعبد المذكور يقصد مشاهدتها الناس الذين يتواردون كل سنة من خمسة اقطار الارض الى رومة . اما المصور «روين» *(Reubens)* البارع فانه افهم خصمه وسد فاه عن التنديد باتخاذ طريقة حسنة دلت على دهائه وعلو جنابه . وذلك انه زار ذات يوم رقيه المصور في داره وطفق يثنى على تصاويره ويحبه علي براعته في فن التصوير . ثم ابتاع منه كل ما كان عنده من التصاوير باثمان جيدة . ثم وعده بالمساعدة وقال له : متى كسدت سوق اشغالك هلم الي فاعطيك ما تشتغل به . ومن ذلك اليوم انقلب عدوه الالاد الى صديق حميم فلما اخذت بعين الاعتبار هذه الاقوال انشدت في ارتجال

ولكن قبل ذكر القصيدة رايت ان اختم هذا الباب بذكر
انتقاد غريب شديد الوطأة وقع من صاحب نشرة علمية كانت تنشر في
جزيرة « شيو » (صاقس) قبل التاريخ المسيحي بسنة قرون في حق
الشاعر الشهير « هوميرس » اليوناني الذي يحسبه ادباء اوروبا امير
شعراء الغرب قاطبة وقد اقتفى اثره الشعراء اللاتينيون والايثليان
والفرنسيين والالمان والانكايز وغيرهم . وتفصيل ذلك :

نبش الحفرون قرطاساً من « البردي » (Papyrus) في مدينة
« فاو بكتوس » القديمة بمصر في مكان من الردم نضرب صفحاً عن ذكر
اسمه احتشاماً . وقد احتوى ذلك القرطاس على جزء كامل من نشرة
علمية يقال لها « طياطس » او « ثياتس » كانت تصدر مرة في الاسبوع
بجزيرة « شيو » (صاقس) قبل الميلاد بستمئة سنة . وقد استدل
علماء الاثار القديمة من حروف هذه النشرة على انها اكثر قدماً
من كل الكتب اليونانية العتيقة العهد المعروفة الى الآن .

وذلك انهم وجدوا هذه النشرة مسطرة بستمئة عشر حرفاً فقط
من الحروف اليونانية كما كانت عليه في عهد « هوميرس » الشاعر
الموما اليه . ونستدل من مقالات تلك النشرة على ان العلوم كانت
قد بلغت درجة عالية بجزيرة « صاقس » في ذلك العهد . والامر
الذي يزيد هذه النشرة اعتباراً ويجعلها مهمة هو كونها النشرة العلمية
الوحيدة المعاصرة للشاعر « هوميرس » . وقد عثرت علماء الاثار في
هذه النشرة على مقالة يظنون انها من قلم رجل ادب يقال له « مرجيتيس »

كان «هوميرس» قد هجاه باياتِ فقابله «مرجيتيس» بالمثل وتعقب
عثراته في ديوانيه «الايلياد» و«الوديسي» وهاك ما كتبه «مرجيتيس»
مترجماً عن الاصل اليوناني :

لم يكتب صاحب ديوان «الايلياد» بما تمخض به وهمه الفاسد
وطرحه في هيئة مسخ قبيح ووضعه في شكل ديوان وسمه باسم «ايلياد»
بل زاد وقاحة ونظم ديواناً اخر وسمه باسم «اوديسي» فلا حاجة لنا
الآن بان نعيد قيام الحجّة على خزعبلات ديوان «الايلياد» الذي ذاع
نشره بين جم غفير من الناس آفة مهلكة على الاداب . وانما نقول :
لما اقتصر «هوميرس» في ديوان «الايلياد» على وصف حروب الضفادع
مع الفار والتهكم على السيد «مرجيتيس» اكتفينا بالتبسم . ولكن لما
تعرض الى وصف حروب الالهة مع الجيايرة ساقطنا حمية لدين والاداب
الى قيام الحجّة على هذا الكفر الوهمي . فديوان «الايلياد» عبارة عن
مجموع تصورات وهمية لا تنطبق على العقل الصحيح . منها ما كتبه في
بعض ايات من ديوانه في حق رجل قتل اميراً جليلاً ثم احياه ليشهد
مأتم ابنه المفقود .

ثم اذا تعقبنا اشعار «هوميرس» بيتاً فبيتاً استدللنا منها على شراسة اخلاق
ناظرها وتوحشه المفرط وولعه بالقتل وسفك الدماء . فقد اخترع رجلاً وهمياً
سماه باسم «اشيليس» (*Achilles*) وادعى ان امه الهة بجزيرة واقامه مقام فارس
صنديد وخصه بخصال ذميمة وحشية تحط بمقام الابطال وقال في وصفه انه
شق عصا الطاعة وعقّ مولاه وابق . ثم خرج الى قتل كل من ابى ان

يلحق به . ثم قتل ظلماً كثيرين من الذين اتاسرهم . ولم يكتف بذلك بل انه فضح بنفسه لئيمة جثة فارس صنيدي سقط قليلاً في حرب عادلة دفاعاً عن الوطن . فمن انعم النظر في اوهام هذا الشاعر وجد كل بيت من اشعاره مكتوباً بدم البشر . ثم انه لم يقتصر على ذكر قتل الرجال الذين يعنيه امر قتلهم بل قد قدح زناد الفكرة في وصف كل عضو من اعضاء القتل بتفاصيل تحمل بالاداب الحميدة وثقشعر الابدان عند ذكرها . فثارة يصف العضو الذي زجَّ بالرمح الذي دق عظمه وبدد نفاعه . وطوراً يصف ضربة سيف خرق الصدر ونفذ من الظهر وفي راسه قلب القتل مضطرباً يقطر دمًا . وهذا لا شك مشهد قبيح لا تطيقه النفوس الالوية في هذا القرن (اراد بذلك القرن السادس قبل التاريخ المسيحي) . ولما كانت سليقة « هوميرس » فاسدة تجاوزت حدود القباحات البشرية والاوهام الصببانية وتعرضت ايضاً الى التلاعب بالالهيات لئلا ينقص ديوانه شيء من الكفر ايضاً . فنحن لا نعيب عليه من جراء خلوه نفسه من الاحترام الواجب لاله الكون لعلنا ان ذلك امر لا يعنيه لكن نقول ان الابداء الذين طالعوا اشعاره اقشعرت ابدانهم من الكفر الفظيع الذي ساقه الى اختراع الهة فاجرة عاهرة والى جعله لها الله جل جلاله زوجاً خوفاً مطيعاً لاهوائها الفاسدة . هذا ما عدا اوهامه الغريبة واختراعاته الركيكة التي لا تنطبق على العقل السليم من مثل خيل ناطقة والهة متمصصة اجسام طيور جوارح ومن مثل جروح ثخينة تشفي بلحظة عين الى غير ذلك من السفاسف التي نضحك حتى اطفال هذا العصر المستنير بنور المعارف

وقد كنا نعلل انفسنا بآمال فارغة ونزعم ان «هوميرس» قد استفرغ في تسويد ديوان «الاياد» جعبة اوهامه الضعيفة وبلغ الحد الاقصى من تصوراته التي يخجل من الاتيان بمثلها اولئك الاجلاف الذين يقصون القصص والحرفات في الازقة . ولكن ازددنا اسفاً على اسف لما رأيناه قد تجاوز حدود نفسه ايضاً في تلفيق ديوان «الاوديسي» ولم يبق لنا سوى ان نعزي انفسنا بتسلية وحيدة وهي ان «هوميرس» قد التزم حقن دماء البشر في تلفيق ديوان «الاياد» . فقد اقتصر في ديوان الاوديسي على وصف مناوشات قليلة تصور وقوعها بين بطله الموهوم «اوليس» (Ulysses) وبين جيل من الناس سماهم باسم «شيكونيين» ثم اكتفى بذكر فعل وحشي تصور وقوعه من «اوليس» في حق اله بحري وهمى سماه باسم «بيوفير» وهو المعروف في الاساطير باسم «شيلاً» . لكن لما بلغ خاتمة الجزء الثالث من ديوانه استبسل وجعل بطله المشهور «اوليس» ان يرتكب فظائع تشماز من ذكرها نفوس السفلاء فضلاً عن الابداء . منها انه ساقه الى قتل ١١٧ شخصاً على سفرة الطعام . واستعان على ذلك الفعل الشنيع بجزار خنازير وبابنه وبراغي بقر وبجنية وهمية . ولم يكتف بذكر هذه الفظائع وما يتبعها من ارتكاب الجنايات التي يعجز العقل السليم عن تصديقها بل جعل بطل اوهامه ان يرتكب جناية القتل بقساوة قلب لا تعهد في اشد الناس توحشاً وذلك انه شق بذات كثيرات صبايا لاجنحة لمن سوى انهن كن قد خدمن سيداتهن كما كانت تقتضيه فروضهن . وقد زد في الطنبور نعمة بكلام (نحشم من ذكره لقبحه) وصف به صراءاً وقع بين «اوليس» وبين رجل شحاذا . اما وصف العذاب الشنيع الذي عذب به اوليس رجلاً

من الفعلية في اعضائه وعورته فتشأز نفس كل اديب من سماعه . فهذا القبح التي يندبها « هوميرس » الى اوليس وبقائه كانهم قد ارتكبوها في حق الفعلية ربما يسر باستماعها اهل النعمة واليسار . ولكن حذر حذر من التماذي في ذلك مخافة ان يجرح ذكرها شعائر الفعلية ويسوقهم الى الفلك به ويفرقه انتقاماً مما ارتكبه من القبائح في حق زملائهم الفعلية . غير انه لمن العجب العجيب ان نرى باسف شديد اشعار « هوميرس » مع ما تحتويه من احتقار العملة والفعلية منتشرة بينهم وهم يطالعونها بولع شديد اكثر من العلماء والادباء ونستشهد على صحة قولنا هذا « المكتبة الحرة » الكائنة في جزيرة « شيو » التي يتردد اليها الفعلية ليطالعوا فيها اشعار « هوميرس »

ثم قياماً بمحقق الانتقاد نعتب الاوهام الغربية التي سود بها « هوميرس » صحائف ديوانه الاخير المسمى « اوديسي » فقد وضع ذلك الديوان على الحوادث الموهومة التي نكب بها « اوليس » بعد خروجه من « ترواد » بعشر سنين . فقال ما ترجمته : شرد « اوليس » زاناً وضرب في الارض تائها وطاف الفياض وخاض في البحار حتى قذفته يد الاهوال الى كهف كانت فيه جنية خالدة يقال لها « كالبسو » (Calypso) . فالتجأ اليها وعاش معها ثمان سنين .

فليعلم « هوميرس » ان ولعه باحاديث جن وجنيات خاللات لمن الاوهام التي تسخر بها حتى الصبيان . فما باله يخذش بذكرها سماع الادباء ؟ اما الطريق التي سلكها « اوليس » حتى اهتدى الى غار الجنية « كالبسو » فلم يصفها لنا « هوميرس » وصفاً شافياً . ولكن نستدل من القرائن على انها طريق طويالة كثيرة التعويج والتعريب يعجز العقل عن تصورها . وزاد في

الطنبور نعمةً بنصبه حبائل ودسائس اوقع فيها الملك «عشينوس» الاول بهذا الاسم وهو من جدود الملك القورشيري الحالي المطاع . وهكذا جعل مصيبة ذلك الرجل البري، فائدة «لاوليس» الجاني . ثم عاد هوميروس الى ما كان في صدره وقال :

خرج « اوليس » من ترواد وحمل بشراسة وحشية على قبيلة من قبائل « اتراشيا » ولكن مما يسرُّ به كل عاقل ان الدائرة دارت في هذه الغزوة على « اوليس » الباغى ورفقائه ؟ ولما فرَّ هارباً من هناك قذفته الارياح الى حبث لا يعلم احد الا الله . فوقع في ارض سبسي من صحارى افريقية وصفها هوميروس بارض¹ « اكلي عشب البردي » وهي ارض لا وجود لها الا في مخيلة هوميروس . ثم رحل عنها « اوليس » ولم يقتل واحداً من سكانها . وذلك امرٌ لا يعهد في طباعه . وهوميروس لم يذكر الباعث الذي منع « اوليس » عن سفك دماء اولئك القوم . مع ان حقن دماء الحسين ليس من عوائده . ثم اقلع سفينته في بجار لا يعرفها وشرد فيها زماناً طويلاً حتى قذفته الارياح والامواج بطريقة مضحكة الى ارض كل سكانها رعاة لهم عين واحدة في جباههم يقال لهم « سكلبس » (Cyclops) . فلما استقرت قدمه في تلك الارض وجد كهفاً (وهوميروس مغرم بالكهوف) فدخله وقتل ما كان فيه من الثعم واكل زوادة الراعي مع زملائه . فلما رجع الراعي الى كهفه وجد غنمه هالكة وزوادته مفقودة فوقع في رفقاء اوديسي واكلمهم جميعاً . وفي هذه الرواية ايضاً وقع هوميروس في المحال . لان الراعي الذي يقتات بلبان المواشي عمره

بطوله كيف انقلب فوراً بين ايدي «اوليس» الى اكل لحم بني آدم؟
ثم ساق هوميرس بطله «اوليس» الى الغدر بذلك الراعي . فانه اسكره
اولاً بنجر مجهول تأثيره عنده . ولا تعلم كيف ومن اين استحصل «اوليس»
خمرآ في كهف راع والراعي يجهل تأثير الخمر في الراس . وفي خلدي ان
هوميرس نفسه لم يعلم ما قال . لانه لو عرف من اين جاءت الخمر الى
كهف الراعي غفلة لكان المع اليه . ثم قال هوميرس : ان «اوليس» اغتتم
الفرصة من سكر الراعي وضعفه الوقتي وفقاً عينه بعارضة وفرّ هارباً من
الكهف . ولم ينتبه هوميرس الى ما في هذا القول من الانحطاط بمقام
طله الموهوم . فان البطل الحقيقي لا يتصرف تصرف نذل لئيم ويغتتم
الفرصة من سكر خصمه ويفتك به .

ثم ساق «هوميرس» بطله «اوليس» الى جزيرة عاتمة على وجه البحر حيث
رأى فيها «ملك الرياح» واخذ منه مجموع الرياح وملأها في جراب ليستعين
بها على اسفاره البحرية اي انه اذا انقطعت الريح عنه في البحر اخرج من ذلك
الجراب الريح التي تعين سفينته على السفر . ولكن من سوء حظه فتح رفاقاؤه
الغشما فم الجراب على حين غفلة منه نخرجت الارياح كلها وبقي صفر
اليدين . فاضطر الى الرجوع الى الجزيرة العاتمة ولم يحصل على فائدة . وهنا
عجز هوميرس عن اختراع حيل ودسائس اخرى لمساعدة بطله «اوليس»
وجل ما اتصل اليه وهمه انه جعل «اوليس» ان يفقد كل سفنه الا واحدة
منها . وبهذه خاض تيار البحار حتى بلغ جزيرة جنية ثانية . وهذه مسخت
رفقاه خنازير واتخذته عشيقاً لها . وقد خرج هوميرس عن حدود الادب في

وصفه سلوك بطله « اوليس » مع الجنية . ونحن نخشم من اعادة كلامه مخافة من تخديش اسماع الادباء . ثم قال هوميروس : لما قضت الجنية وطرها من « اوليس » طردته ذليلاً الى « هادس » . ولما قطع اليأس به عاد الكرة الي الجنية فطردته ثانية . فاقلع سفينه في البعارج وسار حتى وقع في حبال « السيرين » (Sirenes) وهنّ بنات البحر تمخض بهنّ وهم هوميروس وزعم ان نصف جسمهنّ الاعلى جسم بنات بني آدم ونصفه الاسفل جسم سمك . لهنّ اصوات رخيمة اذا غنين وسمع المسافر بجزراً صوت غنائهنّ افتتن بهنّ ووقع في حبالهنّ . ثم قذفته الرياح الى غوار في البحر وحاول التنين اكله . ثم هلكت رجاله المرة الثالثة وهو لم يهلك بعد ولكنه بلغ وحده كهف جنية ثالثة . ثم هجرها وركب طوفاً وسار الى جزيرة « كوسيرا » وعشق فيها ابنة اميرها ثم فحسها . فطرده امير الجزيرة ونعجب من كونه لم يقتله . ثم عاد « اوليس » الى « ايطاكا » مسقط رأسه . فلما وصلها واتي منزله وجد مئة وعشرين شاباً من شباب المدينة يختلفون الى زوجته فصمم على قتلهم جميعهم . وهنا لا يسعنا المجال ان نصف الطرق المتباينة والمكائد الكثيرة والاهوام السحرية التي تشبث بها « اوليس » فانه مسح نفسه مرة ثعباناً واخرى حيواناً هائلاً وهمّ جرّاً لكي يتمكن بذلك من اهلاك عشاق زوجته . وما يسوء ناوليسوء كل ذي عقل راجح استماعه هو ان « هوميروس » ريثما يتزني بزوي زنديق شقي نراه يستعين دائماً بالله وباصفيائه في ترتيب دسائسه ومكائده بقصد ابلاغ « اوليس » الى مرامه . فالحمد لله الذي اولانا نعمة الرسوخ في دينه الصحيح حتى لا نبالي بما يظهره هوميروس

في اشعاره من قلة الدين وانتهاك حرمة اله يجلب مقامه السامي عن خدمة
 الاشقياء واعانتهم على بلوغ اوطارهم الفاسدة . فلجلاء . مبين ان ديوان
 « هوميرس » الجديد قد استغرق كل الفواحش . وكل بيت من ابيات نشيده
 يقطر دماً وكل عبارة من عباراته ملوثة باقدار تبث نثانة اشد من نثانة ديوان
 « الالباد » . ولذلك امسكنا عن الاسهاب في ذم عيوبه في صحيفة تداولها
 ايدي الادباء . واقتصرنا على القول ان هوميرس قد اتخذ الازدواج ديدنه
 وذلك انه جعل « جنينين » ان تعلقا بطله « اوليس » المكار . وتصور له
 « كهفين » لقضاء اوطاره . واخترع « صنفين » من اكلي اللحم بني آدم . وفي
 هذا كله لا فضل له . بل الفضل لمن سبقه الى هذه الحزعلات . وقد انتحلها
 لنفسه من قصائد قديمة العهد ثم لفقها كما نرى قصة حديثه ابتغاء جذب التينات
 الغشاء في هذا العصر الى تلفيقه . وما زاد ديوانه الاخير سقماً كانت الاعمال
 الناحشة البربرية والاوهام السحرية التي تستغربها اليونان وتأبأها النفوس
 الالية . اما الذي يسؤنا فهو خوفنا من ان يتخذ اليونان القاطنون بمصر وبغيرها
 من المستعمرات اشعار هوميرس حجة في اداب اليونان . غير اننا قد وفيما ما
 علينا من فروض الادب وافرغنا وسعنا في ابعاد هذا الوهم عن عقول الادباء
 وانذرنا هوميرس بالكف عن تقليد السيد « هيتوتس هياركس » وعن نظم
 قريض من هذا الطرز وان راجت سوقه عند السفهاء . انتهى كلام المنقذ
 اما نحن فنقول : ان من طالع هذا الانتقاد المار ذكره الذي قد كتب
 قبل المسيح بستمائة سنة وهوميرس في قيد الحياة وبقي مدفوناً في اطلال مدينة
 من مدن مصر القديمة نحو ٢٥١٢ سنة ومغفياً عن عيون المؤرخين والمنقذين

كل هذه المدة يتحقق ما ذهبت اليه طائفة من علماء التاريخ والانتقاد المدققين الى ان الاشعار المنسوبة الى الشاعر « هوميرس » ليست كلها من بنات افكاره وتصورات قريحته بل هي مجموع نشائد كانت موجودة عند اليونان حتى قبل وجود علم الكتابة عندهم . وان شعراءهم الاقدمين كانوا نظموا وانشدوها ثم علموها غيرهم شفاهاً وكانت اليونان تنشدها شفاهاً الى عهد « هوميرس » الذي انتحل لنفسه ما حوته من الحوادث التاريخية والافكار السامية . ثم اضاف اليها اوهامه السخيفة التي لامة عليها المنقذ المصيب المعلم « مرجيتس » المار ذكره . وان لاشعار التي نظمها « هوميرس » وانشدها الناس ليرتزق بها بعد فقدان بصره في سن الشيخوخة لم تكن على الشكل المنع الذي هي عليه الان وقد اثبت التاريخ هذه الحقيقة . فقد جاء فيه : ان هيبارخوس (Hipparchus) « ابن بيسستراتوس » ملك اثينه الذي ملك مع اخيه « هيبياس » (Hippias) قبل الميلاد بنحو ٥٢٧ سنة كان اول من جمع النشائد المنسوبة الى « هوميرس » ورتبها بعض الترتيب . ثم جاءت بعده طائفة من الادباء في عهد البطالسة بصر تعرف باسم « الفرماطيين » ونقحوا اشعار « هوميرس » وحذفوا منها ما استهجنوه واثبتوا منها ما استصوبوه ثم رتبوا الجميع على اربعة وعشرين كتاباً على نفس الاسلوب الذي هي عليه الان . وقال بعض المنقذين ان « هوميرس » اسم بلا جسم وانه لم يخلق انسان بهذا الاسم . وان لفظة « هوميرس » معناها باليونان « الجامع » اي ان طائفة من الادباء جمعوا النشائد الحماسية القديمة التي كان يتفاخر في انشادها اليونانيون ثم نقحوها ورتبوها على اسلوب ديوانين وسموها نشائد « هوميرس » اي اشعار « الجامع » . ويمكن هؤلاء المنقذين

قد ذهبوا هذا المذهب الباطل من كونهم لم يقفوا على انتقاد المعلم « مرجيس »
الذي كان معاصراً « لهوميرس » لان هذا الانتقال التاريخي الذي هو حجة دائمة
على وجود رجل شاعر يقال له « هوميرس » كان مدفوناً في اطلال مدينة
« نابوكتوس » القديمة وبقي مخفياً على المتقدين والمؤرخين الى سنة ١٨٩٢
للميلاد . ومن اللغويين اليونانيين من ترجم لفظة « هوميرس » بمعنى « الاعمي »
وقالوا : قد سمي الناس ديوانى « الاليد » « والاوديسى » باشعار « هوميرس »
اي انهم ارادوا بقولهم « اشعار الاعمي »

هذا ما كان من انتقاد « مرجيس » ومن تبعه في تعقيب خطأ
« هوميرس » . اما نحن فنقول قولاً لا يثقل على تراب هذا الشاعر : اولاً اذا
كان تصور حرب بين الضفادع والفيران هو حقيقة محصول قريحة « هوميرس »
فيكون قد اخطأ في انتخابه الضفادع والفار موضوعاً لنشائه في ديوان « الاليد »
فانه ليس من المعقول انشاب حرب بين حيوانات مائة كالضفدع وبين
حيوانات برية كالفار . فالعقل البشري لا يقدر بتصوّر بمقتضى الطبيعة وجود
اسباب طبيعية توجب وقوع الاختلاف على وسائط المعيشة وغيرها بين الفيران
البرية والضفادع المائية حتى يسوقها الى قيام الحرب لاجل ذلك . فلو تصوّر
الحرب بين الفار والصنابير لكان اصاب عين الصواب حيث ان العداوة
الطبيعية الكائنة بين الفار والصنابير مشهورة

ثانياً لقد اخطأ « هوميرس » خطأً فظيماً في تقزله برجل مثل « اوليس »
مجبول على السفاهة والرزالة والمكر واللؤم وكل القبايح وقد ضاعف خطأه
بجعله هذا اللئيم بطلاً بنى عليه نشائه الحماسية في ديوان « الاوديسى » . فان

تصور « البطل » (Héros) يتضمن مجموع البسالة والغيرة والحمة الوطنية والاستقامة وعلو الجناب وعزة النفس وخوف الله وباقي الفضائل . فاذا طالع الانسان نشيداً حماسياً بطله متصف بهذه الصفات الحميدة تشوق الى الاقتداء به وباعماله المدوحة . اما « هوميروس » فقد اعطى الناس بطلاً حوى في نفسه الحيثية كل القبائح والرذائل . وبهذا اسقط ديوانه من عيون جميع الادباء والفضلاء وان كانت لغته فصيحة واشعاره منسجمة . لان الحسن بالفضل اكتمل . وان جمال المرأة العاهر لا يستر قبائحها وفجورها .

لو كان الشاعر « هوميروس » رجلاً مجبولاً على الصلاح والفضل وسلامة القلب والتقوى يخاف الله ويهاب الناس لما حط بمقام نفسه الايبة الى هذه الدرجات باختراعه قصصاً تخالف التقوى وتناقض اصول الاداب وتسوق الناس الى الفساد . وقد اصاب من قال : ان الاناء ينضح بما فيه وصدق من قال : ان كانت عينك سالحة فمجسّدك كله صالح . وان كانت عينك شريرة فمجسّدك كله شرير

❖ النظم ❖

تمنجب مجرم ما استطعت وفطنة
 ولا تقمن في حبر ذم يراعة
 فمن رام تنقيح الكلام منزهاً
 ومن شط في التقرير كان مداوياً
 ورب صديق تارة شر ناصح
 ورايت رجال العلم نقط خيفة
 فكم احرق التعنيف فلذة شاعر
 وكم رجل لم يخش خوض عجاجة
 وكم عاقل غاظ المندد واشتفى
 احب الي الانتقاد وانني
 ولكن اذا نبل الضغينة فوقت
 بذىء كلام وانتقاد مبرح
 لقصد انتقام او بدعوى مصحح
 عن الزيف فيها كان خير منقح
 بسم زعاف شر جرح مفرح
 ورب عدو تارة خير مصاح
 وتجفل من قدح اثم مجح
 فمات بقلب بالسهام مجرح
 ويفرق عند النقد من شر مفضح
 وعاش سكوتاً في نعيم مفرح
 لاسى اليه باجتاهدي واجنحي
 جعلت لها مرعى عيون المقبح

* البدر الغيور *

القصة -- قعدت ذات ليلة على شرفة من غرفةٍ غراء . ارقبُ
بدر السماء في ليلة قراء . « وهيلدة » بدري . وعروس شعري . تارة
تطربني بانغامها الحستاء . وطوراً تنشدني نشائد الخنساء . فحدث اذ ذاك
خسوف تام . في البدر عند التمام . في ٢٨ من كانون الثاني الغابر .
لعام الف وثمانمائة وثمانين الحاضر . وكان ابتداءه بعد غياب الشمس .
وتحول وجه السماء من البشاشة الى العبس . وذلك نحو الساعة التامة .
وثلاثين دقيقة تابعة . ودام الى بعد نصف الليل . زهاء ساعة وعشرين
دقيقة في اغبرارٍ وويل . وقد قال الاستاذ الكبير . والفلكي الانكليزي
الشهير . فل فحول علماء الهيئة العظام والرياضي « ج . ب . ديمبلي »
العلام . (*J. B. Dimbleby*) القابض من ركائب النجوم على اللجام . ومن
ظمائن الشمس والكواكب على الزمام . والضابط عنان سيرها باحكام .
والراصد حركاتها بتدقيق تام . انه يحدث هذا الخسوف . على طرز
مألوف . كل ثمانية عشر عاماً . واحد عشر يوماً . ويعرف هذا دوره
القصير . وله دور اخر كبير . يتم في كل ستائة وواحد وخمسين عاماً
مرة . في مثل الشهر والاسبوع والليلة والساعة والفترة . وقد حدث ايضاً

هذا الحسوف التام . لما زحف سلمانصر الرابع القمقام . بميشه الاثوري
 الجرار . وغزا به فلسطين وما حولها من الديار . وفتح بلاد السامرة
 بالحزم والعزم . واجرى في بطاحها سيول الدم . وذلك بعد خلقه آدم ابي
 الانام . عليه التحية والسلام . بثلاثة آلاف ومائتين واثنين وثمانين عاماً
 بالتام . اتباعاً لتاريخ التوراة . ومن اعتمد عليها في ايراد الروايات . وقد
 حسب المنجمون . ودقق المدققون . ان هذا الحسوف قد حدث على
 طرزه المألوف . في نفس الشهر والاسبوع . والليلة والساعة وقت المجموع .
 لما كان عمر آدم عشرة اعوام . وذلك بعد خروجه من جنة عدن بسلام .
 فغلب هذا الحساب المزبور . المسنود الى كتابي التوراة والزبور . يكون
 مرة على خلقه آدم عليه السلام . خمسة آلاف وثمانمائة وستة وثمانين
 عاماً بالتام . وبناء على هذا الحساب . نقول في هذا الباب . كان
 بدء السنة التي خلق فيها ادم وحواء . وسكننا الجنة الفيحاء . اول يوم
 بعد اعتدال الخريف المقابل الثالث والعشرين من شهر ايلول اللطيف
 من سنة الف وثمانمائة وسبع وثمانين ميلادية على حساب التوراة اليهودية
 واحصى الاستاذ «دولسن» الفلكي الفيلسوف ثاشمئة نجمة اخفى نورها
 في اثناء ذلك الحسوف

وحيث كانت «هيلدة» عروس شعري ونور بدري جالسة لدي
 وقت الحسوف على اسلوبها المألوف حسبت ان بدر السماء قد غار
 من وجهها ذي الجمال والسناء ففطى مجياه بكفيه خجلاً واخفى في
 كبد السماء وجلاً فانشدت مخاطباً البدر القيور اسائله عن بدري

السافر الى جانبي اسفرار المحور في الديجور وذلك بمدينة لوندرة في
٢٧ من كانون الثاني لعام ١٨٨٨

* النظم *

أبدر الدجى ما بالُ وجهك اغبرا
اسائل عنك النجم وهو يزيدني
فهل وجه من اهوى رأيت ضياءه
ولدت بظل الارض تطلب مفزعا
فت عميداً في الخسوف مكبلاً
فقال وقد شقت مرائر صبره
ساهجر عرشي في الكواكب تاركاً
واخفي بكفي حسن وجهي وطلعتي
ففي الارض بدر فاق نوري ضياؤه
سألت الهب ان يحول منزلي
الى عالم لا ند لي في جواره
اغار اذا شاهدت شبي كوكباً
وان يخلق الرحمان غيري نيراً
فلا بعد شمسي في البرية كوكب
وربع سنك اليوم قد بات مقفراً
بخطبك فيما أستزيد تويراً
يفوقك حسناً فاستخرت التسترا
تفرأ اليه او تصادف مئزراً
وبت صريعاً في السديم معفرأ
عياء وقد ابدى الخضوع واطهرا
لبدرك فيه الحق ان يتأمراً
واخلي سمائي للدخيل تحسراً
وجمل وجه الكائنات ونوراً
الى عالم غيري به ما تصدرا
ولا وجه بدر في السماء تصوراً
سواء تجلى في الثريا او الثرى
ففاية جهدي ان اموت فاقبرا
ولا بعد بدري لن ترى ثم اقرا

تتزل اصحاب اقمريض بطلعتي
 فكيف اطيق الند من نسل آدم
 انا قمر الديجور والشمس مصدري
 انا قبل حواء وآدم مشرق
 انا قبل اشجارٍ واثمارٍ جنه
 شهدت على حواء ساعة غرها
 فضمت عراها في الغياهب عندما
 وطلعة اثني قد غدت نداء طلعتي
 وكم من نجوم في السماء ثوابت
 فيا ليت حظي كان من شبه حظها
 وبي شبهوا الوجه الجميل المنورا
 ومن ضلعه الخلاق حواء صوراً
 اذا ضاء نوري كل نجم تسترا
 انا قبل وردٍ في الكمام ازهرا
 انا قبلما التفاح جن واثرا
 رجيم فناحت حظها المتعددا
 تردت بقشر التين خوفاً من العرى
 وصار سناها يخسف البدر مسفرا
 بنورٍ جلي لا تخاف التغيرا
 وخسني بيدٍ الارض لن يتكررا

﴿ دعاء عانس ﴾

القصة - قل اخيراً في بلاد الانكاييز . بعد بلوغ سن الرشد
 والتميز . عقد كتب الزواج . وكثرت فيها العوانس بلا ازواج . وبلغ
 صدى اصواتهن ابواب السماء . بين ترديد بكاءٍ ونحيبٍ ودعاءٍ . فاتفق
 لي ذات يوم . اني زرت فتاةً من عيون القوم . فرأيتها قد تردت من
 الاكتئاب . اقبع جلاب . فقلت لها يا ربة الدلال والبهاء . ويا اليفة
 الوجاهة ونزيلة العلياء . ماذا الذي دعاك الى هذه الاكدار . وانت من
 نعم المولى في خيرٍ ويسار . ناعمة البال . خلية من البلبل . مستريحة

الافكار ودارك قد حفت بالازهار والحشم بين يديك في انتظار
وانت حليفة الملاهي في الليل والنهار قالت وقد لاحت على وجهها
سمات الكآبة وبدت على محياها امارات التعاسة . ما النفع من المال
والزهو والملابس . وانا بلا زوج مهمله عانس . وقد اوشكت وردة حسني
على الذبول . وخارت قواي واعتراي الخمول . فجل ما ابنيه من الدنيا
زوج ولو من عود فذلك عندي خير من القعود فرثيت لحالمها
المنكود وانشدت في المعنى المقصود وذلك في مدينة لوندرة سنة ١٨٨٩
ميلادية

﴿ النظم ﴾

اراهنا تصلي ثم نقرع صدرها
وتشكو الى رب السماء بحرقه
نقول ودمع العين جارٍ بندها
الهي كفاني ما اقاسي بوحدتي
شبابي انقضى والحسن زال وعمي
اصفرار ذبول واخنفى ورد وجنتي
فلا مال ابني من سخائك بته
ولكن دعائي ان تمن بزيجتي

❖ الانتحار ❖

القصة - انتحر طبيب من اطباء الانكليز وكتب قبل انتحاره كتاباً الى صديق له عزيز ادعى به في بعض الادلة الشاردة والحجج الباردة بان الانتحار في ارض الشقاء والدمار عين السعادة والسداد لمن لا يرجو المعاد فانشدت مفنداً دعواه الباطلة وانا في البحر على ظهر باخرة ماخرة بين الاستانة وجزيرة الامراء الزاهرة وذلك في ١٣ اب لعام ١٨٩٣

❖ النظم ❖

من الناس من يشنو الحياة ويشتكى	من الدهر عيشاً لا بطيب نعيمه
اذا ضاق عقل المرء ضاقت حياته	واقعه ما كان ليس يقيمه
يرى المشوك في ارض ويخفاه وردها	ويزعم ان الكون طراً غريمه
فلو كان يدري ما الحياة وقدرها	لطاب له العمر الرقيق نسيه
ولكن تولى قلبه الحزن سائداً	فكاد لذيد العيش ايضاً يضيئه
نخال انتحار النفس باب سعادة	يمر به والجهل حقاً حميمه
يفر من الضيم القصير زمانه	الى عالم ينحل فيه سديمه
فبئس نعيماً لا يفوز به الفتى	سوى بانتحار والفناء قسيمه

❖ سوق عكاظ او معرض باريس ❖

دخلت مع من دخل معرض باريس اسرح الطرف بما حواه من دقيق ونفيس وقد واظبت خمسة اشهر مديدة اطوف كل يوم منها سوق عكاظ الجديدة وافتقد ما فيها من الصنائع العديدة والاختراعات المفيدة واعمل الفكرة في نتائج ما وصلت اليه العقول البشرية وفي ما ابدعته من الفنون الحديثة بواسطة الدوايب التجارية والاجهزة الكهربائية وكان معرض باريس الاخير المعرض العاشر الكبير من التي رايتها في البلدان وتفقدتها تفقد الدهقان بالعيان

قرأت فصولاً عديدة وسمعت احاديث كثيرة عن معرض باريس ولكن صدق من قال : « ليس القول كالنظر ولا السمع كالبصر » : فما ادراك ما معرض باريس ؟ هو عبارة عن عالم كبير اکتنز في نقطة ودار على محوره في فلك صغير فحدث عنه ما شئت ولا حرج فلا كلام يستغرق شرحه ولا قلم يستوفي مدحه فهو لعمري عجيبة في عجيبة بل مجموع كل العجائب هو معرض قد نهكت العقول قواها في تزيينه باختراعاتها الغريبة واستنباطاتها الهجينة وفوائدها العميمة وصنائعها النفيسة معرض حوى من كل فن الملحمة ومن كل علم احسنه

فدخلته اريد اقتفاده عهدي به نزهةً للخاطر وحديقة تنجلي بنضارتها
 النواظر وترتاح الى روءيتها النفوس وتتمش بشذاها انقلوب تخاب فيه
 غلبي وبامت الدهشة مبلغها مني فاني وجدته مدرسة عظيمة ائشان
 قد حوت من كل فن خبراً ومن كل صنعة اثرًا وحيث كنت من
 جملة الذين يميلون فطرةً الى الصنائع وتركيب الآلات كن وليي بها
 يسوقني الى البحث في بدائع تركيبها فلذلك دخلت بادىء بدء دائرة
 الآلات والدواليب التي تحركها قوة البخار والكهربائية وصرت أدق في
 تركيبها وحركاتها شوق لا مزيد عليه وحيث كان ضيق المجال يحول
 دون القيام بوصفها تمامًا فقد اقتصر في هذا الباب على ايراد ما
 رايته من الاختراعات الجديدة التي تفردت في صنعها بالانقان والفوائد
 وضربت صفحات عن كثير من الاختراعات القديمة التي تعجز عن وصفها
 الاقلام فاخذت اجول اولاً بين الآلات البخارية الممدة لحرارة
 الاراضي وزراعتها لعلني بانها من اول اسباب المعاش ومصدر الخيرات
 واس الثروة ونجاح البلاد فاحسن آلة رأيتها كانت آلة لحرارة الارض
 من اختراع الامريكاني ثم آلة تبذر القمح وتخزنه في محل وتغذف التبن
 الى محل آخر وتفصل الزوان الى مكان آخر والحصى والتراب الى جانب
 آخر وما خالطه من حبوب الشعير الى مغزن آخر ثم آلة لدق الغلال
 وعزلها عن التبن بطريقة مذهلة ثم آلة جديدة للاختراع لطحن الدقيق
 ونخله وفصل النخالة عن الطحين النقي ثم آلة اخرى لعجن الطحين
 وتقريبه ارغفةً وكنت قد قرأت في بعض الجرائد الشرقية ان قوماً

من الشرقيين الذين دخلوا معرض باريس رووا انهم شاهدوا فيه آلة
اذا وضع فيها قمع من جهة طحن ونخل وعجن وخبز في قلبها ثم خرج
من الجهة الثانية ارغمة مخبوزة وهذا سهو من ناقل الرواية والذي
اوجب ادخال هذا السهو على عقول الرواة هو مشاهدتهم آلات الطحن
والنخل والخبز في دائرة بعضها الى جانب بعض فزعموا ان مجموع تلك
الآلات آلة واحدة تشترك في وحدة الشغل بوقت واحد ثم رأيت الآلة
بجارية لتطهير الماء مستجدة الاثقان ثم الآلة اخرى بجارية لاستقاء الماء
بحركة دائمة ثم نواعير بجارية ثم الآلة لولية بطول شبر اذا قبض الانسان
عليها بيده نزلت به من طبقات دار عالية بسرعة غريبة فراراً من
الحريق ثم الآلة بجارية لنشر الخشب ونقشه والحفر فيه من جعلتها منشار
يرفع الخيط ينشر الواحاً من الخشب برق ورق الكتابة بسرعة غريبة
ثم الآلة بجارية لعمل الحلوى وكل اصناف الملابس ولطحن الشوكولاتة
وافراغها في قوالب ثم الآلة نارياً تجمد الماء في خمس دقائق بسبك شبر
وأكثر فاذا ملأ الانسان جرة من الماء ووضعها في ملامسة الآلة جمد
الماء في الجرة كما يجمد في الشتاء ثم الآلة بجارية لتجديد الهواء داخل
المنازل ومستشفى المرضى من دون احتياج الى فتح النوافذ صيانة من
البرد . ثم آلة بجارية تجبل الطين من تلقاء ذاتها وتقطعه وتصنع منه
اواني خزفية مختلفة الاشكال من دون ان تلمسها يد الفاخوري . ثم الآلة
بجارية لجبل الطين وتقطيعه واصطناعه قميدياً لتغطية الاسطحة . وهي
آلة مستجدة الاثقان في سرعة الشغل . ثم الآلة بجارية لغسل الثياب

وعصرها وتبيسها من تلقاء نفسها . ثم آلة اخرى لها دولاب كبير كدولاب الساعة وفي باطنها اناة . فاذا وضع شيء من روح النفط في ذلك الاناء ونصبت الآلة بفتح كما تنصب الساعة دارت الآلة وولدت غازاً هوائياً منيراً من دون نار ولا سواها . ويكون النور الصادر عنها مثل نور انماز الذي يستصبح به اهل اوروبا في منازلهم وشوارعهم . وقد ضرب معدل نفقة النور فكان مقدار عشر بارات في الساعة اي نحو مليمين . وثن الآلة الف فرنك وتبعث من قلبها ثلاثين مصباحاً . ثم الآلة بخارية لتفصيل الجلد واصطناعه احذيةً كاملة الخياطة . ثم آلات اخرى بخارية لدبغ الجلود وتلوينها . ثم الآلات بخارية لعمل السكر وتطهيره وتبلوره ونقطيمه قوالب مربعة الشكل . ثم الآلات بخارية لعمل الاقمشة المخزمة وغيرها . ثم الآلات بخارية تقطع حجارة الماس وغيرها من الحجارة الكريمة وتجلوها ثم رأيت آلة صغيرة تحركها رجل انسان فتصنع سلاسل من ذهب وفضة بديعة الصنعة كسلاسل الساعات . ثم رأيت الآلات بخارية لعصر زيت الزيتون وغير زيوت نباتية . ثم الآلات بخارية لاستخراج الزيت المعدني (غاز البترول) . ثم الآلات بخارية لحلج القطن وقتله غزلاً . ونسجه اقمشة . ثم الآلات بخارية تنسج الاقمشة الملونة وتنقشها بتصاوير بديعة . وكنت ارى نحو مئة مكوك ونيف ثنابو الشغل من تلقاء نفسها باوقاتها حسب لون اللحمة المطلوبة للنقش من دون ان تلمسها يد صانع . ثم الآلات بخارية لنسج القيطان والجوارب والتمصان الصوفية وما جرى مجراها . ثم الآلات بخارية لطبع التصاوير الملونة بالوان عديدة ولطبع

صحف الاخبار منها ما تطبع اربعين الف نسخة في ساعة زمانية ثم نقصها
 وتطويها من تلقاء ذاتها . ثم رأيت آلة بخارية صغيرة جداً طولها نحو
 شبر ونصف شبر تذيب الرصاص وتصبه احرفاً ونقصها وتذفها من
 القالب كاملة . ولا يقوم بادارة هذه الآلة سوى ولدني حديثي السن
 ثم رأيت آلتين من اختراع جديد متقن غاية الانقاف لرص احرف
 الطبع وجمعها الى قوالب حاضرة للطبع . ولا يقوم بادارتها سوى ولدني
 صغيرين . وكل من الآلتين على شكل آلة الموسيقى المعروفة باسم « بيانو
 فورتى » . وقد رسمت الحروف بالترتيب على مفاتيح الآلة . فيجلس ولد
 على كرسي كما يجلس الضارب بالارغن ويكبس باصبعه على المفتاح
 المرسوم عليه الحرف المطلوب للرص فيخرج في الحال ذلك الحرف من
 صندوقه من تلقاء نفسه ويتركب في جدول الصف . وهكذا الى ان
 يكمل السطر . ومتى كمل السطر ساقته الآلة من تلقاء نفسها الى قالب
 الصحيفة . ويدوم العمل على هذا النسق حتى تكمل الصحيفة . ثم ياخذ
 الولد الثاني في تصحيح ما فرط من السهون من الولد الاول عند كبسه
 على المفاتيح . وتصف هذه الآلة ستة الاف حرف في ساعة زمانية .
 واذا تعود الولد على كبس المفاتيح بسرعة تيسر للآلة ان تصف ثمانية
 الاف حرف في الساعة . وكذلك قد اخترع صاحب تلك الآلة آلة
 اخرى لتوزيع الاحرف فاذا اريد توزيع الحروف وضع الوجه المصنوف
 بتمامه على سطح هذه الآلة ثم ياخذ الولد بكبس المفتاح المرسوم عليه
 اول حرف من حروف الصحيفة فيخرج الحرف من السطر من تلقاء ذاته

الى بيته وعلى هذا النمط لتوزع الاحرف كلها الى مخازنها الخصوصية
ولبت اتفحص هذه الالة زماناً طويلاً فوجدتها الة متقنة جميلة المنظر
نظيفة لا يلوث الانسان يديه في صف الاحرف بها او توزيعها عليها
لانه لا يلمسها بيده بتةً وثن الالة ستة الاف فرك ويتبع الالة في
هذا الثمن مئة كيلو من الاحرف والالة الاخرى هي اصغر حجماً من
الاولى وارخص ثمناً منها ثم شاهدت الة لاسحضار النور الكهربائي
مخترعة من رجل اميريكي وقد اعنى مخترعها اعناءً شديداً ليشمكن من
ا-سحضار النور الكهربائي بواسطتها ثمن بخس يكاد يوازي ثمن مصباح
من مصابيح الزيت ثم رأيت الة بخارية لضغط الهواء واستخدامه
بمنزلة البخار لتحريك الالات ورفع الاثقال ثم شاهدت امتحان الات
التلينون والميكروفون والفوتوغراف ثم رأيت الة لتلغراف تنقل رسم خط
الانسان وامضائه من بلد الى بلد واذا رسم الانسان بها صورته
بيده في بلدة ارتسمت من تلقاء ذاتها في بلدة اخرى وكانت سيدة
يقال لها «شلي» رسمت صورة ابيها بهذه الالة في مدينة ليون فارتسمت
في الوقت نفسه بباريس من تلقاء ذاتها وقد اخترع هذه الالة رجل
يقال له المعلم «آلكورت» . ثم رأيت باباً وخزانة تفتحان بواسطة الة
كهربائية . وذلك اذا كبس الانسان كبساً خفيفاً على كرة من مطاط
فارغة القلب معلقة في طرف خيط بجانب الباب انفتح الباب حالاً
بسرعة البرق فتحاً كاملاً . ثم رأيت اجراساً معلقة على جدران غرفة
ومطاط بها سلك كهربائي فاذا نفخ الانسان بفيه على طرف السلك

نفخاً خفيفاً صوت تلك الاجراس كلها في وقت واحد وان كانت على مسافة اميال من النافخ . ثم رأيت آلات تحركها قوة كهربائية وهي تفصل من الجلود احذيةً وتخيطنها ثم تسمرها . وآلة اخرى تصنع احذية من الخشب يلبسها صيادو الاسماك وقايةً من الرطوبة . ثم شاهدت آلةً اخرى عجيبة لصنع الكراسي والموائد من الخشب . قيل انها تصنع عشرة كراسي في خمس دقائق . ثم رأيت سريراً مطلياً بالذهب وعليه فراش من الخمل الثمين وكان عليه رقعة مكتوب فيها ما ترجمته :

« ثمن هذا السرير ستة الاف ليرة » . ثم رأيت آلةً تنطق بجميع لغات العالم وتلفظ حتى الحروف الحنجرية لفظاً صريحاً فنقدت صاحب الآلة فرنكاً من نقود الفرنسيين واستنطقها اشعاراً . ثم انشدت شعراً بالعربي والفرنسي والايتالي والانكليزي والتركي فاعادتها الآلة بفصاحة عجيبة . وقام رجل من اهل اسبانيا وانشد شعراً بلغته فاعادته الآلة بكمال الاثقان . وهذه الآلة ليست بالة الفونوغراف او الغرافوفون بل هي آلة صغيرة طولها نحو شبر وعرضها نصف شبر لها فم مثل فم الانسان مصنوع من الصمغ المطاط (لاستيك) وفيه لسان اسود واسنان وله حنجرة تنتهي الى منفاخ صغير . وعلى جانب الفم خمسة قضبان من المعدن طولها نحو شبرين مركبة على صف متحاذاً تُحرك ارتفاعاً وانخفاضاً . فاذا نطق الانسان كلاماً على اي بعد كان حرك صاحبها تلك القضبان الواحد بعد الاخر فخرج الكلام نفسه من فم الآلة كأنه خارج من فم الانسان عينه . فلبثت اعالج تلك الآلة مدةً واستنطقها

ما شئت . ثم برحتها وانا متعجب من ذكاء مخترعها . ثم رأيت قلماً كهربائياً يكتب بلا مداد وبلا ماء . فاذا كتب الانسان به على قرطاس ايض لم ير فيه اثرًا للكتابة من خلال القرطاس . واذا وضع الانسان قرطاساً ايض تحت ذلك القرطاس المكتوب بالكهربائية ومرّ عليه بمحبرة صغيرة شبيهة بمحبرة المطابع ظهرت الكتابة على القرطاس الايض التحتي . واذا رسم الانسان بذلك القلم صورة او رسماً تيسر له ان ينقل بالطريقة المذكورة الوفاً من النسخ . ثم رأيت آلة لاطفاء الحريق في المنازل من احسن الآلات واكثرها ائقافاً . وكانت من اختراع رجل امريكي . ثم شاهدت الات غريبة عجيبة اخترعها الايتاليون لصيد الاسماك والاسفنج والمرجان والحيوانات الصدفية والمفصلية التي تلتصق بالصخور في قعر البحار . فتفوص الآلة من تلقاء نفسها الى قرار اللجة على عمق نحو اربعين ذراعاً ونيقاً وتصطاد كلما تصادفه من الحيتان ونفتلح كلما تعثر عليه لاصقاً بالصخور . ثم رأيت نموذج مدفع مصنوع في «تورينو» ثقل رصاصته مئة وعشرون طناً وله قوة نقذف رصاصته الى مسافة خمسين مليون «تار» و«التار» مقياس ايتالي وكان وصف المدفع محفوراً بالقلم الايتالي في ظهر المدفع نفسه

ثم رأيت ثلث نسخ من القرآن الكريم على قطع كبير يزيد عن الذراع طوله وكانت النسخ مكتوبة بالقلم العربي الجميل على رق الغزال ومنقوشة بنقوش ذهبية بديعة الرسوم فالنسخة الاولى قد كان امر بنسخها السلطان شعبان بين سنة ٧٦٤ وبين سنة ٧٨٧ للهجرة ثم وقفها

ابن اخيه علي مدرسة درب التبتة في ١٥ شعبان سنة ٨٧٠ للهجرة .
والنسخة الثانية امر بكتابتها السلطان «خدا برکت» ابن اخي السلطان
شعبان المشار اليه اعلاه وذلك بين سنة ٧٦٤ وبين سنة ٧٧٨ للهجرة
ثم وهبها الى مدرسة درب التبتة وكان قد امر ببناء هذه المدرسة السلطان
شعبان المشار اليه وحضرة والدته لثلاث خلون من ذي القعدة لسنة ٧٦٩
من الهجرة والنسخة مكتوبة بالقلم الكوفي الجميل وفي خلال سطورها
نقوش جميلة بما الذهب

ثم كنت قرأت في بعض الكتب ان ابا علي محمد بن علي بن
الحسين بن مقلة الكاتب المشهور قد كتب تلك المصاحف العربية بخط
يده . وهذا سهو لان ابن مقلة توفي يوم الاحد لعشر خلون من
شوال سنة ٣٢٨ للهجرة ونسخت تلك المصاحف بعد وفاته باربعمئة
وست وثلاثين سنة ثم رأيت الى جانب تلك المصاحف كتباً عديدة
بمخط فارسي وعربي مذهب وكان مكتوباً على صدر احدها ما يأتي -
قال النبي صلوات الله عليه وسلامه : ثلاثة لا تجاوز صلاتهم اذانهم العبد
الآبق حتى يرجع والمرأة باتت وزوجها عليها ساخط وامام قوم وهم
له كارهون

خلاصة الكلام هذا ما تمكنت من مشاهدته في معرض باريس
واقرباني طفته نحو خمسة اشهر وما قدرت ان اشاهد الا شيئاً قليلاً
منه وكيف يقدر الانسان ان يحوط علماً بعالم صغير قد ركب علي
حواليب البخار وتحرك بهزات الكهرباء واستنار بوميض البرق؟ لعمرى

لم يبقَ شيءٌ في هذه الكرة الارضية من عظام الامور لم تعالجه قوة
الجحار وتلاعب به ايدي الكهربائية
ولما كلُّ بصري من النظر ومل عقلي من كثرة الفكر رأيت
ان انظم بعض ابيات اذكر فيها جانباً مما رأيت في هذا المعرض الغريب
العجيب تفكته لكل فاضل اديب فقلت اذ ذاك في باريس في اليوم
العاشر من اب لعام ١٨٨٩

﴿ النظم ﴾

اقصُّ عليكم فاسمعوا بعض قصتي
رأيت عروس الكون باريس قد زهت
أنتها من الاقطار اجمل تحفة
ومعرضها الباهي تزين سوقه
وحجت اليه الناس من كل بقعة
اتاه من الامصار الف مصانع
فكم افرغت فيه العقول اجتهادها
فسوق عكاظ قل اذا رمت وصفه
به « ايفيل » المشهور قام بصرحه
معادن ارض من حديد وعسجد
وفيه قناطير من المسجد الذي
وصياغ هذا العصر صاغوا بقدره
واتلو باشعارٍ تفاصيل رحلتي
بكل صنوف من نفيس وزينة
فاضحت جناحاً بالمحاسن حفت
بانواع ديباج توشى بصنعة
فبعض لاتجارٍ وبعض لحرفة
يباهي بايجاد الفنون الحديثة
واشخذ اهل العلم من نصل فكرة
لدى العرب يكفي عن اقامة حجة
على شاهق الاقواس في خير بقعة
وصفرٍ وقصديرٍ وناصرٍ فضة
تولد في احشاء ارض عميقة
بناءً حكي مخروط اهرام جيزة

ودرُّ يتيمٌ حجهُ حجمِ جوزةٍ
 وفصٌّ من الماسِ (١) النقي مشعشعٌ
 واصحاب فنٍ قدَّروهُ بقيمةٍ
 وفيه «التليفون» الذي عمَّ نفعهُ
 وقد قام «ايديسون» يعلن قائلاً
 حفرت مقالي في شموعٍ دقيقةٍ
 وفيه من الآلات انفع سلعةٍ
 وآلاتُ قرطاسٍ وطبعٍ واحرفٍ
 ودوايبُ ندفِ العهن والقطن جملةٌ
 وانشأ قومٌ من دمقسٍ سفينةً
 ولون زجاج كالعقيت رأيتُه
 اذا مسَّ منها واحدٌ ثغرَ ظبيةٍ
 والآتُ عزفٍ يطرب السمع ضربها
 وقد مثاوا فيه بكل مهارةٍ
 واعجب من هذا طيور شهدتها
 فيا معرضاً عني اذا جثت معرضاً
 اتيتُ اليه استمد افادةً
 فاني قسُّ ان اردتُ فصاحةً
 سابقى له في الشرق ذكراً معطراً

واحجار ماسٍ احكموها بصنعةٍ
 يدور كنجم فوق نقطة قطبةٍ
 تزيد عن الكرات من الف بدرةٍ
 وفيه «الغرافوفون» اغربُ بدعةٍ
 قسمتُ ضياء الكهرباء بفطنتي
 فردتُ صدى نظمي وصوتي ونعمتي
 لزرعٍ ودرسٍ من شعير وحنطةٍ
 ونشرٍ تصاويرٍ والف صحيفةٍ
 وانوال نسجٍ بالبخار ترقى
 عن الريح تجري دون قاعٍ ودفةٍ
 لقد صاغ منه الفن اكواب خمرةٍ
 تلبس باللونين حكم القضيةِ
 كهودٍ ومزمارٍ وقاوت قينتهِ
 حضارة اجدادٍ ومبداء صنعةٍ
 تغني بلا روحٍ على غصن دوحهٍ
 بباريس سل عني وعن قدر شهرتي
 واتلو عليه سورةً من قصيدي
 خبيرٌ بوصفِ الشيء من غير كلفةٍ
 ترددهُ الاجيال في كل ندوةٍ

(١) تاريخ هذا الحجر العجيب المذكور في خاتمة القصيدة

﴿ تاريخ حجر الماس المذكور في القصيدة ﴾

لهذا الحجر الكريم قصة غريبة . قيل : اول من وجده كان عبداً من الزنوج يقال له « جمشوند » . هذا بينما كان يحفر في معدن سيده بالبرازيل وجد الحجر فاستعظمه وطمع في اقتنائه وعقد النية على سرقة ولكن احثار في امر سرقة لان الفعلة لدى خروجهم من المعدن كانت الحراس تتفقد ملابسهم فاحثال العبد حيلة خدع بها الحراس وذلك انه شق عضل ساقه واخفى ذلك الحجر في طي الجرح . ثم ربط ساقه وتمارض وادعى ان صغراً سقط عليه وجرحه . وبهذه الحيلة خرج من المعدن . ثم فر هارباً الى الهند ودخل مدينة « مدراس » وصادف فيها رجلاً انكليزياً يقال له « بيت » . وكان هذا الرجل رئيس سفينة شراعية تساوم مع الزنجي على مشتري الحجر بالف ليرة . وكان ذلك سنة ١٧٠١ لليلاد . ولما اراد الزنجي استمضاء حقه من الانكليزي بطش الانكليزي به وقتله وسلب الحجر منه . ثم عكف على شرب المسكرات حتى اختل عقله واتحمر . وكان « بيت » المذكور قد حفظ الحجر عنده ستة عشر عاماً . وعاش كل تلك المدة في خوفٍ عظيمٍ من جراء قتله الزنجي . وقد اشتد عليه الخوف حتى انه ما كان يستطيع ان ينام ليلتين في بيت واحد . وكان يغير اسمه كل يوم عندما ينزل الى المدينة وكان اذا رأى احداً يطيل النظر اليه ارتعش واضطرب اضطراباً شديداً

من خوفه . ثم وقع الحجر في يد ورثة « بيت » فباعوه واشتراه دوق دورليان بمائة وخمسة وثلاثين الف ليرة وذلك سنة ١٧١٧ وكان الدوق وقتئذٍ نائباً عن الملك لويس الخامس عشر بلقب (*Regent*) « رجان فسمي الحجر بهذا الاسم وعرف به الى الان . ولم انتقل الملك الى لويس السادس عشر وحاز هذا الحجر وضعه في تاج الملك وتزين به .

ولما قامت رجال الثورة عليه قطعوا رأسه ونزعوا تلك الجوهرة الكريمة من تاجه وجعلوها من مال الامة . وصار لكل من رجال الامة ان يستعيرها ويتزين بها نحو ثمانية ايام ثم يعيدها الى بيت المال ودام الحال على هذا المنوال الى سنة ١٧٩٢ حيث قرّر قرار الهيئة الحاكمة على حفظ هذه الجوهرة في خزينة الدولة (*Gardemeuble*) وما لبثت الجوهرة هناك مدة حتى سُرقَت . فهاج الشعب من جراء ذلك . فقام مسيو « رولند » [*Roland*] الذي كان وقتئذٍ وزير الداخلية وخطب في الشعب واتهم الشرفاء من احزاب البوربون بسرقة الجوهرة ثم قام غيره من الشعب وقال ان سارق الجوهرة هو « رولند » نفسه خائن الوطن فطلى كل حال بقي امر سرقة الجوهرة سراً مكنوناً . اما الذي سرق الجوهرة فوجدتها نعمة يعسر هضمها . ولذلك اخفاها في مكان حقير الى جوار « شنزليزه » (*Champs Elysées*) ثم اشعر رجال الحكم سرا برسالة بان الجوهرة مخفية في المكان الفلاني . فارسل رجال الحكم اناساً ينتقبون في المكان المذكور ولدى الحفر وجدوها مع اناء كان قد سرق ايضاً مع الجوهرة المذكورة

وكان الاثاء من حجر الجزع [Onyx] من الانية المشهورة باسم كاس القس
سيجر « (Le calice de l'Abbé Sciger)

ولما قام نابوليون الى محاربة اوستريا احتاج الى دراهم فزهن هذه
الجوهرة عند صراف الماني بيرلين واستقرض منه النقود اللازمة وحارب
اوستريا وانتصر في وقعة « مارنغو » (Marengo) وحدا به هذا الانتصار
العظيم الشأن الى تخت الامبراطورية . ثم مضى على ذلك مدة من
الزمان واسم سارق تلك الجوهرة مجهول عند الناس . ولما كانت سنة
١٨٠٥ قبضت رجال الحكم على رجل بدعوى انه مزور . ولدى التحقيق
اقر بانهُ هو الرجل الذي كان قد اخبر حاكم باريس بالمكان الذي كانت
الجوهرة المسروقة مدفونة فيه . ثم احنج بقوله : لولا هذه الجوهرة لما
استطاع نابوليون استقراض دراهم لمحاربة اوستريا ولما سنحت له
الفرصة بنيل الانتصار في « مارنغو » ولما تيسر له الجلوس على تخت امبراطورية
فرنسا . ولذلك طلب من نابوليون ان يعفو عن جريرته مكافأةً لذلك .
فعفى نابوليون عنه . وصار الرجل يلقب من ذلك اليوم « بسارق الجوهرة »
ثم اعطى نابوليون الصراف الالماني ثلاثة ملايين ليرة وفك رهن الحجر .
ثم رصع به قبضة سيفه وبقي فيها الى حين زواجه « بماري لويزا » .
وحينئذ رفع نابوليون ذلك الحجر من قبضة سيفه ووضع في قبع مصنوع
من الخمل وحوله ثمانية صفوف من حجارة الماس
فلما دارت الدوائر على نابوليون ورجع بعسكره مخذولاً من « سواسون »
(Soisson) وفرت الامبراطورة « ماري لويزا » هاربةً من باريس اخذت

معها كل جواهر المملكة وفي جملتها هذه الماسة الكريمة . وعندما وصلت الى « اورليان » قام الاسقف « دودون » (Mons. Dudon) بالنيابة عن الملك لويس الثامن عشر وقبض على الامبراطورة واجبرها على تسليمه تلك الجواهر مع قلادة من اللؤلؤ الثمين كان نابوليون اعطاها اياها يوم ولدت ابنها البكر . وكانت الامبراطورة وقتئذٍ لابسة تلك القلادة فانقادت الى امر الاسقف وسلته بطيبة خاطر كل ما طلبه منها . وكان مع الامبراطورة وقتئذٍ امرأة من شريفات فرنسا . وهذه لما رأت شدة الجفاء الذي وقع من الاسقف المشار اليه في حق الامبراطورة اغناظت منه غيظًا شديدًا . ثم قيدت هذه القصة بقلها واودعتها التاريخ

ولما جلس لويس الثامن عشر على تخت الملك وضع تلك الماسة الثمينة في قبع من الخمل الازرق كان يلبسه في ايام المواسم . واقتدا به شارلس العاشر بهذا الاسم . ولما فر هذا الملك من باريس فعل ما فعل سلفاؤه وحاول اخلاس تلك الجوهرة في جملة جواهر الدولة : ولكن عند وصوله الى مدينة « رامبويل » (Rambouillet) ادركته رسل الملك لويس فيليب وطلبوا منه تلك الجواهر فابي تسليمها . ولما بلغ ذلك الملك لويس اغناظ وارسل في اثره ستة الاف جندي فخاربوه وكسروه واخذوا منه الجواهر كلها . ومن غرائب هذه الجوهرة العجيبة انها منذ خروجها من معدنها ودخولها في فخذ الزنبي « جمشوند » سارقتها الاول وثقابها مع صروف الزمان وقيام وسقوط ملوك فرنسا الى الآن ما صارت زينة لامرأة

اصلاً . بل اقتصر على تزوين الملوك ورجال الفرنسية فقط . وما زالت
الى الان محفوظةً في خزينة الامة

﴿ الطوفان ﴾

القصة - رقى ذات يوم من الهواء نسيه وطاب من الزهر شميمة
فتسلقت سنام المضاب وافترشت التراب في ظل الاشجار والقلب
صافٍ من الاكدار وصنوبر « خريستو » المعطر كعطر الورد المقطر
قد عبق شذاهُ بالهواء وانتشر عييره المشهور في الارحاء وملاً جزيرة
الامراء فلما اخذت الافكار تنازعني والهواجس تراحمني صرت
افحص الارض بعضا وابعث ما فيها من الحصى فتلاً لي اذذاك
بينها ضرب من الاصداغ الوانها اصناف في اصناف فأخذت من
جانبي العجب والاندهال وقلت لنفسى من باب السوءال : كيف تسنى
لهذه الاصداغ الانتقال من قعر اليم الى رؤوس التلال ؟
وبينا انا انقلب على بساط الحيرة واقدح زناد فكر في الحيرة اذا
فكر الطوفان العام الذي احدث في الارض انقلاب النظام جال في

خاطري على ارتجال فزعمت اني ادركت المآل وقلت : قد كان هذا المكان على ما بيان قبل الطوفان بجرّاً من الاجبار او قفراً من الاقفار جرفت اليه مياه الطوفان الغدّار ما كان في قعر الاجمر والانهار من الاصداف والمحار : ثم نبتت على ريمها هذه الاشجار ولكن ريثما تنسلت من هذه المشاكل تعرقلت بغيرها من المعائل وقلت : الطوفان ؟ ما هذا الطوفان المهلك للحيوان والانسان والقالب نظام الكيان ؟ وفي اي زمن من الازمان حصل هذا الطوفان ؟ وفي اي دور من الادوار وفي اي عصر من الاعصار نابت الكرة الارضية هذه المصائب وعمت الدنيا هذه النوايب ؟ هل كان ذلك بعد خلفة الانسان ام قبلها يخلق في الكيان ؟ فان كان ذلك قد وقع بعد خلفة الانسان لماذا لم يقيد احدهم تاريخ وقوعه بصحة واثقان ؟ وان افترضنا حدوثه قبل ايجاد الكتابة والتاريخ والاشتغال بالنقل والتنسيخ قلنا : كيف استطاع الناقلون وتهافت من بعدهم المؤرخون او غيرهم من الرجال ان يقيدوه بتدقيق بعد عدة اجيال ؟ ففي الحقيقة التي لا يعترها ريب دقيقة ان اختلاف اقاويلهم وما اتوا به من التباين في تواريخهم دليل قاطع على عجزهم في هذا الباب وابتعادهم عن محجة الصواب

فقد قيدت التوراة العبرانية وقوع هذه المجازاة الربانية بعد خلفة آدم عليه السلام بنحو ٢٢٨٨ عاماً بالتمام وأرخت التوراة الانكليزية وقوع هذه الرزية بعد خلفة آدم

وحواء بنحو ٢٣٤٨ سنة بلا اغواء
وروت التوراة السامرية حدوث هذه النازلة الذعرية بعد دخول
ادم الجنان بنحو ٢٩٩٨ سنة باثقان
وجعلت التوراة السبعينية وقوع هذه البلية بعد خلقه الحيوان
والانسان بنحو ٣٢٤٦ عاماً بلا زيادة ولا نقصان
وقال المعلم « بلايفير » والمؤرخ الانكليزي الشهير كان حدوث
الطوفان العام بعد خلقه ادم ابي الانام بنحو ٢٣٥٢ عاماً بالتمام
وذهب المعلم الانكليزي « كليتون » [Clinton] المشهور بتاريخ
والفنون ان طامة الطوفان حدثت بعد دخول ادم الجنان بنحو
٢٤٨٢ سنة بلا زيادة ولا نقصان
وقال يوسيفوس اليهودي الواصف سفينة نوح على جبل الجودي
ان الطوفان العام حدث بعد خلقه ادم عليه السلام بنحو ٣١٤٦
سنة بحساب تام
وروى الدكتور الانكليزي « هالس » (Hales) الممارس للتاريخ
وفيه هاجس ان سيل العرم ولا جرم حدث بعد خلقه البشر بنحو
٣١٥٥ سنة بصحة الخبر
وجاء في تواريخ الصين ما يبعد عن اليقين انه حدث طوفان
في تلك الاقطار من شدة نزول الامطار وهيجان البحار وفيض
الانهار على عهد الامبراطور « يا - او » صاحب البلاد بنحو ٢٢٩٣
سنة قبل الميلاد

وذكرت تواريخ اليونان حدوث طوفان على عهد « كريسوثروس »
(Xisuthrus) المذكور في اشعار اوفيدوس اللاتيني المشهور وانه
عمر البلاد بنحو ٢٢٩٧ قبل تاريخ الميلاد.

فاذا افترضنا حدوث هذه الرزية كما قيده التوراة الانكليزية
وجدنا بين تاريخ الطوفان المقيد في توراة البروتستان وبين الطوفان
المقيد في تواريخ الصينيين فرقاً من السنين بنحو ٥٥ سنةً بالتخمين .
ووجدنا فرقاً بين تاريخ الطوفان المذكور في تواريخ الصينيين وبين
تاريخ الطوفان المذكور في اساطير اليونانيين فرقاً بنحو اربع سنين .

وقد وجد المنقبون في اطلال نينوى من الاثار ما يستحق الاعتبار
فقد عثروا على نوع من الخبز المشوي بالنار وعليه قصة الطوفان
باختصار ووجد ايضاً مستر هرمس رسام المبعوث من مديري دار
التحف البريطانية الى نينوى قبل الان ببضعة اعوام اسطوانة من الطين
المشوي بالنار يبلغ ارتفاعها نحو قدمين او اقل من ذلك المقدار وعليها
قصة الطوفان بلا زيادة او نقصان . وقد شاهدت بلندرة هذه الاسطوانة

الخزفية محفوظة في دار التحف البريطانية [British museum]

فلما امعت النظر ودقت البصر في هذا الاختلاف المبين
وتضارب اراء المؤرخين افانين في افانين ازداد في عقلي الوسواس
ولبثت اضرب اخماساً لاسداس حتى تخطرت اقوال العلماء المدققين

واراء كبار الطبيعيين ولا سيما تعليل المعلم « لاهون » (Le Hon)
الفرنسي واره في نظامنا الشمسي فظننتني قد ادركت المرام من

الباعث على حدوث الطوفان العام فقد ذهب هذا العلامة المفضل وقارب الصواب في ما افترض وقال : ان حصول الطوفان في جميع الاكوان حادث من حوادث الزمان يتأتى عن توالي الحرارة والبرودة في قطبي الارض وهذا من الحقيقة وليس من باب الفرض ويتكرر حدوث الطوفان كل عشرة آلاف سنة مرة ويخرب سطح الكرة وكان طوفان نوح عليه السلام الطوفان العاشر العام . وهذا الطوفان الذي يحدث على الارض يقع ايضاً في اكثر الكواكب بالتدقيق لا بالفرض فقد ثبت بالرصد والالزام والحكم والابرار حدوثه في كوكب المريخ وغيره من الاجرام

اما الباعث على حدوث الطوفان فامران طبيعيان مستندان الى قاعدة «الاستقبالين» في الاعتدالين اي اعتدال الربيع ذي الزهر البديع واعتدال الخريف ذي الهواء اللطيف . وذلك ان الحرارة تكتنز في احد القطبين ثمانية ايام كل سنة في احد الاعتدالين وتكتنز البرودة بالتقابل ثمانية ايام كل سنة في القطب المقابل وذلك بمجرد قاعدة «الاستقبال» [Precession] في فصل الاعتدال (وتعرف «بمركبة رجعة المدارين») في كل من الاعتدالين فالقطب الذي تكتنز فيه البرودة مدة عشرة آلاف عام يكثر فيه تجمد المياه ويزداد به ثقلاً على الدوام والقطب الذي تكتنز فيه حرارة الشمس عشرة الاف سنة يذوب ما عليه من الجليد فيزداد خفة ولما كانت الكرة الارضية ساجدة في مادة اثيرية بمجور مائل بلا حائل على زاوية حادة درجتها ٢٣°

و٢٨ دقيقة كان احد قطبيها مرتفعاً نحو الشمس والقطب الاخر منخفضاً الى اسفل انخفاض النكس فكانت الحرارة قبل الطوفان الاخير تُجمع في القطب الشمالي بلا تأخير نحو عشرة آلاف عام وتذوب ما كان عليه من الجليد رويداً على الدوام وكانت البرودة تُجمع في القطب الجنوبي على التوالي وتزيد تجميد المياه بلا تواني . فلما اشتد ثقل قطب الجنوب بما تكاثف عليه من الجليد المصحوب وخفَّ قطب الشمال عندما اخذ الجليد في الانحلال ارتفع لِحفته القطب الشمالي نحو الشمس وانخفض لثقله القطب الجنوبي بالنكس وحصل في محور الارض ميلان واخذت المياه في سيلان وانصبت من القطب الشمالي على سطح الارض بالتوالي

وقد اثبت هذه الفريضة او بالتالي هذه الحقيقة الصخور الكبيرة والحجارة الجسيمة التي جرفها تيار ماء الطوفان من اماكنها الاصلية الى اقطار البلدان . فقد وجد العلماء المدققون والاساتذة المحققون ان هذه الحجارة العظيمة والصخور الجسيمة الملقاة على اراضٍ غريبة لما قذفتها قوة التيار ووصلت الى تلك الديار وقفت في اذيال الجبال من جهة الشمال لحيلولة رؤوس الجبال بينها وبين العبور فاندفنت في تلك القبور فاستدلوا من احوال هذه المحضور على ان الماء قد انصب من جهة قطب الشمال على وجه الارض وغيرها في الحال .

وعلى هذا المنوال يقول المعلم لاهون المشار اليه : سوف يحدث بعد مرور نحو من ستة الاف عام طوفان اخر عام بواسطة ارتفاع القطب

الجنوبي نحو الشمس وانخفاض القطب الشمالي بالنكس . وسوف يحدث كل عشرة الاف سنة طوفان لهذا مماثل بانصباب المياه من احد القطبين بالتبادل .

فاذا كان المعلم « لاهون » المشار اليه قد اتصل في عصرنا هذا بحساب رياضي دقيق الى معرفة اسباب الطوفان واوقات حدوثه المعينة كما يعرف اليوم علماء الهيئة اوقات كسوف الشمس وخسوف القمر وظهور النجوم ذوات الاذنان قبل حدوثها بزمان أما يسوغ لنا ان نفترض ان نوحاً عليه السلام (حتى اذا انكر الدهريون نعمة الوحي عليه) كان يستطيع ان يعرف بحساب رياضي وقت حدوث الطوفان وبينى الفلك ويساعد للنجاة به مع آله وانعامه وحطامه ؟ من يستطيع ان ينكر هذا علينا ؟ ومن هو الذي لديه ادلة قاطعة وحجج دامغة تبطل افتراضنا ؟ من يعلم ماذا كانت عليه احوال البشر في ذلك العصر ؟ من ادرك حق الادراك درجة معارفهم ومدنيتهم وحضارتهم ؟ فاذا سلمنا بحدوث الطوفان في العهد الذي ذكره المؤرخون فيكون قد مرَّ على حدوثه نحو ٤٢٠٠ سنة . والحال ان الاثار التي استخرجها الحفاريون من طبقات الارض قد دلت على ما كان عند البشر قبل الطوفان الاخير بألاف من السنين من المدنية والحضارة والعلوم العالية .

ومن جملة هذه الاثار ما وجده الحفاريون في الكهف المسمى باسم « كنتس هول » الواقع على بعد ميل من مدينة « طوركي » بناحية ديفونشر

من جزيرة انكلترا) من عظام البشر والاسلحة المصنوعة من حجارة الصوان التي دلت على ان عهدا يتجاوز سبعة آلاف سنة . وكذلك الاثار القديمة التي استخرجها الحفارون من اطلال « كرنك » بمصر قد دلت على كون عهدا يتجاوز العشرة الاف سنة .

ومثل ذلك قد وجد الحفارون اخيراً منذ بضعة اشهر في اطلال نينوى تحت اطلال معابد الاثوريين القديمة بآلاف اذرع اطلال معبد على طرز بناء معابد المصريين القديمة الموجودة اطلالها الان في « كرنك » و « لقصور » و « ادفو » وغيرها من معابد المصريين القديمة . فاذا كان عهد اثار الاثوريين واطلال معابدهم يتجاوز عشرة الاف سنة اقتضى ان يكون المصريون قبل ذلك بالاف من السنين قد ارتقوا الى درجة التمدن العالي حتى تمكنوا من حشد الجنود والزحف بها من ارضهم الى ارض الاثوريين قبل ظهور الاثوريين انفسهم في الدنيا وتشيد معابد بديعة البناء فيها

فهذا دليل جلي على فرضية انقاء البشر الى درجة عالية من العلوم والفنون والرياضيات والهندسة وتعبئة الجيش قبل الطوفان الاخير بالاف من السنين . فكما اباد الطوفان الاخير تلك المعارف وطمر اثارها في اعماق طبقات الارض هكذا الطوفان المقبل بعد نحو ٦٠٠٠ سنة سوف يبني جانباً من البشر مع مدينتهم وحضارتهم ومعارفهم وصنائعهم ومطابيحهم وكتبهم وتلغرافهم وفونوغرافهم وتلفونهم وهيليوغرافهم وفوطغرافهم واشعة زكيتهن ومنظادهم وسكك حديدهم وسفن بخارهم وكهر بائيتهم وغيرها

من علومهم . ولكن اذا اتقن البشر في خلال هذه البرهة من الزمن حركة سير المنطاد في الهواء والسفن الكهربائية في البحار امكنهم حفظ شيء من مدنيّتهم ومعارفهم الى بعد الطوفان . فالطوفان الاخير غير رسم الارض وسطح الكرة وفتح مضيق جبل طارق . وساق المياه التي كانت تشغل صحراء افريقيا الى قاع الاراضي المطمئنة بين اسيا الصغرى واوروبا وشكل منها البحر المتوسط . وفتح مضيقي الدردنيل والبوسفور . وشكل البحر الاسود . وفصل جزيرة انكلترا من قارة اوروبا بخليج « المانش » وفصل جزيرة ايرلندة من انكلترا بخليج « سان جورج » . وغرق جزيرة « اطلانتا » العظيمة في بحر الاطلانتيك . وفصل قارة امريكا الشمالية من اسيا بخليج « بيرين » . وجعل تغييراً في قطبي الارض . وحدث فيها تغييرات اخرى عظيمة . وربما اغرق مدناً عظيمة مع ما حوته من المعارف والاثار وغطاها ببحار عظيمة . هذا ما نعرفه من اعمال الطوفان الاخير . والباقي في علم الله تعالى خالق الانسان ومدبر بحكمته الازلية جميع الاكوان ثم فليعلم الفارى، اللبيب ان التفاصيل الفنية التي بسطناها في هذه المقالة اتباعاً لاصول العلوم في هذا العصر لاتناقض نصوص الكتب المقدسة في قضية الطوفان العام . فان الله جلّ جلاله متى اراد معاقبة الاشرار من خلائقه سخر دائماً عناصر الطبيعة للاقتصاص ممن يخالف نوايس الطبيعة . فحدوث الطوفان على وجه الكرة الارضية كل عشرة الاف سنة اتباعاً لنوايس الطبيعة لا ينفي قول الكتب المقدسة التي هللتنا ان الله سبحانه وتعالى ارسل الطوفان ليقتصّ من البشر عن

طغيانهم . فما من عاقل ينكر ان الله عزَّ اسمه صبورٌ وطويل البال على عباده . فصبر عليهم حتى حان الوقت الذي كان قد عينه بمحكته الازلية لاحداث التغييرات على وجه الكرة الارضية واغنم الفرصة من ذلك واقتصَّ من اراد قصاصهم . وهذا لا ريب من جملة خصائص الحكمة والتدبير الالهي

فلما انبسطت بازاء عيني هذه الحقائق التي رزئت بها الخلائق اثال القريض على القريحة فانشدت هذه القصيدة وضمنتها ما وعاه عقلي من الافكار والآراء . وانا على جبل « كريستو » بجزيرة الامراء . وذلك في ١٠ اذار لعام ١٩٠١ للميلاد

السؤال

أصوت خريبر الماء اسمعُ عن بعدِ	أم الجعرجه الارض قد عمَّ بالمدِّ؟
لماذا تعدى البحر امر مليكهِ	وجازَ بعصيانِ تخوماً قفا الحدِّ؟
لماذا اعندى اليمُّ العرمم فجمأة	واردم عدواناً حصوناً بلا عدِّ؟
لماذا اعلى فوقَ الجبال بموجهِ	وخربَ جدراناً وبعثرَ من سدِّ؟

الجواب

عناصر هذا الكون طرّاً تحالفت بامرٍ من الخلاق عدلاً بلا حقدٍ

يريد هلاك الكافرين على عمد
 جبلاً واجساماً من الانس والقرد
 وصوتٌ تُجيج الماءَ يسمعُ عن بعدِ
 تُجوجُ مياهٍ في ارتفاعٍ وفي مدّ
 شعاراً كثيفاً من حدادٍ بلا قصدِ
 من المسحِ في كبد السماء بلا وعدِ
 وزختُ سيولاً من حشاهُ ومن كبدِ
 وصارت سهام البرق تنفضُ من رعدِ
 وزادَ سيولاً قد تعالت على الجردِ
 ويجري من الاماق دمعاً على الحدِ
 ويعلو جبلاً ثم ينحطُّ عن نجدِ
 ويبلغ احياءً ولم يعفُ عن فردِ
 ويفني اميراً قد تعزّزَ بالجندِ
 ويمحرفُ عباداً بعنفٍ الى اللحدِ
 ولم يعفُ عن طفلٍ نطمط في المهدِ
 وسيلُ دموعٍ زاد سيلاً بلا حدِ
 فلا الام تدريه ولا العقل يستهدي
 ويتلفُ ما كانا عليه من السعدِ
 وصوت سيولٍ غالب صوت مستجدِ
 خفاها خسيسٌ في الخزائن بالكدرِ

لجَهزَ ماءَ البحر جيشاً عمرماً
 وقلبَ موجُ السيلِ في طي غيظه
 فقامَ عويلٌ مستديمٌ ضجيجه
 ونوحٌ يرى من ثقبِ فلكِ وكوةِ
 يرى الشمس في كبد السماء توشحت
 يرى البدر فوراً قد تردى شعائراً
 يرى الغيم ايضاً قد تلبد عنه
 يرى الريح ثارت واستثارت عواصفاً
 يرى الماءَ يجري من عيونٍ نفجرت
 يرى الموج في الاجار يلطم وجهه
 يرى الماءَ تُجاجاً يفور تفجراً
 ويكسر ابواب المنازل عنوةً
 ينازل قوماً في حصونٍ منيعةً
 ويقعمُ ابوابَ المعابد موجهُ
 يهاجم كهلاً ثم شيخاً وصبيةً
 ويخطفُ من احضان امٍ طفيلها
 وكم من صبيٍ يستفيثُ بامه
 يباغتُ في الحدر العروس وعرسها
 وكم من عروسٍ تستجير بعرسها
 تبعثرُ امواج البحار جواهرًا

وكم من بنخيلٍ قابضٍ باناملٍ
 يعومُ بها والموجُ يخطفُ كئزه
 صبايا غوانٍ كنَّ زينةَ محفلٍ
 عذارى خدورٍ مثل وردٍ وزنبقٍ
 تنادي فتاةُ الحميِّ خلاً وخلةً
 فاينَ حبيبُ اِينِ خُلِّ وصاحبُ
 واينَ الظبيِ اِينِ المهىِ وعيونها
 واينَ طيورُ الجوّ اِينِ بلابلُ
 واينَ زهورُ في الحقولِ وزنبقُ
 واينَ اسودُ الغابِ اِينِ نموره
 تماحتُ وراحتُ واستباحتُ هلاكها
 ولم يبقَ غيرَ الفلكِ والحوتِ ساجماً
 كنوزاً حواها من لآلٍ ومن نقدٍ
 ويهلكُ ارواحاً تقيبُ عن الرشدِ
 يمسُنَ باثوابِ اتنهنَّ من هندٍ
 فضحنَ على وجهِ المياهِ بلا قصدِ
 وتطلبُ عوناً من موالٍ ومن عبدٍ
 واينَ صديقُ اِينِ من كان ذا ودٍ؟
 واينَ غزالُ كان يرنولذي وجدٍ؟
 غدت تسحرُ الالبابِ في اعذبِ القدرِ؟
 واينَ الخزامى اِينِ عرفُ من الوردِ؟
 واينَ جياذُ الخيلِ في الحربِ والطرِدِ
 عناصرُ هذا الكونِ عن امرِ ذي المجدِ
 وروحُ اِلهِ الكونِ سارٍ على المدِّ

❖ الوطن القديم ❖

وقلتُ اصفُ مسقطُ رأسي بجزيرةِ المشاقِ بين الدجلةِ والفراتِ
 وذلك في ١٧ تشرين الاول لعام ١٨٦٤

القصة - توصف هذه الاراضي «بجزيرة العشاق» لوقوعها بين نهري الدجلة والفرات اللذين يتعانقان تماثق العشاق باقترانها عند بلدة «القرنة» بين البصرة وسوق الشيوخ . ولا جرم انها ارض مباركة . قيل : ان الله سبحانه وتعالى غرس في ارض هذه الجزيرة جنان عدن واسكن فيها ابونا آدم وحواء . وفيها خرج نوح من الفلك لما استقرت على جبل «اراراط» او جبل «الجودي» . وفيها كان مسقط رأس ابراهيم الخليل . وفيها ازهرت طائفة كبيرة من اهل العلم والشهرة . منهم بنو الاثير وهم المبارك صاحب «كتاب جامع الاصول في احاديث الرسول» . ونضر الله صاحب «كتاب الانشاء والبلاغة» . وعلي صاحب التاريخ . وصفي الدين الحلبي الشاعر المجيد . وحاتم طي بن عبدالله الطائي الحجة الدامغة في اللغة العربية والمشهور بالشعر والكرم . والامام البيضاوي صاحب «تفسير القرآن» . واوس بن حبيب المعروف بابي تمام الطائي الشاعر الحنذيذ . وابن سلامة المارديني النحوي . ومالك بن طوق وكان من قواد الرشيد العباسي . وابو نواس الشاعر المشهور . وهند بنت الربان المشهورة «بالزباء» التي اختلفت علي قتل جذيمة الابرش بثار ايها . والاسقف يعقوب النصيبي علامة العصر الرابع للميلاد والعلامة صفي الله افرام السرياني ابوملة السريان صاحب النشائد الدينية وواضع تفاسير الكتب المقدسة وغيرها من التصانيف الكثيرة . والاسقف يعقوب المشهور «بالبردعاني» الذي ابدع الطائفة اليعقوبية في الملة السريانية . والبطريك غريغوريوس المشهور «بابن العبري» . والبطريك انطون السمحيري

الموصلي الذي كان من كبار المصلحين . وهو اول من احب الطائفة
 السريانية الكاثوليكية بماردين وديار بكر وانشأ المعابد والمدارس وتطوَّف
 في اوروبا وجمع نقوداً وافرة لاصلاح شئون الطائفة فاساء التصرف
 بها المسرفون من بعده . ثم الحبر النبيل كوكب الشرق المنير يوسف
 داود رئيس اساقفة السريان بدمشق صاحب التصانيف الكثيرة المفيدة
 في ابوابها . وغير هؤلاء الجهابذة كثيرون ضربنا صفحاً عن ذكرهم
 لضيق المجال . فارض جزيرة العشاق ارض الاولياء والعلماء والمفسرين
 والمؤرخين والمؤلفين والطوافين والشعراء والنحاة وقواد الجيوش والحلفاء
 العباسيين وروءساء الاديان والمصلحين اصلح الله شأنها الى يوم الدين

﴿ النظم ﴾

خُلقتُ بارضِ ذاتِ مجدٍ وبهجةِ
 سقاها الهى من فراتٍ ودجلةِ
 رياضُ بمسكِ قد تضحَّ نربها
 بها انشأَ الرحمانُ فردوسَ جنةِ
 رياضُ كستها بالزهورِ طبيعةِ
 وعقد فيها التمرُ في كل غوطةِ
 بلادُ ثواها ادمُ بعد جنةِ
 اليها انتهى الابطالُ في كل حقبةِ

❖ وطن اجدادي ❖

قلت هذه القصيدة واصفاً مدينة «أرفا» بجزيرة العشاق يوم
دخلتها بعد رجوعي من رومة وذلك سنة ١٨٦٤ للميلاد

«أرفا» بشعري وصفها لا يحصرُ
ازهارها وثمارها بصنوفها
رمانها يشفي العليلَ عصيره
ذراقها يحكي العذار خميله
اللوز والجوز الكبير وبندقُ
بلسانها يحكي الثلوج بياضه
قد فاحَ في الارحاء عطر خزامها
وزراق ياقوت البنفسج مهدهُ
وشقائق النعمان خدُ مايجدهُ
والجلنار على الفصون مهفهفُ
عنايبها يحكي انامل كاعبِ
فسرينها غرُ تروق لناظرِ
طاب النسيم بارضها ورياضها
هي جنةُ فيها البلابل في الضحى
وكذاك في النثر المسجع يقصرُ
والماء فيها والحدائق تكثرُ
والحبُّ كالياقوت لوناً احمرُ
والتين كالشهد المقطر اصفرُ
والخوخ ينمو في الفصون ويشمرُ
والورد كالخد المليح منورُ
وعبيرُ سنبلها الملوح يُنشرُ
مرجُ انيقُ كالزمرد اخضرُ
وبياض زنبقها المفتح احورُ
وتواجه مثل النهود مدورُ
مخضوبة منها الندى يعطرُ
والفلُّ راحَ الجوُّ منه يعطرُ
وبساط ارض بالاقاحي يسترُ
فضل الاله على الخلائق تشكرُ

وطن الخليل المصطفى ومقامه في حوضه سمكٌ كبيرٌ يكثرُ
 سمك البحيرة للخليل مقدسٌ وبائها الصيد المحرمُ يجبرُ
 وصحائف التاريخ ثبتُ قدمها ومليكا في عهد عيسى ابجرُ



﴿ الوداع ﴾

سُمتُ الإقامة بلندرة الغبراء ونقتُ الى مرأى باريس الغراء
 فشفَّ لاجبابي عزمي على الرحيل فتشبثوا باذيالي في نجيب وعويل
 وكان ركوب القطار واختيار سفن البخار والسير في الجار قد اخذت
 باعشار لبي وقست عن استماع تعلهم قلبي ففارقتهم بلا انيس واخترت
 ركوب التيار بلا جليس . وبيننا انا سائر بارض الفرنسيس بين ثغر
 « دياب » و « باريس » اثقال القريض على البال فقلت الايات
 الاتية في ارتجال وذلك في ٥ اذار لعام ١٨٨٦

هجرتُ ديار الانكليز تصرُّماً وكنت مقيماً في حاماها مكرِّماً
 اقامت بها شطراً من العمر ناعماً ونلت نصيباً في ثراها معظماً
 رحمت وقد كان ارتحالي عن رضى اريد ديار اللهو كي اتنعماً
 فلما رأت عزمي الاكيد حبيبتني ولات فراق والوصال تصرُّماً

اسالت دموعاً من جفونٍ قريجةٍ
 وقالت : اذا كان الفراق مقدراً
 صرمت حبال الوصل دون جنايةٍ
 اذا غبت عني ذاب قلبي تحسراً
 سددتُ سماعي عن شهيقي بكائها
 خرجت الي باريس دار مسرةٍ
 وارض فرنسا قد تردت بيرةٍ
 وزهر الخزامى قد تفتق ضاحكاً
 حططت ركابي في الديارِ عشيةً
 حلتُ بدارِ طاب عيشي باهلها
 اقمْتُ بباريس الزهية فترةً
 بها الشمس تبدو في الصباح منيرةً
 غروسٌ نراها في السماء تبرجت
 وليس لعمرى ذكر شمسٍ ونورها
 فمن عاش في ارضٍ كثيف ضبابها
 فلا ريب دار الانكليز شهيرةٌ
 فعندي شمسٌ بعدَ ذاك نفيسةٌ
 فصارت على الخدين بجرّاً عمرهما
 اموت وان كان المات محرماً
 وفوقت في قلبي المتيم اسهما
 وصار على دار الحياة مسلماً
 واغمضت جفني ان اراها فافها
 وطيري رفيقي في القفيص مرغماً
 من الورد في بدء الربيع مقدماً
 واضحى كعقدٍ من جمانٍ تنظماً
 وبدر الدجى كالشمس يسطع في السما
 وبات فوءادي بالملاحمة مغرماً
 اجرّ ذبول السعدِ فيها منما
 وما احسن الشمس الزهية في الحمى
 نهاراً وفي ليلٍ تنور انجما
 بشعر بني الاعراب امرأ مذمماً
 اقرّ بان الشمس خيرٌ وسلماً
 بقبج دخانٍ قد تلبد في السما
 متى اشرفت فوقتي وليمي تهزماً



* المرفع *

القصة : لمجتُ مذوعيتُ من الاخبار المنقولة عن اهل الاسفار بان لمعشر الافرنج عادة كانت في الجاهلية ضرباً من العبادة اخذتها الايتليان في صدر النصرانية وجعلتها موسماً من المواسم المدنية ووصفتها « بالكرنيفال » « *Carne Vale* » ومعناه في لغة الاعجم « اذهب بالحلم » بسلام . فان النصرارى من الافرنج تستبجح الخلاعة والاكثر من شرب المدام قبل دخول صوم الاربعين بيضعة ايام كأن ذلك عندهم ضربٌ من السعور ترتفع بعده الملاهي ومراسح السرور وينقطع البعض منهم عن اكل لحمان الضان والطيور الى عيد الفصح او الفطور وقد فسدت فيهم هذه العادة حتى افضت بجانبٍ منهم الى الخلاعة والدعارة وانفق يوم دخولي عاصمة الفرنسيس قيام ذلك الموسم النيفيس ورأيت في ذلك اليوم من جملة غرائب القوم ثلاثة ثيران كبقر يوسف عليه السلام سمان يطوف بها طائفة من اصحاب المساخر في الشوارع والاسواق بالتفاخر وتبدو عليهم من فنون الخلاعة مناظر وكان اسم « نورمان » مكتوباً في لوحٍ على ظهر احد الثيران وثقله الف ومائة كيلو غرام وثمنه الف وستائة وخمسة وعشرين فرنكاً بالتمام . وكان اسم « ليموزين » مكتوباً في لوحٍ على ظهر ثاني الثورين

وثقله الف ومائة واربعين كيلو غراماً وثمته الف وسبعمائة وخمسة وعشرين فرنكاً . وكان اسم « نيفريس » منقوشاً في لوح غني ظهر ثالث ثور الفرنسي وثقله الف ومائة وستين كيلو غراماً وثمته الف وثمانئة وخمسة وعشرين فرنكاً تماماً . ونشرت ثاني يوم المرفع جريدة « سوار » الفرنسية في هذا الباب خبراً موجباً للعجاب وذلك ان صبيين وجدا في خزانة والدهما رزمتين من قراطيس بنك الدولة مقدارها عشرون الف فرنك فقصاها بالة كانت لديها ثمانية الاف قطعة في شكل فلوس صغيرة وثارها ذلك اليوم على اصحاب المساخر . فجاء ثمن كل قطعة منها بقيمة فرنكين ونصف فرنك . وفي اليوم التالي عينت بلدية باريس ٤٣٣٤ رجلاً لتنظيف الشوارع من قطع الورق التي نثرها المتفرجون على المساخر . وهذه نهاية الجنون . ولذلك نظمت القصيدة الآتية سنة ١٨٨٦ ميلادية .

* النظم *

باريس ماذا الازدحام بضجة هل يوم عيد ام - جلبت بزفة
مالي ارى علم الخلاعة خافقاً فوق المنازل والملا في بهجة
قالت انا عرسٌ وعرسٌ « مرفعٌ » رفعت به حجب الحيا والحشمة
جلبت من الافراح طبعاً طينتي وخلاعة الاخلاق كانت خلتي
هذا نهارٌ حل كل محرمٍ فيه وحلت للانام جريرتي

فيه الذكور تأثت وتختت
لبس الرجال ثياب اقبج نسوة
لبست نساء الحى ثوب خلاعة
يقصدن دار الرقص دون تحجب
والفيل يرقص في الشوارع كالظبي
لبس السكرى جلد فيل اعرج
والقرد يقفز في خلاعة فاجر
وتذكرت اثى تطوف ببلدة
ونسوا وقاراً كان احسن كسوة
وخلعن ديباج الحياء بنكرة
بترائب مكشوفة لفضيحة
والدب في زي النساء بجلة
وتراقصوا مرحاً تراقص قرده
والناس تضحك من تلاعب دبة



﴿ جبل النار او فيسوف الغدار ﴾

فيسوف . فيسوف . وما ادراك ما هو فيسوف . هو قبر بلينيوس
الفيلسوف . وقبر كثيرين من اصحاب التجسس والكشوف . وكاد يكون
قبري المكشوف . يوم صعدت اليه بقلب ملهوف . لانتقى في غواض
مكنوناته تحت هواطل الخنوف . وقصة هذا الجبل الغدار القاذف كتل
الكبريت والحجارة والنار لمن اغرب غرائب الادهار . فاصغ ايها
القارىء الحكيم . والحلل الحميم الى ما اقصه عليك . واقبه اليك :

القصة - انفجر هذا البركان . واندلعت من قلبه النيران وارتفع منها الى السماء اللسان حتى ذعر من قربهِ الفرقدان . ثم قذف من احشائه قذائف نار وحجارة ورماد . سنة اثنتين وسبعين للميلاد . ايام كان الفيلسوف بلينيوس الاصغر . اخو بلينيوس الاكبر . في مدينة «بومباي» القديمة ذات الاطلال الشهيرة العظيمة . حيث ذهب فيها شهيد العلم والاخبار اذ رام البقاء فيها اكتشافاً لاسباب ذلك الجبل الغدّار . القاذف من اعماق لهيبه جهنم النار . فهذا البركان . هو الثاني من براكين الايتليان . تارة يندلع منه اللهب شبه اللسان . وطوراً يتغذف من قلبه بدل اللهب عثير ودخان . وقد تطاير من الفوهة الضخمة . حجارة من نوع حجارة «الشفة» . وتسيل على جوانب الجبل معادن ذائبة كالانهار وتنصب الى البحار وتظهر في جنح الدجى للنظار كأنها انهار من نار واذا مرّت بمكان جرفت القرى واحرقت البلدان واذا انحصرت مدة من الزمان احدثت زلازل هائلة واهلكت السكان فطمعت ذات يوم في تقليد كبار الرجال وعزمت على تجشم اصعب الاعمال وقات لنفسها علامة لا تفعلين فعل الرجل الحكيم وتصعدين ذروة هذا الجبل العظيم وثقتدين بالفيلسوف بلينيوس الحكيم المتبصر شهيد العلم المتبحر قلت هذا وانا استفخر ولم افكر بان البعاث لا يستنسر فتلقت ذات يوم ذروة الجبل العالية واخذت اطوف حول فوهته الهائلة وانا اقفز من صخر حار الى كتلة من كبريت ونار حتى احترقت في رجليّ النعال وضايقت ابخرة الكبريت الكثيفة صدري بالسعال والحجارة

المنقذة في الهواء تهددني بالحنف والوبال وانا لا ابالي بتلك الحال
ودليلي ورأيي يحذرنني من الاخطار وانا متعنت لا اكثر بذلك
الانذار . فلما قطعت نحواً من خمسمائة خطوة من محيط الفوهة وصرت
منها الى الجهة القبليه هبت ريح شمالية وسافت الي من كثيف
ذخان الزفت والكبريت ما اعنى مني البصيرة والبصائر وادمى العيون
وملاً الحناجر فغبت لساعتي عن الحواس . وفقدت بالكايه الاحساس .
وسقطت على الارض لا اعني ولسان حالي يندب خيبة الاستقراء
والسعي واوشكت ان اهوي في ذلك الفم المغفور وكدت اكون
طعام ذلك اللهب المسعور فانتشاني دليلي في الحال وهوول بي في
استعجال الى حجره في تلك الجوار منقذاً اياي من انياب غول النار
ولولاه لجاورت بلينيوس الفيلسوف في قعر جبل فيسوف . فلبثت في
ذلك المكان مدة من الزمان وصور ذلك القبر وما أعد لي من
العذاب في احشائه وهياً لي ذائب الكبريت في ارجائه وانحائه ترقص
نصب عيني رقص الافعوان . فترتعد مني الفرائص وتتشعر الابدان .
وكنت اثناء ذلك اوقن بانني لا شك هالك واردد بصوت خافض
ونبض بالكاد نابض آه من الكبريت والنار نصيب المشركين والاكفار
ولما هدأ روعي وزال خوفي فكرت بان النار هي علة الدمار كانت
ايضاً معبود الاختيار والاشرار . فقد عبد الناس النار في القصور والاوچار
وعبد النار الكهنة والاحبار وشادوا لها المعابد في الشهول والجبال
وعنوا في ايقادها في النهار والليل . نعم لقد عبد الفينيقيون الشمس

والنار وسجدوا لهما في الليل والنهار كما قال فيلسوفهم سنقونيات .
 في كتاب الفلاسفيات وذلك لكون النار والشمس سيين في عنصري
 الحرارة والنور في الاكوان . وان الحرارة والنور علتنا النبات والحيوان .
 عبد المصريون النار في مدينة طيبة ووقدوها في عليقة وسجدوا لها
 فناء الليل واطراف النهار على انها عنصر الحرارة والانوار وعله الخصب
 والبذار واساس الحياة في الابدان ومصدر الخير والشر في الاكوان .
 عبدت الروم النار وانشأ لها «نوما» الملك والحبر في سائر الاقطار
 المعابد والاديار واقام لخدمتها عذارى «الفتال» «*Vestales*» يسهرن
 على ايقادها طول النهار والليال وعبد زردشت الزندي النار ونشر
 عقائدها بين المجوس في الامصار وعلمها من تاخم الفرس وكان في
 ذلك الجوار وامر بقتل الكاهن الذي بغفلته تنطفئ النار عبد النار
 كل من استعان بها على قضاء الحاجات والاطوار عبد النار سكان
 الشمس ونجوم والاقمار عبد النار حتى النبات والاشجار ولولا الحرارة
 لما فتحت الازهار ولا عقدت في الغصون الاثمار ففي الدنيا والاخرة
 سلطان النار مهيب عظيم الاقتدار ولولا التقى وخشية النار لقلت
 بانها هي الاله القهار لانها به تحمي وتميت وبامرہ النبات والحيوان
 تنمي وتقيت . فلما انبسطت امام بصيرتي هذه الحقائق والبيئات اردت
 تنظيمها في ابيات ابيات . فسفرت لي عروس الشعر عن وجهها الجميل
 وقد استرسلت على الكتفين غداثر فرعها الطويل الاثيل . وقالت لي
 اكتب ما املي عليك . واوحيه اليك . فانشدت في الحال . وانا ما

بين تلك التلال والجبال وذلك في ١٩ من شهر تموز لعام ١٨٢٩

﴿ النظم ﴾

انا النار سلطان البرية قاهرُ
 انا النار احبي الكون ثم اميته
 انا كنت منذُ البدء في كنه ذرة
 خلقت حياة للبرايا باسرها
 يراعي حياتي كل حي ونابت
 بنوري استنارت في السماء كواكبُ
 خدمت الملاعبداً رقيقاً وان سطا
 اذا اشتدَّ بردُ حف بي اهل منزل
 ادفيء طفلاً ثم شيخاً وخارفاً
 اجهز للخلق الطعام تفنناً
 ولولاي ما عاف الكرى عبد حاتم
 بنوري اهتدى اهل السرى في غياهب
 اعينُ بارضِ اهل خيرِ ورحمة
 انا انار ما بين الاثاني مكاتي
 طعاني سواد الفهم والريح نسمتي
 فلا تحمروا اصلي وفصلي ومنبتي
 وجندي لواء النصر في الكون ناشرُ
 وعني ضياء الشمس والبدر صادرُ
 وخالق هذا الكون نوري فاطرُ
 وكلُّ ديبِ اُحرمَ الحرَّ غابرُ
 وان مت مات الخلق والكل خاسرُ
 وان غبتُ جسماً بالحرارة حاضرُ
 لهيبي على الاجسام اني لقاهرُ
 كما حفت الاقمار ليلاً دوائرُ
 اذا البرد عض الارض والثلج نائرُ
 وينحو مقامي في الليالي المسافرُ
 واعنق مذقرا القرى وهو ساهرُ
 وكل لفضلي اخر الليل شاكرُ
 وفي سقرِ ابليس غيظي ساعرُ
 وفرشي رماديه والسرير الجامرُ
 ومسقط رأسي غابة لا اكابرُ
 فمن بصل زهر الزنابق زاهرُ

أنا كنت معبود للجوس وربهم
 وشاد مجوس الفرس لي الف معبد
 اذا جاش غيظي والرياح خوافق
 اذك من البنيان ارفع منزل
 اذيب حديدا ثم اصهر عسجدا
 جنود النجاشي لا تقاوم كرتي
 تدور رحي الحرب العوان بجمرتي
 وسوق المنايا في رواج متاعها
 سنان لمبيبي في اللهام يزجها
 واحصد هام الجند حصد مناجل
 اللد عدوي الماء والردم جملة
 مقامي حشا طود «وفيسوف» بابه
 كأني على كل البرية قادر
 ودارت بعطر الند حولي المباخر
 فكم لميبي مستبد وجائر
 وحيث مقامي لا تقوم المناير
 وفي كور غيظي تضسحل العناصر
 وبطشي لا تقوى عليه القياصر
 اذا اصطدم الجيشان والموت حاضر
 اذا قام دلال الحمام يجاهر
 ملاك منون في العجاجة ظافر
 وجم الضحايا في القفار يادر
 وغيرها في الكون لست احاذر
 ليحذر بأسني واقتداري زائر



❖ عصر الفساد ❖

القصة - عزمت على الانطلاق من الشرق على الاطلاق وعقدت
 حبك النطاق ونهضت من ارضي في رهط من الرفاق وانا صبي

امرد ارقل في حل الشباب اغيد فطفت البلاد وعاشت العباد
وانتقيت الاخيار ونبتت عني الاشرار واغنيت عن الناس بما
انتخبتم لنفسي من حميد المناقب واستهجنتم ما لديهم من النقائص
والمعائب وتمنيت لي ولقومي ما لديهم من الفضل وتقدير اقدار العلماء
وما من الله عليهم به من مواهب العلم وسوانح الآلاء فقلت اللهم
امن علي وعلى بني جنسي بمثل هذه الخصال وارفعنا من دركات
الجهل والضلالة الى درجات المعرفة والكمال وجعلنا باجمل الاخلاق
واحسن الخلال وزين نحور نساءنا وبناتنا كنسائهم وبناتهم بقلائد
الاداب واخلع على اولادنا كأولادهم حلل الشهامة وعلو الجنب فلما
بلغني ذات يوم من زعيم من زعماء القوم ان الافاضل من الاجانب
 واصحاب المسالك والمذاهب قد فتحوا في الشرق ابواب المدارس وعقدوا
لصناعة الادب المحافل والمجالس واناروا بلادنا بنبراس المعارف الصحيحة
وبثوا فيها روح المبادي القومية فاوثقوا صلات العائلات بروابط الحب
والتحالف ورفعوا من بين الافراد اسباب التنافر والتخالف وهدوا اهل
الشرق صراط الفضائل ونزهوم عن الدنايا والردائل فهزبي سرور
يجل عن التعريف والوصف وحبذت نفسي على نجاح بني جلدتي القاء
في الف لكن عندما رجعت من غربتي الى منبت شعبي وتدبرت
احوال الاوطان وقست ما صرنا اليه من النمدن على ما كان وملت
الى دراسة اخلاق النساء والبنات وتعرفت باحوالهن في الشوارع
وتقهوات ساءني مما رأيت في البلاد من الرذائل والفساد واسفت

على حال العباد فقلت والحشرات ملء الفؤاد ما القومي قد ابوا تقليد
 اولئك الافاضل فيما هو مشتهر عنهم من عمل الخير وورود موارد الفضائل
 ولماذا لم نتخلق فتاة الشرق باخلاق الاميرة «بياتريز» ابنة فيكتوريا
 الانكليز ولماذا قلدها في لبس الدياتاج وتدثر المخمل وانفت عن
 قلبها بمعرفة تدير المنزل ولم مشت خطوها في قاعات المراقص
 وندوات التمثيل ولم تتبع اثر اقدامها في عمل المعروف وفعل الجميل .
 لماذا استنكفت بانفسها عن تقليدها في اصلاح المنازل ودخول
 المطابخ فان هذه الاميرة الطاهرة الشهيرة قد جعلت في حي «سوث
 كوتونكتن» على اجد طريقة واحسن منوال مدرسة لتعليم الجنس
 اللطيف علم الطبخ على سائر الانواع والاشكال وهي على علو مكاتبها
 تدخل مطابخ ذلك المتدى العامر لاقاء فصول ذلك العلم وابوابه على
 بنات الامراء والاكابر فلم فتاة بني العرب تأتي اتباع اميرات الغرب
 في حميد الخصال ونبيل الفعال

وقد رأيت باسفٍ عظيم وفؤادٍ كريم حتى بنات احقر الطاهيات
 اللواتي باطمار الجهل والفقير متدثرات يأنفن من صناعة الطبخ ودخول
 المطابخ باداء باطل وانف شامخ وهن بلا ريب لا يفرقن بين
 الفضل والعييب بل صدق بهن قول المثل السائر «انف في السماء
 وكعب في الماء» . فيا للعار والفضيحة ويا لها من عادة ذميمة قبيحة .
 ثم رأيت الصبي الامرد والشاب الاغيد والخريفة الهيفاء والمرأة
 الحسناء والرجل العاقل والكهل الكامل قد ابتلوا على السوى بالمسكرات

والتبغ والهوى يعربدون في غرور ويتباهون بالنجور والاناث مع
الذكور يتسابقون في الغواية والشور وتكر عليهم الايام والشهور والجمال
مكنون في الصدور والعار في العواتق والنحور وكلهم سكارى
بالخمور لا يصحون من سكرة الشرور حتى يدرجوا بالاكفان في قعر
القبور يا ويلهم يوم النشور لذلك شملي حزنٌ وانذهال وانشدت
واقعة الحال . وذلك بالاستانة العلية سنة ١٨٩٠ ميلادية

﴿ النظم ﴾

ساد الفجورُ على المدائن والقرى
كانت بلاد الشرق مهدَ فضيلةٍ
لما اتى اهل الفساد بلادنا
شقوا نقاب الآنساتِ ومزقوا
وأتوا كناس الطهر حيث غدا بهِ
فسدوا وعمَّ الخلق شرُّ فسادمِ
زرعوا قبيح عوائدِ في مشرقِ
وتفاخروا بمحضرةٍ مزعومة
كانت نساء الشرق قبل قدومهم
واليوم تقليداً لاهل خلاعةٍ
قد كنَّ يلبسن الثيابَ قصيرةً

وفشى الفسادُ بدائه بين الأورى
والعلم فيها كان روضاً مزهرا
اغروا جهولاً خاض فيه الاجرا
ستر الحياءِ بمجنحةٍ لن تغفرا
أسدُ العفافِ على الحضيض مغفرا
والشرقُ بعد الانس اضحى مقفرا
فما بهِ البزر الخبيث واثرها
بئس الحضارة بالدعارة تشتري
بلباس بزِّ حسنه لن يحصرا
يلبسن ديباجَ الدمقس منحصرا
واليوم يجررن الذبول تحظرا

(١) ودا أوت عند (سما) دايه
أخذ الفناء وإليانو لبثت
ذات من كائن حسب (سما)
فداها تشد كل شئ منظر
* ١٥٥ *

كانت فتاة الشرق تحجب وجهها
كانت لهد مدارس قد احدثت
والان نقضي في الشوارع وقتها
كانت قديماً تكتفي بتعلم آلة
ولدى التفقه بالمعارف اصبحت
زهة الرجال بغادة من مثلها
يسعى ابوها في احتشاد دراهم
والام حارت في امور بناتها
تبكي وتندب في الليالي بنتها
لم انف عن هيفاء كسب معارف
وكانت الاثني تدبر منزلاً

واليوم ترغب صدرها ان يظهرها
تاوى الخدور تعففاً وتسترا
بتبرج وتفتج بين الوري
طريز والتدبير في امر القرى
تهوى الخلاعة ثم تنظم اجرا
ومن الذي يبغي فتاة جعفر (١)
كي يهر البنت التي لن تشتري
ومن الذي في الكون لن يتحيرا
وفوءاها المحزون ذاب تحسرا
لو كان ساعدها لطبخ شمرا
وتهذب الاطفال يا سعد الوري

* النوء *

القصة - جلست ذات يوم على شاطئ البحر واقعدت من صفوره
الشاحنة ارفع صخر في موضع من احياء رأس بيروت حيث يملك
السكون والسكوت واخذت اقاب الطرف والرأي في سكون حركة

(١) «الجعفر» حية ملساء

الامواج وعهدي بالجر وهو عجاج وبيننا انا اتعجب مما حواه ذلك اليم
الوسيع من الدر والجوهر البديع اذا بنوء سريع وانقلاب مربع
حدثا في البحر فثار وزمجر واكفهر له وجه السماء وتغير فهرولت
الى الدار مخافة الاخطار وانشدت هذه الاشعار وذلك سنة ١٨٦٩

﴿ النظم ﴾

ويوم قرير جوؤه بات اغبرا
وهمت دموع القيم ان تنقطرا
تصفق فيه الساريات اكفها
وتلطم خديها البحار تحيرا
جلست على صخر السواحل فاكرا
وخدي على كفي اراقب اجرا
وبينا عيوني ترصد الفلك قالما
رأيت كثيف النوء فورا تفجرا
وارخي سحب الجو اسود مرطه
وغطى من الافاق وجها ومنظرا
وسارت بذاك الفلك ارياح ززع
وشقت جيوب القلع اربا واشطرا
ولم يك الا لمحة بين لمحة
تطن اعماق البحار وغورا

وسلت بين الرعد سيف صواعق
 شراراتها كادت تذوب انجرا
 فقتم اريد الدار خوف ملة
 تلم ونور البرق عيناى ابهرا

﴿ العاصفة القاصفة ﴾

القصة - قصفت العواصف وثار الرياح النواصف يوم السبت
 الواقع في ٢٨ كانون الاول لسنة ١٨٧٩ ميلادية . ثم هطلت الامطار
 وجرت السواقي كالانهار وتبطح السيل في البطحاء وقامت قيامة
 الانواء وتوالى وميض البرق ودوى صوت الرعد في جهة الشرق
 وارهفت نصال الصواعق كالسيوف البوارق ورجفت من هولها ارجاء
 تلك الاصقاع وحشرجت الانفس في الصدور وضمت من هزيم اصواتها
 للاسماع فهرعت الى الدار انقاء نزول الاخطار ولزمت الحجره بي
 فزع ورعدة اترقب بها اما قيام الساعة او النهاية على اسلم غاية وقام
 في اثناء هذه الداهية السماء والطامة الطماء قطر من قطار السكة
 الحديدية من مدينة «ايدنبرو» قاعدة البلاد الاسكوسية في الساعة

الرابعة بعد الظهر قاصداً مدينة « دندي » المحمية . ولما مر القطار بالجسر الحديدي المنسوب على نهر « التاي » نحو الساعة السابعة وخمس عشرة دقيقة بعد الظهر خسف الجسر العظيم بالقطار كله وهبط به وبمن كان فيه من المسافرين فسقطوا جميعاً في طرفة عين من علو تسعين قدماً الى قرار النهر الغدار ولم ينجُ منهم احد . حكي من رأى حلول هذه النازلة المدهشة

قال : وصل القطار الى مدخل الجسر واراد سائقه ان يمر بالجسر فرأى الرياح القاصفة في اشتداد عظيم فتردد حارس الجسر برهة واراد صد القطار عن المرور بالجسر في وقت قد اضطربت فيه عناصر الطبيعة اضطراباً شديداً . وكان الى جانب الجسر رجل آخر رأى ما رآه حارس الجسر . اما سائق القطار فزعم ان المرور بالجسر في تلك الساعة لا خطر فيه . ولذلك ضاعف قوة البخار وسار بالقطار على الجسر بسرعة ثلاثة اميال في الساعة . فلما وصل القطار الى منتصف الجسر في نقطة اشتد لعب الارياح فيها خسفت به القنطرة الوسطى وخرَّ القطار بتمامه الى قرار النهر في لحظة بصر . وكان فيه نحو ثمانين نفساً . ففرقوا جميعاً ولم يقف الغواصون لهم على اثر . وكان من جملة من غرق شاب وصبية كانا على اهبه عقد الزواج فقرن بينهما الحمام في قرار اللجة اقتارناً لا انفكك له . وكان رجل آخر قد عقد النية على الذهاب بذلك القطار الى مدينة « دندي » فحاولت امرأته ان تصده عن الذهاب اثناء تلك العاصفة وهو يصير على الذهاب . وما زال في جدال حتى تخلص منها وهرع الى المحطة .

فلما وصل اليها كان القطار قد سبق وقام . ففضب غضباً شديداً على زوجته ودأم ليلته ساخطاً عليها . فلما باغته في الغد ما حل بالقطار شكر الله على سلامته وصالح زوجته

هذا ما كان من القطار والذين غرقوا معه . اما ما كان من امر هذا الجسر الحديدي فنقول ان قصته من اغرب القصص وطوله اعظم من كل الجسور ومصائبه اكثر من ان تحصى . فتولى باديء بدء امر بنائه المهندس « بوش » سنة ١٨٧١ للميلاد . واكل بناءه في اول شهر حزيران سنة ١٨٧٨ - وعرض النهر عند بدء الجسر نحو ميلين وعمق مائه نحو ٤٥ قدماً . وسرعة جريانه تعادل خمسة اميال في الساعة . والجسر قائم على ٨٥ قنطرة . منها ١١ قنطرة هي اكبر القناطر وعرض كل قنطرة منها ٢٢٧ قدماً . وعرض كل من بقية القناطر ٦٧ قدماً . وعلو الجسر عن سطح الماء نحو ٨٨ قدماً . والقناطر مصنوعة من حديد مطروق ومصكوك في شكل شبكة . واكثر الدعائم المسنودة اليها القناطر مشيدة بالقرميد وبعضها اعمدة من الحديد مجوفة ومحشوة بالرمال ويبلغ ثقل الواحد منها مائة وعشرين طناً . وقد غرس البناون اطرافها السفلى في قرار النهر على عمق ١٥ قدماً في قلب الصخر . وبعد هذا الاحياط كله لما فرغ البناون من وضع الاساس وبنوا فوقه خـفت الارض به وجرف النهر ما بنوا . فحاول المهندسون ايجاد طريقة تمكنهم من النجاح . ففتق لهم عقلم ان يسندوا دعامة كل قنطرة الى اسطوانة من حديد يضيئة الشكل طولها ٢٣ قدماً و٦ عقد وعرضها ١٣ قدماً و٦ عقد .

وركزوها بواسطة آلات بخارية في قرار النهر على عمق ١٨ قدماً تحت
الخصي . واسندوا دعائم القناطر الوسطى الى اسطوانات من حديد في
شكل عمودي مستدير يبلغ قطر كل منها ١٣ قدماً . وبنوا عليها
دعائم من الاجر المشوي بالنار في شكل سدس الزوايا على ارتفاع ٢٧
قدماً وعرض ١٦ قدماً . فجاء بناء الجسر بناءً محكمًا متينًا . وضرب
المهندسون معدل منائته فوجدوا ان كل عقدة مربعة من بنائه تقدر ان
تحمل ٢١ طنًا . والحالة هذه اذا امتدّ قطار من السكة الحديدية من
اول الجسر الى اخره على مسافة ميلين فلا يقع على كل عقدة مربعة سوى
ثقل ٤ طنات فقط . ومع هذه المتانة كلها لم يثبت الجسر على زخم
الريج القاصفة . وقد تفرد هذا الجسر بالنكبات والمصابب منذ وضع
اساسه الى الان . فاول اسطوانة ركزها المهندسون في اساسه انفلقت
شطرين وقتلت ستة رجال من العملة . ثم عصفت ريج قاصفة سنة ١٨٧٧
وذهبت بنطاق الجسر وكان من الحديد المطروق المتين . ثم اشتدت
الارياح الزعازع سنة ١٨٧٦ وجرفت اكبر قناطره ورمت بقطار السكة
الحديدية الى قعر النهار وهلك كل من كان فيه

اما طول الجسر من اوله الى اخره فهو ثلاثة آلاف واربعمائة
وخمسون يرداً (ذراع انكليزي طوله ثلث اقدام) . والمواد التي قام
بناؤه منها كانت ثلاثة الاف وسبعمائة طن من الحديد المسبوك وثلاثة
الاف وخمسمائة طن من الحديد المطروق المصكوك . وسبعة وثمانين الف
قدم مربعة من الخشب وخمسة عشر الف زنبيل من الطين وعشرة ملايين

قطعة من الاجر المشوي بالنار . وبلغت نفقته نحو ثلاثمائة وخمسين الف
ليرة انكليزية

وفي هدنة تلك الحال اردت اشغال البال بما أروح به القلب
من اللبال . فلذت بعروس الشعر المجيدة وانشدت بعد الجهد هذه
القصيدة . وذلك باندرة سنة ١٨٨٧ ميلادية

﴿ النظم ﴾

وليل يشقُّ البرق جيب قمامه
وتدوي رعود الافق والارض ترجفُ
وتبكي عيون الغيم والسيل دمعها
ويجري السواقي السيلُ والريح نقصفُ
وتنقضُّ من كبد الغمامِ صواعقُ
تدكُّ الجبال الراسيات وتنسفُ
وتلطم امواجُ البحور خدودها
وتنعى هلاك الناس والحوتُ موجفُ
وتخرج من اوكارها الطيرُ رعبهً
وافراخها في العش بالجوع تئلفُ
تضجُّ من الخوف الخلائق بي الحمى
ويجفل في الغاب البهيمُ المققفُ

تلاطمت الارباح كفاً ومعضماً
وهزّت عمادَ الجسر والجسر يرجفُ
على الجسر قامت من رباحِ قيامهُ
وسيف ملاك الموتِ في الريح يرهفُ
فيا ويل من سارَ القطارُ باهلهُ
على جسر « ناي » والرياح تعنفُ
تدهورَ في انهر القطار بن بهِ
فيا ويلهم من ذا يعينُ ويسعفُ
تنوح على الاطفال امٌ ووالدُ
فيجري على الخدينِ دمعٌ مكفكفُ
تسوقُ مياه النهر حتى عظامهم
الى قعر بجرٍ عمقه ليس يعرفُ
فيا اسفي اين العروس وعرسها
فقد تمّ في اليم الزفاف المكافُ
ويا ويح عرسِ طبله الرعدُ في السما
ومزمارهُ بوق القيامة يعزفُ
واسماك يمّ اهل عرسِ وزفه
وتنين ابجارِ يصلي ويزفُ

المحوان

معلم الانسان

خاق الله تعالى مطلق الحيوان . لمنفعة الانسان . وقيده في خدمته منذ خلقته . فلا عارَ على الانسان اذا استخدم الحيوان لقضاء حاجاته . فقد سبق الى ذلك ابونا نوح عليه السلام واستخدم الغراب اولاً ابتغاء الاكتشاف لانخفاض مياه الطوفان ثم استخدم الحمامة ثانياً للوقوف على جفاف الارض (تكوين ص ٧ عدد ٦ الى ١٢)

واستخدم طوبيا البار الكلب بمنزلة رفيق ومحامٍ واستعان ببرارة الحوت على فتح عيني ابيه (طوبيا ص ١١ عدد ٤ الى ١٢)

وطائفة كبيرة من الفلاسفة وعلماء الطبيعة استخدموا الحيوانات في دواعٍ مهمة واطلعوا بواسطتها على بعض الحقائق الطبيعية وخواص النبات الطبي وهلم جرّاً

وارسل سليمان الحكيم الانسان الكسلان ليتعلم النشاط من طائفة النمل . واهدى المعلم «كلفاني» الى اول مفاعيل الكهرباء بمجرد انقباض انخاز الضفادع وامداد اليافها

وروى «فون باندان» معلم الفنون الطبيعية في بلاد البلجيك عن كولمبوس انه اهدى الى كشف اول جزيرة من جزائر امريكا بواسطة مشاهدته سرطاناً بحرياً قبل وصوله الى الارض بثمانية عشر يوماً . لان من طبيعة السرطان ان يعيش في ابحار لا تبعد كثيراً عن السواحل والاهالي الفاطنون في الاقاليم الباردة يستخدمون الكلاب وغيرها من الحيوان للوقوف على سمك الجليد المغطي سطح مياه الانهار قبل العبور عليها

وقد استخدم الانسان الحيوان للاكتشاف على خاصيات النبات ومعرفة جيده من خبيثه وذلك ان الانسان في بدء امره رأى الكلب والمهر والمواشي تسرح وتشم النبات وترعى ما يصلح لقوتها وتعرض عما يضرها . ولهذا قال المعلم «هنري برتود» واستشهد على ذلك قول المعلم «فونتان» ما ترجمته «ليس الحيوان خالياً من تعقل وادراك كما يتوهم بعض الناس . فقد اعطاه باربه مقداراً من العقل والادراك المتناسبين لطبيعته . ولولا الحيوان يخدم الانسان بهذا العقل والادراك لكان فته كبيرة من البشر ماتت مسمومة بانواع النباتات السامة

ثم تعلم الانسان من الحيوان بناء الجسور فوق الانهار وتشيد السدود وقايةً من طغيان البحار . لان اول حيوان مدّ الجسور على الغدران وعبر عليها واقام السدود لردع طغيان المياه كان «القدس» اي كلب الماء.

ثم كيف اهدى الانسان الى عمل الاطواف وبناء السفن ؟ لا

تعلط اذا قلنا انه تعلم هذه الصناعة من الدب الابيض حينما شاهده
يركب قطع الجليد الطافية على وجه المياه ليعبر بها من جهة الى
اخرى .

ثم من دلّ الانسان على القنص وصيد الاسماك ؟ لا نخطئ اذا
قلنا انه تلقن ذلك من السبع والضبع والصقر والنسر وطيور الجحر .

اما الصنائع الجليلة التي برع الانسان فيها اخيراً فقد اخذها من
البداءة من العنكبوت . فاخذ عنه هندسة بناء البيوت ونسج الشباك
وحرفة اتخاذ الكمين على العدو المين وطريقة النزول والتسليق على
آلات المنجنيق . فان هذا الحيوان يني ماواه بهندسة عجيبة وينسج
شباكاً محكمة ليصطاد بها الهوام والذباب . ويمكن لها عند المرور ليسهل
لديه الوثوب عليها فجأة . واذا حاولت الفرار تسلق سلك نسيجه
ليدركها كما يحاول العدو عدوه بتساق المنجنيق .

ثم اهدى الانسان الى آلة لنشر الاخشاب من منقار سمك
المنشار . فترى ان الله تعالى بحكمته المهدانية قد جوز هذا الحيوان
بهذه الآلة الجزيلة المنافع له ولن اراد نقلها عنه .

ثم اهدى الانسان الى عمل السيوف من ذيل كلب الجحر . وعمل
الترس من قفص السلحفاة . وقد قال الشاعر فيها

تكبُّ على ظهرها ترسها وتظهر من جلها فاسها

ثم تعلم عمل الدروع ولبسها من منظر جلد التمساح وعمل الكلبتين
من هيئة فم السرطان واصطناع الحقق من مشاهدة اصداغ البحار

اما صناعة الحراثة التي هي انفع الصنائع والمهن فقد تعلمها من الخنزير الذي كان اول من ثلم الارض بسكة انيابه واكتشف اول عرق من عروق الذهب ونبه البشر لاحتفار المعادن واخراج خزائنها .

ولما شاهد الانسان ان الكلب ينقي امعاءه من فضلات الطعام بالتقاط بعض النباتات الطبية اهتدى الى معالجة الامراض بالنباتات ثم رتب عليها صنعة الطب . ثم اهتدى الى فن الجراحة بواسطة الكركدن المعروف بوحيد القرن . فان هذا الحيوان عندما يشعر بكثرة غلبة الدم عليه يقصد ادغالا ذات اشواك حادة فيسند اليها مفصله ويضع بها عروقه بقصد تخفيف دمه . وقد روى هذا المعلم « باينيوس المشهور » . وروى جالينوس الطيب ايضاً انه رأى يوماً من الابام طيراً على سيف البحر مجهوداً بمرض الامعاء ملقى على الرمل . وكان هذا الطير يجهد نفسه بالدنو من مياه البحر . فلما وصل اليها اخذ منها ببقاره ما استطاع اخذه وقذفه في عجزه على مرات متوالية الى ان عقبه الاسهال وشفي من مرضه ثم طار . فاهتدى جالينوس من ذلك الى منافع الاحتقان . اما منافع « الفحم » في الطبيعة فكثيرة . واول من دل الناس على منفعه وخاصيته المطهرة من العفونة المسمة كان القط . والنملة دلت المعلم « رومور » على اختراع الترمومتر . والصفدعة كانت اول حيوان علم العلامة « كلفاني » مفاعيل الكهربائية . واول من اهتدى الى منافع القهوة واستفاد منها ثم ارشد الانسان اليها كانت العنزة

وقد شاهدنا في طائفة طير اللقاق حسن السياسة وعقد ديوان الشورى . وذلك انها قبل قيامها من بلدة الى اخرى تجتمع للمشورة كي تعين يوم السفر كما يجتمع رجال السياسة في ديوان الشورى لفصل القضايا المهمة

واول من غنى وصدق على الارض كان البلبل والحسون والكناري والمزار . ومنها تعلم الانسان تأليف الانعام . واول من اقام المراسم والملاعب كان النسناس . واول من خطب كان الغندليب

اما الاسد فهو اول من ملك واستقل بقوته وتسلط على اضعف الحيوان . وما تأخر الانسان عن التشبه به وبطغيانه والاتصاف باوصافه حتى سمي البشر اقوى رجالهم واشجع ملوكهم وقواد جيوشهم « بقلب الاسد » و « بالضرغام » و « بالفضنفر » وهم جرا

اما طائفة النمل فبالعكس . فانها اعطيت احسن مثال النشاط والانتقاد لاوامر الحكام والتمتع بمساواة الحقوق ضمن دائرة الاعتدال والاستقلال بالاعمال . غير ان بعضاً من البشر الذين فاقوا الاسد ليس بالقوة بل بالهفظة والعنفوان قد قصروا عن النملة في ميدان اتقان الهيئة الاجتماعية وحسن السياسة ومعرفة جمع الاغلال في الاهراء . فان هؤلاء مع كثرة معارفهم ما زالوا مقصرين عن النملة التي تخزن بحكمة عجيبة مونتها في احشاء الارض الرطبة من دون ان يمسه الفساد فكم اجتهد حكارو الاغلال في حفظ قمحهم داخل مخازنهم سالمًا من السوس والعفونة وما نجحوا الى يومنا هذا

ثم لنارسن التاريخ لعرف من علم البشر صبغ الارجوان . فما من احد يعي التاريخ في صدره ويجهل ان اول صباغ برع في هذه الصناعة كانت شاة فينيقية . فانها اهدت الى دودة القرمز بينما كانت ترعى وصفت صوفها بها . وعلى شاته درس الراعي هذه الصناعة وعن الراعي اخذ اصحاب الصنائع تضييح المنسوجات بهذا اللون الجميل .

كيف تجرأ الانسان على الغوص في قرار البحار لاجراغ اللآلي والكنوز البحرية ؟ في خلدي انه تعلم ذلك من طير « السلجان » العائش على شطوط بحر « كوشين صين » . فان هذا الطائر يغطس الى قعر البحر ويخرج منه نوعاً من النبات اللذيذ الطعم ويبنى به عشه . ثم يلتقط الصينيون هذه الاعشاش وبعدون منها اطعمة لذيذة يتفاخر بها امرأؤهم . ثم تعلم الناس عمل المطرقة من نظرم الى رأس فرس البحر واستخدام المجاذيف لدفع الزوارق والدفة لسير السفن من اذبال الاسماك . وانقنوا عمل النوافير بواسطة تشريح مناخير سمك الدلفين . فان هذا الحيوان يقذف بماء البحر من مناخيره الى الجو بعلو عظيم . ثم تعلم الانسان تقسيم ساعات النهار والليل من صياح الديك . وعمل الامشاط من ظهر سمك المشط ولبس التاج من الهدهد والطاووس ولبس القلادة من طوق اليمامة ولبس الاسوار من تحجيل الاطيوار وتخضيب الانامل من اللقاتق والاحجال وهلم جرا .

اما الديدان فانها سبقت « دومينيكو » و « رافائيل » المصورين البارعين . لانها اول من تعاطى الرسم بزحفها على الرمال ونقدمت

« ميخائيل انجلو » الشهير في صناعة النحت بنحها الاشجار والاشخاب .
 والنحل سبق ارسطو في فن الكيمياء وابلينيوس في علم النبات
 ولا بد للانسان من زمان طويل وجهدٍ جهيد للوصول الى ما
 يعرفه الحيوان وتحصيل تلك المعارف المفروسة في فطرته من باريء
 الاكون فالهوام تفوق البشر في بعض الزايات بالنسبة الى دقة اجسامها
 وغرابة افعالها . أليس من اغرب الغرائب ان برغوثاً واحداً يقهر اعظم
 ملوك الارض سطوةً واقتداراً ويحرمه لذة الكرى التي هي اعز لديه من
 خزائنه ؟ أليس مما يقضي بالعجب ان شرذمةً من الهوام النائرة عليه تبدد
 شمل جنوده رغماً عن انف بواريده ذوات الابرة ومدافعه الهائلة وسفنه
 المدرعة ؟ كم وكم من الذباب الحقيرة تستخف بالجلالة الملوكية وتسبق
 السلاطين والحكام الى طعامهم وتكدر صفاء شراهم وتفتك بوجه ترتعد
 من عبوسته فرائص الابطال . فن هو اعظم الملوك بالنسبة الى الديدان ؟
 هو لها خادم وطباخ . لانها تسكن في حجرات نخاعه وتعشش في احشائه
 وتعسكر في خلال مسامه . وهو في خدمتها عبد رقيق يقوم بمعاشها اناء
 الليل واطراف النهار ويهيء لها القوت والشراب فترتع على موائد جسمه
 وتسرح في لوى امعائه دون خوفٍ ولا حرج . وكل قطرة من الدم
 البشري هي بمقام دن من نبيذ ترتوي به الديدان (الميكروب) وتسكر .
 ومن هذا الارتواء الدوري لتولد الحيات الدورية في الابدان . لانه
 متى امتلأ الميكروب من الغذاء ونهم ثم سكر عربد واضطرب فهبج
 الدم وعجل دورانه وضاعف حرارته وبث في الابدان سم الحيات . فما

هوذا الانسان عرضة لتلاعب الهوام به . بل الميكروب نفسه هو ايضاً عرضة لتلاعب هوام آخر اذق منه فطرة . وقال المعلم فلانماريون المشهور مدير المرصد الفلكي بباريس ان جسم الانسان كله هو عبارة عن مجموع اعشاش تسكنها هوام لا تحصى انواعها بل هو العالم الصغير الذي خلقه الله لسكنى هوام وديدان وسوس ما يعجز العقل البشري عن ادراكه فسبحان من خلق الحيوان قبل الانسان وجعله معلماً ومرشداً وخادماً له في كل زمان ومكان . وبناءً على ذلك انشئت في المعنى القصيدة الاتية :

﴿ النظم ﴾

كم علم الحيوان الفهم انسانا	فتم من علمه ما كان نقصانا
وكم هداه لاسرارٍ وقد غمضت	عنه فامست على العرفان تيجانا
وكم حباه من الالبان تغذيةً	وكم كساه من الاصواف قمصانا
وكم كسى نعله من جلده ووقى	له من البرد ارواحاً وابدانا
وكم اراه لطبٍ يستعان به	حشائشاً صرن للتطبيب الوانا
بكل فنٍ لنا من خطبه خبرٌ	ينبيك ان جديد اليوم قد كانا
وان بعض الذي في الارض من قدم	قبل الترقى تباغاً كان حيوانا
وما لبسناه من حلي ومن حل	قد اشبهت منه اطواقاً وارسانا
لولا الحمامة نوحٌ ما درى ابدأ	ان المياه ابت في الارض طوفانا

فاحمل الى الكلب فرداً الا ذمام له
 وانهض الى الاسد في قلب الجبان وسر
 وسائل الابل الغريد كم نقلت
 وجاور الحية الرقطاء دون اذى
 وشاهدوا الكهرا با في ساق ضفدعة
 والترس من سلحفاة كان مأخذه
 والجسر من قندس لولا صناعه
 والنمل من جسمه رومور عن فطن
 وكما في الورى تلقاه من حكم
 فلا تخف ماترى بالكون حفّ وخف

اذ عنده بات حفظ العهد ايماننا
 للغاب وارع بعين الصب غزلانا
 عنه العوالم انعاماً والحانا
 بربعها فتريك العيش ريانا
 فاصبحت للدنا نوراً وعمراننا
 فصار يحى من المران فرساننا
 لم تعبر الناس ودياناً وغدراننا
 قد صاغ للحرّ مقياساً وميزاننا
 كانت لاجذاع ذاك الجنس اغصاننا
 في الغيب رباً وفوق الارض انساننا



المطبعة

قال شيشرون الفيلسوف والخطيب الروماني المصقع الشهير

* التاريخ ابو العلم *

وانا اقول قولاً لا يخفى عليه من منكر

« المطبعة ام العلوم »

القصة - الطباعة عبارة عن صناعة تكثر بها نسخ الكتب بسرعة
جداً بترخيص ائمانها وتسهيلاً لانتشار المعارف واشتراك الافكار بين البشر
وتوسيع نطاق التمدن والنجاح
واول من اهتدى الى اكتشاف هذه الصناعة الشريفة المعلم «يوحنا
غوتنبرج» (J. Gutenberg) في اواسط القرن الخامس عشر للميلاد .
وقد اخطأ من حاول اخلاص هذا الشرف من غوتنبرج وتخصيصه
بغيره احتجاجاً بان صناعة الطباعة كانت معروفة عند اهل الصين
قبله . حال كون اهالي الصين وشعوب اوروايا كلهم كانوا يجهدون صناعة

الطباعة على الوجه الذي اخترعه غوتنبرج . فكان اهل الصين يتعاطون صناعة الطبع بحجر الكتابة في الواح خشبية يدهنونها بالمداد ثم ينقلون عنها كمية من النسخ . اما صناعة الطباعة بمحصر المعنى فقامت في صب حروف الاليجدية اصنافاً وصفها في شكل قوالب تتداولها المكابس بطريقة سهلة سريعة العمل تُثني بكل حرف من حروفها على فضل مخترعها النبيل . ولم تبدُ هذه الصناعة المنيقة من عالم القوة الى حيز الوجود الا في سنة الف واربعائة وخمسين للتاريخ المسيحي . وذلك قبل اكتشاف قارة امريكا باربعين عاماً .

فكان الكتاب الى ذلك الحين ينسخون خطأ ادراج العلوم على رق الغزال او على غيره ويخزنونها في خزائن الكنب . فلما اخذ حب العلوم بمجامع قلوب اهل اوروبا في بدء سنة الف وخمسمائة للميلاد باسروا في ايجاد كل واسطة من الوسائط لتسهيل طرق اكتساب المعارف وتعميم نشرها في بلادهم . غير ان غلاء اسعار الكتب المنسوخة خطأً كان مانعاً عظيماً لتعميم المعارف ونشر العلوم . لان ثمن نسخة من الكتاب المقدس كان وقتئذٍ نحو اربعة الاف قرش . وهذا المبلغ في ذلك العصر كان بمقدار اربعين او خمسين الف قرش في هذا الزمان . لان اجرة الفاعل في بعض بلاد اوروبا انفية كانت وقتئذٍ قرشاً واحداً في النهار . واجرة الفاعل الذي يحفر الارض في امريكا في هذا العصر هي بين خمسين وخمسة وسبعين قرشاً في النهار . بناءً على ذلك ان الفاعل الذي كان يتمنى ان يتناع نسخة من الكتاب المقدس في القرن

الخامس عشر كان يضطر الى ان يشغل ثلاث عشرة سنة حتى يتيسر له جمع ثمن نسخة من التوراة . ومع هذه المصاعب كلها كانت شعوب اوروبا في انصباب عظيم على درس العلوم واكتساب المعارف . وصادف هذا الانصباب نجاحاً كبيراً بهمة المعلم « يوحنا غوتنبرج » الذي توفق الى اختراع آلة الطبوع . اما طريقة الوصول الى اختراع هذه الصناعة الجليلة فهي كما يأتي

ولد « يوحنا غوتنبرج » في مدينة « منتز » (Mentz) من عائلة شريفة قديمة بالمانيا سنة ١٤٠٩ للميلاد . وكان من نعومة اظفاره مولعاً بالصنائع الشريفة . وكان يصرف اكثر اوقات صباه في التأمل باعمال الصناع المشهورين بالتصوير والنحت وما اشبه ذلك من الاثار النفيسة التي كان اجداده الشرفاء قد عنوا بجمعها زينةً لتصورهم . وكان في جملة تلك المنحوتات والتماثيل تمثال رأس ثور ضخم الحجم . وكان هذا التمثال موضوعاً على باب الدار ومحفورةً فيه هذه العبارة : « لا يعسر عليّ شيء » . وكان يوحنا يتأمل في قوة هذه العبارة دائماً ويرفع نظره اليها كل ما دخل الباب ويعمل الفكرة في ايجاد الوسائط التي تمكنه من الاستفادة من تلك العبارة الباهرة . وما لبث طويلاً حتى اتخذ تلك العبارة بمنزلة مفتاح سري يفتح به مغالق كل صعوبات الطبيعة . وكان كل ما صادف مشكلاً في مقاصده ردد مراراً هذه العبارة « لا يعسر عليّ شيء » ونازل المشاكل وحلها بحزمه وعزمه

فما بلغ السنة الخامسة عشرة من عمره توفي والده ولم يترك له

مالاً كافياً يعيش به برفاهية حال . فهجر مدينة « منتز » الى مدينة « استراسبورج » . وفيها طرقه فكر اختراع آلة تكثير نسخ المكتب بطريقة سهلة . فلبى هذا الالهام ولبث عشر سنين يهدس في اقرب طريقة توصله الى غاية مرامه . ولما اهتدى الى اول طريقة استنباط هذه الصناعة الجليلة نفذ ما كان عنده من الدراهم . لانه كان قد انفقها على عمل الآلات وسبك الاحرف والاختشاب وهملاً جراً . ولذلك الجأته الضرورة الى الاشتراك مع ثلاثة تجار من عمدة اهل المدينة وتعاهدوا له باعطائه ما يحتاج اليه من الدراهم لاكمال الاختراع . فاشتغل يوحنا عشر سنين وتوفى في هذه المدة الى عمل احرف من نحاس قابلة الاستعمال للطبع . ولكن وجد ذلك لا يصلح لاثقان الشغل فاخذ يعمل الفكرة في ايجاد طريقة تمكنه من الحصول على معدن مناسب لصب الاحرف . فحرب اولاً الحديد فوجده قاسياً يخرق الورق تحت المكبس . ثم رأى الرصاص ليناً يلتوي ويتكسر بسهولة . ثم جرب الخشب فوجده لا يفي بالرام لفرط هشاشته وسرعة عطبه . فارتأى ان يخلط بعض المعادن ويصب منها احرفاً

اما المصاريف الباهظة التي صرفها على اثقان هذه الصناعة الشريفة فقد افقرته وافقرت التجار شركاءه . ومع كل ذلك لم يقنطوا من اكمال العمل . فباعوا رياش بيوتهم وجواهر نساءهم واستخلصوا شيئاً من الدراهم وداوموا بها على الشغل بنشاط وهمة لا مزيد عيها . وكانوا كل تلك المدة رغباً عن خسائرهم الباهظة في ثقة واطمئنان من النجاح الذي كان عنيداً ان

يسبغ على العالم زواجر الخيرات والمعارف . وقد حفظ التاريخ لنا اسماؤه
هو لاء التجار ذوي النخوة والروءة وهم « هيلن » و « اندراوس دريزهن »
و « ريف » . وفيما كانوا يبذلون مجهودهم في انجاز هذا العمل الخطير
فاجأهم الموت واحزن يوحنا غوتنبرج الذي كاد اليأس ان يقطع به من
جراه ففقد شركاءه النجباء . ثم زهد في اكمال العمل وبرح مدينة
استراسبورج وعاد الى « منتز » مسقط رأسه . وما لبث بها مدة حتى
هاجت به الاشواق ولعبت برأسه نخوة الرجال فتشجع ورجع الى اكمال
اختراعه بمجدٍ وجهدٍ لا مزيد عليها . ثم اخذ يرسم ويحفر ويصب
ويجرب اخلاط المعادن ويصب منها حروفاً للطبع . فلم ينجح في
مسهاه . فشمله الضجر ثانية . ولكنه استعان على فتح مغالق المصاعب
بمفتاحه السري . وهو ما كان مكتوباً على تمثال رأس الثور « لا يعسر
عليّ شيء »

وما زال يردد ذلك كل يوم حتى تنشط وعاد الى عمله بطريقة
مختلفة عن الاولى . ولكن هذا الشغل الجديد افضى به الى اقصى
درجات الفقر . فاضطر الى عقد شراكة جديدة مع « يوحنا فاوست » و « بطرس
شفر » . فكان الاول صائفاً غنياً في « منتز » وذا حرفة غربية في قلب
فوائد دراهمه . ولذلك ما اعطى غوتنبرج الدراهم التي كان يحتاج اليها
لاتمام العمل الا بعد اخذه منه التعهد المتين . وكان قصد ذلك الصائغ
المرابي ان يحصر لنفسه كل ارباح ذلك الاختراع ويستعمل غوتنبرج الة
لنيل مقاصده . اما بطرس شفر فكان شاباً مستخدماً بوظيفة كاتب عند

احد التجار . وكان بارعاً في الرسم وحسن الخط . وكان يوحنا فاوست قد اتخذه صهرًا له لمجرد حسن خطه وبراعته في صنعة الرسم . قيل : ان يوحنا غوتنبرج بعدما اشتغل زماناً في التجارب تمكن من اختراع الحروف واماتها من النحاس فقط ولكنه لم يتوقف الى ايجاد مادة معدنية ملائمة لصب الاحرف . وان شريكه يوحنا فاوست الصائغ هو الذي اهتدى الى خلط ثمانين جزءاً من الرصاص مع عشرين جزءاً من الانتيمون وكوّن من هذا المخاوط المادة الملائمة لصب احرف الطبع بصنعة متقنة حسب المطلوب .

وهكذا بدت للوجود صناعة الطباعة الجزيلة المنافع وبدأ معها شقاء مخترعها يوحنا غوتنبرج ايضاً . لان شريكه يوحنا فاوست لما رأى الاختراع المرغوب قد كمل وزالت كل المشاكل اخذ يسعى في حصر منافع الاختراع وفوائده لنفسه . ومن ثمّ حاول فسخ الشراكة واخذ يضيق « غوتنبرج » في استرداد المال الذي كان قد اقترضه اياه . ولما كان « غوتنبرج » على جانب عظيم من الفقر والفاقة عجز عن ايفاء دينه لغريمه . فاقام « فاوست » الدعوى على « غوتنبرج » والزمه بالتنازل عما يخصه من ارباح ذلك الاختراع . وقبض على كل آلات المطبعة مع الحروف والمكبس والتي « غوتنبرج » المخترع في هوة الفقر والتعاسة . فقطع اليأس بالمسكين « غوتنبرج » وخرج ثانية من مدينة « منتز » فلما فسح « فاوست » عقد الشركة مع « غوتنبرج » شارك صهره بطرس شفر وصارا يطبعان الكتب ويبيعانها بثمن غالٍ لا يفرق كثيراً

عن سعر الكتب المنسوخة بخط اليد . ولما ادرك « فاولست » ان الصانع في المطبعة يتدمرون من تصرفه الجائر وتعديه على حقوق معلمهم يوحنا « غوتنبرج » خاف من ان ينتقموا لمعلمهم منه فاجبرهم على القسم بالله وبالكتب المقدسة على ان يكتفوا اسرار تلك الصناعة ولا يبيعوا لاحد بشيء من احوالها . وما اكتفى بهذا بل الزم كل صانع ان يكتب صكاً على نفسه متعهداً به انه « اذا افشى سر هذه الصناعة فقد حق المطالبة بما كان له من الاجرة الباقية عند صاحب المطبعة » . وكان صاحب المطبعة المذكور يحفظ عنده مقداراً من اجرة كل صانع لاجل هذه الغاية . وزاد على ذلك انه نقل الات المطبعة كلها الى مغارة مظلمة بعيدة عن نظر الناس ليرفع خطر افشاء اسرار تلك الصناعة . وهناك كان يجبر الصانع على الشغل على ضوء السراج وابواب المغارة موصدة بالاقفال . وبواسطة هذه الوسائط الاحثياطية تمكن من طبع الكتب وبيعها في باريس باسعار غالية جداً الى ان فتك الطاعون به وقضى نحبه .

ثم قام صهره بطرس شفر وتولى ادارة المطبعة وطبع الكتب وباعها باغلى الاسعار الى ان حاصر العدو مدينة « منتز » وفتحها وغزا ما كان فيها . وقتل شفر في اثنا تلك الحادثة . وجزع الصانع وتفرقوا شذرمذر وبطلت المطبعة

ثم قام بعد ذلك ابن يوحنا شفر وبعث صناعة الطباعة من لحدها واصلح ما كان افسده يوحنا فاولست بجوره على يوحنا غوتنبرج المظلوم

واعاد اليه الشرف الذي كان يستحقه . وطبع كتاباً في « منتز » سنة ١٥٠٥ للميلاد وزين مطلعاه باسم العاهل مكسيميليان ثم ذيله بهذا الاقرار العادل : قد طبع هذا الكتاب في مدينة « منتز » بألة الطبع العجيبة المخترعة سنة ١٤٥٠ من يوحنا غوتنبرج صاحب العقل الثاقب والمكتملة بواسطة مساعي فاوست وشفر »

اما يوحنا غوتنبرج فلم يعيش حتى يرى اسمه مشرفاً علناً . لانه كان قد مات بعد انفصاله من شراكة « فاوست » بسنتين . ومنذ طرقة فكر اختراع صناعة الطباعة الى حين وفاته عاش في حال فقر مدقع . ولبث عشر سنوات هائماً على وجه الارض المسود بالظلم والكفران بالنعمة . وبقي مجهولاً من الناس ومخفياً عن انظارهم الى سنة ١٤٦٥ للميلاد حيث شاهدهه يتسول ويستكدي الخبز ولم يجد من يعطيه كسرة . ولكن قبل غروب شمس حياته التعيسة درى به رئيس اساقفة مدينة « منتز » فاخذه اليه وجعل له راتباً يستعين به على معاشه . وفي هذه الفترة التي شبع فيها من الخبز انعكف ثانية على تكميل آلات المطبعة . وما زال يبذل وسعه في انقائها حتى ادركه الاجل وقضى نحبه في اليوم الخامس عشر من شهر شباط لسنة ١٤٦٨ للميلاد

ولما توفي هذا الجهيد التحرير تفرق صناعه في جهات مختلفة من اوروبا اشبه بمرسلي انتشار العلوم والمعارف . فمنهم من قصد مدينة كولونيا ومنهم من رحل الى « اوسبورج » . ومنهم من ذهب الى نورمبرج . فانفتحت في برهة وجيزة المطابع في المانيا وسويسرة وفرنسا . وترحب

بهذا الاختراع البديع اغلب ملوك اوروبا وشرفوا ارباب المطابع بامتيازات عديدة . منها ان فرنسيس الاول بهذا الاسم ملك فرنسا اعفى من الخدمة العسكرية كل من تعاطى صناعة الطباعة على الاطلاق . وبهذه الوسائل الحميدة ساعدوا انتشار العلوم والمعارف في بلادهم وبلاد غيرهم وبذلك بلغوا ما بلغوا اليه من درجات النجاح في الثمن والثروة والسطوة . ولما كانت صناعة الطباعة قد سهلت طبع الكتب الدينية والعلمية وصارت سبباً لانتشارها في جميع الامصار واستصبح بنور ما حوته من الحقائق سكان جميع الاقطار حتى طبعت اخيراً « جمعية التوراة » بلندرة كتاب التوراة والزبور والانجيل بمائتين وتسعين لغة من اللغات التي يتكلم بها النوع البشري تلى سطح الارض رأيت ان هذه الصناعة الشريفة جديدة بان توصف « بام العلوم » . وعلى ذلك انشئت فيها القصيدة الآتية

❖ أم العلوم ❖

هيا بني الاوطان لبوا من سعى
 ليزيح عن « ام العلوم » البرقعا
 هيا بني الاوطان حيا امكم
 واخلوا لعلم في العقول الموضعا
 وافت بمصباح العلوم تنيركم
 حتى ينال العقل ما قد ضيعا

العلم مصباحٌ منيرٌ في الورى
 والجهلُ ليلٌ فجره لن يطلعا
 فاسعوا لكسبِ العلمِ سعي مجاهدٍ
 واللهُ يعطي كلَّ خيرٍ من سعي
 واستغفروا العلمَ المنيفَ وكفروا
 عن جهلكم واللهُ يرعى من رعى
 قولوا له نحن افترينا في الورى
 نبغي السماحَ فان سمحت لك الدعا
 قد بان عنا السعدُ حين تركتنا
 والعقلُ فقدانُ المعارفِ قد نهي
 فارقتنا والعقلُ منا قد غدا
 من دون علمٍ بعد ذا متصدعا
 ثم زُرْ بلادَ الشرقِ قبل دمارها
 فالجهلُ وئى للبلادِ مودعا
 ان عدتَ نلتَ من البلادِ تشكرًا
 والعقلُ كان لك المكانَ الارفعا
 فامننْ وعد كرمًا الى الشرقِ الذي
 فارقته فغدا مكانًا بلقعا
 هيو بنى الاوطان ان العلمُ قد
 وانى بامٍ قد ازاحت برقعا

قد اقبلت « أم العلوم » بنورها
وأجاد « غوتنبرج » فيما ابدعا



❖ في عمر الشمس ومدة دوامها وعاقبة خرابها ❖

(وخراب منظومة شمسنا معها)

خرجت ذات يوم اريد التنزه في ظل اشجار الصنوبر بالقرب من
دير يقال له « خريستو » على رأس جبل من جبال جزيرة الامراء
(Prinkipo) فرأيت قرص الشمس الموشك على الغياب قد اصفر لونه
من ألم فراقه الافاق وقد ارسل آخر شعاع من اشعته الصفراء رسولاً
الى بعض سماعات خفيفة تخفق في الافق حوله كأنه يريد وداعها وقد
علا محياها الاغر اصفرار الفراق . فلما شاهدت تلك المناظر الشعرية
والفلتات الفلكية خطر ببالي ذلك الوداع الاخير الذي سوف تودع به
الشمس العظيمة ومنظومتها الجميلة هذا الكون العجيب بعد عشرة ملايين
من السنين استناداً الى رأي المعلم الشهير « ويليام تومسون » ومتى وقع

هذا الوداع المحزن خربت الكرة الارضية وضمحلت مع ما فيها وعليها من الحيوان والانسان والنبات

ولا يخفى على ذي بصيرة ان نور الشمس وحرارتها هما السبب الوحيد لحياة كلما يوجد في الكرة الارضية . وفي الحقيقة لولا النور والحرارة لما عاش على وجه الارض انسان ودرج ولا دباً عليها حيوان وزحف ولا حلق في الجوطائر وطار . ولا سبحت في البحار اسماك وحيتان . ولا عاش في طبقات الارض هوام وحشرات . ولا ازهر في الجنائن والحدائق زهر ونوار . ولا نبت في الحقول والمروج زروع واعشاب . ولا نما وارتفع في الغابات والاحراج شيء من الاشجار . واقول قولاً لا اخشى عليه منكرًا ان حركة الرياح في الجو وجريان المياه في البحار وانحدار السيول من رؤوس الجبال وجريان الانهر في الاودية الي غير ذلك متوقف جميعه على قوة نور الشمس وحرارتها والشاهد على ذلك ان البشر متى ارادوا ابراز قوة محرّكة استعانوا على ذلك اما بالمياه واما بالرياح واما بالحرارة . فمتى استخدموا هذه الوسائط استخدموا نور الشمس وحرارتها بعينها . والدليل على ذلك ان البشر يحنجون الى الحطب او الفحم لاصدار قوة بخارية لتحريك الاجسام . والحطب والفحم من محصول الاشجار . والاشجار تنبت وتتمو بقوة نور الشمس وحرارتها . فتكون اذاً الاشجار وما كان من محاصيلها كالفحم وغيره حاوية حرارة الشمس . وبناءً على ذلك متى استخدمنا الفحم نكون قد استخدمنا نفس الحرارة التي كانت الشمس قد ادخرتها في طبيعتها

الحطب والفحم منذ اعصار كثيرة . فالبحار الذي يستخدمه البشر لجر قطار السكك الحديدية وتحريك الآلات الصناعية والحرارة التي يستخدمونها لتدفئة المنازل والغاز الذي يتخذونه لتنوير الشوارع والبيوت كل ذلك مخازن طبيعية لحرارة الشمس . حتى ان حركة الحيوانات بنفسها قائمة بحرارة الشمس . لان الحركة توجب الحياة والحياة تقوم بالبقولات والاشجار والنباتات . وهذه جميعها تنبت وتنمو بقوة نور الشمس وحرارتها وتحوي على الحرارة نفسها . فبناءً على ذلك كما كانت الشمس منبع الحياة لما في الهواء من الطيور ولما على سطح الارض من المخلوقات كانت كذلك واسطة لحفظ حرارة الارض ومنعها من فقدان بواسطة الانتشار من مركزها شعاعياً الى الجو . لكن متى افكر الانسان ان الشمس التي هي منبع حياته وحياة ما يجاوره ويخدمه من الحيوان والنبات سوف تضمحل وتزول فيشمله اليأس والقنوط . غير انه متى افكر ايضاً ان هذا لا يتم في عهده وجد في ذلك نوعاً من التسلية وراحة البال .

ولذلك فلنأخذ الآن بالخوض في بحر هذه الحقائق الغريبة على ما ذهبت اليه العلماء في هذا الباب من المذاهب الغريبة . فنقول : قال بعض من الحكماء وعلماء الهيئة ومن جملتهم المعلم « ويليام تومسون » المشار اليه الذي قال بعد ما اثبت بحسابات رياضية دقيقة ان الشمس متى فقدت نورها وحرارتها فقد معها كلما كان على سطح هذه الارض من الحيوان والانسان والنبات . وصارت الارض نفسها مع بقية اخواتها من الكواكب السيارة خراباً وهباءً ماثوراً واسند رأيه الى النظريات

الفلكية المتفق عايبها علماء الهيئة في هذا العصر
 فليس بخافٍ على من يتبع الترقيات الصائرة دوماً في علمي الهيئة
 والطبيعات ان كثيرين من العلماء والحكماء قد وضعوا نظريات كثيرة
 في اصل تكوين الشمس ومدة دوامها . ولكن النظرية الاكثر قرباً من
 العقل هي النظرية التي اتخذها « سير ويليام تومسون » موضوعاً لنطقه
 لذي القاه منذ ١٥ سنة في دار الفنون بلندرة وفي حضور كثيرين
 من العلماء المدققين وهذه النظرية هي التي وضعها المعلم « هيلهولتز »
 (Helmholtz) واستصوبها كثيرون من علماء هذا العصر فعلى رأي هذا
 الالامة ومذهبه الجديد ان الشمس التي هي مركز عالمنا الشمسي هي
 كرة عظيمة مكونة من مواد مشتعلة وهذه المواد المشتعلة آخذة رويداً
 رويداً في تناقص وكلما تناقص نور الشمس وانخفضت حرارتها زادت
 البرودة بنسبة ذلك في موادها وكلما زادت البرودة فيها قلصت كتلتها
 وانقبضت اجزاؤها وانكشفت نحو مركزها من جراء ثقل موادها
 وضغط بعضها على بعض وهذا الضغط هو الباعث على امساك الحرارة في
 قلب المادة بقوة قانون جر الاثقال المعروف « بالديناميك » [Dynamique]
 قال « السير ويليام تومسون » انا في حقيقة الامر لم نجد الى
 الآن اثراً في تاريخ العالم يدلنا على تناقص نور الشمس ولكن من حيث
 ان هذا التناقص في حرارة الشمس ونورها لا يتم بسرعة كان الانقباض
 في كتلة الشمس زهيداً لا يتجاوز نحو اربعين ذراعاً (يارداً) في السنة
 وبناء على ذلك لا يكون مانعاً لدوام اشتعال المواد التي على سطح الشمس

الى مدة مديدة لانه يقتضي نحو ألفي سنة لتقصير قطر الشمس جزءاً واحداً من مئة جزء من الجزء في المئة ٠٠٠١ . وبالنسبة الى قطرها العظيم ومع هذا كله سيأتي يوم يصير فيه هذا التقلص والانقباض البطيء في كتلة الشمس باعثاً على خفض قوة الاشعة الشمسية وقطعها عن الارض الى درجة يمتنع معها بقاء الحياة على سطح الكرة الارضية . وقد قال العلامة المشار اليه في خطبته المذكورة انه حسب حسابات رياضية دقيقة في هذا الصدد فوجد ان دوام الاشعة الشمسية لا يتجاوز العشر ملايين من السنين . ومتى انقضت الاجيال المذكورة انطقت اشعة الشمس وتلف معها كل كيان على الارض من حيوان وانسان ونبات ثم قال ايضاً وجد بالحساب الرياضي المدقق ان الشمس (منذ تكونت الى الآن) لم يمر عليها اكثر من عشرين مليون من السنين اما اصل تكون الشمس (بقطع النظر عن التوراة والعقائد الدينية) فهو على رأي بعض العلماء حاصل في بدء الامر من قطع كواكب طراً عليها الانحلال في غابر الاجيال وعلى رأي غيرهم ان الشمس قد تكونت بقوة التجاذب رويداً رويداً من ذرات وصبابات منتشرة في مناطق الافلاك .

اما العلماء المتخصصون لعم طبقات الارض والباحثون في اسباب الحياة وكيفية انشارها في ارضنا فيذهبون الى خلاف ما ذهب اليه « السير ويليام » المشار اليه ويقولون ان تكون الطبقات في قشرة الارض ونشوء صور الحياة ونموها وانتشارها على وجه البسيطة وتشكل الصخور الصوانية المعروفة « بالگرانيت » الى الدرجة التي هي عليها الآن

يحتاج الى مدة اكثر جداً من عشرين مليون من السنين التي عينها «السير وييليام» المشار اليه لعمر الشمس اما العلامة المشار اليه فلا يجيد عن رأيه ولا يساهلهم فيما يدعونه ويصر على قوله استناداً الى حسابات رياضية دقيقة ان وجود الشمس في هذا الكون لم يمر عليه اكثر من عشرين مليون من السنين . وان دوام نورها وحرارتها في الكون لا يمكن ان يدوم اكثر من عشر ملايين أخرى من السنين فيكون على هذا الحساب مدة دوام الشمس منذ صيرورتها منبع النور والحياة الى حين انطفاء نورها وفقدان حرارتها واضمحلالها تماماً نحو ثلثين مليون من السنين فقط ومتى انطفأ نور هذا النير العظيم وبادت حرارته باد معها كل عنصر حياة كان في ارضنا وفي بقية الكواكب السيارة التابعة لعلنا الشمسي وصار كل من تلك السيارات المذكورة عالماً خراباً مثل الشمس مركزه .

وفي حقيقة الامر ان النظرية التي بحث فيها العلامة «السير وييليام تومسون» ليست من النظريات التي يتوق البشر الى معرفتها لكونها من النظريات التي تضرب اجلاً معلوماً لخراب عالمهم وانقراض ناسهم وتبليهم بنجيبه الآمال من بقاء ذريتهم وترقيها في الحضارة والعلوم الى مدى بعيد اكثر من عشرة ملايين من السنين . ولكن من عرف حق المعرفة العلامة «السير وييليام» المشار اليه وما هو عليه من سعة المعارف واصالة الرأي شهد له بالفضل ونزاهه عن الآراء الوخية . فان هذا العلامة كان اول من تجرأ بين علماء هذا العصر على القول ان

الارض كنت في بدء امرها خالية من عنصر الحياة . وان بزر الحياة الذي هو قائم في « الهيدروكربون » (Hydro-Carbon) اي الماء والفحم اتاها من النيازك اي الحجارة الجوية (Aérolith) التي سقطت من طبقات الافلاك على الارض . وما قام الى الآن احد من علماء هذا العصر وتجراً على دحض رأي العلامة المشار اليه باداة قاطعة . ولا سيما قد وجد علماء هذا العصر بانفسهم ان قطع النيازك التي لا تزال تنساقط على ارضنا تحتوي على كمية وافرة من العنصر المذكور المسمى باسم « هيدروكربون » واتفقوا على القول انه اينا وجد هذا العنصر وجدت معه الحياة الحيوانية . والنباتية ايضاً . وبناءً على ذلك كانت ارضنا هذه خاوية من نبات وهوام وحيوان الى ان اتاها العنصر المذكور بواسطة قطعة من النيازك الساقطة عليها . وفي الحقيقة ان الله تعالى في خلقته الكرة الارضية باديء بدء خالية من عنصر الحياة المسمى « هيدروكربون » (الماء والفحم) لم يصنع شيئاً مخالفاً لنواميس الطبيعة او مغايراً لحكمته الازلية وقدرته الالهية . لكن في رأينا ان نظرية المعلم « تومسون » المشار اليه تشير الى كثرة الاساليب المختلفة التي اتخذتها حكمة الله العظيمة في خلقه الكائنات وتديريها . والحوادث التي نراها جارية يوماً فيوماً على وجه الارض تثبت نظرية المعلم « تومسون » فمن جملة ذلك اننا نرى بعضاً من الحقول والاراضي خالية من بزور كثيرة . والله سبحانه وتعالى يسخر تارة الرياح وتارة النمل واخرى الطيور وغيرها من الهوام لتنتقل بزراً من ارض الى ارض اخرى بدون ان يحسب ذلك نقصاً

في حكمته وخلقته . وعلى هذا الأسلوب لا يعدّ ضرب من النقصان في
حكمة الله وقدرته اذا خلق الارض بلا عنصر الحيوة ثم سخر قطع النجوم
المنحلة في افلاكها لتنقل اليها عنصر الحياة الذي هو الماء والنفعم . وكان
الحكماء اليونانيون ايضاً قد عرفوا ان الماء هو عنصر الحياة . من جملتهم
الحكيم المشهور « تاليس المدلي » (Thales) الذي كان كنعاني الاصل
ثم انتقل الى جزيرة « مدلي » ومنها الى بلاد اليونان واشتهر فيها بالحكمة
والسياسة حتى عدّ فيها من اول حكمائها . وكان هو اول من قال
« كل شيء اصله من الماء » . وعنى بقوله هذا انه لولا الماء لما وجدت
الحياة .

ولما كنت مقياً بمدينة لندرة وقع جدال طويل في هذه المسألة
بين مستر « غلاستون » الذي كان وقتئذ زعيم الاحرار ورئيس وكلاء
الدولة البريطانية وبين العلامة الشهير « هوكسلي » « Hoxley » الانكليزي
ونشرت الرسائل العلمية الانكليزية مجادلاتها نحو ثلاث سنين . فكان
المعلم « هوكسلي » يذهب ان الهواء اصل الحياة . وان اول ما خلق في
الجو كانت الطيور . وكان مستر غلاستون يعلم ان اصل الحياة الماء وان
اول ما خلق من الحياة كانت الاسماك في المياه . وكان هذا المهام مع
شدة اهتمامه بمصالح الدولة والاشتغال بتدبير المملكة يتفرغ ايضاً الى هذه
المسائل العلمية الدقيقة . وما زال يناضل خصمه بادلة قاطعة وحجج دامغة
حتى اقنعه واقنع علماء عصره بان الماء اول عنصر الحياة واول ما خلق
في الارض من الحيوانات كانت الاسماك والحيتان .

ثم بحث «السير ويليام» المشار اليه في نور الشمس وحرارتها وطريقة وصولها الى كرة الارض وقال ان علماء الهيئة قد اتفقوا على القول ان لكل كوكب سيار خلاء يحيط به . وان هذا الخلاء لا يزال شديد البرودة الموجودة في قطب ارضنا الشمالي المتجمد . وانه مظلم ايضاً ظلاماً ابدياً اكثر من ظلام نصف الليل . فان صدق قوله وقولهم بقي علينا ان نسألهم كيف يمر نور الشمس بكل تلك المسافة ولا ينيرها وكيف تسير بها تلك الحرارة الشديدة ولا تحميها ؟ فاذا قيل ان فراغ المسافة الهوائية من الذرات والجواهر اللازمة لعكس نور الشمس هو الباعث على ذلك . قلنا في جوابنا عليه ان « لا فراغ في الطبيعة » وان الشمس لا تستطيع على ارسال اشعتها وحرارتها الى ارضنا والى غيرها من سياراتها بلا واسطة متصلة اتصالاً متوالياً . فكيف تكون المسافة الجوية الكائنة بين الشمس والارض خالية من الذرات اللازمة لعكس نور الشمس وبث حرارتها في الجو؟

هذه مباحث عويصة ومسائل معقدة . ولن الختم ان تبقى محجوبة عن العقل البشري ما دام على حالته الحاضرة . ولكن متى بلغ عقل النوع البشري درجة الكمال المعين له من خالقه وذلك بعداجيال لا يعرف مداها الا الله وحده يتمكن الانسان من حل بعض من هذه المسائل المشككة . والدليل على قصر العقل البشري وعدم وصوله الى درجة كماله مسنود الى ما نراه جارياً في احوال الطبيعة . لانه ليس بخافٍ على كل من تتبع الاكتشافات العلمية والامتحانات الطبيعية ان

النبات والحيوان والانسان وغير ذلك من الكائنات لا يزال في نشوء ونمو على « قاعدة الارتقاء » [Laloi d'evolution] وفي الحقيقة لا عطالة ولا بطالة في الطبيعة فكل شيء اما في نشوء ونمو واما في انحطاط وزوال كما تقتضيه نوااميس الطبيعة واحكامها . وعلى ذلك لا يزال عالم الكائنات باسره في تبدل وتنقل من حال الى حال حتى يبالغ درجة الكمال المعينة له من حكمة خالقه . وهذا النقل يكون دائماً من حالة عادية الى حالة حسنة ومن حالة حسنة الى احسن منها حالة . ومن احسن حالة الى حالة اكثر حسناً وكالاً من الحالة الاولى وهكذا الى ما شاء الله من الكمال . فان الله جلت حكمته قد وضع نوااميس طبيعية لخلقاته . وبمقتضى هذه النوااميس يتم انحلال الشمس والنجوم والكواكب . وهو ما زال ولن يزال يخلق ويكون من انقراض تلك الاجرام السماوية شمساً اكبر من الاولى ونجوماً اكثر انتظاماً بما قبلها . وقد جاء دليل على ذلك اولاً في الزبور حيث قال داود عليه السلام يوم تنطوي السماوات والارض وتكون سماء جديدة وارض جديدة وابناء عميدك يزثون الارض « ثانياً قد جاء في الاصحاح الحادي والعشرين من رؤيا يوحنا الحبيب » ثم رأيت سماء جديدة وارضاً جديدة . لان السماء الاولى والارض الاولى مضنا والبحر لا يوجد فيما بعد . . . وقال الجالس على العرش ها انا اصنع كل شيء جديداً - وقال لي الله اكتب فان هذه الاقوال صادقة وامينة - وقد اشار الى ذلك القرآن العظيم الشان في الآية التاسعة والاربعين من سورة الحجر « يوم تبدل الارض غير

الارض والسموات» وفي الآية السابعة والستين ايضاً من سورة الزمر
« والسموات مطويات بيمينه » وبناءً على ذلك يكون الانحلال والتركيب
من الحادثات التي جعلها الله الخالق وسيلةً لابلاغ الكائنات الى درجة
الكمال التي عينها لها منذ الازل . والدليل الجلي على ذلك هو ما نراه
طارئاً على الانسان من الحوادث الطبيعية . فكم من مرة يتبدل تركيب
الانسان قبل وصوله الى سن الرجولية ؟ فمن المعلوم ان جنس الانسان
يأخذ بالانحلال من ساعة خلقته . وذلك انه متى بلغ السابعة من
عمره تبدلت كل ذرّات دمه السابقة . ومتى بلغ السن الخامسة عشرة
تبدلت كل ذرّات عظامه بتمامها . وعلى هذا المنوال متى ولد الطفل
تأخذ ذرّات جسمه الضعيفة بالانحلال ليعوض عنها بذرّات اقوى منها .
وينتقل الطفل بذلك من سن الطفولية الضعيفة الى سن الصبوة الاقوى
منها . ثم يدوم هذا الانحلال والتركيب من وقت الى وقت حتى
يتقل الانسان بذلك من سن الصبوة الى سن الشيبه . ومنها الى
الرجولية ومنها الى الكهولة . وبهذا الترتي في التركيب الجسدي يتم ايضاً
ترقي الانسان عقلاً : وقد ثبت هذا التحليل والتركيب بدلائل طبية .
وعرف اكثر الناس ان جسم الانسان يتجدد كل دقيقة بواسطة التغذية
والتنفس . وزاد ذلك ايضاً احد العلماء الالمانيين في كتاب بحث
فيه عن اصل الحياة حيث قال ان مخ الانسان مركب من ثلثائة
مايون من الحجرات العصبية . ويتلف منها كل يوم خمسة ملايين من
الحجر ويقوم مقامها حجر اخرى جديدة مكونة من مواد غذائية جديدة .

فما يحدث في جسم الانسان من الانحلال والتركيب والتغير يحدث في كل الكائنات بمقتضى نواميس الطبيعة كما سبقنا الى ذكره . وفي الحقيقة ان الارصاد الفلكية الصائرة من علماء الهيئة في هذا العصر تثبت ايضاً اقوالنا السابق ذكرها . فقد رصد علماء الهيئة في هذا الكون الفسيح غير المتناهي شمساً وكواكب كثيرة ينحل بعض منها قبل باؤها درجة الكمال ثم يتركب من انقاضها مع تمادي الزمان شمس وكواكب جديدة اكثر انتظاماً وكالاً من النجوم السابق ذكرها . وبعض منها لم يزل في سن الطفولية كالنجوم المعروفة بذوات الاذئاب وبعضها لم يزل في سن الصبوة كنجم المشتري . وبعضها قد بلغ سن الشبيبة مثل كرة ارضنا . فان الله سبحانه وتعالى يبدل ويغير هذه الاجرام السماوية بمكته وقوته الخالقة . وبهذا التركيب والتحليل يكون اجراماً اكثر انتظاماً وكالاً بما سبقها . وهذا التبديل والتغير لا يحسب ضرباً من اللعب والعبث لكنه مؤسس على حكمة الية تفوق ادراك البشر . ويثبت ما قلناه ما جاء في مصاحف الاديان . من ذلك ما ذكر في الآية الثامنة والثلاثين من سورة الدخان « وما خالقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين » ومنها الآية التاسعة والثلاثون « ما خلقناها الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون » - وهكذا قد أثبتت هذه الحقائق بمئات من السنين قبلما اخترع غاليلوس نظارته الفلكية من القرطاس الغليظ ورصد بها الاجرام الفلكية .

ثم بينما كنت على رأس جبل « خريستو » المذكور اعلاه اهدس

في طريقة خراب هذا الكون وانحلاله خطر بيالي شيء من الحسابات
 الفلكية التي اجراها الفلكي المشهور باسم « كابتن » [Kapteyn] في مدينة
 « امستردام » وظننت اني سوف اتوفق الى حل تلك المشاكل بواسطة
 حساباته . فقد قال المعلم المشار اليه « ان شمسنما وما يليها من الكواكب
 السيارة تسير اني جهة النجم اللامع المسمى باسم « النسر الواقع » الكائن
 في البرج المعروف باسم « شبلاق » (١) وان شمسنما التي تسير سيراً
 حثيثاً بما حولها من السيارات نحو هذا النجم المنير تقطع في كل اربع
 وعشرين ساعة مسافة تسعمائة الف ميل . وعلى هذا الحساب تقرب الى
 (النسر الواقع) نحو ثلثمائة مليون من الاميال في كل سنة . ويسميه الافرنج
 باسم « ويفا » (Vega) وهو من جملة النجوم الثوابت التي يتشكل
 منها برج « شبلاق » المسمى من الافرنج باسم « ليرا » (Lyra) وعلامته
 في فن الهيئة الحرف اليوناني المسمى « ايبسلون [E]

وكان « سير ويليام هرشل » يظن ان شمسنما تدير بسياراتها الى
 جهة نجم من النجوم الثوابت الكائن في البرج المسمى « بالجاثي على
 ركبتيه » وهو المعروف عند علماء الهيئة في اوروبا باسم « هرقل »
 (Herculus) وعلامته عندهم الحرف اليوناني « رهو » (?) . وهذا البرج
 هو اكبر من كل البروج الكائنة في نصف الخطة الشمالية من السماوات .
 فاذا نظر اليه الانسان برأي العين ظهر له في شكل قطعة من نور

(١) ان « النسر الواقع » نجم من النجوم الثوابت او هو شمس من
 الشمس العظيمة ومعروف عند علماء الهيئة

رمادي اللون . واذا نظر اليه بنظارة عادية رأى فيه نجوماً صغيرة كثيرة
واذا رصده بنظارة فلكية قوية رأى فيه نجوماً منيرة لا يحصى عددها .
وذهب المعلم « استروف » *Struve* الى ان شمسنا تقطع في
سيرها الى جهة ذلك البرج نحو مائة وخمسين مليون من الاميال في
السنة .

وقال المعلم « ايري » *Airy* ان الشمس تقطع في سيرها
سبعة وعشرين ميلاً في ثانية زمنية . وقال بعض من علماء الهيئة ان
مركز الثقل المنجذبة به شمسنا مع سياراتها نجم من النجوم الثابتة
الكائنة في برج « الفارس » وموقعه على بعد تسعين درجة من برج
« الجاثي على ركبتيه » . وهو من البروج الكائنة في قلب المجرة . وقال
المعلم « مدلر » *Maedler* ان مركز الثقل الجاذب اليه شمسنا
موجود في قلب الثريا . ولكن لم يثبت رأيه بادلة قاطعة . ومن المعلوم
ان الناظر برأى العين الى الثريا يجدها اشبه شيء يعتقد مركب من
سته كواكب ولكن اذا رصدها بنظارة فلكية وجدها مركبة من مائة
وثمانية وثمانين نجماً لامعاً . وليس يخاف على من له المام زهيد بعلم الهيئة
ان الشمس جرم كبير يتركب من مواد تكفي لتكوين ٣٥٤٩٣٦ كرة
مثل كرة ارضنا . وقطر الشمس يوازي نحو ٨٨٣٠٠٠ ميل . ولكي يسهل
على القارئ ادراك جسامة الشمس نقول له : لو جعلنا مركز الشمس
محاذياً لمركز الارض لفضل من سطح جرم الشمس حواش عريضة على
مسافة كافية ليدور ضمن دائرتها القمر وتكون تلك المسافة موازية للمسافة

الكائنة بين الارض والقمر . ولما المعلوم ايضاً ان شمسنا هي من جملة الملايين من النجوم الثابتة او الشمس المنتشرة في « المجرة » المعروفة في اصطلاح العامة « بدرب التبانة » . فلو افترضنا وجود خلائق في نجم من نجوم الثريا ونظروا الى شمسنا لرأوها نجماً من جملة النجوم المنتشرة في « المجرة » . ولو استطاعوا مشاهدة ارضنا ايضاً لرأوها من اصغر النجوم الكائنة في قلب المجرة . وقد قال المعلم « هرشل » ان شعاع النور المنبعث من نجم في احد طرفي المجرة لا يصل الى النجم الذي في الطرف الآخر منها الا بعد مرور الف سنة من سيره بسرعة ١٢ مليوناً من الاميال في كل دقيقة . وقد حسب المعلم « استروف » المشار اليه بحساب الوسط المسافة الكائنة بين ارضنا وبين بعض النجوم الثابتة فوجد ان النور المنبعث من النجوم التي تحسب من « القدر الاول *Prima Magnitudine* » اي التي تظهر لعين الناظر اليها اكبر من غيرها - يصل اليها نورها بعد ١٥ سنة وسنة اشهر . والتي من « القدر الثاني » - اي اقل نوراً من الاول - يصل اليها نورها بعد ٢٨ سنة . والتي من « القدر الثالث » - اي اقل نوراً بما قبلها - يصل اليها نورها بعد ٤٣ سنة . والتي من « القدر التاسع » - اي الاقل نوراً من جميع النجوم والاصغر منها منظرًا - يصل نورها اليها بعد مرور ٥٦٨ سنة . ومن هذا التعديل يستطيع العقل البشري ادراك جزء من ملايين من سعة هذا الكون الفسيح .

وبناءً على ذلك اخذت بعين الاعتبار حساب العلامة المشار اليه

وزعمت ان شمسنا متصل في سيرها يوماً ما الى اثنج المسمى من علماء
 الهيئة « بالنسر الواقع » . فتجذب منه انجذاباً تاماً وتسقط عليه وتصير له
 طعاماً مع سياراتها كما هي نفسها تجذب اليها الآن الوفاً في الوف من
 الاجرام المارة بقربها وتبتلعها ومثلها في هذا مثل العنكبوت الذي يجثلي
 في قلب شبكته ويترصد كل ذبابة تمر بجانبه ليصطادها ويقتات بها .
 والشمس بابتلاعها تلك الاجرام واحراقها اياها تحفظ كيانها وتعوض بها
 عما تنقده يومياً من النور والحرارة . فهذه عادة الله في تكوين هذا الكون
 الفسيح باجمعه . فانه تعالى قد جعل كلاً من مخلوقاته ان يحافظ على
 تركيب ذاته باصطياد وابتلاع غيره . فما كان اليوم صياداً صاد في
 الغد صيداً لغيره . كما قال ابن العلاف في رثاء هرّ له :

صادوك غيضاً عليك وانتقموا

منك وزادوا ومن يصد يصد

فبينما كنت اردد في عقلي هذه الحقائق الطبيعية خطر بيالي احد
 الحكماء الذي شبه هذا الكون العظيم « بمسوخ عام » وقال : اني لا اعجب
 من عالم لا يدوم عمرانه الا بالخراب . فدوام فرد من الحيوان لا يتم الا
 بتخريب واتلاف حيوان آخر . ودوام نبات من النباتات لا يكون الا
 بتخريب نبات آخر او بتحليل عنصر من العناصر . فما الكون اذا الا
 تركيب يعقبه تحليل وتحليل يتلوه تركيب وهذا الحال منظور في
 ارضنا . وما هو جارٍ في ارضنا جارٍ بعينه في جميع الشمس والكواكب
 والاقمار . وكما يهلك حيواناً حيواناً آخر ليققات به هكذا تنحل على

الدوام الوف في الوف من النجوم والكواكب السيارة لتصير قوتاً ليهوم
وكواكب اخرى . وكما تنحل نجوم كل يوم هكذا تكون من انقاضها
وعناصرها شمس وكواكب جديدة كل يوم . ولا يزال هذا الكون
سائراً على هذا القانون العام ما دام الله جل جلاله يحركه ويدبره بهذه
الطريقة العجيبة

فريثما كنت اهدس في هذه النظريات وانا اتمشى تحت ظل اشجار
الصنوبر على جبل « خريستو » المذكور اعلاه طَوَّحَ بي قانون « تلسل
الافكار » الى نظرية « الجواهر الفرد » ايضاً . فرأيتُ في هذه النظرية
حقائقٍ ساقنتني الى الاعتراض على النظرية السابقة التي كنت اهدس
بها واجعلها اساً لخراب الشمس وسياراتها

وذلك اولاً اني رأيت ان سير الشمس بكواكبها السيارة الى جهة
نجم « النسر الواقع » لا ينتج منه ضرورةً انجذابها منه وسقوطها عليه
وصيرورتها طعاماً له كما يصير لها طعاماً كثيراً من الاجرام الصغيرة التي
تمر بقربها . لان نجم « النسر الواقع » الذي هو في حد نفسه شمس اكبر
من شمسنا يسير بسرعة مخصوصة له الى جهة الشمال منجذباً من شمس
اكبر منه . وهكذا يجري في جميع الشمس التي يتبع بعضها بعضاً بقوة
قانون الجاذبية . وكلها تسير بكواكبها السيارة الى جهة كوكب عظيم هو
مركز جميع الشمس والاجرام السماوية على ما ذهب المعلم « اسحق
نيوتن » (Newton) . وبناءً على ذلك تكون جميع الاجرام السماوية
دائرة في افلاكها بسرعة مخصوصة لها ويبي بعضها بعضاً من دون ان

يلتقى بعضها بعضاً او يصدم بعضها بعضاً او يقع كوكب على كوكب اخر .
 وقولنا هذا مسنود الى نظرية « الجواهر الذرد » . وذلك لانه من المعلوم ان
 الاجسام كلها تتركب من الذرائر الدقيقة التي تعرف في اصطلاح فن
 الكيمياء « بالجواهر الفردة » . وان كلاً من هذه الذرائر منجذب من
 التي حوله في حال كون كل ذرة تبتعد عما حولها من الذرائر بالقوة
 « المتبعدة عن المركز » . وهكذا تبقى كل ذرة قائمة بنفسها في مركزها
 من دون انجذاب مما حولها ومن دون تماس مع ذرة من الذرائر التي
 حولها بل تلبث ساجدة في سياتٍ لطيف يعرف في اصطلاح فن الكيمياء
 « بالاثير » . وهذا كله مسنود الى القانون الطبيعي العام . لانه متى
 وقع جسم بين قوتين متساويتين انجذب من كل منها على حدٍ سوى .
 ومن حيث ان احدى القوتين ليست باقوى من اختها لتغلبها وتستقل
 يجذب ذاك الجسم اليها لث الجسم بين القوتين على بعدٍ متساو منها
 متحركاً على محوره في خلاء او فراغ يسمى « بالسام » . اما قولنا ان
 ذلك الجسم او الذرة من الذرائر تدوم متحركة على محورها في مكانها فهو
 قول لا يخالف فيه اثنان ولو ظهر الامر للعيان بخلاف ما هو عليه .
 لان السكون المطلق ضرب من المحال . ولا توجد ذرة من ذرائر هذا
 الكون ساكنة ما دام الله الذي هو الحياة والحركة بالذات يحركها بحركته
 الابدية . وقد قيل « السكون موت والحركة حياة » . ومن حيث لا
 سكون في اصغر ذرائر الكون كان لا « موت » حقيقي في الكائنات .
 وما يظهر لنا من الكائنات في حال السكون هو بخلاف ما هو عليه .

وما يجعلنا ان نراه على تلك الحالة هو قصر قوتنا الباصرة التي تغشنا في امور كثيرة . اما في عين الحقيقة فكل ذرة من الذرات التي هي اس تركيب الاجسام تدور على محورها بجرعة لا تعرف السكون . لان المحرك الاصلي لها هو الله نفسه كما قال بولس الرسول : انا فيه نوجد وفيه نحى وبه نتحرك . . والله هو الحركة الازلية والابدية . وبناءً على ذلك ان الجبال الراسية ولصخور الراسخة ولثمن ظهرت لنا ساكنة فذراتها تتحرك بجرعة دائمة على محورها . وكذلك المرآة الصقيلة التي لا يظهر لنا على سطحها اثر الذرات والمسام من شدة صقلها فهي نفسها مع سطحها الصقيل مركبة من ذرات متحركة على محورها في فلك مساهما مثل كرية صغيرة ساجحة في الاثير . وحكمها حكم كرة ارضنا التي تدور على محورها في قلب فلكها . والمسام الموجود بين ذرة وذرة ليس فراغ كما بنوهم بغض الناس بل هو مشحون بميوينات لا تمضى تعرف « بالبعوض » ويسمى علماء الافرنج « بالمايكروب » . وما قلناه في ذرات المرآة الصقيلة ومساهما ينطبق على جميع الذرات التي هي اس التركيب في اجسام الحيوان والنبات والجماد والموائع . فالمايه بوجه العموم سواء ظهرت لنا ساكنة كماء الاحواض او هائجة بتحريك الرياح لها كماء البحار والانهار فذراتها تتحرك بجرعة دائمة على محورها كما تتحرك الذرات التي هي اس تركيب الدم الساري في عروق الحيوان والانسان واس تركيب لحمه وعظمه . وهذه كلها تتحرك على محورها بجرعة دائمة من وقوع صدمة بينها وبين ما يجاورها من الذرات . وازيد على ذلك قولاً اخرلاً يخشى

عليه من منكر ان الذرات التي هي اس التركيب لجسم البعوض او
الميكروب الساج في الدم والمعشقة في مسام الاجسام تتبع هذا
القانون العام

وهذه الحركة التي في الذرات لا تقتصر على الذرات التي هي اس
التركيب للاجسام الحية بل تشمل ايضاً الذرات التي تتركب منها
العظام البالية في قبورها . وكل ذرة من ذرات الطعام الذي يلج معدة
الحيوان والانسان لا تزال متحركة على محورها في جميع انقلاباتها سواء
استخالت الى دم او الى لحم او الى عظم او الى شعر او الى ظفر . وفي
كل حركاتها لا تصدم ولا تمس ما يجاورها من الذرات . وحكمها في
كل ذلك حكم الاجرام السماوية التي تدور على محورها في افلاكها بلا
مصادمة اصلاً .

فبناءً على القانون المار ذكره لا ينتج من سير شمسنا مع كواكبها
السيار الى جهة برج « شيلاق » انها سوف تنجذب يوماً من الايام
من نجم « النسر الواقع » وتصير طعام لهيبه . ولا سيما ان هذا النجم
نفسه مع ما هو عليه من الكبرانما هو سائر بسرعة مخصوصة له نحو الشمال
ومنجذب من نجم آخر اكبر منه . وعلى هذا النسق نجوم او شمس
كثيرة لا يدرك العقل البشري عددها تسير هذا السير ويتمقب بعضها
بعضاً . وقد قال بهذا القول المعلم « اسحق نيوتن » الفلكي الانكليزي
المشهور وعلم ان جميع الشمس المنتشرة في القبة الزرقاء التي فوق رؤوسنا
تدور بكواكبها السيارة واقمارها العديدة حول كرة عظيمة كائنة في مركز

هذا الكون الفسيح الموصوف « بالغير المتناهي »

وان سألتنا العلماء عما يريدون بوصفهم هذا الكون « بالغير المتناهي » قالوا لنا في جوابهم : ان تصور « كون غير متناه » كان قد اقلق افكار الناس طرّاً وحير عقولهم منذ اجيال عديدة . وكان كل حكيم وفيلسوف في الاعصار الغابرة يتصور ان هذا العالم المشحون بالنجوم والكواكب عالم لا حدّاً له ولا نهاية . وعلى زعمهم لو كان الانسان خالداً وتمكن من الصعود على خطٍ مستقيم الى جهة السماء وسار قروناً في قرون متتلاً من برج الى برج ومن فلك الى فلك لما ادرك نهاية هذا الكون ما دامت الابدية ابدية . ولذلك لم يستطع احدٌ من حكماء الزمان على حل عقدة هذا « الغير المتناهي »

ولكن لما كنت مقيماً بلندرة منذ نحو ١٥ سنة عقد بعض من الحكماء وعلماء الهيئة مجعماً علمياً للبحث في مسألة هذا « الغير المتناهي » فحرت بينهم مناظرات طويلة عميقة في هذا الباب . وكانت نتيجة ذلك انهم قرروا باتفاق الرأي ان « الغير متناهي » هو عبارة عن « دائرة كبيرة » واوضحوا ذلك بقولهم : لو عاش الانسان عمراً طويلاً وتيسر له السير نحو قبة الفلك ادهاراً من الزمان على خطٍ يخاله مستقيماً لسار في حقيقة الامر على خط دائرة . وانه بعد سيره دهرًا طويلاً على خط تلك الدائرة يصل في الآخر الى عين النقطة التي انتقل منها ساعة سفره . وهكذا يكون قد سار ضمن دائرة تامة . ولما كانت الدائرة خطاً غير

متناهٍ اي لا اول له ولا آخر كان هذا الكون النسيح ايضاً « غير متناهٍ » .

وقد شبهتُ هذا السير في الافلاك بسير الانسان حول الكرة الارضية . فاذا رحل الانسان من بورت سعيد ودخل ترعة السويس من جهة البحر المتوسط وسار في البحر الاحمر ثم بجر الهند ثم وصل الى جزيرة سيلان ثم الى مضيق « ملقا » ومر بمدينة « سنغافورا » ثم بمدينة « سيفون » في سواحل « كوتشين شين » ثم بجزائر اليابان ثم قطع البحر المحيط ووصل الى « سانفرشسكو » في سواحل « كاليفورنيا » بامريكا ثم سار منها بالسكة الحديدية الى « نيويورك » ثم ركب البحر منها وقطع الاوقيانوس او بجر الظلمات . ثم وصل الى « ليفربول » من بلاد الانكليز . ثم ركب قطار سكة الحديد الى لندرة ودوفر او سار بجرّاً الى جبل طارق ومنه الى بورت سعيد اي الى النقطة التي رحل منها . وكل هذا الوقت يظن انه سائرٌ على خط مستقيم مع انه كان سائرّاً على خط دائرة الكرة الارضية . وعلى هذا النسق كل جسم من الاجسام الفلكية يسير في فلكه على خط دائرة . لان القوة الجاذبة الى المركز من شأنها ان تصده عن السير على خط مستقيم .

وبناءً على ذلك كانت جميع شمس هذا الكون مع كواكبها الشيارة سائرة على خط مفروض في شكل دائرة كبيرة حول مركزها العظيم . ولا يعلم احد غير خالقها ومحركها ومدبرها مدة السنين التي تكمل دورتها المذكورة من دون تماس ولا اصطدام بعضها ببعض . فعلى هذا التمث

زعم هؤلاء العلماء انهم قد ادركوا هذا « الغير المتناهي » الذي عجزت عن ادراكه عقول البشر في الاعصار الخالية

الخلاصة

ان نظرية « الذرائع » التي شرحناها قبلاً لا تناقض نظرية المعلم « تومسون » فيما أُنيط بانطفاء نور الشمس وخرابها بعد عشرة ملايين من السنين . فقط انها تشير الى خراب الشمس بواسطة اخرى غير الاصطدام او الوقوع على برج « شيلاق » والاحتراق بلهب شمس اخرى تعرف اليوم بنجم من النجوم الثابت المسمى « بالنسر الواقع » الى غير ذلك مما تصورته وانا على جبل « خريستو » . لان وقوع هذا الاصطدام الموهوم محالٌ بمقتضى القوانين التي وضعها الخالق الحكيم لحركة مخلوقاته من الشمس والكواكب

اما طريقة انحلال الشمس والكواكب وتركيبها من جديدي نظام اكثر كمالاً من الاول فلا يعرفها حق المعرفة احد غير خالقها . وكما ذهب اليه البشر من المذاهب والنظريات هو ضرب من الحدس والتخمين . وربما ظهر هذا الحدس لعقولنا القاصرة مقارباً للصواب . اما عين الحقيقة فلا يعلمها الا الله وحده . وقد اشار الانجيل الشريف الى ذلك بقوله :
واما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها احد ولا ملائكة السموات
(متى ص ٢٤ - آية ٣٦)

فاذا وجد القارىء في هذه المقالة نظريات فلسفية غريبة عما الف سماعه او ظهرت له مناقضة لنصوص الكتب المقدسة فليس الامر كما يظهر له . لان الله جلّ جلاله لم يُنزلَ سفر التكوين في طرز كتاب في علم الهيئة ليعلمنا به الطريقة التي سلكها في خلقه الكائنات بل انزله كتاباً دينياً اديباً ليرشدنا به الى طريقة عبادته فللدين احكام وللنظريات العلمية والفلكية احكام . وليس في هذه الاحكام تناقض حقيقي . ولكن ظهور التناقض فيها صادر عن قصر ادراكنا وعجز عقولنا عن استيعاب كنه الحقائق السامية وغوامض الطبيعة . لانا جزء من كل والجزء لا يسع الكل

وقد قام في هذه السنين الاخيرة بعض من العلماء وتفرغوا الى تطبيق الاكتشافات الفلكية الجديدة على ما كتبه موسى في سفر التكوين . ولما كان المجال ضيقاً في هذا الباب ضربنا صفحاً عن تلك المباحث العويصة خشية الاملال - واتصرتنا على نظم الايات الآتية :

﴿ الشمس ﴾

الله نورٌ فوقَ عرشِ ذي جلال
 من نورهِ برأ الضياءَ من الازل
 من عرشه السامي بدا امر له
 « كن يا ضياءُ فكان » فوراً واشتعل

وتفلكت وتبهرجت في برجها
 شمسٌ واحيت بالضيا كل الملل
 يا نورَ صبحِ امه شمسُ الضحى
 وهلال فرقِ الحسنِ عن ذاك انتقل
 يا شمس ما ابى جمالك سيما
 بضياء طلعتك الجمال قد اكتمل
 قد زين الخلاق قبة عرشه
 بكواكب من غير نورك لم تنل
 بك نورَ الاقمار حين تكونت
 ربُّ بحمته غدا اصل العلل
 يا شمسُ منك نال كل حياتنا
 يا شمسُ فيك الناس قد وضعوا الامل
 يا شمسُ فيك الكائنات تجملت
 وجمالها من نور وجهك قد حصل
 قد فاض بحر ضيائك الطامي على
 كل البرايا واغشت منه المقل
 بشهاب نور لحاظك النجلا غدت
 مفتونة مسحورة كل الملل
 ماء البحار بدون حرك جامد
 وكذلك الانهار لا تجري العمل

عن وصفك الغاني الخلائق قصرت
 وغدت قوافي الشعر تنحت في فثل
 الوان نورك في الشعاع تحللت
 فكست زهور رياضنا ابي الحلل
 لولا احمرار في خدودك يجنلي
 خد الخريفة من بهائك ما نجل
 لولا ضياؤك يا غزالة ما رنا
 في الكون طرف الغايات ولا اكمل
 لولا شعاع غزالة ما كان في
 عين الفزال تلفت لنوي الغزل
 لولا بدت منك الحرارة في الضحى
 ما اوردق الفصن الرطيب وما حمل
 لمولابك الاعشاب تنبت في الربى
 ما عاش نمل في البرية او جمل
 لمولاك يا نور السماء لما بدا ال
 انسان في ثوب الملاحه من عجل
 لمولاك يا شمس الكيان لما بدا ال
 تاريخ عند الناس او عرف الاجل
 مني السلام على محياك الذي
 من حسنه وجه الكواكب قد نجل

منى عليكِ تحيةٌ وقت الضحى
وتحيةٌ ان غاب نوركِ وارتحل



كذب المنجمون

القصة - ادعى بعض من المنجمين سنة ١٨٧٠ انهم قد اكتشفوا عموداً كهربائياً نازلاً من قرص الشمس الى الارض وان هذا العمود الكهربائي سوف يصل الى الارض في اخر سنة ١٨٧١ ويمرق غلال الارض ويجلب القمح على سكانها ويسبب في الجو حرارة غير معهودة ويبوسة شديدة في الهواء وينقص عيش كل من دب ودرج على سطح الارض ويكون ذلك العمود الكهربائي نذيراً بقرب الساعة وقيام القيامة . وقالوا ان العمود المذكور هو «نهر النار» المعبر عنه في نبوة دانيال حيث قيل : مجلسه لميب نار . بكراته نار مشتعلة . نهر من نار سريع يخرج عن وجهه ويسير امامه جلس للقضاء وانفتحت الاسفار . (دانيال ص ٧٤٠) او هو ما اشار اليه بطرس رئيس الحواربين في رسالته الثانية بقوله : يأتي يوم الرب كالسارق اليوم الذي تزول فيه .

السّموات بانفداعة شديدة والعناصر تنحل بالحر والارض وما فيها مصنوعاً
يحترق (ر ٢ ص ٣ عد ١٠) ثم قالوا ان هذا العمود الكهربائي قد اخذ
في الامتداد شيئاً فشيئاً من كره الشمس الى جهة الارض وقد صار
طوله الآن خمسة واربعين مليوناً من الاميال وذلك نحو نصف المسافة
التي بين الشمس والارض

وادعى منجم آخر من قس الانكليز ان الله تعالى اوحى اليه
بان القيامة سوف تقوم في اليوم الثامن من شهر تشرين الثاني لعام ١٨٨١
ثم ادعى رجل آخر ان الله جل جلاله قد اوحى اليه بقيام القيامة
في اليوم الخامس والعشرين من شهر نيسان لسنة ١٨٥٤ والف كتاباً في
اثبات ادعائه ورفعته الى البابا بيوس التاسع بهذا الاسم يستأذنه بطبعه .
فاذن له البابا المشار اليه بطبع ذلك الكتاب في اليوم السادس والعشرين
من ذلك الشهر وتلك السنة اي بعد مرور الوقت المضروب للقيامة من
ذلك المنجم بيوم واحد . واحتج على ذلك بقوله : اذا قامت القيامة
في ٢٥ نيسان كما ادعى ذلك المنجم فلا يحتاج البشر الى كتابه . وان لم
تقم القيامة في اليوم المذكور ظهر كذب النبوة وعدل المؤلف نفسه عن
طبع كتابه واشهار كذبه

فلما ظهر كذب النبوات السالفة وكانت مناقضة للعلوم الطبيعية
اخذت بتفنيد آراء اولئك المدعين بوجه الايجاز كما يأتي وقات :
اولاً ان نزول عمود كهربائي من الشمس الى الارض واحراقها
مع من عليها لمن الاوهام الصيانية ولكي يتضح بطلان هذه الاوهام

اذكر في هذا الباب شيئاً عن كرة الشمس ومادتها وحرارتها ونورها وعن كيفية انبعاث النور والحرارة من جرمها وعن كمية ما تفقده من النور والحرارة كل سنة وعن طريقة تعويضها ذلك

فتبعث الشمس دواماً ليس الى كرة ارضنا فقط بل الى الجوّ النسيج المحيط بها كمية عظيمة من الحرارة . وتنفد ايضاً قوة فعالة بنسبة كمية الحرارة المفقودة منها سنوياً

فان قيل من باب الاستفهام اذا كان ما قلته صحيحاً لماذا لم نشعر به ولماذا لم يذكر عنه شيئاً العلماء والمؤرخون من قديم الزمان ؟

قلت في جوابي على ذلك . ان كتلة عظيمة مثل جرم الشمس التي هي اعظم من كرة ارضنا بالف الف وثمانئة وعشرين الف مرة لا تبرد حرارتها بسرعة كافية تجعلنا ان نشعر بفقدانها . لان تناقص الحرارة يتم قليلاً قليلاً كما قال بعض من علماء الهيئة

ثم ان كمية الحرارة المنبعثة من الشمس والواصلة الى ارضنا سنوياً تعادل بالتقريب درجة حرارة شديدة بهذا المقدار حتى اذا تجمعت كانت كافية لان تذيب من الحديد ما كان سمكه نحو اربعين ذراعاً لو وجد ذلك على سطح الارض . لان هذا الكوكب المنير يبعث من كل جهاته كمية من الحرارة ضعف ما يرسله الى كرة الارض بنحو الفين وثلثمائة مليون مرة ٢٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠

اما ما تفقده الشمس من الحرارة سنوياً فقد ضرب المدققون معدله فوجدوه يوازي نحو واحد وخمسين طغمة وستائة وواحد وسبعين رتبة

الكواكب السيارة . وهذا قد ثبت بالاكتشاف العلمي . وعدا ذلك فان الارض وعطارد والمريخ والزهرة والمشتري وزحل ونبوتون واوران واقمار الكواكب السيارة مع ما ينوف عن مائتي سيارة صغيرة سابحة في افلاكها بين الارض والمريخ قد انشقت من جرم الشمس فتكون مواد الشمس مظلمة مثل مواد ارضنا ومواد بقية الكواكب المشتقة منها واما المواد المشتعلة فهي طارئة عليها ومنتشرة على سطحها فقط . وطريقة وجود هذه المواد المشتعلة على سطح الشمس قد بينها المعلم « روبرت ماير » المشار اليه بنظريته التي بناها على القاعدة العامة الطبيعية - الحركة علة الحرارة - اي ان الحركة تسبب الحرارة . وطبق هذه القاعدة على الطريقة التي بها تعوض الشمس على نفسها ما تنفقه من الحرارة والنور يومياً . وقال :

اذا هبط جسم من الشمس الى الارض من دون ان يصادم اجساماً اخرى في هبوطه ويقفز عنها اكتسب حرارة شديدة بمجرد هبوطه فقط . مثله مثل كرة من رصاص فاذا سقطت هذه الكرة من علو ١٢٧٥ متراً وصدمت الارض وفقدت بتلك الصدمة سرعة سيرها حالاً اكتسبت من الحرارة ما يوازي درجة حرارة الماء الغالي . واذا هبطت من مكان اعلى من ٤٣٠٠ متر تقريباً مثل علو الجبل الابيض عن مساواة الحجر ذابت من ساعتها . ومثلها كرة من حديد فاذا سقطت من علو ثمانية واربعين كيلو مترا بالتقريب وصدمت الارض في هبوطها اكتسبت الف درجة من الحرارة واستحالت الى احمرار منير كأنها خارجة من اتون النار وصارت في الوقت عينه حارة ومنيرة معاً . ومن اراد

ان يختبر صحة ذلك عليه ان يستحضر آلة قادرة على ان تكسب هذه الكرة الحديدية سرعة تسير بها مسافة تسعمائة واربعة وسبعين متراً . ومتى قذف بالآلة تلك الكرة رآها استحالت الى كرة نارية محرقة ومضيئة معاً عند صدمها الارض . وليس هذه الحرارة وهذا الضياء فيها الاً من مجرد سرعة حركة سيرها . وهذه المفاعيل الطبيعية لا تقتصر على الاجسام الكبيرة بل تشمل اصغر الذرات ايضاً . فاذا افترضنا ان ذرة صغيرة من الحديد اشبه شيء بذرة من الرمل اكتسبت في هبوطها سرعة توازي السرعة التي يسقط بها الجسم من علو ٩٧٤ متراً حصلت هي ايضاً على حرارة توازي الف درجة وصارت منيرة ايضاً

فبناءً على ذلك يقول المعلم المشار اليه ان عدداً لا يحصى من الذرات والاجسام الفلكية [Corps Cosmiques] تطوف حول كرة الشمس وتسبح في الاثير المحيط بها . ولما كانت تلك الذرات اصغر من جرم ذرات الاثير حملها الاثير وحال دونها ودون سقوطها على الشمس دفعة واحدة وجعلها ان تتناثر عليها رويداً رويداً . وعندما تسقط هذه الذرات على سطح الشمس بقانون الجاذبية تصدمها صدمة شديدة وتستحيل الى حرارة ونور كما شرحنا قبلاً . وتعوض على الشمس ما تفقده من النور والحرارة

واذا اردنا مثلاً حسياً لذلك وجدناه في نفس ارضنا . وذلك اننا نرى الارض التي هي اصغر جرماً من الشمس بنحو الف الف مرة وثمانمئة وعشرين الف مرة وجاذبيتها اقل من جاذبية الشمس بالقياس

المتناسب تجذب اليها من الجوكية وافرة من الشهب المعروفة عند العامة « بالنجوم الساقطة » . فقد شوهد في مدينة « بوسطن » من امريكا الشمالية سقوط هذه الشهب على الارض مثل سقوط الثلج اذا عصفت به الارياح . وقد ضرب العلماء معدل ما سقط منها في ليلة فبلغ ٢٤٠٠٠٠ شهاب بالتقريب . فاذا كان في مدينة بوسطن فقط سقط هذا العدد من الشهب في ليلة واحدة فيكون ما سقط من الشهب تلك الليلة على سطح الكرة الارضية قد بلغ مئات من الملايين . فعلى هذا القياس تكون الشهب التي تجذبها الشمس اليها من الاثير المحيط بها ما زاد على الف الف مرة من مئات الملايين وثمانائة وعشرين الف مرة من مئات الملايين تقريباً . فعلى رأي المعلم ماير المشار اليه ان هذه الشهب الساقطة على كرة الشمس تكسبها حرارةً وضياءً وتعيد لما كانت قد فقدته

ثم ان المعلم ماير المشار اليه لم يقتصر على هذا القول فقط بل قد حدد سرعة سقوط هذه الذرات على الشمس بالتقريب فقال :
 لمن المقرر في القواعد الطبيعية ان سرعة سقوط الجسم تكون مناسبة لعلو النقطة الساقط عنها . وكلما ارتفع محل سقوطه زادت سرعة سقوطه . واذا كانت الاجسام الساقطة صغيرة كانت سرعة سقوطها مناسبة لجذرها المربع

اما الجاذبية فنسبتها بعكس مربع المسافة . وهذا الحد لكوكب كروي الشكل هو نفس السرعة التي لكان اكتسبها لو كان الارتفاع موازياً

لشعاع الكرة الجاذبة . فمعدل هذه السرعة في الشمس هو ٦٣٠٠٤٠٠ متر في كل ثانية . وهذه اعظم سرعة جاذبية الشمس . ومعدلها الاقل هو ٤٦٥٧٥٠ متر في كل ثانية . ومفعول الحرارة يناسب مربع السرعة . ومن ثمة ان سقوط شهاب على كرة الشمس يسبب حرارةً درجتها ستة آلاف في ستة آلاف مرة اكثر من الحرارة التي تحصل من احتراق كمية من الفحم موازية لجرم الشهاب الساقط . وبناءً على ذلك لتعويض ما تفقده الشمس من الحرارة والنور يكفي ان يُزاد عليها في كل دقيقة مائة الى مائة وخمسين الف الف كيلو غرام من الحرارة . ومن ثمة ان جرم القمر الذي يبلغ وزنه نحو تسعين الف تريليون كيلو غرام اذا سقط على كرة الشمس اعطاها من الحرارة والنور ما يكفيها مدة سنة ونصف سنة . وان كرة الارض التي هي اكبر من كرة القمر ستين مرة اذا سقطت على سطح الشمس اعالتها بالحرارة والنور اكثر من مائة سنة .

ثم ان الحرارة المسببة من الهيدروجين المحترق في الاكسجين تبلغ الى الفين وخمسمائة درجة . وفي هذه الدرجة من الحرارة يشغل الغاز جرمًا اكبر بعشر مرات من الجرم الذي يكون فيه درجة واحدة من الحرارة . لان البخار متى وجد في درجة الحرارة التي تجعل جرمه اكبر مما هو عليه بعشرة اضعاف لا يستطيع مقاومتها . والحرارة المطلوبة لترقي هذا الغاز الى الفين وخمسمائة درجة توازي الف وستمائة وثمانين وزنة تسمى باسم كالوري في عرف ارباب الفن . ووزنه « الكالوري » توازي اربعمائة وخمسة وعشرين كيلو غراما . وكمية الحرارة المكتسبة من

ذلك توازي ١٦٧٤٣٣٦ كيلو غراماً أو قوة ثلاثة وعشرين الف وثلثمائة وواحد وثمانين حصان بخار . وهذه الكمية من الحرارة توازي الحرارة المنبعثة من قدم مربع من سطح الشمس في برهة بضع دقائق فنذ قيد تاريخ العلوم الحوادث العلمية الى الآن ما قيد نقصان شيء من حرارة الشمس مع كونها تفقد كل دقيقة كمية وافرة من الحرارة كما انضح قبلاً . فاذا كان الامر على ما صرحنا به بقي علينا ان نقول ان الطريقة التي بواسطتها تعوض الشمس على نفسها ما تفقده من الحرارة والنور هي طريقة طبيعية . وبقولنا هذا لا ننكر قوة الله تعالى القادر على كل شيء الذي خلق الشمس والعوالم كلها . ولكن نقول انه يستخدم قوى الطبيعة التي خلقها ليدبر بعضها اعضاً . كما يسخر البرودة لحل البخار الى مطر ويسخر المطر لصالح النبات ويسخر النبات ليقيت الحيوان وهلم جراً فاذا فحصنا في الوسطة التي يستخدمها الله ليعوض بها على الشمس الحرارة والنور فلا نكون قد حمدنا قوته القادرة على كل شيء . فالشمس اتون مستوقد وحرارة اشعتها شديدة جداً . وقد قدرها المعلم « واترستون » بستة ملايين وسبعائة الف درجة من مقياس ستفراد وبالنسبة الى ما تنفقه من الحرارة والنور كان يجب ان تنقص حرارتها ثلث درجات كل سنة

هذا ما كان من شرح نظرية المعلم « ماير » واما ما كان من نظرية التحليل والتركيب الكمي فهذه طريقته . قال اصحابها : ان الشمس تعوض على نفسها ما تفقده من الحرارة والنور بواسطة تحايلها ثم تركيبها غازي

الهيدروجين والاكسيجين . اي انها تكتسب بانتركيب ما تفقده بتحليل مثال ذلك ان قوة حرارة الشمس توازي سبعة وسبعين الف حصان بخار لكل متر مربع من سطحها . فالآن ثلث الكيلو غرام من غازي الهيدروجين والاكسيجين عند اتحادهما واستحالتها الى جليد يمثلان شغل سبعين الف ومائة وثلاثة واربعين حصان بخار . ولذلك قالوا ان الشمس لكي تعوض على نفسها ما تفقده يومياً من الحرارة والنور يكفيها ان تتركب في كل ثانية هذين الغازين وتجمدهما

ولما كان ثقل جرم الشمس موازياً لثقل نونيلينين من الكيلو غرام (اي رقم ٢ يتلوه سبعة وعشرون صفراً) اقتضى للتحليل وتركيب كل كتلتها نحو مائتي مليون من القرون . (١)

فاذا سلطنا ان كتلة الشمس مركبة من مواد غازية اي من غازي الهيدروجين والاكسيجين فمن اين انتها المادة الكهربائية حتى تكون منها

(١) يظهر بين هذا القول وبين ما قلته في مقالتي عن عمر الشمس ضرب من التناقض . فاني قلت فيها ان عمر الشمس تقريباً ثلاثون مليون من السنين . وقد اقتضى منها عشرون مليون سنة وبقي منها عشر ملايين من السنين . وهذا القول يشير الى دوام النور والحرارة في الشمس الى عشرة ملايين اخرى من السنين . والمائتا مليون من القرون التي ذكرناها هنا تشير الى تحليل كتلة الشمس وتركيبها . اي اذا افترضنا ان كتلة الشمس كلها مركبة من مواد غازية اقتضى لتحليل وتركيب كل اجزائها مائتي مليون من القرون . وهذا التحليل والتركيب مبني على نظرية العلماء الذين يذهبون الى ان كتلة الشمس مركبة من مواد غازية . فظهور التناقض بين نظريات العلماء لا يقضي بالهجب . لانها لو كانت مطابقة او قابلة للتطبيق لرجعت كلها الى نظرية واحدة ولم يبق لزوم الى تعددها

عمود كهربائي ونزل الى جهة الارض على مسافة خمسة واربعين مليون ميل ؟ كيف استطاع هذا العمود الكهربائي على المرور بكل هذه المسافة من دون ان يعترضه شيء ، يمكن من تحليله ؟ كيف لم يصدم كوكبا من الكواكب المنتشرة في ذلك الجو الفسيح ؟ كيف يستطيع هذا العمود الكهربائي على البقاء الى اثني عشر شهراً من دون ان يعترضه شيء من حوادث الجو وتأثيرات العناصر والموتفكات فتبدده ؟ فعلى كل حال ان نزول عمود كهربائي من قرص الشمس الى الارض من الامور البعيدة عن التصديق . ولذلك نظمت في كذب النجمين الايات الاتية

❖ النظم ❖

قد رام تخويف الانام منجم
 بعمود شمس خطبه خطب جل
 فاني يخوفهم باخر ساعة
 ويقول يا ناس احذروا واني الاجل
 هذي القيامة قد دنت فتأهبوا
 يميز بها الانسان عما قد فعل
 قد جئت تكذب يا منجم فارتدع
 حكم الطبيعة كائن منذ الازل

دَعَّ عَنْكَ تَجِيماً فَلَسْتَ بِصَادِقٍ
 وَدَرَّ الْأُمُورَ يُدِيرُهَا أَصْلُ الْعَمَلِ
 لَيْسَ الْكَوَاكِبُ سَبْعَةً أَوْ عَشْرَةً
 بَلْ مِثْلُهَا الْأَلْفُ تُسْرِي فِي عَجَلٍ
 فِي الْجَوِّ آآفٌ تَدُورُ وَغَيْرُهَا
 تَبْدُو ثَوَابِتَ فَاطْرَحَ عَنْكَ الْخَطْلُ
 مَاذَا الَّذِي شَاهَدْتَ لَيْلاً يَا فَتَى
 بِحَسَابِكَ الْمَغْلُوطِ فِي بَرَجِ الْحَلِ
 الشَّمْسُ غَازٌ لَيْسَ فِيهَا كَهْرَبَا
 وَعَمُودٌ نَارٍ لَا يَسِيرُ عَلَى مَهَلٍ
 إِنْ سَارَ فِي الْأَبْرَاجِ صَادِمٌ كَوَكْبًا
 أَوْ بَدَدْتَهُ الرِّيحُ حَتَّى لَا يَصِلَ
 كَمْ مَانَ قَبْلَكَ فِي الْأَنَامِ مَشْعُودٌ
 وَلَكُمْ كَذُوبٌ جَاءَ بِعَدِكَ وَارْتَحَلُ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ فَقَدْ بَدَا
 كَذِبُ الْمُنْجَمِ وَالْعَمُودُ قَدْ أَضْمَحَلُ



نهاية العالم

* ظهور النجم ذي الذنب وما يتبعه من اذئاب الارجيف *

قام رجل من علماء هذا العصر يقال له « آدولف فلب » ونشر بمدينة ويانه مجلة وسما « بايام البؤس » لانه لا ينشر فيها الا ما كان بؤساً على العالم مثل اخبار حدوث الزلازل وطفغيان المياه والزوابع المدهشة وهملاً جراً . وقد نشر هذه السنة ايضاً في مجلته المذكورة خبراً مشوماً في ظهور نجم ذي ذنب سوف يمر بفلك ارضنا ويصدمها ويمخرها في اليوم الثالث عشر من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) فتارت خواطر بعض الناس من جراء ذلك وشملهم الخوف من خراب الارض وذنو الساعة .

ولذلك رأيت ان اكتب شيئاً في حال هذا النجم وما شاع عنه من الارجيف مرات عديدة في ازمنة مختلفة فأقول :

ان الذي درى بظهور هذا النجم قبل كل علماء الهيئة كان المعلم « غوس » [Gauss] وذلك سنة ١٨٠٥ للميلاد . وادرك ظهوره اولاً بواسطة حسابات فلكية ثم رصده بالنظارة الفلكية وحسب مدة دورانه حول الشمس فوجدها نحو ست سنين . ثم غاب هذا النجم عن نظر

العلماء وما دروا بظهوره إلا سنة ١٨٢٦ للميلاد . وكان المعلم بيالا (*Biela*) قد اهتمدى الى ظهوره بواسطة الحسابات الفلكية ثم تمكن من مشاهدته بالنظارة لان هذا النجم لا يرى ابداً برأى العين . ثم رصده بالنظارة المعلم «غامبرت» (*Gambart*) في تلك السنة عينها ودقق في حساب دورته فوجده يدور على خط بيضي الشكل حول الشمس ويكمل دورته في نحو ست سنين وثمانية اشهر . وليس له جسم كثيف كباقي النجوم حتى لا نواة له ايضاً بل هو كتلة من بخار لطيف جداً

ولما عاد هذا النجم وظهر سنة ١٨٣٢ ازعج بعض المرجفين اهالي اوروبا بأراجيف مدهشة كما فعل المعلم فلب هذا العام وحصل حينئذٍ في باريس خوف شديد وقلقت سكانها قلقاً عظيماً حتى اضطر اعضاء الاكاديمية الفرنسية بباريس الى رفع المسئلة الي المعلم «اراجو» [*Arago*] الفلكي المشهور ليدقق فيها وييدي رأيه في شأنها . فاخذ هذا العلامة يعمل الفكرة في الحسابات الفلكية فوجد ان ذلك النجم سوف يمر تلك السنة بالخط الذي تمر به ارضنا في عين الوقت المضروب لمروره من علماء الهيئة . ولكنه لا يمر بنقطة من خط ارضنا حتى تكون قد ابتعدت عن تلك النقطة نحو خمسة وخمسين مليون ميل . ولهذا السبب لا يوجد خطر على وقوع المصادمة بينها . ولكن لو تأخر ذلك النجم في سيره نحو ثلاثين يوماً عن وقت وقوعه تحت تأثير جاذبية بعض الكواكب التي يمر بقربها . لكان حينئذٍ التقى بارضنا في نقطة الاقتران وحصلت المصادمة بينها . ثم قال المعلم اراجو المشار اليه اذا افترضنا وقوع المصادمة ايضاً

لما حصل للأرض ضرر من الأضرار . لان هذا النجم هو من النجوم التي لم تزل بعد في حال غماق خفيفة شفاة جداً . ولم يتكاثف بعد تكاثف النجوم السيارة ولا بلغ شيئاً من صلابتها . ومن المعلوم ان علماء الهيئة قد رصدوا هذه النجوم ودققوا في احوالها وفي المواد المركبة منها فوجدوها على ثلاثة انواع منها ما قد اخذ في التكاثف والاكتناز والدخول في هيئة النجوم السيارة الصلبة الاجسام . ومنها ما قد تكوّن فيه نواة مواد صلبة واخذت الغمامة تتكاثف رويداً رويداً . ومنها لا نواة له ولا تكاثف فيه كالنجم ذي الذنب الذي يخاف الناس الآن من اصطدامه بأرضنا

وكان العلامة سيرجون هرشل الفلكي المشهور قد رصد هذا النجم لما ظهر في عصره ووصفه بانه غمامة خفيفة شفاة جداً . وانه لما مر بمجموع نجوم صغيرة من القدر السابع عشر كانت تلك النجوم الصغيرة تظهر من خلال جرمه . ثم قال المعلم المشار اليه لو كانت غمامة عادية توسطت بين مجموع تلك النجوم الصغيرة وبين عيني الناظر لكانت حجبتها عن النظر . مع ان هذا النجم كله الذي يبلغ قطره عند مركزه نحو خمسين الف ميل لم يستطع ان يستر تلك النجوم الصغيرة ويحجبها عن النظر . ولا سيما انه لما مر بها كان مركزه محاذياً لمركز كل نجم من تلك النجوم الصغيرة . فهذا دليل من اكبر الدلائل على كون هذا النجم غمامة شفاة واكثر خفة من جميع الغمامات العادية . وما هو الا بخار شفاف مقبس ضياءه من نور الشمس . فاذا كانت مواد هذا النجم اخف من الغمام

والبحار فاي ضرر يحصل منها لارضنا اذا افترضنا وقوع المصادمة
بين ذلك اليبجم وبين ارضنا ؟

وكان هذا النجم قد ظهر ايضاً لما كنت ادرس العلوم في مدينة
رومه . وشاع الخبر حينئذٍ ايضاً ان هذا النجم سوف يصدم ارضنا ويحزبها
ويهلك كل ما عليها من الخلائق . فكنت ارى الناس رجالاً ونساءً
يسرعون افواجاً الى الكنائس وهم لابسون ثياب الحداد ويصلون ويتوبون
وينوحون ويدع بعضهم بعضاً ويتواعدون باللقاء في جنة الخلد زعمانهم
ان الساعة قد دنت ويوم النشر والحشر قد وافي

فر ذلك النهار وانا اتمشى في حديقة « مونتي بنجيو » ومرت تلك
الليلة وانا راقد على فراشي ومر ذلك النجم بفلكه ولم يشعر به احد .
وسوف يكون مروره هذه السنة ايضاً كباقي السنين والعلم عند الله
مكوكب الكواكب فانه علم حكيم .

ولذلك نظمت الايات الاتية في تشرين الثاني لعام ١٩٠٠

﴿ مجلة ايام البؤس ﴾

مجلة « فلب » بالنحوس تخبرُ
وكلاً بيومِ النشرِ والحشرِ تندرُ
و « آدلف » بالنجمِ جاء مهدداً
يقولُ قريباً كل حى سيقبرُ

وقامَ بناظورٍ يراقبُ نجمهُ
 ويحسبُ طول الليل والعقل يفكرُ
 وبيننا يراعي في السماء كواكباً
 تبدى له في الجو نجمٌ منكرُ
 فقال احذروا يا قوم صدمة كوكبِ
 من الجواتِ فوقكم يتدهورُ
 سيتلف فوزاً كل حيٍ وجامدِ
 على وجه هذي الارض ساعة يظهرُ
 أعدوا متاعَ السير قبل رحيلكم
 فليس لدى العرش النقائصُ تعذرُ
 فضجَّ على وجه البسيطة اهلها
 وقالوا لنا الويلاتُ في الغد نحشرُ
 وناحوا نوح الثاكلاتِ على الفنا
 وصارت من الخنف البرية تذعرُ
 ولا انقضى اليومُ المعين للقسا
 وما تمَّ ما كان المنجمُ يهدرُ
 تجلى على وجه الخلائق كلها
 سرورٌ وصارت بالتسايح تشكرُ

﴿ التكفير ﴾

﴿ نابوليون الاول ﴾

والتنوتى الانكليزي

روت الثقات نادرةً اتى بها نابوليون مع نوتى انكليزي . ونظّمها
 « توماس كبل » الشاعر الانكليزي في ابيات انكليزية . فاثرت انا
 ايضاً نقلها ونظّمها في ابيات عربية . وذلك لما تضمنته من كرم نابوليون
 وبره بالوالدين . فهذا الرجل الغريب الاطوار في كل الحالات رغمًا عما
 شنّ من الغارات وكثر من عدد الثاقلات وارتكب في حقهنّ
 افظع الجنايات بسوق اولادهنّ الى الغزوات كفر اخيراً بهذه النادرة
 عن بعض من تلك السيئات واتي العالم بدليل جلي على ان انقلب
 الذي كان اقصى من الجلمود في الحروب قد كان في البر والتقوى ارق
 من جميع القلوب . وان جبهه المفرط للسلطة الذي دفعه الى تضحية
 النوف في الوف من شبان اوطانه على مذبح كبريائه قد جعله حله
 ان يضحي كبريائه على مذبح الرأفة والحنو الوالدي في حق شاب
 من اعدائه

فبعدها دوخ هذا الامبراطور اواسط اوروبا وداس عروش الممالك

المجاورة له بنجيله علم بان اعداءه الالاء هم الانكليز وان ملوك اواسط اوروبا لم تكن لتندفع عليه مرة بعد اخرى الا بدسائس تلك الامة ودراهما . لذلك عقد اطراف الرأي على غزو جزيرة بريطانيا وتكليل الانكليز .

واذ لمن يكن لديه عمارة ليحاربهم بها بجرأ زحف الى « بولونيا » التي على شاطيء الخليج الانكليزي وبدأ بتجهيز عظيم لم تسمع من قبل بمثله اذن ولم تر على شكل تخطيطه الهندسي عين . وقد دعي هذا العمل في ذلك الزمان « بمجمة بولونيا » . وقصد بذلك اجنيز الخليج والمجوم على بلاد الانكليز . مقدراً خسارة مائة الف مقاتل لبلوغ المرام اما نحن فليس من شأننا التعرض الى كل ذلك وانما نقصر هنا على ذكر قصة النادرة المنوه عنها قبلاً ونقول :

قال الراوي : بينما كان نبوليون الاول يجيشه في مدينة بولونيا الفرنسية الواقعة على ساحل الخليج مصمماً النية على منازلة جزيرة انكلترا اتفق ذات يوم لشزيمة من جنده انها قبضت على سفينة انكليزية واسرت ملاحيا . وكان في عدادهم شاب انكليزي تلوح على محياه لواثم الجابة . وبالامر المقدور لم تكثرث جنود الفرنسيين بحجز حرية هذا الشاب . فكان يتردد كل يوم الى ساحل البحر ويجلس على الشاطيء ويفكر باوطانه ويود لو يكون له جناحان ليطير بها لاحقاً بالطيور التي كانت تمرُّ به اسراباً متجهة نحو وطنه العزيز مزوداً اياها كلما يزوده الغريب من الشوق الى اهله وخلانه . وكان في اكثر الاوقات يندب

سوء حاله وغربته عن الاوطان بمثل هذه الايات

دمعي يحاكي البحر في جريانه
 آه علي داعٍ دعا بفراقنا
 لو نلتُ منه لسانه لقطعتهُ
 من منصفي من ظالمٍ متحكِّمٍ
 يزداد ظلماً كلما حكتهُ
 ملكته روجي ليحفظ ملكه
 فاضاعني واضاع ما ملكتهُ
 لو كنت اعرف مسلكاً لسلكته
 وجرت دموعي مثل بحر زاخرٍ

بين بكائي وسهادي والجوى
 واحرقتي واحسرتني والوعتي
 وانوح والحزن على اوطانيه
 وتابعتها سنة في خمسة
 تكاملت اعدادها ثمانية
 الا قفوا واستمعوا مقاليه
 وذكرٌ وفكرٌ وزفيرٌ وضئ
 وفرط شوقٍ واشتغالٍ باليه
 في محنةٍ وغربةٍ وصبوةٍ
 ولهفةٍ وحرقةٍ ترانيه
 قل اصطباري واحتمالي للجوى
 لما نأى صبري دنا محاليه

قد زاد في قلبي تباريح النوى

يا سائلاً عن نار قلبي ماهيه

اصبحت في طوفان دمعي غارقاً

ومن جرا هذا النوى في هاويه

وفي ذات ليلة ارق ارقاً شديداً وحرمت عيناه لذة الرقاد وهو

يضرب احماساً لاسداس ليهبيء له عقله حيلةً يحثال بها على عبور البحر

والوصول الى الاوطان على غير مرأى من الفرنسيين . وفي الغد ادبلج الى ساحل البحر بلهفة قلب وحرقة فؤاد وجلس كعادته يندب سوءحظه وما آلت اليه حاله من الاسر وبيننا هو يرقب تلاطم الامواج اذا يبرميل كبير لتلاعب به اللجة قاذفة به الى الشاطئ . فاستبشر برويته وحاول اخراجه من البحر وعني باخفائه في غار وصار يعمل الفكرة في بناء فلك صغير من اخشابه ليركبها عابراً ذلك البحر العجاج المتلاطم بالامواج . وما عثم ان بدأ بعمل ذلك الفلك فاصاره من تلك الاخشاب جامعاً شتاتها بجمال ضمورها من سليخ لحاء الاشجار حتى اذا ما اتم عمله زعم انه قد بنى فلكاً منيعاً مع انها في الواقع لم تكن سوى اخشاب مصلبة موثوقة بجمال واهنة لا يأمن العاقل على نفسه من العبور بها اصغر غد ير . ولكن صاحب الحاجة ارعن لا يرى الا قضاها « ثم اتى بالزورق الى ساحل البحر . واذ هم بركوبه فاجأه خفراء الفرنسيين وحملوه بزورقه الى نابوليون . وكان الامبراطور وقتئذٍ منتصباً على قدميه مكتف الذراعين ولوائح الانس باسمته على وجهه المهيب . فالتفت الى الشاب الانكليزي وقال له ايها الشاب المغتر بنفسه ماذا الجأك الى هذا الجنون ؟ أملك عاشق مفارق ؟ وهل عشقتك حملك على ارتياد موارد التهلكة واقتحام احوال اخطار البحار ؟ أهل جمال من تهوى يقوم مقام شبابك ؟ كيف تخاطر بقطع بحر عجاج بزورق واهن بلا دفة ولا شراع ولا مقذاف ؟ لقد صدق فيك قول المثل « اول العشق داء واخره جنون » . فلما فرغ نابوليون من تقريعه النوتي رفع الشاب عينيه اليه وقال له بنجاعة : ايها

الملك انا لستُ بعاشق وانما انا مفارق . والتي طال علي فراقها ليست
معشوقتي بل هي والدتي . وقد ضاقت بي الدنيا بعد تخلفي عن حماها .
واني لا اخشى الموت قريباً منها وانما اخافه بعيداً عنها .

تضييق علي الارض خوف فراقها

واي مكان لا يضييق بخائف

وما اسفي الا على القرب بيننا

ولست على شيء سواه بخائف

فلما سمع نابوليون كلام الفتى برقت اسرة وجهه وحاول ان يخفي
الدمع الذي تفرق في عينيه وقال له : حبذا حبذا الفتى ؟ لله درك
من ولد نجيب ولا غرو ان تلد النجبية نجيباً . فقد ملأت عيني بشهامتك
وحزت رضائي واحساني بفرط حبك لوالدتك . فخذ هذا الدينار « ٢٠
فرنكاً » لتستعين به على سفرك من ارضنا . وهوذا سفينة مجهزة للملك
الي وطنك بامان وتوصلك الي احضان امك بسلام . فارحل بحفظ الله
وكن قدوة لشبان امتك واقراً السلام مني على والدتك . فدعا الشاب
لنابوليون بطول العمر وبقاء الملك . ثم ركب السفينة التي تحقق عليها
راية الامان . ولكنه حرص على الدينار ولم ينفقه لا بخلاً بل رغبة في
حفظه ذكراً مخلداً من عاهل خوله الحرية وغمره بالاحسان . وظل يشكر
المحسن اليه وهو يتمثل بقول جمال الدين بن نباتة

روت عنك اخبار المعالي محاسناً

كفت بلسان الحال عن السن الحمد

فوجهك عن بشرٍ وكفك عن ندى
وخلقك عن سهلٍ ورأبك عن سعدٍ

❖ النظم ❖

وطئتَ المعالي بالقنا والصورمِ -
وجزتَ الاماني بالحجى والمكارمِ -
وملكتَ من دنياك اعظمَ بغيةِ
تحاول ادناها رجالُ العظامِ -
وسرتَ الى خوض الردى بعزيمةِ
تدكُّ لذكراها جبالُ العزائمِ -
فكنتَ حليفَ النصر في كل حومةِ
كأن البرايا منك في كفٍ غانمِ -
« فطولونُ » (١) تنبي عنك اول وقعةِ
غنمتَ بها وصف الكبي المصادمِ -
واهرامُ مصرٍ والصحارى ونيلها
وسهلُ ابو قيرٍ وارضُ الاعاجمِ -
وقت كذي القرنين تطلب مشرقاً
لتنشى فيه ملك غازٍ وحاكمِ -

ولما رأيتَ الامرَ اشكلَ وجهه
 ووافى عدوُّ بالجيوشِ الحضارمِ -
 رجعتَ علي فلكٍ ولستَ بواجلٍ -
 من البحرِ فضلاً من عدوِّ مهاجمِ -
 وقلتَ اذا لم نبنِ في الشرقِ ملكنا
 سنبهله في الغربِ ضخمِ الدعائمِ -
 وجئتَ الي باريسٍ وهي ذليلةٌ
 فصيرتها بالعرزِ عينَ العواصمِ -
 وصرتَ مع الاثنينِ ثالثَ قنصلٍ -
 واعرضتَ وجهاً عن نصيبِ الدراهمِ -
 وفي فوزٍ «مارنجو» (٢) ثبتتَ قائداً
 وصارتَ فرنسا فيكَ قطبَ العظامِ -
 ولما توليتَ الاربيكةَ قابضاً
 على الملكِ ما بين الوغى والملاحمِ -
 عدلتَ وسنيتَ النظامَ مساوياً
 فزالتَ من الاكوانِ كلَ المظالمِ -
 واظهرتَ ان الملكَ ليس بسدقٍ
 ونيلِ المعالي لا بتاجٍ وخاتمِ -

وكم سرت في الهيجاء تستقبل الردى
 بقلب شجاع قدّ من نصل صارم -
 وكم عدت الاعدا وجودك في الوغى
 بعشرين الفاً من مكر وقاحم -
 سل الروس والاسبان عن فتك جيشه
 وسل عن سجاياه بطون التراجم -
 وقواده منذ الخليقة لم يقم
 شيه لهم بالحرب بين العوالم -
 (١) (٢) (٣) (٤)
 « فديزي » و«مورات» و«لان» و«ني» ومن
 يليهم ° «كسينا» وكل خضارم -
 لقد شبهوه بالحديد صلابه
 ولينا بربات السوار النواعم -
 وقالوا يجب السلم طوراً وتارة
 يطيب له مرأى الدما والجاجم -
 لئن اثكت ايديه اما فله
 اعاد لأم ابنها غير ظالم -

(١) *Général Desaix* (٢) *Ioachim Murat* (٣) *Maréchal Lannes (Jean)*

(٤) *Maréchal Ney (Michel)* (٥) *Maréchal Masséna (André)*

ولما ابتنى النوتي اضعف زورقـ

يريدُ به خوض الردى المتلاطمـ

شكاهُ جواسيسُ فأتوتى بالفتى

الى سيدِ في العدل والحكم حازمـ

فقال له القمقام دون تعنفـ

بوجه انيسـ في البشاشة عائمـ

أتحسب عبر البحر من غير دفعة

ودون شرعٍ مكناً لابن آدمـ

فاحنى وحيي بانجابه قائلاً

اذا لم امت بالبحر فالبين هادي

بعيدٌ عن الام التي كم تشبث

بطوقى وقالت لا تقب انت راغمي

فكان علي ان اطيع مقالها

وافدي بروحي وصلها غير صارمـ

فابرق من ذاك الكمي جيينه

وحاول اخفاء الدموع البواسمـ

وقال له بشراك سوف ترى التي

تروم فاقشم عنك غم النمامـ

فاعطى الفتى دينار فضل مزوداً

وقال له سافر كاعظم غانمـ

فسار ولم ينفق من المال باخلاً
 واذخرَ في المميان حمر الدراهم
 هلموا نحيب فاتحاً رق قلبه
 وكفر حلاً عن كثير المآثم -
 سلوني فاني في افانين وصفه
 عليمٌ وكم قد فقتُ اضعافَ عالم -
 لقد عاش في الدنيا كاعظم مالك
 وفي الاسر قد امسى شهيد العظام -
 سلامٌ على اللحد الذي ضم جسمه
 ودية رضوانٍ ورحمةٍ راحم -



التبغ

لقد اشتد ولع البشر كثيراً بتخدير قواهم العصبية بوسائط شتى .
 ولم يكتفِ الانسان بالارواح المسكرة التي يشربها للتخدير دماغه بل قد
 تعلق ايضاً بنباتات كثيرة يندرج بها اعصابه اما بابتلاع دخانها واما

باستنشاق مسحوقها واما بمضغ اوراقها . واتقسم الاعظم من هذه نباتات
 كالتيغ والافيون والحشيش هو ذو روائح كريهة وتأثيراته في الجسم رديئة
 وما يقضي بالهجب ان المولعين بهذه النباتات الكريهة ليسوا هم من البشر
 المتوحشين فقط بل اتقسم الاعظم منهم هو من اكثر اهل الارض
 تمدناً . فان اهالي اوروبا رغماً عما هم عليه من المعارف في الطب والكيمياء
 قد نكبوا بنكبة التبغ والافيون والمورفين وهم جرأً . فقد أولع الصينيون
 والماليزيون بالافيون . والبولونيون بنبات « الكاوا » . وسكن البلاد الهندية
 بورق « البتل » الذي يلوكونه في افواههم مخلوطاً بالكس وجوز أبوة .
 والفرس بشرب التبك او نوع ثقيل الرائحة من التبغ . والمصريون قد
 تعاقوا بشرب الحشيش . واهالي اوروبا ومن جاورهم واقتدى بهم قد
 اخاروا التبغ تارةً للتعلل بدخانه وطوراً بمضغ اوراقه مخلوطةً بالسكر او
 الدبس المصنوع من غليظ عصارة السكر . واخرى بسحق اوراقه يابسة
 واستنشاق ذراتها . وقد نكبت بهذه المصيبة العظمى حاستا الذوق والشم
 خاصةً . فمركز حاسة الشم في جارحة الانف وهذا ما عدا كونه ينفعنا
 للشعور بالروائح يعيننا ايضاً على استنشاق الهواء وهو عنصر من عناصر
 الحياة . ومن جملة فوائده ايضاً انه يحمل على منكيهه ثقل آلات النظر
 متى شئنا وشغ بهرنا . أفليس اذاً بما يقضي بالهجب من ان يذخر
 الانسان في منخريه كميةً من غبار اسود كريحه الرائحة لادغاً ومهيجاً
 بنشر رائحته في كل ما حوله ويجرمه اريج الهواء النقي وشذا الازهار
 في فصل الربيع . لانه من المقرر ان نسيم الهواء لا يبلغ الى دماغنا الا

بعد مروره بذرائر التبغ المنتنة التي نحشوها متأخرنا . فاذا كان هذا الامر غريباً في حد نفسه فيوجد ما هو اشد غرابةً منه بحيث لو حكيناه عن اجدادنا لما صدقناه . وذلك ان هذا العقار او النبات الذي هو منتن عند استنشاقه ومنتن عند احتراقه ومنتن بعد احتراقه ويجعل المكان الذي يحرق فيه منتناً وملابس الذي يحرقه منتنةً زماناً طويلاً قد صار دخانه عند المولع به بنجوراً اذكى من المرّ واللبان . وصار لا يكتفي باستنشاق دخانه اللداغ المخدر والمسبب للصداع بل لا يبالي بان يعقب به ثيابه واثاث منزله وفراش رقادته ويملاًّ فمه بكثيف دخانه ويبلعه ويوغله في رئتيه ويخزنه في معدته ويجعل به كل بدنه مدخنة كريهة . وقد اضحى ذلك لديه ضرورة لا بد منها بل بمنزلة طبيعة ثانية حتى انه يرضى بان يحرم نفسه كل شيء من ان يرضى بفقد حقة تبغه او بكسر غليونه . ولكنه يُسرُّ بان يحرق ماله ازاء عينيه ويتمتع بمنظر عمود دخانه الازرق

فهذه حالنا نحن المدعون للتمدن والعلوم واللفظ . فلم رأأت اليوم حالنا اجدادنا الذين عاشوا في ارضنا منذ اربعمائة سنة ونيف لابوا ان يستعرفونا اولاداً لهم . وكذلك الحكماء والشعراء والابطال الذين عاشوا في القرون الغابرة كانوا يتدبرون بلا حقة تبغ وبلا غليون وبلا سيغارة وكانوا بلا شك ارغد عيشاً منا . ونحن نتعجب منهم وهم افضل منا .

في تاريخ ادخال التبغ الى اوروبا

دخل التبغ الى اوروبا بواسطة بعض من النوتيين الاسبانيين العائدين اليها من امريكا . فكان هؤلاء من الاسبان الذين نزلوا في جزيرة «تبغو» . ولما دخلوها وجدوا فيها نباتاً منتن الرائحة قد غطي جانباً عظيماً من سهول تلك الجزيرة الصغيرة . وكان ذلك النبات من مكيفات اهاليها . فعندما رأت الاسبان اهالي الجزيرة يلفون اوراق ذلك النبات على شكل اصابع ويحرقونها ويمتصون دخانها بافواههم وامت بتقليدهم وصارت تفعل فعلهم . ولما عادت الاسبان الى بلادها جلبت معها من بزر ذلك النبات وزرعته واستعملته في التدخين . ثم انتقل من اسبانيا الى بلاد البورتغال . ولكنه لبث نحو خمسين سنة محنقراً ومتروكاً في ظي النسيان ولم يربأ به احد تلك المدة كلها سوى البحرين واجلاف الناس . والباعث على صيرورة هذا النبات مكروهاً في اعين الشبان في ذلك العصر كانت النساء والبنات اللاتي كن يكرهن رائحته كما كن يكرهن الطاعون المميت . ولبث الحال على هذا المنوال الى تاريخ سنة ١٥٦٠ للميلاد . وفي غضون ذلك تعين يوحنا نيكوت سفيراً من قبل دولة البورتكيز وارسل الى فرنسا في عهد الملك فرنسيس الثاني بهذا الاسم . ولما اتى السفير المثار الى فرنسا اعطى الملكة كاترينا دي ميديسيس زوجة ملك فرنسا كمية من بزر نبات التبغ وادعى بمفاعيله العجيبة في

صحة الابدان . فشاع خبر هذا النبات في فرنسا واولع به اكابر المملكة وحشم الملكة وخصوه بمفاعيل وهمية غريبة التصديت . فسموه اولاً « بمحيشة الملكة » . ثم « بمحيشة السفير » . ثم « بمحيشة الرئيس العظيم » ثم « بمحيشة الصليب » ثم « بالحشيشة المقدسة » . ثم اكراماً لحاطر الملكة تقزل بالتبع وبمفاعيله الوهمية ليف الشعراء الفرنسيين . ثم بادر رجال دار الفنون الى تكريم هذا السفير الذي اتخفم بنبات كان مجهولاً عند اهل « المورا » واليونان والروم والمصريين والبابليين والاثوريين . وسموه باسم السفير الموما اليه اي « نبات نيكوت » . لكن يا للاسف على حال البشر . لان ميلهم الى تمليق اصحاب النعمة واليسار والمقام يسوقهم تارة الى بخش الناس حقوقهم . فان رجال دار المعارف بباريس طمعا في اكتساب انعام الملكة ورضاها عنهم بمنحوا السايح « ثيفيت » حقه واعطوا « يوحنا نيكوت » السفير البورتيكيزي شرف اكتشاف هذا النبات . لان السايح « ثيفيت » كان قد ساح في امريكا قبل قدوم السفير الى باريس بعشر سنين وعند رجوعه الى اوروبا جلب معه شيئاً من بزر التبغ وزرعه في « انغوموا » . ولذلك الف رسالة اقام بها الحجة على دار الفنون لاجل تسميتهم ذلك النبات باسم « نيكوت » وليس باسمه . ثم طبع تلك الرسالة ونشرها سنة ١٦١٧ للميلاد قال فيها من جملة ما قال : اني افتخر بكوفي اول من جلب بزر هذا النبات وزرعه ببلدة « انغوموا » وسماه « بنبات انغوموا » . واقيم الحجة ايضاً على رجل لم يسافر عمره الى امريكا وقد انتحل لنفسه اكتشاف هذا النبات وسماه باسمه

بعد رجوعي الى فرنسا بعشر سنين «
 فلما رأى لفييف الفرنسيين ما ارتكبه رجال دار الفنون من
 الجور في حق السايح «ثيفيت» استشاطوا غيظاً وانعوا اسم «نيكوت»
 وسماوا النبات المذكور «تبغاً» باسم الجزيرة التي اوتي بيزره منها . وبقي
 هذا اسمه الى يومنا عند كل الشعوب المتمدنة . فسماه الايتليان [Tabacco]
 «تباكو» . والفرنسيس (Tabac) «تبا» بمحذ الكاف . والانكليز
 (Tobacco) «توبوكو» وترجمته العرب الى «التبغ» وحرفته الفرس الى
 «تباكو» وسمته الاتراك باسم عثانه «توتون» ثم حرفته عامة العرب
 وقالت «تن» او ترجمته الى «دخان» . وهو في كل الحالات
 سخام مهان .

في وصف التبغ

«التبغ» نبات سنوي يزرع بزره في اكثر اقطار الكرة المعمورة
 مثل امريكا واروبا واسيا وافريقيا . وينبت بزره في غلاف صغير .
 ويحوي كل غلاف نحو مئة بذرة ونيف . ومتى جف البزر في الغلاف
 صح زرعه بعد شهرين من جديد . ففي اوروبا قبل حلول اوان قطفه
 بنحو ستة اسابيع يجني زراعه من ساقه الاوراق السفلى على نحو عشرين
 سنتيمتراً من الارض ولا يتركون على ساق النبات سوى اربع او خمس
 لاوراق لكي تنجح خواص الفرسة باسرها . ولما تظهر بقع صفراء على تلك

الاوراق يقطفونها في آخر تشرين الثاني ثم يتركونها حتى تذبل على ارض يابسة . وبعدها تذبل يجمعونها كراديس ويعرضونها للهواء مدة يومين وذلك تحت الدري . وغب ذلك يحملونها الى المنشف حيث تلبث الى غاية شباط . وحينئذ يجمعونها حزمًا ويكبسونها كبسًا خفيفًا تحت الواح من خشب . ثم يخرجونها في آخر شهر حزيران وينتقون منها الاوراق الجيدة ليجعلوها غلافًا للسيجار الكبير ويتركون الاوراق الغير جيدة لحشو السيجار . او انهم يفرمونها سيورًا ضيقة للتدخين او يسحقونها سحقًا دقيقًا للنشوق . والتبغ المستحسن في سورية هو ما زرع في اراضي « جبيل » و « دير شمرا » وفي اللاذقية . ويتفاخر اهالي سورية بالتبغ الذي ينبت في اللاذقية ويصفونه « بابي رائحة »

اما انجر التبغ في اوروبا فهو « الهولندي » الشديد اللدغ . ويصلح للتدخين . و « الهجري » يصلح للفائف السيجار الافرنجي . اما التبغ الذي يزرع بامريكا فانجره ما نبت في اراضي « فرجينية » فانه يكون ذا رائحة عطرية يصلح للاستنشاق خاصة . وتبغ بلاد « مريبلند » يكون ذا اوراق عريضة ولذيذ الطعم وزكي الرائحة ولحفته على الذوق يصلح للتدخين خاصة

سم التبغ

اكتشف العلم « فاوكلين » مادة سمية قتالة في اوراق التبغ .

وذلك انه جمع اصنافاً مختلفة من التبغ وحل كلاً منها بمفرده . فوجد في كل صنف منها سمّاً زعافاً بمقادير متباينة من « حمض بروسيك » . وقد رتبنا معدل كمية السم الموجود في الاصناف المختلفة في الجدول الآتي :

تبغ هافانا ٢٦٠٠ في ١٠٠ - تبغ شمالي فرنسا ٢٦٥٨ في ١٠٠

تبغ مرييلند ٢٦٢٩ في ١٠٠ - تبغ فرجينية ٦٦٧٧ في ١٠٠

تبغ الساس ٣٦٢١ في ١٠٠ - تبغ لوت ٧٦٩٦ في ١٠٠

اما تبغ جبيل الجيد فيكون معدل سمه معدل السم الموجود في تبغ لوت اي ٧٦٩٦ في المائة تقريباً . وباقي تبغ سورية فهو دون ذلك

في اضرار التبغ ومنافعه الوهمية

بعدما شاع استعمال التبغ في اوروبا ثارت مناقشة طويلة بين العلماء في اضراره ومنافعه الوهمية . فذهب المعلم «رامازيني» ان مجرد الدخول الى معامل التبغ مضرٌ بالصحة . وناقضه المعلم « بارنت دوشانتل » وقال لا ضرر في التبغ اصلاً . ولكن ثبت لنا التجربة ان في التبغ اضراراً ليست بقليلة . لان صداع الرأس وغثيان النفس اللذن يصيبان من يدخل الى معامل التبغ باوروبا دليل جلي على وجود مواد سامة في هذا النبات يصير افرازها منه على شكل كريات دقيقة تختلط بالهواء المحيط فيحملها الهواء ويدخلها في الانف والرئتين . وهذه الذرات الدقيقة

تهيج النفس الي الغثيان وتبلي الرأس بالصداع . وضمف الى ذلك ان جميع العملة الذين يواظبون على الشغل في معامل التبغ تبيض شعورهم بسرعة . ومنهم من يشعر بصعوبة في التنفس . ومنهم من لا يستطيع تعويد نفسه ذلك الشغل ولو بذل كل اجتهاده . فهذه كلها دلائل على وجود مادة سمية خائفة في هذا النبات . فاذا كانت الكريات الدقيقة المفروزة من التبغ بمجرد تثارها في الهواء المحيط تسبب هذه الاضرار العظيمة لمن يتفق وجوده في دائرة ذلك الهواء فما عساه ان يكون حال من يتلع جانباً عظيماً من دخان هذا النبات ويوغله في رثيته ومعدته ؟

وقد قسم العلماء مفاعيل التبغ بالتدخين الى قسمين طبيعي وادبي . فالمفاعيل الطبيعية كثيرة منها فقدان الذوق وضعف المعدة وقلة اشتهاها للطعام وضعف الصوت وتغييره وفقدان حاسة الشم او حصول الضعف فيها . وازضاف الى ذلك بعض الاطباء توليد داء السل في الرئتين وداء السرطان في المعدة والشفتين وداء الكبد وضعف قوة التناسل وتهيج مفرط في الدماغ يفضي بالانسان احياناً الى الجنون . وقال المعلم «جولي» اثباتاً لذلك ان الجنون الذي يحصل للناس من تأثير التدخين سيتلف من البشر اكثر مما تلف منهم في الضربات للاثلاث المرسله على شعب اسرائيل في عهد داود النبي ابي الجوع والطاعون والحرب

اما الاضرار الادبية المسببة من استعمال التبغ فنذكر منها ما جلّ واولها واشدها ضرراً ضعف القوى العقلية وضعف القوة الذاكرة وفضاظة

الاخلاق . وقد وجد المعلمون في المدارس الكبيرة ان الشبان الدارسين من الذين يتخذون التبغ للتدخين لا ينجحون في اكتساب العلوم بدرجة الدارسين الذين لا يدخنون . وان المولعين بتدخين التبغ يكونون دائماً دون الذين لا يدخنون . ولذلك قد سنت الدولة الروسية شرائع تمنع بها من التدخين جميع الشبان الذين لم يبلغوا سن الواحد والعشرين من عمرهم

اما الكتبة الذين مدحوا التبغ وبالغوا في منافعه فكثيرون . منهم من زعم انه يخدم الصداق وينعش الذهن وينبه الفكر ويساعد على السهر . وان الذين يتخذون تدخين التبغ عادة يجدون في خزانه غليونهم او في لفافة سيغارهم ما يسليهم دائماً سواء كان في خلواتهم او في محافل اصحابهم . ويظنون ان التبغ دواء فعال لازالة الحموم وان دخانه لديهم اشبه بغمامة تظلمهم من قبض اتعاب الحياة وان لذته تنسيهم مشقات هذه الدنيا الشديدة المرائر . وذهب المعلم « يوحنا فاورد » الفرنسي الى ان دخان التبغ نافع للانسان احياناً . لانه على زعمه يخدم الانفعالات النفساوية ويريح التعب من اعماله الجسدية والعقلية . وان الصانع الذي يكون قد نهك قواه الجسدية باتعاب شاقة طول نهاره يجد مساءً في صيدلية غليونه عقاراً يريحه من اتعابه ويعوض عليه ما فقدته من قواه الطبيعية . وكذلك العالم او الكاتب الذي يكون قد صرف نهاره في التبحر والتعمق في مسائل العلوم الدقيقة وتحذب ظهره من الانصباب على التأليف والتسطير يصادف راحةً في سحابة دخان سيغارة المزرق . والمسافر الذي

يقطع البحار او يطوي القفار يجد في دخان سيفاره او غليونه ما يدفع عنه
اذى الاهوية المضرة والابخرة السامة

هذا ما كان من اوهام المولعين بالدخان . اما نحن فنقول بخلاف
قولهم ولا نصدق شيئاً مما بالنفوس في وصفه . ونوهل ان ترقى البشر في
العلوم الطبيعية والكيمية رويداً رويداً يكشف لهم الغطاء عن وجه
الحقيقة ويجعلهم ان ينفوا هذا النبات السج الطاغى على عموم البشر
من البلاد المتدنة ويعيدوه الى جزيرته الحقيرة مسقط رأسه ويخلصوا
بني البشر من خسائره الباهظة ومن اقداره الكريهة ومن رائحة المنتنة
ومن دخانه الكثيف امين

ولذلك قد انشدت فيه القصيدة الآتية

﴿ النظم ﴾

مدحت التبغ يوم شربته
اذا ضاقت الدنيا بمرءٍ مُكدرٍ
ازال بسيفارٍ سحاب اكدارٍ
وان رام تبغاً لا يضرُّ بصحةٍ
عليه بتدخين النبات بسيفارٍ
يطيبُ له التدخين في حكم شاربٍ
تطيب له الصباء في حان خمارٍ

(وهجونه يوم انقطعت عن شربه)

وذلك بلندرة في ١٠ كانون الثاني سنة ١٨٨٨

تنزهت عن تدخين تبغ صيانة
 لجسي ومالي من خصال رديئة
 لاني رأيت المرء يشقى بتبغه
 ويحرق بالسيغار مالا بطرفة
 ارى شارب السيفار في كل ندوة
 ينقص بالتدخين عيشة الفة
 يداوي به الاسنان اهل جهالة
 وعندى ذاك التبغ اخبث وصفة
 يسود اسنانا ويضني عروفا
 فتنن افواه ننانة جيفة
 يطيب شذاه عند قوم كعنبر
 فيلتذ منه مثل شارب خمره
 ويبل بشرب التبغ اجلاف سونة
 وكل ضئيل من اصغر حرفة

وقال حكيم^١ (١) ليس كل مهذبٍ
ولوعٌ بشرب التبغ اول انفة
« ولكن رأينا كل صاحب جنحةٍ
مصاباً بداء التبغ من دون كلفة »
لذاكَ تركتُ التبغ من باب حكمةٍ
وخالفت اصحاب العقول السخيفة
أبيت على نفسي الغواية في الوري
وصرتُ من الميزان ارجح كفة
فمن سار سيرى واهتدى بهدائي
تظهر من اقدار اصحاب آفة

(١) قال هذا القول مستر غريني الفيلسوف الامريكى الشهير الذي ترشح
لرئاسة الجمهورية الامريكية سنة ١٨٧٦ للميلاد

*Not every decent gentleman smokes, but show me a blagard
who does not smoke*

الضباب بلندرة

القصة - الضباب بلندرة : وما ادراك ما الضباب في هذه المدينة ؟
ان الضباب لضربة من ضربات بلاد الانكليز ولا يدركه ويقدره حق قدره الا من رآه بعينه واستنشق ذرائره بمنخره . ولا يستوفي حق وصفه لسان الواصفين ولا يقوم بشرحه يراع الكاتبين . ففي لندرة نحو مليون ونيف من الدور . ولكل دار نحو عشرة محادع وفي كل نخدع داخون لكانون . فيكون في كل مدينة لندرة نحو عشرة ملايين من الدواخين . فاذا دخل فصل الشتاء اوقد الناس في كل حجرة كانوا من الفحم المعدني . ومن خصائص هذا الفحم قذفه دخاناً وعتاناً كثيفاً في الجو . ويخالط هذا الدخان سمامٌ وسم وغاز كثيف وذرائر زفت وكبريت ومتى تلبدت هذه كلها في الجو حجزت نور الشمس اياماً بلياليها . فاذا ركب الانسان منطاداً وصعد به الى قبة الهواء وخرق ذلك العثان حتى يصير فوقه لما استطاع ان يرى للمدينة اثرآ . وربما زعم انه يرى من تحته بركان نارٍ قد انفجر وصار يقذف من أحشائه دخاناً وكبريتاً . ومن شدة سقم هذه المدينة انها معروضة للضباب الحالك في فصل

الحريف . فاذا ثار الضباب غطى على المدينة وحبس نفوذ الدخان واضمحلاله في الجو . ثم اخلط بالدخان الحالك وطبق على المدينة وملاً الدور والمخادع حتى حجب المنازل وحجب عنها النور بالكلية وصير رابعة النهار حالكة كسواد ليلة ليلاء . واجبر الناس على ايقاد نور الغاز الهيدروجيني والكهربائي ليلاً ونهاراً في المخادع والازقة والحوانيت والكنايس . ومع هذا كله لا يستفيد الناس كثيراً من ذلك النور الشديد الضياء . لان الضباب المختلط بالدخان يحجز نور الغاز ونور الكهربي عن عين الانسان ويجعله لا يرى طريقه في مسيره ولو كان على بعد ذراعين من فانوس الغاز . ومراراً كثيرة يضلُّ الانسان سواء السبيل من شدة الظلام . وحدث ذلك لي مرتين سنة ١٨٧٩ وذلك اني خرجت من الدار الى السوق اريد قضاء حاجة . فضلت سواء السبيل فاستقصيت من حارس المدينة في معرفة شارع « اكسفورد » . فقال لي الحارس انت في نفس شارع اكسفورد وتساءل عنه ؟ وفي غضون احبناك هذا الضباب الاسود تنقطع العربات عن السير والجولان في الازقة مخافة وقوع المصادمات وزلق ارجل الخيل من جراء الجليد المتلبد على الارض . ثم يحصل تعطيل في الاشغال وفي سير السفن على نهر « التيمس » وسفر قطرات السمكة الحديدية . ومن عادة هذا الضباب ان يزداد تكاثفاً في ثلثة اشهر هي تشرين الاول وتشرين الثاني وكانون الاول . ولكنه من سوء الحظ امتد اشتداده سنة ١٨٧٩ الى اخر كانون الثاني . وكان اشتداده في هذا الشهر فوق العادة لا يتذكر له

من مثل شيوخ العصر . وكان الدخان الكثيف المخلط بذرات الفحم والزفت والكبريت للتطايير من الفحم الحجري عند الاحتراق تورث الاعين احتراقاً وتسبب التهاباً في مناسف الرئتين واخناً في الخجيرة وتسد المنخرين بتكاثف ذرات العثان . فاذا تنخع الانسان او بصق كان ذلك كسفاً سوداء كسغام القدور . ويضطر الانسان الى تبديل قميصه الابيض وغسل وجهه ويديه مراراً عديدة في النهار . فمن من البشر يستشق هذا السغام ليلاً ونهاراً ولا تزهد روحه . فلما كنت اخرج الى باريس والبت فيها نحو شهر كنت كل تلك المدة ابصق شيئاً من السغام الزفتي الذي كان قد اخزن وتكاثف في رثتي . وقال لي طبيبي بلندرة انه لما كان يشهد تشريح اجسام بعض من الذين ماتوا بداء السل الرئوي كان يجد في مسام الرئتين ذرات متبلورة من الدخان قد استحات الى فحم

وقد ثبت من قراطيس الاحصاء ان الضباب والدخان الحالك قتلا من الانكليز بلندرة وحدها في شهر كانون الثاني لعام ١٨٢٩ اكثر مما قتل من الانكليز في الحروب الثلاث الكبرى التي اقتتلوا بها في اوروبا منذ محاربتهم نابوليون الاول الى الان

وفي الحقيقة ان الضباب اهلك كل اسبوع بلندن وحدها نحو اربعة الاف نفس . وضرب المدققون . معدل ذلك فوجدوا انه قدمات بالضباب واحد من كل ٢٧ شخصاً . ثم ضربوا معدل الموتى بوجه العموم ببلاد الانكليز فوجدوا ٤٥ في المئة يموتون بداء السل الرئوي المسبب عن

الدخان والضباب . أفليس ضربة الضباب والعتان ببلاد الانكليز اشد من
ضربة الظلام الذي استولى على مصر في عهد موسى وفرعون ؟ ولذلك
قلت الايات الاتية في وصف بلاد الانكليز وعوائد عامة الناس منها .
وانا بلندرة وذلك في شهر كانون الثاني لعام ١٨٨٠

﴿ النظم ﴾

دخلت بلاد الانكليز ميمما
حططت ركابي في بلاد غريبة
ضباب عثان ثم فخم وظلمة
روائح زفت خالطتها ذرائر
وتدخل في حلق وتنزل في الحشا
بلاد بها البرد الشديد وثلجها
وينخر اضراماً خبيثاً هواؤها
ضجيج رعاع القوم والحيل قائم
فلا الخيل في ليل عن السير تنسي
ولا الليل هادٍ نستريح بغفوة
نهار بلا نور حرمانا نعيمه
لقد خصها بالرغد قوم وبالغوا
مدينة فسق قد تكاثر شرها
حماها بشوق كي اراها واعلم
بها كثر الدخان في قبة السما
تصاب بها عين المسافر بالعمى
تروح وتغدو في العالم والحي
وتلصق في كيد وتنفذ اعطاء
يدومان عاماً والجليد المرما
وينسد في الاعماء قوتاً موخماً
نهاراً وليلاً يضرع الرأس مدوما
ولا الناس عن شغل تكف لتنعما
ولا الصيغ صاح نستفيق لنغنا
وليل طويل قد تكاثف مظهرها
ولا رغد في ارض اذا الجو اعتما
نعوذ برب العرش منها لنسلسا

بنات (١) يظفن السوق ليلاً وضوءاً
 بها السكل اضحى بالدرهم قائماً
 قيا قوم قولوا هل رأيتم مدينة
 بلاد في الاهلون منها ضيافة
 ويستأجرون الحلو وقتاً بدرهم
 وان اولم الانسان يوماً وليمة
 يعدُّ صديقاً من يجود بماله
 ومن يقصد الخلان في المال رغبة
 وقد علموا الابناء ذاك مثالة
 وجادوا على طفل بشدي مضجع
 فيربي على طبع البهائم فطرة
 عواهر لا يدرين ما الدار والحي
 ومن يفقد الدينار قد عدَّ مجرماً
 بها اللوم ليس الفضل اضحى مكرماً
 ودموا كريماً في الديار تهكماً
 ليعرض في صدر السباط تفخماً
 سقاك خبيث المسكرات وآثماً
 ويضحي عدواً من يطالب درهما
 من المال والخلان ذاب وحرماً
 وكلُّ وصايا الوالدين تعلمها
 ليرضع قوت البهم وقتاً فيفظماً
 وينشو كثيفاً ثم يكبر اعجاباً

(١) هذا الكلام لا يشمل كل الانكليز . بل يشير الى بعض ممن شردوا
 عن محجة الصواب . فانَّ ما ذكرته في هذه الايات من جملة الشوائب التي لا تخلو منها
 اية امة كانت . بل اذا قابلنا هذه مع ما نراه في فرنسا وامريكا وما مائلها من
 البلاد المتقدمة وجدنا الانكليز اكثر اداً واحسن اخلاقاً من جميع الامم . وعندني
 حجج دامغة امد اليها قولي ان الانكليز بحسب كونها امة فهي اكل اداً واحسن
 اتلاقاً وارق قلباً وارفع هممة واعلا شهامة من جميع اهل اوروبا .
 وما يظهر على سباه الانكليز من لوايح المنفوان وبرودة الطبع فهما . زيتان لا تعجاوزان
 منها تمك الالاس والبشرة . واما قلبها فظاهر وعنيف ورقيق وعالي الجناح . ومن
 عاش في حضن الانكليز ثلاث عشرة سنة وعاشر كبارها مثلي جدير بان يعرف كنه
 الامة الانكليزية . اكثر ممن اعتاد النظر السطحي الى بعض افرادها . بعين الاغراض
 النفسانية .

ويحسب ان اللين شينٌ لشأنه
ويأتق في لبسٍ وحليٍ تفرساً
ويأبى قبول الزائرين بداره
وان جئت تستهدي بلطفٍ من الفتى
اجاب بصوتٍ خالطه خشونةٌ
فيا داخلاً هذي البلاد لحاجةٍ
تجنب رعاك القوم واخش عواهرأ
ورد سلامٍ في الطريق تحوماً
ليكبر في عين الغريب ويعظماً
بدون كتابٍ من صديقٍ نقداً
عن المسلك المفقود والدار والحى
عليك بحراس الطريق لتعلمها
محضتك نصحاً فالنصحية خير ما
اذا رمت ان تحبى سعيداً وتسلمها

﴿ الطقس ﴾

وقلت اصف ثقلب الهواء في بلاد الانكليز وانا بمدينة منجستر

قلت في صبح يومٍ صحا جوّه

اعيش بارضٍ طاب منها هواؤها

وشمس الضحى في الجو تشرق مدوما

وفي غد ذلك اليوم غيمت السماء فقلت :

اعيش بارضٍ لا ضياء بافقتها

ولا شمس تبدي خيط نورٍ من السما

وفي بحر ذلك اليوم امطرت السماء وارعدت فقلت :
يصب غمامٌ مائهُ صبَّ انهرٍ
ويرشق رعدٌ من سحابِ اسها

وبعد الزوال اثبتت الدنيا فقلت :
وتثلج طول الوقت والريج زعزعٌ
ويجزعُ وحش الغاب والانس في الحمى

ثم اظلمت السماء بالضباب والدخان وقت العصر فقلت :
تلبد في افق السماء عُثانها
فادمي عيون الانس والجنِ بالعمي
ضبابٌ وغيمٌ ثم ثلجٌ وزعزعٌ
وارفعُ صرحِ بالزلازلِ هدماً

ثم وقع خسوف في القمر عشيةً فقلت
طفأت من الدنيا الهى سراجها
سلامٌ على الدنيا اذا الكونُ اظلم

وقلت ايضاً في ٢١ كانون الاول لعام ١٨٨٨

وذلك بلندرة

تمطرُ شهراً ثم تصحو دقيقة
وتظلم اسبوعاً ظلامَ جهنم

يُجمدُ دمع العينِ قارصُ بردها
وتعمى عيونٌ في عثانٍ مسمم-

الندان

وصفت فتاة وندين وأنا في قطار السكة الحديدية بين محطتي
« اكلوجستر » (Glochester) وبارسنزكرين (Parsons Green) وذلك
بظاهر لندن في ١٦ من شهر نيسان لعام ١٨٨٦

القصة - لما اقتعدت غارب القطار . اريد النزهة في ظاهر الديار .
رأيت الناس في رداء العيد . يتواردون في ازدحام شديد . فابصرت
بينهم رجلين . تلوح على سيماهما لوائح الندين . وقد اشتدَّ بينهما النزال .
وعظم الجدل . وكثر القيل والقال . واحنك القتال . وحدا بهما
غليظ الكلام . الى الشتم واللكام . فكان احدهما عنشنشاً نجيف القامة .
ضخم الهامة . وثانيهما جنادفاً غليظ الجثة . قصير القد كثيف اللحية
اما الباعث على هذا الخصام والاغلاظ بالكلام فكانت فتاة
شقرآء وخرودآء كالزهرة الفراء قد طمعت ببال الندين وخانت حباً

الاثنين وعقدت الوعد اليقين مع عاشقها الجنادف السمين على اللقاء
في قرية « بارسنزكرين »

فلما حطّ بنا القطار رحاله وقت الزوال وخرجت منه النساء
والرجال جاءت الفتاة مقبلةً في بهرجة كروس مجلوة مبرجة ودنت
من عاشقها السمين وسطت اليه اليمين تصاخه بشوق ووداد وتمنّ
عليه بقدمها في الميعاد . فبش بلقائها وهش لولائها وهمّ باثمتها لثمة
الحل العزيز على طرز عادات الانكليز فاذا الرقيب المنشش الشاب
الكامن وراء الباب انقضّ عليه انقضاض العقاب وانزعه من ذراعي
ذات السوار والنقاب فاشتد بينهما النزاع على اخبث المتاع . ثم تطوحا
في النهز والممز وتدرجا الى اللكز والوكز فتخنت منها الكلوم
وتناثرت افلاذ اللحوم حتى ادنقا على الضعف واشرفا على ارتياد مناهل
الحنف . فلما رأت الفتاة ما حل بالعداة ولت بمفني حنين تسرع
القدم وتقرع على الحيبة سن الندم . فشملي من ذلك المنظر المهول
ضرب من الدهول فانشدت اقول :

﴿ النظم ﴾

العشق منذ البدء في الدنيا جنون .
وله حديث في الخلائق ذو شجون
وسهامه حرى وافدة الورى
مدف لما منذ الصبي حتى المنون

كم فلّ من عصرٍ وافئى امةً
 وهو الفتيّ وان تعدت القرون
 يجري باعصاب الشيوخ خفيفه
 وثقله يجري باوردة البنين
 واذا تمكن من فتاة مرة
 كان الخيث لحنها السبب المكين
 ولكم به شقت مرائرُ عاشقٍ
 حزنًا وكم اجرى العيون من العيون
 ولكم اصار من الجبان سميذعاً
 وجنونه جعل الامينة ان تمنون
 ولقد شهدت عجابه وخبرته
 فتعيه يومٌ ومصرعه سنون
 ادواره لعب يكون وشاغل
 يغدو واخره هو الداء الدفين

اني خرجت لكي اروح خاطري
 يوماً واقصد صاحباً كان المعين
 فاخذت قاطرة الحديد لقريبة
 كنت مقام عزيزنا الحلّ الامين

ومن التصادف قد رايت اخا ضناً
 عالٍ وآخر ضده قزم سمين
 يتراشقان من التواظر اسمها
 ويكتمان من الجوى الدمع السخين
 ويودُّ كلُّ منهما لو يفتدي
 بفواد صاحبه ولو بذل الثمين
 حتى اذا وقف القطار وامسكت
 رجلاه عن طي الفدافد والحزون
 وتسابت ركابه لجفائه
 ونسوا انعطافهم عليه والحنين
 ابصرت بين الراكين غزالة
 جاءت تفر من الشمال الى اليمين
 واذا التقت بمجنادف قفرت الى
 ما بين اذرعه وعنه لا ترين
 فعشش لم يحمل هذا الاذى
 ورأى التساهل في القضية لا يكون
 فاليها قد سار يبرق مغضباً
 وجنا على تفريق شملها المكين
 وتلاحم الندان كل يشتهي
 ورد الردى من ان يعاب وان يهون

اما المهاة فانها لما رأت
 شرر الوغى فرّت الى الكنفس الحصين
 تركت اسود الغاب صرعى في الثرى
 بسيف الحاظِ تسلُّ من الجفون

الرفيق الشفيق

القصة - استبضعت يوم ازمنت الارتحال . من « ليفربول » الى اميريكا وبلاد الشمال . غطاءً من وبر الجمال . بلون اديم الفزال . ونقدت ثمنه خمسة عشر شليناً . من فضة الانكليز عيناً . وطفت به كرة الارض . اجوب فيافيها بالطول والعرض . وقد كان لي نعم الرفيق الشفيق . والساحب المحب الصديق . يقيني تارة من قرصة البرد وزخور الامطار . وطوراً من شدة الحر وشمس النهار . فصاحبني ثلاث عشرة سنين طوال . ملازماً دفائي الايام والليال . فلما حططت ركائبي في الاقطار الهندية . وتسلفت جبال « حملايا » العلية . خلعت به على هندي من هنود الجبال . وانشدت على لسان الغطاء في الحال وذلك في « سملا » سنة ١٨٨٤

* النظم *

يا سائلاً عني فدونك قصتي
 خضت البحار وجبت اغلظ فددي
 في البرد كنت غطاءه ودفاهه
 لما ابتلاه الله في اسفاره
 قد كنت احميه بكل جوارحي
 ولكم اصاب ببيضة في غورها
 فبحر افئدتي حفظت حياته
 وصحبه عبداً فمن خمر النوى
 اني خليل لم اخن بمودتي
 وانا على الحالين شاكر نعمة
 وحميته من كل طارق آفة
 بتجارب الدهر جاء بنكبة
 وازيل كرتبه بدار العربة
 ضل الطيب وقل عزم الحكمة
 وحضته حضن الخليل لخلّة
 صرفاً سقاني كاس صاب الفرقه



شقاء الحياة

القصة - مررت ذات يوم ببعض القبور الدوائر . فانست من
 قلبي الحصر والهم المتواتر . فقلت لنفسي . وانا اقبس غدي بامسي
 هوذا سكان القبور . قد كانوا بالامس سكان القصور . يضطجعون على

اسرة الترف في المقاصير والحدور . ويرتدون بهداب الدمقس المقصور .
 وقد بسطوا اليوم . مضاجع النوم . على التراب المشور . تحت جماد الصخور .
 الى يوم النشور . وكانوا قبل الان . بقلب جذلان . يكتسون كساء
 الطيلسان . ويلبسون التيجان . ويستون على اسرة من عسجد ولوء لوء
 ومرجان . ويمحون الليالي بالقصف والعزف والالخان . ما اكفر الانسان .
 اذا طغى وارتكب النكران . فلوزود نفسه بالخير . قبل حلول موعد
 السير . وعود كفه الاحسان . واجنب مواطن العصيان . لسر يوم
 نتمزق الاكفان . وتبعث الابدان . ويتصب الميزان . حيث يمر بامان
 على الجسر الموصل الى فسيح الجنان . فلما جرفني تيار الافكار الى يم
 بحر الاكدار . فتشت وطب لقم والاحزان . بعبرات ساقها من عيون
 كالجمان . واستمدت من الله العفو والغفران . وانشدت في مدينة لوندرة

سنة ١٨٨٨

﴿ النظم ﴾

كتب الزمان على جبين بني البشر
 بيد القضا سطرًا خلاصته العبر
 وماله حزنٌ واوجاعٌ ومن
 خوف الردى يتقلبون على الابر
 ولدوا بالآلام المخاض على الثرى
 ومن الحشا قاسوا تباريح الفير

يأتي الجنين وداره سجن الحشا
 ويبارح الدنيا ويطمر في الحفر
 جبلت من الاسقام طينة ترابه
 ومن الشقا ما نابه لا يزدفر
 دخل الكيان بدمعة مهراقة
 وكذا يكون خروجه من ذا المقر
 رضع الدموع مع اللبان فاصبحت
 تجري على حال المسرة والكدر
 وغدا على الثديين طفلاً قاصراً
 حتى ابتلته الام بالفطم الأصم
 طلب الغذاء من الطبيعة جهده
 يبني به صون الحياة من الضرر
 جعلت له عرف الجبين شرابه
 والخبز بالزقوم دوماً يختمر
 يسعى ويتبعه المنون كظله
 حتى يوارى قبل ان يقضي الوطر
 ان كان من اهل الصلاح فداره الـ
 فردوس ام لا فالجحيم له مقر

غرور الحماة

القصة - خرجت ذات ليلة قراء اريد النزوة في ظاهر لوندرة
 القراء . فالتقيت بصديق لي من الانكليز . كانت منزلته عندي بمنزلة
 الخل العزيز . فاغراني بالسير الى قلب المدينة المغفرة . والطواف في
 شوارعها المنورة . وبينما نحن نتخلل الازقة . في ازدحام ومشقة . راينا
 اسراباً من بنات الهوى كاسراب القطا والحمام . يتخطرن في جلايب
 الضلالة والتي ويتنقلن على حصى الغواية والفرام . وقد عبثت بنت
 الحان يرووسين فامالت منهن القدود . وعات لوائح الخلاء وجوههن
 فنضب لها ماء الحيا في الحدود . فاخرج صدري ما رابته بين من
 سوء الحال . واتشدت هذه الايات في ارتجال . وذلك سنة ١٨٨٧
 ميلادية

❖ النظم ❖

احب حياتي والغرور ملازمي وقد صرت في همي خيالاً بلاجسم
 اعيش بدنيا قد تناهى ضلالها واصرف خير العمر لهواً بلا علم
 ارى غادة تصبو الى شرب خمرة واخرى الى الحانوت تسعي بلاجرم

فطوراً عليها وسم حسن ونعمة
 وطوراً على ريش النعام ضجيمة
 ويوماً مع الاشراف تشرب خمرة
 ويوماً مع الاجلاف تقترش الثرى
 ويوماً صنوف الاكل يتختم جسمها
 وتلبس يوماً حلية من جواهر
 زماناً على الحد الملبح بضاعة
 صبيحة ليل في نعيم وصحة
 ويوماً على العشاق تسطو بفنجمها
 ويوماً على اقدامها الكون يرتقي
 فلا تلبث الاثني على فرد حالة
 وطوراً تطوف الارض في حلة السقم
 وطوراً على ارض الشقاوة والمهم
 وتمرح لهواً مثل ظبي بلا وصم
 وتأكل اقداراً وتهلك بالسم
 ويوماً يكاد الجوع يفتك بالعظم
 ويوماً تراها في عراء وفي غم
 ووقناً عجوز عابها القبح بالقدم
 عشية يوم كالخطوط من الرسم
 ونقصي وتدني دون حق ولا جرم
 ويوماً يعادها الزمان بلا اثم
 نعيم وبؤس الحبيب وللخصم

المرود

القرد وما ادراك ما القرد . القرد حيوان . على افنان . اريد
 به ما سمي من الهامة بالسعدان . وهو يضحك ويطرب كالانسان . سريع
 الفهم والتعلم كالبيضاء . ولكل نوع من انواعه لسان . يعرب به عن

حاجاته بافصح بيان . ورحل الى غابات افريقيا رجل من الانكيز .
 واستعان بالفوتغراف الحريز . على اتقان لغة القروود . ووضع لها ضرباً من
 الاصول والقيود . في ابواب واقسام وبنود . وجمع كلامها في قاموس .
 على اسلوب مانوس . تفرجت ذات يوم . اريد العزلة عن القوم . وتفريج
 الصدر في الحدائق . وتنزيه الفكر المشغول بكشف الحقائق . فابى العقل
 علي الاستراحة . وصار يتقلب على بسط الغوامض والصراحة . ويشغل
 في مذاهب الفلاسفة . واراتهم المتخالفة . وفي ما توهموه في اصل
 الانسان . وفي تسلسله من الجماد فالنبات فالحيوان . ولا سيما من طائفة
 القروود . لانها اقرب خلقه للانسان من بقية الحيوان الموجود . الى غير
 ذلك من القول المردود

من جملتهم المعلم شميل احد فلاسفة الاغراب . ومن قال بقوله
 المرتاب . كالتقول المسنود الى الفيلسوف « دروين » . المتهم بالضلال
 المبين . فرأيت بعد البحث الطويل . في هذا الفن الجليل . ان القول
 المسنود الى الفيلسوف داروين . قول معقول رزين . ولكن قد غمض
 معناه المبين . على بعض من اهل العلم واليقين . وليس فيه شيء مما
 يشين الدين . او يخذش اسماع المؤمنين : لذلك اردت تصريح ذلك الابهام
 وازالة الاوهام . وسرد الحقيقة في ايضاح . وكشف النقاب عن محياها
 الواضح . بقولي : ان الفيلسوف دروين لم يقل ان نوع الانسان . ونوع
 القرد سيان . بل قال فيما اراد . واجاد فيما افاد . ان الخالق جعل
 الخلائق على طرز سلسلة ذات حلقات . يتصل بعضها ببعض على طبقات

ودرجات . ولا يوجد بين طبقة وطبقة . طفرة في حلقة . وعلى ذلك كان في نوع القرد المشتهر . نوع اقرب من غيره الى جنس البشر . في التركيب والادراك والصور . مما يربط الحلقة الاولى من القروء . بالحلقة الاخيرة من الانسان على حد محدود . وزعم بعض من ارباب التحقيق . واصحاب التدقيق . ان نوع القروء . المراد به من « دروين » مفقود . وزعم غيرهم ان ذلك الرأي مردود . وان قرد الحلقة موجود . ولذلك ارسلت طائفة من فلاسفة امريكا الشمالية . وفدأ من رجال العلم الى اواسط افريقيا . ومدها مستر « بنت » صاحب نشرة « نيويورك هيرالد » بالعدد والنقود . لتستعين على البحث والتنقيب عن هذه الحلقة المفقودة من القروء . واتبع علماء الاميريكان . طائفة من فلاسفة الجرمان . وبعثوا منهم بوفد الى قلب السودان . لتنقيب رجاله في الغابات على ذلك الحيوان . ولذلك انشئت هذه الابيات التوابع . وانا اتمشى في الشوارع . وذلك في لوندرة عام ١٨٨٩

﴿ النظم ﴾

قلت فلاسفة الزمان تهافتاً
ان القروء هي الجدود لنسلنا
قلنا لهم كونوا قروءاً واكتفوا
ان القروء غريبة عن اصلنا

ان الذي من نسل قردٍ نسله
 قردٌ حقيرٌ لا يقاس بطفلنا
 ما قال درون قطُّ ان جدودنا
 كانت قروداً تستوي مع عقلنا
 قد كان بين القرد نوعٌ نسله
 في اصله قد كان حلقة وصلنا
 قد راح رب العلم يطلب حلقةً
 خفيت عاينا من بواعث جهلنا
 فالناس طراً خلقه في نوعهم
 والقرد نوعٌ لا يناط بمثلنا



الفقر الوضع

نصيب العقل الرفيع

القصة - انه لمن العجب العجاب ان الرجال ذوي الالباب واصحاب العقول السامية والفكرة الثاقبة والتصورات الرائقة الذين ملكوا كنوز الحكمة والمعارف العالية سواء كان في الاعصار الحالية او الحاضرة قد عاشوا في ذل واحنتار وعوز وافتقار فوآسفاه عليهم لقد سُطر الفقر الاسود على غرة جبين كل لبيب امجد واغلب الجهابذة الذين تفرغوا الى اكتساب العلوم الرياضية والمعارف البشرية والفلسفة النظرية والفنون الادبية عاشوا عيشة فقيرة لاننا نرى اصحاب العقول الجليلة والافكار الجليلة يقضون حياتهم في زوايا كوخ صغير او في خبايا عش حقير . ونشاهد ايضاً ذوي النفوس الشريفة والفتنة المنيقة يكابدون ام العوز العنيف والفقر المخيف . وفي الحقيقة قليلون هم الذين يحرزون العلم والمال معاً . وفي الغالب من اغنى بالمال الطائل افتقر بالعلم والفضائل ومن اعنى بالعلم والحكمة احتاج غالباً الى قوت لقمة . وطوارق الاحوال تشهد بصحة

المقال . ورواه الاقدمون واسنده المؤرخون بما نقلوه عن العلماء وسوء
حالمهم المغبون

فقد اشتهر بين اليونان «هوميرس» الشاعر صاحب ديواني «الاياد»
«والاوديسية» اللذين عجز المتأخرون عن الاتيان بثلمها . وقصرت اقلام
الكتاب عن مسابقتها في ميدان فصاحتها . ولكن كيف عاش ومات
هذا الشاعر اللبيب والعلامة الاديب ؟ روى المؤرخون الثقات ونقل عنهم
العلامة «ديزرائلي» ابو لورد «بيقنسلد» ان الطبيعة جادت على
«هوميرس» بنور العقل وجودة الفكر وسلبت عنه نور البصر . واسبغت
عليه كنوز المعارف الجليلة وبجلت عليه بقوت ليله . فعاش فقيراً ومات
ضرباً . والله در من قال :

كَمَ مِنْ قَوِيٍّ قَوِيٍّ فِي نَقْلِهِ
مَهْذَبِ الرَّأْيِ عَنْهُ الرِّزْقُ مَنْحَرَفُ
وَكَمْ ضَعِيفٍ ضَعِيفٌ فِي نَقْلِهِ
كَأَنَّهُ مِنْ خَلِيجِ الْبَحْرِ يَفْتَرُ
هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْإِلَهَ لَهُ
فِي الْخَلْقِ سِرٌّ خَفِيٌّ لَيْسَ يَنْكَشِفُ

وروى الثقات عن اكسيلاندر (Xylander) المشهور بوضعه تفاسير
دقيقة المعاني على كتب «ديون كاسيوس» (Dion Cassius) العلامة
اللاتيني انه كابد احوال الفقر والم به الم الجوع المر حتى اضطر الى

يتبع تأليفه الجليلة بعشاء ليلة . فوأسفاه على عقل وعلم يياغان بكسرة
خبز وكوز ماء . والله در من قال :

يا دهر صافيت اللثام ولم تنزل

ابداً لابناء الكرام معاندا

وعرفت كالليزان ترفع ناقصاً

ابداً وتخض لا محالة زائدا

وحكي عن المعلم « الدوس مانوسيوس » (Aldus Manutius) انه
ألقي في السجن وحكم عليه بالافلاس لعجزه عن دفع الاجرة على نقل
كتبه من البندقية الى رومة

وقد جاء في صحيح الاخبار عن المعلم « اغريبا » (Agrippa) المشهور
انه مات فقيراً في دار العجزة

ومثله المعلم « سرفانتس » (Cervantes) الشهير الذي رزق السعادة
في كل تأليفه وكثرت فوائدها بين الناس حتى انتفع بها الرفيع والوضيع
فانه حرم الرزق في حياته ومات جوعاً في مغارة بقرب مزبلة المدينة
والله در من قال

خص بالرزق واليسار اناس وانا قد خصصت بالاملاق

فكأنني لمن بقية قوم خلقوا بعد قسمة الارزاق

وذكر المؤرخون عن الشاعر « كاموانس » (Camoens) الفرنسي

ما يكاد لا يصدق . قالوا انه لما انكسرت السفينة التي كان راكبها هذا

الشاعر المجيد واشرف على الفرق لم يعبأ بشيء من امتعته غير ديوانه

المسي « بلوسياذ » *Luciad* فعمد اليه وقبض عليه بشماله ورفعته فوق رأسه ليقه من البلبل وطفق يعوم في البحر ويدفع الماء يمينه حتى بلغ الشاطئ سالماً بنفسه وبديوانه . وهكذا جعل مقام قريضه عزيزاً لديه بمقام حياته . لكن لما نجا من غوائل البحر وبلغ ارض الامان وقع في حبال البشر . فانه لم يجد فيهم من يحسن اليه بكسرة من الخبز ليسد بها جوعه ويمسك ريقه . ولا من يشتري ديوانه بفلس . فهلك جوعاً على مزابل الازقة . وبعد موته حنَّ بعض الناس على عظامه الرمية فحملوها ودفنوها في لحد ونقشوا على صخره هذا التاريخ الذي عربته ثراً :

هنا يرقد لويس كاموانس الذي فاق بنظمه شعراء عصره
فقد عاش شقياً محقرأ ومات تغيماً مفترأ

سنة ١٥٧٩

فقلت فيه هذه الايات:

لو كان من بيتاع شعري او دي
برغيف خبز بعث ذاك بدرهم
يوماً عرضت على الانام بكسرة
قالوا : لقد كسدت حياتك فافهم

اما « توركواتو تاسو » *Torquato Tasso* « الشاعر الحماسي المفلق
 للحدود من اربعة ملوك شعراء الايتليان صاحب القريض الحماسي
 والديوان المشهور باسم « اورشليم المعتوقة » *Gerusalemme Liberata*
 فان شقاءه الطامي كان اعظم من عقله السامي . فروى الثقات : انه عاش
 محروم الرزق ومضطهداً من الخلق . ثم طرده الظلام بغضة وعدواناً
 وسجنه الامير ابن الملك في مارستان الجانين سبع سنوات جوراً وحسداً
 وزكه بقاسي عذاب الموت . ومن غرائب ما اتفق له انه اضطر الى
 استقراض شيء من النقود يساوي فرنكاً وابتاع به زاداً اقتات به
 اسبوعاً . وقد اشار الى حال فقره الاسود في قصيدة انشدها قطعاً كان
 خليله الحميم : ومن جملة ما ابداع فيها من النظم الرشيق مدحه عيني هذا
 القط العزيز لديه بما تعريه تترأ : « لله در عينيك النجلويتين فانها
 مصباحي في دجى ليلي الحالك . فمتى نفذ زيت سراجي استصبحت
 بنورها في نظم قصائدي » . وكان هذا الشاعر الحنذيذ ينظم خمسمائة
 بيت ونيفاً من الشعر ليلاً بلا نور ولا سراج ثم ينقحها عقلاً ويعيدها
 مراراً حتى ترسخ في ذاكرته ثم يستنسخها في القد على ضوء النهار .
 اما علماء دهره وشعراء عصره فاثقلوه بتهات شنيعة حقداً ونددوا بقريضه
 حسداً . ورموها بالكفر ظلماً وعدواناً ولكن اسمه كان شائعاً عند العام
 والخاص . وكان اللصوص انفسهم وقطاع الطريق ذويهم يحترمون ذكر
 اسمه . وذلك عندما كان تاسو مسافراً ذات يوم في رفقة من القوم في
 جبال ايتاليا خرجت عليهم فرقة من اللصوص وارادوا سلب اموالهم .

فلما علم مرقس شيارا رئيس اللصوص بان الشاعر «توركواتو طاسو»
 كان بين الجماعة بادر اليه في الحال وقبل يده وقال له : من ذا الذي
 يجسر على الحاق الاذى برجل قد شرفه المولى بعقل يسود على غفول
 النورى بالعلم والاداب ؟ ثم استعذر منه ومن رفقائه وصحبهم في اسفلهم
 وحرسهم من الاخطار واوصلهم سالمين الى طريق الامان . والله در من
 قال :

فاختر بعلم ولا تجهل به ابدًا .
 فالناس موتى واهل العلم احياء
 وقيمة المرء ما قد كان يحسنه
 والجاهلون لاهل العلم اعداء

اما الكردينال «بنتيفوليو» (antivogli) الشهير والعلامة التحرير
 من وصفه العلماء المتأخرون « بفخر ايتاليا وكوكب العلوم » فقد قضى
 شيخوخته الموقرة في ضنك وفقر يرثى لهما . وقسا قلب اصحاب الديون
 عليه الى درجة لا تغفر . فانهم اجبروه على بيع قصره لايفاء حقوقهم
 ولما قضى نحبه لم يخلف سوى شهرة اسمه الكريم . والله در من قال :
 الفقر يزري باقوام ذوي حسب

وقد يسود غير السيد المال

وقال آخر :

ولا رفع النفس الدينية كالغنى
 ولا وضع النفس الشريفة كالفقر

وحكي عن المعلم « لو ساج » (*Le Sage*) صاحب التأليف البديع المعروف باسم « جيل بلاس » [*Gil Blas*] انه عاش في كوخ حقير بضواحي باريس . ورثما كان هذا العلامة يتضور جوعاً ويتقلب على حجر التماسه والشقاء كان اهل باريس وفرنسا يتسلون بمطالمة رواياته البديعة المنمقة باقلامه الرفيعة . وهم غافلون عن احوال مؤلفها وفقره . وقد در الامام الشافعي الذي قال :

لم يدر طعم الفقر من هو في الغنى

ومصحح الاعضاء ليس كمن يبي

وروى الثقات عن « دريدن » [*Dryden*] الشاعر الانكليزي انه اضطر الى بيع عشرة الاف بيت ونيف من اشعاره الى « تونسون » (*Tonson*) باقل من ثمانية ليرة انكليزية ليني حقوق الناس ويسترحاله ويصون نفسه من الهوان كما قال الامام الشافعي :

كم فاقه مستورة بمروةٍ وضرورةٍ قد غطيت بتجملِ
وكم ابتسام تحنه قلبُ شجٍ قد خالطته كربةٌ لا تنجلي

وروى الثقات عن الشاعر الفرنسي « دي ريار » (*De Ryer*) انه قضى حياته في خص حقير الى جانب قرية صغيرة واضطر الى بيع كل مئة بيت من اشعاره « بفرنك » حتى يترفع عن هوان السوءال . ولا يتحمل منة الرجال اتباعاً لقول الامام الشافعي :

قنعت بالقوت من زماني وصنت نفسي عن الهوانِ

خوفاً من الناس ان يقولوا فضل فلان على فلان.

وقد جاء عن المعلم « بُرشاس » « Purchas » انه صرف اكثر عمره في الاسفار وجمال الامصار وخاض الانهار وقطع البحار وطوى القفار وركب غارب الاهوال والاختار ابتغاءً اكتساب المعارف . ثم اودعها كتاباً وسمه « باخبار العالم » (*Relations of the World*) ثم ضايقه الفقر الى حالة يرثي لها . وشكاه اصحاب الديون الى الحكام فألقي في السجن . وكان الباعث الاول على نلك المصائب الرجل الذي تولى طبع مصنفاته واجتني فوائدها . وكانت هذه العاقبة التعيسة جزاء ما تكبده من المشقات والاهوال في اسفاره الشاسعة لمنفعة العالم . فهو نصب وغيره كسب . وتمّ فيه قول المتنبي :

بذا قضت الايام ما بين اهلها

مصائب قوم عند قوم فوائد

وروي عن « سافاج » (*Savage*) الشاعر الانكليزي النحرير ان

الفقر الشديد اضطره الى بيع ديوانه الموسوم باسم «الشارد» (*The Wanderer*) بشيء من النقود لا يتجاوز قدرها عشر ليرات

وذكر التاريخ ان « ميلتن » (*The Great Milton*) الشاعر الانكليزي

الكبير ايضاً احوجه الفقر الى بيع ديوانه العظيم المشهور « بالفردوس المفقود»

(*The Paradis lost*) بقيمة عشر ليرات انكليزية حيث لم يملك من

المال ما كان كافياً لطبع ديوانه المذكور . وتمّ به قول ابي العتاهية :

إذا قل مالُ المرءِ قل صديقه

وضاقت به عما يريد طريقه

فعاش هذا العلامة الفاضل أكبر شعراء الانكليز فقيراً ضريراً وأومات مسكيناً حقيراً؟

وروى المؤرخون ان «اطوي» (Otway) الشاعر المشهور صاحب الروايات المسرحية التي اغنتى بها بائعوها وطرب لها سامعوها حظ الفقر به الى درجة اليأس ومات جوعاً وهو يتمثل بقول يقارب قول الشاعر :

ولو كالت شعر العديم علومه
فما نفعها والظالم النحس حاضر

وحكي ايضاً عن الشاعر التحرير «صموئيل بويس» (Samuel Boyce) صاحب النشائد والتغزل بالله الذئع الصيت والشهرة . انه بعدما نظم نشائد الهية رخيمة وقصائد بديعة قدرها حق قدرها الرفيع والوضيع من الناس وقع في شرك الفقر المدقع ومات بداء الجوع موتاً اليماً . ثم وجدته الناس بعد موته ملقياً في زاوية مخدع حقير وعليه قطعة من غطاء صوف رثة وطرفاها مقترنان بسلخه من قضيب والقسم الاعلى من جسمه عريان وقد هزل حتى صار كالخلخال . وكان وهو في تلك الحال قابضاً على قلم كتابة يبيد قد اعترها النحول ودق عظمها وذاب لحمها ويس جلدتها وقصر مداها . وكأنه اراد ان يكتب شكواه بايات مثل هذه :

يا قاسمَ الرزقِ لِمَ خاتني القسمُ
 ما انتَ متهمٌ قل لي مَنْ اتهمُ
 ان كان نجبي فحسباً انتَ بمنجمه
 وانتَ في الحالتينِ الخصمُ والحكمُ

ففارقت الروح الجسد وقصرت عن تدوين الشكوى تلك اليد
 اما « شاترتون » (Chatterton) الكاتب الشهير الملقب « بذي
 التعاسة » نشدة ما قاساه من الشقاء وضنك المعيشة مدة حياته . فانه
 كان يتلف على الفوز بكسرة من الزاد ليسد بها جوعه ويمسك رمقه
 ولم يظفر بها دائماً . فر ذات يوم بجانوت رجل يخبز الكمك الحلو وكان
 الجوع قد بلغ منه كل مبلغ وخارت قواه فنفذت رائحة الكمك الحار في
 حاسة شمه فتشججت لها المعدة وارتجى عزمه فاستند ظهره الى باب جانوت
 الكمك . فلما رآه صاحب الجانوت مغشياً عليه عرف ان الجوع
 قد اضناه فاقبل اليه ونبه ثم اعطاه كهكة صغيرة . فلما وضعها « شاترتون »
 بفيه شعر كأنه قد استطعم بجلاوة النعيم وشكر الله . على تلك النعمة الزهيدة
 وقال بقول القائل :

واستغنِ بالشيء القليل فانه

ما صانَ عمركَ لا يقالُ قليلُ

وقد جاء في صحيح الاخبار عن « نيكافور نيبس » « N. Niepce »
 الذي صرف حياته وانفق دراهمه في الامتحانات الكيماوية واكتشف
 طريقة التصوير بالنور اي صنعة الفوتغراف سنة ١٨٣٨ انه بعدما اتقن

الصنعة اخذها عنه « داغير » « *Daguerre* » وبرع بها ونال ملء الشرف من جرائها وبقي « نيباس » المذكور محروم الفوائد من امتحاناته واكتشافاته وعاش حقيراً ذليلاً ومات بباريس صعلوكاً فقيراً . فلما مات ميثوساً عرفت رجال الاكاديمية الفرنسية ما كان لنيباس من الفضل على هذا الاكتشاف النفيس فتكرمت على ابنه بهدايا ثمينة ومنحته القاباً نجيمة . ولكن كل ذلك « بعد خراب البصرة » لان نيباس مات جوعاً وهو يناجي ربه بقولٍ مثل قول الشاعر :

اعطيني حكماً لم تعطني ورقاً
 قل لي بلا ورقٍ ما تنفع الحكم ؟
 نخذ من العلم شطراً واعطني ورقاً
 ولا تكلفني الى من جوده عدم

ومن ذا الذي لم يقرّ او يسمع ما قاساه العلامة النحرير « غاليلوس غاليلاي » « *Galileo Galilei* » من آلام الفقر المدقع والاضطهاد والسجن لاجل تعليمه بجرعة الارض . فدخل السجن وهو يرفس عنبة بابه برجله ويقول بغيظٍ شديد :

« كيف انكر حركتها وانا اشعر بهزتها ؟ » . وما زال مضطهداً دهره وهو يردد في وجه عدوه قول القائل :

لو كنت تعلم ما اقول عذرتني
 او كنت اجمل ما تقول لذلتكا

لكن جهلتَ مقالتي فعدلتني

وعلمتُ انك جاهل فعذرتك

اما خريستو فورس كولموس الذي قاسى عذاب الموت في اكتشافه
قارة اميريكا وصيروها بواسطه هذا الاكتشاف سبباً لحياة وغناء ملايين
وملايين من البشر اضحي شقيماً ومضطهداً وعاش فقيراً منكود الحظ
يجول على ابواب الاديرة ويستكدي قوته اليومي . ولكن من خصائص
الدهر المتهمك ان الناس يعرفوا مقام ذلك الرجل بعد موته جوعاً وقدره
حق قدره ونصبوا لذكرك تماثيل شريفة من الرخام والنحاس . وتم فيه
قول الشاعر :

اولع الناس بامتداح القديم وبذم الجديد غير الذميم -
ليس ذا غير انهم حسدوا ال حي وحنوا الى عظام رميم
فمالي اطيل الشرح بذكر العلماء وفقرم وقد ضاقت بطون الصحف
بتعدادهم . غير اني اقتصر في هذا الباب على سبيل الختام ان اذكر
امرین رأيت احدهما بعيني وعرفته بنسي وسمعت خبر ثانيهما من معلمي
الحرير القس « فنجنسو انافيتي » الخطيب الروماني ايام كنت ادرس عليه
فني البديع والخطابة

اما ما عرفته بنفسي فهو رجل اديب وعالم لبيب صاحب اثار
عديدة نثراً ونظماً . وصاحب اختراعات في الصنائع وعمل الآلات .
قد تهر في العلوم السنية واثق ثنائي لغات اجنبية وجال الامصار
وطوى القفار وخاض الانهار وقلع في البحار ودار البلاد وعاشر العباد

واطلع على عوائدهم ودقق في تواريخهم وخص في مذاهبهم وعقائدهم
واذخر في مؤلفات عديدة ما نظرته عينه ووعنه أذنه

ولا حاجة الى ذكر اسمه هنا فانه اشتهر من ان يذكر وجبال لبنان
وسهول بيروت ترد صدى اسمه في وقار وسكوت . فهذا الاديب الفاضل
والعلامة الكامل بعد ان انفق ما كان عنده من المال في سبيل اكتساب
المعارف والفنون وتأخر الناس عن ايفائه ما كان له عليهم من الديون
افضى به الحال الى اقصى دركات الفقر والعوز . فباع ما كان عنده
من الحليّ والمصوغ ورهن بعضاً من امتعته عند الصيارفة والتجار حتى
اضحى اخيراً لا يملك درهماً يتناع به قوت ليلة . فاسودت الدنيا في
عينيه وابت مروءته وعزة نفسه التماس الاحسان وكره ان يستعطي
بعدهما كان يعطي . فصرف نهاره بتمامه وهو صائم لم يذق طعم الزاد . فلما
امسى المساء عليه عاد الى مخدعه الحقير آيساً مغبوناً وجائعاً مغموماً .
ولما اشتد الجوع عليه اخذ يجول في حجرته كالولهان فلاحته منه
التفاته الى خزانه الخبز فوجد فيها كسرة من الخبز اليابس بقدر الكف
فحش اليها وبش بها ثم تناولها ونقعها في الماء وسد ريقه بها وذهب الى
الرقاد . قيل انه لم يستطع بلذة زاد في كل عمره كما استطعم بلذة
تلك الكسرة اليابسة في ليلته العابسة البائسة

وجرى له مثل ذلك مرة اخرى واضطر الى استقراض عشرين
قرشاً من صديق له وظل ينفق منها على نفسه ثمانية ايام . ولما فتحت
الدنيا في وجهه ابواب السعة والفرج وفي ما استقرض من المال وشكر

صاحبه على كرمه . وما عدا ذلك اضهدته طائفة من الناس واوسعوه
شتائم وهو صابر على نجور الزمان

اما الحادث الثاني الذي سمعته من معلمي فهو كذلك من الامور
التي تفتت الاكباد . فقال لي هذا القس الاديب : شملني حزن اليميم
رأيته بالامس . وذلك اني زرت شيخاً فاضلاً كنت ادرس عليه الفلسفة
في عهد شبابي وهو من الفلاسفة الذين يشار اليهم بالبنان . فوجدت
سمات الكابة تلوح على غرته البيضاء وهو ملازم الفراش . فقلت له
بعد السلام : وقيت شراً يا مولاي . ما الباعث على هذه الحال ؟ فقال
لي في جوابه لا شيء من القرائب بل هو ما تمهده من نصيب من
يشتغل بالعلم . قلت وما ذلك ؟ قال لي فقر ابي الاولاد الذي يسود
الوجه ويفتت الاكباد . فقلت له هل افضى الامر بك الى هذه الحال ؟
وهل هذا هو الباعث على ملازمتك الفراش على هذا المنوال ؟ قال لي -
قد لازمت زوايا صومعتي منذ ثمانية ايام ولم اجسر على الخروج منها
حياً . فقد بلي ثوبي ورث سربالي وكاد الا يستران عرائي . وهاءنذا
كما تراني . وقد لازمت الفراش ليس لعل في جسيمي بل سترة للمحى
وعظمي . وليس في قبضة يدي ما يسد عوزي ويكسو عورتني . قال
لي استاذي المشار اليه : لما سمعت كلامه اغرورقت عيناى بالدموع
وقلت لنفسي : اف للدهر الخوؤون . كم وكم من السفهاء يتفاخرون
بالملايس الثمينة وهذا العلامة الاديب والفيلسوف النجيب لا يملك ما
يستر عراه . ثم طبيت خاطره وترفت بحاله وقلت له : ياسيدي ماذا

حبسك عن اخبارك يااي بصر حالك ؟ قال لي : منعني قول اوفيد
(Ovidius) الشاعر اللاتيني

*Tempore felici, multi numerantur amici
Si fortuna perit, nullusamicus erit .*

وهاك تعريبه نثراً ونظماً
ان جادت الدنيا بمالٍ واكتفا
كثرت على الإنسان اخوان الصفا
واذا الزمان نقلت احواله
فرَّ الجميع وخان كلُّ بالوفا

نثراً

اذا اقبلت الدنيا عليك تحبب جميع الناس اليك
واذا جارَ الزمان عليك تفرقت الاحباب من حوايك
من سعدت احواله تكاثرت اصحابه
من حبطت اعماله تباعدت احبابه

وقال في المعنى شاعر آخر
المرء في زمن الاقبال كالشجره
فالناس من حولها ما دامت الثمره
حتى اذا اسقطت كل الذي حملت
تفرقوا وارادوا غيرها شجره

ثم قال لي : لا يخفى عليك يا ولدي ان العطاء مبيع والاستعطاء قبيح . وان اعطى المسئولُ السائلُ صيره في رقه . وان لم يعطه كانت المصيبة اعظم من ضيقة رزقه . كما قال في المعنى الامام علي ابن ابي طالب :

واذا السوال مع النوالِ وزنته
رجحَ السوالِ وخفَّ كلُّ نوالِ
وقد جاء في الامثال اللاتينية

Beneficium accipere, libertatem vendere
Beneficium reddere, libertatem redimere .

وتعريبه : من نال الاحسان باع نفسه ومن ردَّ الاحسان فدى نفسه . وقد قيل ايضاً : الانسان عبد الاحسان . وقد نصَّ الاقدمون على ذلك نصوصاً كثيرة منها : احبُّ الناس الى الناس من استغنى عن الناس . وابغض الناس الى الناس من احتاج الى الناس . وقال الشاعر :

لنقل الصخر من قلالِ الجبالِ
احبُّ اليَّ من مننِ الرجالِ
وقال بعض الحكماء : من احببت اليه هنت عليه . ونص آخر في المعنى وقال : لا يزال الرجل كريماً على الناس حتى يحتاج الى ما بيدهم فاذا رأوه فعل ذلك استخفوا به وكرهوا حديثه . وقد صدق من قال :

لا تسألن أبناء آدم حاجة

وسئل الذي ابوابه لا تحجب

الله يفضب ان تركت سوءه

اما بن آدم حين يسأل يفضب

ولهذا امسكت عن سؤال الناس وجعلت امر الله على العين

والراس وصبرت حتى النهاية واعصمت برب العناية لعلني بان الله

لا يخلق حياً بلا رزق . فمن شق الاشداق تكفل لها بالارزاق

قال : فلما سمعت حكم استاذي المنيفة ومواعظه الشريفة وعرفت

ما عنده من عزة النفس المفيفة استأذنته بالذهاب ووعدته بسرعة

الاياب وخرجت اجري مسرعاً الى داري . وتناولت بذلة من ثيابي

وجعلتها في منديل وسدلت عليها جلبابي مخافة ان يراها اصحابي

وهرولت اليه ودخلت عليه . فلما رأني اعدت الكرة بكل سرعة قال

لي : ما وراءك حتى اسرعت القدوم وانت مرتبك مهوم . فقلت له :

لا شيء سوى الخير فلا يتشاءم من ضمير . فاني قد اتيتك بهذه البذلة

من الملبوس واظلم اليك ان تقبلها بلطفك المأنوس . قال : فتبسم

الاستاذ وقال : بارك الله في همتك وزاد نخوتك وجزاك عني خيراً على

مروءتك وقضى لك كل حاجتك . لانك قد قضيت اليوم حاجتي

وسددت بجمودك فاقتي . قال : فقلت له : مثلك يا استاذ من يفاث

ويخدم ويجل ويكرم فانت ابو العلم ونحن بنوك فلا فض قوك ولا

عاش من يشنوك . فلا تقنط من تصاريف الزمان فلهذا سطر الفقر

المدقع على جباه العلماء وخرس السنة الفصحاء وسد افواه الخطباء .
 وليس لهم منه مناص . وما ذلك لكونهم يصرفون عنان العناية الى اكتساب
 العلوم ويقضون العمر في طلب المعارف والاداب فلم يبق لديهم وقت
 يصرفونه في المصانعة واكتساب المال لذلك يفضي بهم الحال الى الفاقة
 والافتقار . فلما سمع الاستاذ كلامي قال لي في الجواب : قد استوعبت
 المقال . ولكنني افضل العلم والاداب على المال وارجح التدقيق في
 حل المشاكل من معضلات المسائل على استماع الاغاني ودق الالات
 كما قال الشاعر :

سهرى لتنتقيح العلوم أذئ لي
 من وصل غانية وطيب عناق .
 وصرير اقلامي على اوراقها
 احلى من الدوكاه والعشاق .
 والذئ من نقر الفتاة لدهها
 نقري لالقي الزمل عن اوراق

وقد اصاب الامام علي[ؑ] بن ابي طالب بما قال
 ما الفضل الا لاهل العلم انهم
 على الهدى لمن استهدى ادلاء
 وقيمة المرء ما قد كان يحسنه
 والجاهلون لاهل العلم اعداء

فقم بعلم ولا تطالب به بدلاً
فلناس موتي واهل العلم احياء

هذا ما كان من علماء العرب وفقر حالم . اما الفقراء من علماء
الشرق فحدث عنهم ولا حرج . فهم اكثر من ان يحصيهم قلم او تسهم
بطون الاوراق . فاذا طالعنا اشعار بعض شعراء الجاهلية واشعار الامام
علي بن ابي طالب والامام الشافعي وابي العتاهية وصالح بن عبد القدوس
وابن الاحنف وعمود الوراق وعبد الرحيم احمد والمطران جرمانوس
وعبدالله بن ظاهر وابن المعتز والمروزي وابي نصر احمد المقدسي وغيرهم
كثيرين من شعراء العرب وادباؤهم نراهم جميعاً يتشكون من الفقر
ومصائبه وان اغلبهم عاشوا بلا ثمن وماتوا بلا كفن . وربما حين انا
اقيد هذه الحقائق وريثاً يشتغل الطباع بطبعها وريثاً يطالعها المطالع في
كل الاقطار كثيرون من رجال العلم والاداب يقاسون مثل سلفائهم
عذاب الفقر المدقع ويموتون في اكواخ حقيرة لا يدري بهم غير الذي
خلقهم وقطع رزقهم وانتزع ارواحهم . وربما اتى بعدي كثيرون من
العلماء والادباء واصيبوا بداء الفقر العضال . وما ذاك الا لكونهم مثل
الدراري الثمينه التي تستقر في قعر الجار كما اجاد الشاعر « قابوس بن
وشمكير » حيث قال :

قل للذي بصروف الدهر عيرنا
هل عاند الدهر الا من له خطر

اما ترى البحر تملو فوقه جيف
وتستقرُ باقصى قعره الدررُ
وفي السماء نجومٌ لا عداد لها
وليس يكسفُ الا الشمس والقمرُ
ولا ريب في ان هذه الروايات الفجيعة التي سردتها قبلاً بايجاز
واختصار لاشد الروايات حزناً وكأبة . ولا تستطيع الاذن استماعها من
دون ان تذرف العين عليها المبرات السخينة . ولذلك حدث بي القرينة
الى رثاء رجالها الكرام ! وابطالها العظام فانشدت اقول :

* الرثاء *

« قفانك من ذكرى » اديب بمحنة
يقاسي عذاب الجوع من فقد لقمه
يعيش بفقر لا يطاق احتماله
ويدفن مجهولاً باحقر حفرة
يتقب في اصل الفنون نهاره
ويهدس ليلاً في قواعد حكمة
فكان فريد العصر « ملتن » يشتهي
من الجوع والافلاس في كل ليلة

« وضيعَ فردوساً »، وباعَ قريضةً
 باحقرِ اسعارٍ وابخسَ فضةً
 وماتَ ضحياً بالبلايا مكبلاً
 وخلدَ ذكراً لا يموتُ بمقبةٍ
 و« طاسو » الحماسيُّ الذي عاش مفلساً
 وماتَ رهيناً الفقيرُ في ذلِ غربَةٍ
 فكانَ يقولُ الشعرَ بجرِ نهاره
 وينظمه طولَ الدجى دونَ شمعةٍ
 وكم من ليالٍ كان فيها سراجهُ
 بصيصَ ضياءٍ من لواظِ هرةٍ
 عليه جنى الحسادِ طولَ حياته
 وقيدَ عدواناً كمخللِ فكرةٍ
 وهذا « كلبو » يركبُ البحرَ قالماً
 ويكشفُ ارضاً في البحارِ البعيدةِ (١)
 ويمجزي عليها باضطهادٍ ونقمةٍ
 ويسجن ظلماً دونَ ذنبٍ وجنحةٍ

(١) ان الارض التي اكتشفها كولبوس اول سفرة سنة ١٤٩٢ للميلاد كانت جزيرة من جزائر « باهاما » في البحر الاطلس الشمالي . طولها ٤٥ ميلاً وعرضها خمسة اميال . وسماها باسم « سان سالفادور » اي « المخلص » لانه باكتشافه خلص من غوائل البحار واخطار الموت

ومات بعيداً عن بلادٍ خصيبةٍ
 غزاها بهزمٍ واجتهادٍ وفطنةٍ
 و«هوميروس» الخنذيدُ عاش بفاقةٍ
 ضريراً عليلاً في قيود البليةِ
 و«الدوس» أُلقي في السجن كفلسٍ
 يتوحُّ على عمرٍ قضاهُ بمحنةٍ
 و«سرفنتس» التحريرُ هاش بكديّةٍ
 وماتَ حقيراً فوقَ زبل المدينةِ
 ومن ذا الذي لم يدر حالةَ عالمٍ
 غدا كوكب العرفان في كل ندوةٍ
 فاذكرُ «بنتيفوليوس» وقصره
 وقد بيع بالاكراه من غير ذمةٍ
 وقسى عليه قلبه كلُّ دائنٍ
 فباع تاليفاً بالبخس قيمةٍ
 فكان اميراً في العلوم وفي الغنى
 فامسى فقيراً في بلايا كثيرةٍ
 وصاحبُ «جيلبلاس» يهلك حمرةً
 وليس يرى قلباً يجود برحمةٍ
 و«اذريدن» المديون كاد لفقرو
 يضحي حياةً في سجونٍ عميقةٍ

وعشرة آلاف من الشعر قد غدت
 تباعُ بسعرٍ لا يقوم بكسرة
 و«برشاش» طاف الارض يطلب حكمةً
 ويبحي فنون العلم من كل زهرة
 فماد وأتقي في السجون ضحيةً
 لاطلاع اصحاب الديون الوفيرة
 و«سافاج» ضحى للجماعة شعره
 وباع دواوين القريض بعشرة
 ومات «بويس» في المذلة بأسأ
 وفي كفه المهزول اهزل ريشة
 وانشد في حب الاله نشائدًا
 تقنت بها الاخبار من كل امة
 واهمل من كل الخلائق ساغبًا
 فماش حقيرًا في اذل معيشة
 و«ريار» في خصّ قضي كلّ عمره
 ومات ذليلًا مستهانًا بقربة
 وباع تآليفًا بلخس درهم
 يريد اتباع الخبز سدًا لمعدة
 و«كوان» في البحر العرم غارق
 يدافع جهدًا عن حياة عزيزة
 «٣٧»

يصون بيسراه كتاب قريضه
 ويقذف باليمنى غوائل لجة
 ولما نجا من هول بحر عرمرم
 توغل في احوال جوع وقلة
 فصاحب « لوسياذ » بعد نجاته
 من البحر اضحى في مزابل بلدة
 واين الذي قد حرك الارض علمه
 « غيللاوس » المشهور في علم هيئة
 فقال وما هاب العداة بسجنه
 فكيف احابي ؟ قد شعرت بهزة
 وقف بك « شاترتون » رفقا بجاله
 وثنى على الخباز صاحب كهكة
 فيا ليت كل الخلق تفعل فعله
 وتحمي علوماً بالرجال العظيمة
 وذا قرننا العشرون قرن معارف
 يكفر عن غلطات اجداد ملتي



سفرة مرة

في ليلة قرّة

قال دفعتني يد النوائب المرة الى سفرة في ليلة قرّة قد كثرت
ثلوجها وغطت من الديار حصونها وبروجها وخرقت ارياحها ودوى
في الافاق صياحها حتى كاد الذئب يخشى الخروج من عرينه ولو
ايقن الموت جوعاً من حينه فبرزت من دار دافئة المقام امر بشوارع
(منجستر) في جراًة واقدام وقد انتصف الليل وخيم عليه ضباب
الويل وكسف الثلج المتناثر على رأسي قامت على الارض قيام الجبال
الرواسي فكدت لا افرق طريقي من يمين او شمال ورجلي لا تثبت
على زلق الجليد الشديد الاهوال فاسودت الدنيا في عيني سواد الليل
الادهم فانشدت والفواد مؤلم

يا ليل حظي مثل وجهك اسود
فكأنك الزنجي حاول قصر جلد
يا ليلتي شفي وبأريج اخدي
لم تبقي لي بصراً أميز بنوره
يا ليلتة فيها العناصر كلها
قصدت هلاكي والمسعد يرقد
يا ليل طرفك مثل ثلجك اربد
دته بثلج بئس ما تكبد
قد راعني منك الظلام الاسود
شيئاً ولا نفساً به اتهد
يا ليلتة فيها العناصر كلها
قصدت هلاكي والمسعد يرقد

ومن القضاء بأن جعلت فريسةً
ثلجٌ لقد غطى الشوارع والحي
والغيث مندفقٌ بهم بسيله
اجري وسيل الماء يفسل لحيتي
ثوبي خليجٌ ثم جسي فلکه
امشي وازلق والجليد معذي
عجبي لموتي في الثلوج تجمداً
تباً لعمري ينقضي في سفرةٍ
لجليد ثلجك والدماء تجمدُ
وعلى المعاهد والربى يتنضدُ
ان يجرف الدنيا وسحب ترعدُ
والرشح جارٍ من اديمٍ يجهدُ
فكأنني حوتٌ ببحرٍ يزبدُ
اكبو وانفضُ دون خلٍ يعضدُ
وسعيرٌ نيرانُ البلا يتوقدُ
كفني بها ثلجٌ وقبري ابردُ



الثلج

وقلتُ اصف ثلجاً سقط بمدينة منجستر وذلك في اليوم العاشر من

شهر شباط لعام ١٨٨٩ .

كنداف عن تثر القطن قوسه
وبيض ارضاً سودتها قبائحُ
اسرُ بثلجٍ يستجاد احمرارهُ
تناثر ثلجٌ من قبي الطبيعة
وموه قاذورات كل الازقة
به تكتسي حوز الجتلج بجنة

فاهلاً بضيفٍ حلّ ارحب منزلٍ نقرأ به عيني ونهيج مهجتي
 لقد شبه العشاق بالثلج ظيهم واني لقد شبتُ ثلجاً بطبيتي
 فيا ثلج ما ابى بياضك في الوري لانت انعكاسٌ عن بياض حبيتي

السؤال والجواب

فارت الانيس والنديم وهجرت صديقي الحميم لاجحوض بحار المدس
 واستطلع حقائق ما في خلدي من الهجس . نخلوت بنفسي ذات ليلة
 قراء وافترشت فيها الارض بقعة خضراء على راية كستها يد الطبيعة
 محاشن غواء . وذلك في جزيرة الامراء . وكان قد اعلت النسيم وصفا
 الهواء من السديم . ولما طببت نفساً واسترحت جسماً وحسناً اعترضت
 على نفسي ببعض المسائل اريد حلها ببعض الدلائل . فبعدما اعملت
 الفكرة في بحثٍ دقيق واطلت فيه المدس العميق ادركت اني لست
 من قوسن ذلك الميدان فقلت لنفسي : كفالك هذا العناء لقد
 «فسرت الماء بعد الجهد بالماء» ؟ ثم نظمت هذه الايات بمقام البيئات
 على عجزى وانجامي وواخام من سبقتني في اوهامي

كم من سنين مضت والنورُ منتشرُ
 والثلج والغيث فوق الارض ينهمرُ
 من قبل ما كورت في الجو انجمهُ
 ماذا الذي كان في الابهام يستترُ
 ماذا الذي فعل الخلاق قبل بنا
 دارت على محورِ ذي الشمس والقمرُ
 هل من حدودٍ لهذا الكون قد فرضت
 ام ليس حدٌ له يحصى وينحصرُ
 من ذا الذي ادرك الكرات من شهبِ
 قد حلت في اعالي الجو تنتشرُ
 ما غاية الرعدِ والانواء ثائرةُ
 من غيظها الفلك في الاجمار تنكسرُ
 ما النفع من خلقه الحيوان اجمعه
 ان كان يشقى ولا يبقى ولا يذرُ
 ما النفع من بقية تفانٍ فارصةُ
 ما الخيرُ في قرصة البرغوث يتظفرُ
 في اي عهدٍ بدا الانسان من عجلِ
 في قلبه كان بذرُ المشب يختمرُ
 ما غاية المرء في الدنيا وملحقها
 هل جنةٌ ام جحيم النار تستمرُ

هل من خلودٍ له في غير عالمنا
ام كله في تراب اللحد يتخفر
هذي السؤالات قد اصبحت لساعتنا
معقودةً عجزت عن حلها الفكرُ

القاضي العادل

اذا ولي الاحكام قاضٍ مزورٌ
دفنا حقوق الناس في القبر للمحشر
فيجلس اذ ذاك الاله بعدله
ويبعث مدفوناً ويأمرُ بالنشرِ

اسفار اهل المدر والمضر

خرجت من لندرة الى بلريس وركبت قطار السكة الحديدية بلا
انيس فخطر لبالي الفراق بين اسفار العرب وما هي عليه من الاتعاب

والكرب وبين اسفار الغربيين وما هي عليه من رخذ حال مين
 فقلت هذه الايات الاتية في ١٦ نيسان لعام ١٨٨٩
 لاسفار اهل البيد رحلٌ وهودجٌ
 ونوقٌ عليها العربُ تغزو وتسرحُ
 ونحن قد اعرضنا عن الكل في السرى
 بفلكٍ كعوت البحر تجري وتسبحُ
 وفي البر سرنا في قطارٍ يجره
 بخارٌ يحاكيه العقابُ المنحُ
 يقينا شتاءَ قرصَ بردٍ وثلجهُ
 وفي القيط في ظلٍ نيتٌ ونصبُ



الدهر

وقلت ابكت الذين يتظلمون من الدهر وطوارقه وذلك بمدينة شيكاغو
 باميركا :

شكا الناس من دهرٍ ومن سوا اهلِهِ
 وليس على دهرٍ ملامةٌ مفتبر

رأيت شقاء المرء من سوء نفسه
 وكل لبيب لا يخالف مذهبي
 بلأيا الفتى من جهله وخموله
 ومن سوء تديره بتحصيل مكسبه
 فما الدهر إلا المرء في كل حالة
 يطيب ويشقى في الزمان المقلب
 وكل نسب الجهال سوء مصيرهم
 إلى الرب زوراً جلّ عن كل معتب

﴿ الحجة الدامغة ﴾

(قلت) لقيني صديق حميم كان ألبني من عهد قديم ولما صافح
 كفي لمع بأصبعي خلتين من العسجد فرصعين بالياقوت والزبرجد
 فانكر عليّ لبس الحلي من باب الزهد فارتجلت له هذين البيتين من
 باب الرد وذلك بمدينة سان (فرانسكو) بأميركا عام ١٨٧٢
 يقولون: قسّ يلبس الحلي والذهب
 وذلك في الزهاد من اعجب العجب

فقلت لهم لي الحق في لبس حلية
 كما حق للمطران ان يلبس الذهب
 فان قيل : قس زاهد قلت : اسقف
 زعيم لقوم الزاهدين ولا عنب



العربة

وقلت اشكو من تعربي عن اخي وانا يومئذ في (يوكوهاما) من
 بلاد اليابان : وذلك عام ١٨٢٣
 لقد طال بعد الشمل مره فراقنا
 وذابت بنار البعد حبة مهجتي
 تعرضت الاجار بيني وبينكم
 تعرض حنف بين طب وعله
 بهذا قضى دهري علي معاندا
 قضاء ظلوم لا يرد بجمه
 ولا تنفع الشكوى اذا كان خصمنا
 عدوا عنيدا يستبيح خصومتي

أَشْكُو إِلَى دَهْرِي فِرَاقِ أَقَارِي
 وَدَهْرِي قَدِيمًا كَانَ أَصْلَ مُصِيبَتِي
 إِذَا يَسُّ الْمَظْلُومِ مِنْ نَيْلِ حَقِّهِ
 فَلَيْسَ لَهُ غَيْرُ النَّاسِ لِمَدَّةِ
 فَمَا ظَالِمٌ إِلَّا وَيَجْزِي بِظُلْمِهِ
 وَيَلْتَقِي مِنَ الدِّيَانِ شَرًّا عَقُوبَةً
 يَقُولُونَ لِي : صَبْرًا لِيَوْمِ قِيَامَةٍ
 هُنَاكَ يَفُوزُ الصَّابِرُونَ بِبَاقِيَةٍ
 أَعْلَلْ نَفْسِي لِلْقِيَامَةِ بِاللِّقَاءِ
 وَلَا يَنْفَعُ التَّعْلِيلُ وَالْمَوْتُ أَقْتَبِي
 إِذَا حَانَ يَوْمِي وَالْفِرَاقُ مِرَافِقِي
 وَجَسْمِي تَوَارَى فِي التُّرَابِ بِغَرْبَةٍ
 فَظَنْتُ وَمَنْ لَا تَعْتَرِيهِ سَامَةٌ
 إِذَا كَانَ جَمْعُ الشَّمْلِ بَعْدَ الْمَنِيَةِ
 حَرَمْتَ لِذِيذِ النَّوْمِ بَعْدَ فِرَاقِكُمْ
 وَفَرِحَ جَفْنِي السَّهْدُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ
 فَيَا بَعْدَ دَارٍ دَارِ دَهْرِي بِجُورِهِ
 عَلَيْهَا وَكَانَتْ خَيْرَ دَارٍ عَشِيَّتِي
 رَعَى اللَّهُ أَرْضًا قَدْ حَلَّتْ رِيَاضُهَا
 بِهَا غَنَّتِ الْأَطْيَارُ فِي كُلِّ نَفْسَةٍ

سقى الله غيث الخصب مرجاً نزلته
 وطابت لك الايام في خير بقعة
 تمتع بما اولاك مولاك واغنبط
 وعش في هناء وارتفاع ونعمة
 عسى ان بين الله يوماً يفضله
 علينا بجمع الشمل في خير بلدة



ماء الورود

وقلت اصف استقطار ماء الورود وانا في بلاد البلغار وذلك عام ١٨٨٩
 ووردت حسن بلها الطل مبكراً
 فلاح على الخدين در تكورا
 راها ليف الحاسدين فاكنوا
 لما الكيد في قلب من الغيظ شطرا
 جنوها على رغم العدالة واجنوا
 عليها وما حازت نصيراً محرراً

والتوالطيف الجسم في سجن طاجن
فذاب وسال الدمع منها معطرا

وقلت اصف فصل الربيع وانا بدمشق سنة ١٨٦٢

تجلى ربيعٌ بالزهور مكللٌ
عليه رداءٌ من نسيج الزنابقِ
وتنوّج رأس الورد درٌّ وعسجدٌ
وضرّج خديه احرارُ الشقائقِ
تقوم على ساق النمو مغارسٌ
وتحمي بروح الفيث روح الخلائقِ

وقلت في بدء الربيع وانا في نابولي من بلاد ايطاليا عام ١٨٨٤

غداة ربيع زهره قد تنورا
وفيا ظلّ الدوح مرجاً مخضرا
حلت جناً طاب فيها نسيما
وفاح عيرُ الزهر مسكاً وعنبرا
وفتح وردٌ في الكائم زره
عليه الندى كالدر صبحاً نقطرا
بلابل في الاغصان تصدح في الضحى
وطيرُ فراديس تغنى وكبرا

وقلت ايضاً في المعنى وانا بالاستانة في رياض الكاغدخاته في ١٨

ايار لعام ١٨٩١

قالوا : اتى فصل الربيع وفتحت

ازهاره ووروده تبسم

واحر قلبى ان وردة مهجتي

باتت حياء في الكمام تكتم

وقلت ايضاً في المعنى المذكور

ضحكت فناة في الرياض تدلاً

فانبت من انفسها حر الربيع

فاغتر زهر الروض ان ربيعه

وافى ففتح حسنه ذاك البديع

الخريف

وقلت اصف الخريف وانا في جزيرة الامراء (برينكيو) من

ضواحي الاستانة العلية وذلك في ١٧ تشرين الاول لعام ١٨٩٣ يوم

خرجت الى التنزه راكباً في زمرة من اخوان الصفا

نسيمٌ خريفٍ لا نسيمَ مثيلهُ
 بهِ يتنفي عن كل جنمٍ سقامهُ
 يعلل قلب المستهام هبوبةُ
 وينفش روحاً وردهُ وخزامةُ
 يقينا اناء الليل من شر برغشه
 ويحجب شمساً في النهار غمامهُ
 يطيب لنا التسيار في نور بدره
 على ظهر مركوبٍ يلين زمامهُ
 ركبا من الخيل الجياد مطهماً
 يحاكي نعماً سيره وقوامهُ
 وفينا من العيد الحسان قلادةُ
 كعقدٍ لآلٍ يستعزُّ مقامهُ
 ففتين لنا قلدهُ بلايلُ
 وثار من القلب الشجب هيامهُ
 سقى الله غيثاً في الخريف حدايقاً
 ودام نعيمٌ واستقرَّ سلامهُ



جزيرة الامراء

وقلت اصف ايضاً جزيرة «برينكيبو» المعروفة بجزيرة الامراء من
ضواحي الاستانة العلية يوم دخلتها المرة الاولى وذلك في سلخ شهر
تموز لعام ١٨٩٠

جزيرة نعم ليس جزر يحيطها
ومدُّ الملاهي لن يكف ويقفلا
وجنة عدن بالمسرة خصها
ملك اراد الحسن فيها مكلا
كستها يدُ الخلاق ثوباً منقاً
بزهر يفوح العطر منه تمللا
خزامى وريحان ووردٌ وزنبق
ودوح رياض باخضرار تسربلا
وفيه من التفاح ما ليس مثله
بجنة عدن كان فيها ابو الملا
رأيت بها خوفاً وتيناً ومشمشاً
ولوزاً وكثري كذاك سفرجلا

وجوزاً ورماتاً كنهدي مكعبـ
 وتوتاً ودرافاً نفيساً مخملاً
 بها غردت طير السماء واطربت
 وغنت على العود الغواني تغزلاً
 بها البلبيلُ المصداحُ غني قصائداً
 وغصنُ رياضٍ بالرياح تميلاً
 لقد جلت كل الارض شرقاً ومغرباً
 وعيناي لم تنظر مناظر اجملاً
 خرجتُ بليلٍ تم بدر سمائه
 ورق نسيم ينعش القلب والكلى
 ومدت على الابجار بدر ضياءه
 كأن لجيناً بالزمرد مشملاً
 اذا هبت الارياح من كل جانبـ
 تجعد وجه البحر منها توجلاً
 يرف على الماء النسيم جناحه
 فيعقد درعاً من لجين مجدلاً
 اذا غربت شمسٌ رأيت عرائساً
 تبرجن كالبدر المنير اذا انجلي
 سرفن من الفصن الرطيب قوامه
 وملن كما مال النسيم تدلاً

ولما قضينا من هواهن مأرباً
 وصرن على عزم الغياب عن الملا
 رفنن من الفلك السريع شراعهُ
 يودعن خلاً في الجزيرة مهلاً
 وقلت ايضاً يوم جعلت اقامتي في الجزيرة عام ١٨٩٢
 يطيب مقامي في الجزيرة مدوماً
 اذا هب من نحو الشمال نسيمها
 متى غاب قرص الشمس خلف تلالها
 واسفر بدرُ التم زاد نعيمها
 وكم بت في ظل الفصون منما
 ووردة حسن طاب عندي شميمها



العواد احمد

وارتجلت هذه الايات يوم عدت الى الاوطان بعد غيابي عنها زهاء
 واحد وعشرين عاماً وذلك سنة ١٨٩٠

الى الوطن المحبوب عودي ومرجعي
 على الوطن المهجور طال توجعي
 اليه معادي بعد بعدي وغربتي
 وفيه ارتياحي بعد بوؤسي ومصدعي
 كما حنَّ قلب المرضعات على الفطية
 م. حنت عليكم يا احبة اضلعي
 أسفت على عمرى فقدتُ خياره
 بعيداً عن الاوطان عن خير مرهبي
 أتيت دياراً طال هجري لاهلها
 وطال عليهم في النوى سكب ادمي
 رعى الله يوماً فزت فيه بقربكم
 وقتٌ عزيزاً في مقام مرفع
 لقد قت فيكم خاطباً ومبشراً
 يبشرى اجتماع شنت كل مسمع
 وقلت من الشعر الرقيق قوافياً
 وخضت بجاراً من كلام مسجع
 هلموا بنا نقضي فروض ديانة
 ونختم بشكر ما اتينا بمطلع
 فتحنا بشعر ما شعرنا بمهجة
 خنمنا بشكر شوق قلب مولع

لقد قدر المولى بفاوض حكمة
الى الوطن المحبوب عودي ومرجعي

لواء الخلافة

تسمي الترك « لواء الخلافة » بالبيرق . ولونه عندهم اخضر .
وتمتقد انه لواء النبي محمد وانه عين اللواء الذي اعطاه اياه الملك
جبرائيل وثيقة للانتصار على المشركين واعداء الاسلام . وحفظت
السلاطين العثمانيون هذا اللواء الاخضر بادىء بدء في الخزانة السلطانية
بالقسطنطينية . اما الان فهو مذكور في جامع ايوب الانصاري احد
الصحابة . وهو الجامع الذي يتقلد السلطين سيف الملك والخلافة فيه .
وقد فرضت احكام الدين على كل سلطان تبوأ سرير الملك ان يأمر
ايمه الدين بنشر لواء الخلافة امام الجيش والامة والمناداة « بالجهاد » متى
ثارت حرب على المسلمين او ثارت فتنة من العصاة على امير المؤمنين .
ومن فروض الايمه ان يحثوا كل من آمن بالله ورسوله على الذود عن
الدين والملك ولو كان بسفك دماهم وبذل ارواحهم . وهذه « خلاصة »

الخطبة التي نثلوها الائمة على الامة حينما ينشر لواء الجهاد « ايها المؤمنون . هذا لواء النبي (صلم) هذا هو لواء الخلافة . فقد انتصب امامكم وانتشر فوق رؤوسكم نذيراً لكم بان دينكم ومللكم في خطر حين . ونساءكم واولادكم هدفٌ للسبي والفضيحة . واموالكم وارضيتكم غنيمة للعدو . فكل مسلم بالغ لا يحمل السلاح ويلحق بلواء الخلافة ويجاهد في سبيل الله كافرٌ يجازى بالموت » . فاي مؤمن بالله ورسوله يسمع هذه الخطبة الحماسية المؤثرة ولا تشتد عزائمه على الجهاد والدفاع ؟ ولا سيما من كان من وثيق عقائده ان من قتل في الحرب على الغيرة مات شهيداً . ومن عاش على الغيرة غزا العدو ونصر الدين ونصره الله في الدنيا وجعل الجنة مثواه في الآخرة

وقد اتفق المسلمون الثقات على ان المسلمين قاطبة قد جلوا لواء الخلافة اجلالاً عظيماً من قديم الزمان واهتموا بحفظه الاهتمام التام . وكانت طائفة الانكشارية تهاب سطوة هذا اللواء وترتعد فرائضهم خوفاً من نشره . وكان خوفها هذا لجأماً لها يكبجها عن القيام على السلاطين . قيل : كانت السلاطين في الزمان القديم تفرض على الاجانب من النصارى التازين بالقسطنطينية ان يسلبوا الستائر على نوافذ منازلهم قبل مرور لواء الخلافة بها . وروى الثقات ان جماعة من الافرنج خالفت امر السلطان في هذا الشأن فعوقبت بالموت .

اما حديث هذا اللواء فمجهول . قيل : لما هاجر محمد من مكة في جماعة من الانصار حل بهم « بقاء » وخطب فيهم خطبة حماسية

اضرمت نار الغيرة في نفوسهم وخرّوا الى الارض على ركبهم وجدحوا
 ايمانهم برسالة الله . ثم قام « سلمة » وقد اخذت الغيرة منه كل ما أخذ ونزع عما نبت
 عن راسه وربط احد طرفيها الى رأس رجمه ورفعها الى « محمد » بمثابة
 راية النصر . فاخذها منه وصار يحملها في طليعة الجيش في بدء غزواته .
 ثم اعطاها « حمزة » في السنة الثانية عشرة للهجرة . ثم تشرف عم الرسول وعلي
 بحملها يوم دخل « محمد » مكة مظفراً

اما اللواء المصنوع من القماش الاخضر اللون والمذخور اليوم في
 جامع ايوب الانصاري بالاسنانة فقد اخلف الرواة في امره . فمنهم من
 اثبتته لمحمد ومنهم من انكره عليه . اما نحن فلا نخوض عباب هذه القضية
 وانما تقتصر على ايراد بعض مواد تاريخية وثيقة في شأن هذا اللواء
 ونقول : لقد ضرب صفحاً الكتبة الذين حبروا سيرة محمد مع المؤرخين
 الثقات من المسلمين وغير المسلمين عن ذكر « لواء اخضر » . فقال
 الشيخ جرجس المكين « حمل محمد في ٢٥ غزوة غزاها رايتين « الاولى
 منها « سوداء » سماها « العقاب » . والثانية « بيضاء » سماها « اللواء » .
 ولم يأت هذا المؤرخ بذكر راية « خضراء » . اما السلاطين من بني
 عثمان فاتخذوا لهم رايات من الوان مختلفة وطرزوا في نسجها ايات
 واقوال شتى . قيل : اغنم بعض من طوائف النصارى بعضاً من هذه
 الرايات في حروبهم مع العثمانيين . فاغنم ملك « بولونيا » راية عثمانية
 سنة ١٦٨٣ للميلاد . ثم اعطاها بابا رومه . وكان ديباج تلك الراية
 منسوجاً بقصب من اسلاك الذهب والحري الاحمر . وكانت حواشيها من

القسيح المطرز باسلاك من فضة وحرير اخضر . وكانت على احدى جهتي
الراية كتابة بالقلم العربي هكذا

لا إلهَ الاَ اللهُ وان محمداً رسول الله

وكان مكتوباً على الجهة الثانية

ما شاء الله . النصر من الله . ايها المؤمنون اتقوا الله

وقفوا ايمانكم

ثم اغنم البنادقة راية اخرى سنة ١٦٨٥ للميلاد في جملة من
الرايات الصغيرة . وامر مجلس الشورى ان تحفظ تلك الراية الكبرى
منشورة في كنيسة الرهبان بالبندقية . وكان على احدى جهتي الراية
بالقلم العربي ما يأتي

باسم العلي القدير . الله رب الامم والانبياء والصحابة الكرام
محمد ابوبكر عمر عثمان وعلي

وكان على جهتها الثانية

لا اله الا الله وان محمداً رسول الله . يا الله انت الخير الاسمي
انت رب الامم

فقد ترجع عند المدققين في حقائق التاريخ ان الرايتين المذكورتين
كانتا غير رايتي محمد «العقاب» «واللواء» المشار اليهما قبلاً . فان

هاتين الرابتين لم نغما في ابدي مغتم ولكن لا يعرف ماذا طراً عليها
من طوارق الزمان

اما « البيرق » العثماني المحفوظ في جامع ايوب الانصاري بالاستانة
فهو كناية عن « لواء الخلافة » النبوية التي انتهت الى السلاطين
العثمانيين من الخلفاء العباسية بواسطة السلطان سليم الغازي سنة ٩٣٢
للهجرة وما زالوا الى الان يحافظون عليها ويناضلون عنها . ولاجل ذلك
كان سلاطين آل عثمان من قديم الزمان يبادرون الى نشر « بيرق
الخلافة » كل مرة ثارت حرب عليهم من الاجانب ليستفروا هممة
اخوانهم من المسلمين ويستحثوهم على الغيرة والحماسة في الجهاد والدفاع
عن الدين والملك وفي بذل المال واعتقال السيوف حماية للذمار .
ولا عجب من ذلك . فقد جرى مثل هذا في غير الاسلام ايضاً . وقد
سبقهم الى ذلك اليهود في عهد المقاتلين وحملوا في حروبهم مع اعداء
بلادهم راية موسومة بالقلم العبراني بما تعريبه « ميخائيل »
وتأويله « من مثل الله » . وتبعم النصارى في الحروب الصليبية
ولذلك قلت في « لواء الخلافة » الايات الاتية وذلك بالاستانة العلية
سنة ١٩٠١ لليلاد

﴿ النظم ﴾

الله اكبر يا محمد كبر
هذا لواء الدين والملك ابشر

بعامة بيضاء جاءك سلة
 في رأس رمحٍ مثلها لم يُنشر
 جبريلُ وافي « بالعقاب » منادياً
 فتح قريبٌ في الوغى لا تحذر
 هذا لواءُ بالفتوح مطرزُ
 من في حمايته يقاتل ينصر
 يا ايها العلم المظفر في الوغى
 قد كنت في الفزوات اول منذر
 ان « العقاب » ومثله علم « اللوا »
 لم يغنا من مشركٍ او مفتر
 اخارت الاتراك يوم كريمة
 علماً جديداً من نسيج اخضر
 آيات نصرٍ سطرت باصابع ال
 رحمان في دياج خزر احمر
 « عبد الحميد » المجنبي قم واتند
 بالله واحم حياض ملك اكبر
 واقدم بجيش درعه دين النبي
 نادى على الشهداء فوق المنبر
 اغزوا وفودوا عن حياض ديانة
 من في الوغى يسقط شهيداً يقبر

العصيدة القطارية

في

جل المحاسن النسائية

نظمتها في وصف صديقتي (هلا جين) الارلندية في قصة جرت لي معها يوم تعارفنا المرة الاولى ونحن مسافران بقطار السكة الحديدية من لندن الى بعض من ضواحيها وذلك في الخامس والعشرين من شهر تشرين الاول لعام ١٨٧٩ فقلت :

أزمتُ الشخوص من داري الى ضواحي المدينة لأشهد بها يوم الزينة فركبت قطار طريق الحديد وقد لاح لي برق عيد ولما طويتُ من الارض زهاء ثلث مراحل وجزت القرى وثقور السواحل وانا بلا خلّ أنيس ولا في حجرتي من جليس حطّ بي القطار في المرحلة الرابعة نحو الساعة السابعة واذا قبلت فتاة من المحصنات وخرود من المخدرات عليها اثر النعمة والجمال وقد زانها الادب والكمال تريد السفر بلا حشم ولا خنفر فولجت حجرة القطار وجلست حدائي في

وقار وكان قناعها الرفيع يشف عن جمال بديع ثم اطرقت اطراق
 حشمة حتى قام القطار وابتعد عن الديار ولما اجزنا ساحة الاحياء
 وانحى بنا بطن الخلاء ازاحت القناع عن جبينها الوضاح وخلعت
 الوشاح فلاح منها ملاح وظهرت حورية من الغواني الملاح فذهب
 حسنها الفتاك بقلبي ولفحت نار خديها صميم لي فما تمالك ان ابتدرتها
 بالتحية والخطاب ولطفت بها على اصول الاداب فردت سلامي بحشمة
 ورقة وقام السلام مقام مفتاح الحديث والقصة فمجاذبنا اطراف كلام كالدرر
 الغرر والله در من قال واول الغيث قطر ثم ينهر ولما نعق فينا
 غراب الين وفارقتها مغبوتاً وعدت بجفي حنين نسجت ذلك بردة في
 جنسها فريدة واودعت محاسنها قوافي هذه القصيدة

﴿ النظم ﴾
 الخد

اسيلة خدي افتديها بمهجتي مهاة تصيد العاشقين بلعظة
 مايكة حسن ذات عز وشوكة عليها من الديق انخر حلة

التاج والقرط

تجلت بتاج من لال وعسجد وقرط ثين ذي فصوص كريمة
 الفرق والطره

وغر هلال العيد من افق فرقها فلاح سناء البدر من سين طره

الجبين

جين صبوح لو تصبح عابد به سبع الخلاق في كل ركة

اللحظ

رعت بين ريمٍ في الفلاة غزاةً حكي لحظها لحظ المي بتلفتِ

الوجه

تفتح وردٌ في كئامٍ وجهها فولى شقيقٌ يرتدي ثوب خجلة

الطلعة

بضاضة خدي في بشاشة طلعةٍ تقطر منها ماء حسنٍ ونضرة

الحاجب

لها حاجبٌ كالقوس يرشق أسهماً تمزق أحشاء المعنى برمية

ولو أفرغ النقاش جعبة فكره لما خط قوساً شبه ذاك بريشة

نعم انما قوسٌ تنفذ نبها بلا وترٍ فيها يناط بعقدة

وقوس جفونٍ كسرتها صابئةٌ أرى النصل منها نصل قوسٍ صحيحة

ومن ذا رأى قوساً تكسر قابها تنفذُ سهماً لا يخلُ برشقة

فترشقُ سهم اللحظ رشق صواعق فينفذُ كبدًا تحت درعٍ وصدرة

واعجب من هذا وذاك فانها لقوسٌ غدا الراعي بها لحظ ظبية

وما زادني بين الغرائب دهشةً نصالُ سهامٍ من شهابٍ بمقلة

ومن عجبني ظلي بصيدٍ بلحظةٍ اسوداً لعمرى لا تصادُ بجرية

الجفن والهدب

وهذبٌ طويلٌ فوق جفنٍ مكملٍ بمكحلة الخلاق ليس بصنعة

الطرف والغمز

وطرفٌ مصابٌ بالفتور صابئةٌ يصبُّ به قلب المعنى بغمزة

فواعجبي من لطف طرفٍ ممرضٍ يصول على الأبطال من غير حملةٍ

الفصحة والنونة

وفي كل خدي فصحةٌ مثل جنبدٍ وفي ذقنها المخروط زهرة نونةٍ

الحال

على عرش باهي الخدخالٍ قد استوى يسودُ علي أهل الغرام بسطوةٍ

الأذن

وأذنٌ كأصداف الآلي أنيقةٌ يجلُّ بها الدرُّ الثمين بقيمةٍ

الأنف

وانفٌ جميلٌ لو رآه مصورٌ لقال: مثلاً قد وجدتُ لهنتي

القم

وثقرٌ بشكل القلب بادٍ ملمٌ عليه من المرجان أجلُّ حليةٍ

الأسنان

عقيقٌ يائيٌ جلتهُ ورصعت به الدرُّ في طرز الملل بقدره

العنق

وعنقٌ كمنق الظبي طاب عناقه تحلى بعقدٍ من لآلٍ بثيمةٍ

الصدر

وصدرٌ صقيلٌ كالسجنجل منجلٍ يمدُّ كوجٍ في ارتفاعٍ وخفضةٍ

الثدي

تفلك فيه كوكبان بقدره يتيان في صدر الكمال بعزقٍ

الحملة

وفتح فيه الجنار مورداً على زارمان النهود كجمرة
النهود

نهود براها دون نقص إليها
تباغت بنهدي صدرها حين اسفرت
وقالت : لك التسبيح ربي وخالقي
غرست جنان الصدر جنة عاشق
خالقت الهى الصدر منى حديقة
فصدري ورماني وجيدي وماحوى
ولولا تعنى في غرامي عاشقي
فباتت بعقد النهدي عيني قريرة
وما نقصت حسناً سوى حسن ائمة
جيوب قيص في دلال وبهجة
لقد زدت حسني في نهود فليكة
فليس يراها جاحدٌ حسن وجنتي
بها عقد الرمان اكل عقدة
لجنة عدن بالكاره حفت
لما نال حظاً من نعمي وغبطتي
كما قرأ عيناً من رماه بنظرة

المعصم والائل

لها معصم مثل اللجين وائل اذا مسها المسقوم فاز بصحة
الساعد

على الساعد الملائن ضاق سوارها وخاتم ياقوت باصبع فضة
الردف

وردف اذا ماست تموج واستوى على متنه كشمخ نجيل بقطرة
القد

وقد اذا قامت حسب قوامه قنات متى هب النسيم تثنت

للرجل والساق

لها ارجلٌ مثل الغزال لطيفة وساقٌ كانيوب القناة بجدلة
الشعر

تأيل منها غصنٌ بانٍ رشاقةً بفرعٍ الى الخلل طال بوفرة
الضفيرة

اذا استرسلته يوم ريجٍ تهايباً تشتت بالنكباء شمل الضفيرة
وان جدله ارسلته سلاسلاً تسلسلُ قلب المستهام بربقة
الممس

لها ممس مثل الدمقس نعومةً على جسمها الهلالُ شفَّ برقة
تضوع منها نشر مسكٍ متى مشت معطرة الاردان تنعش مهجتي
مشت مشي ظبي في كمال وحشمة تريد قطاراً مستعداً لسفرة
نحت نحو قطرٍ كنت فيه بوحدة فسلتٌ وحيداً في مشقة وحشة

ولما التقينا في القطار سوية
وسرنا على خط الحديد بسرعة
خلوتُ اليها عن رقيبٍ بمعزلٍ
وطابت لي الاوقات في خير خلوة
وعاقدتُ خلي في الخلاء فلم يكن
شهودي عليه غير صدق مودتي

فراحت لثاماً كان يفشى جبينها
 فلاح ضياء البدر من فرق غرّة
 فقلتُ لها : نعم الرفيق رفيقتي
 عسى ان يكون اليوم يوم مسرة
 فردت سلامي بابتسام وحشمة
 وقالت : لنا البشرى باسعد رحلة
 ومدت يميناً مثل ثلج يياضها
 تصافح كفي في وداد وحشمة
 فاحرزتها بين الجوائح بالجوى
 وقبلتها ثقيل صبّ بلوعة
 وفرتُ بما قاسى السقام لفقده
 حبيب «سعاد» او «جميل» «بثينة»
 وحزتُ نصيباً خاب منه بحسرة
 فتيلٌ تعنى في هوى العامرية
 فلاح ابتسام فوق ثعر به اللي
 كياقوتة نيلية ضمن حفة
 وقالت : وقد كاد الحياء يسودها :
 أهذي فعال الحر مع خير حرّة ؟
 فقلتُ لها : عذري لديك صابتي
 فثلى مفتونٌ بمثلك فنتي

فقلت : «أما عنك الغواية تنجلي»
وانتَ غريبٌ بين ايدٍ غريبةِ
فقلت لها : حبي الطيور فانها
على شكلها تهوى بلا سبق عرفةِ
واني غريب فيك افنى صبايةً
فخني على من عاش صباً بغربةِ
فالت وقد مسَّ الفؤاد تضرعي
ومنت بلثم بعد لثم ولثمةِ
مهففة دلت عليّ تفنجاً
تصدُّ وتعطي في سماحِ وضنةِ
وكنت اذا كفت حديثاً اضمها
وارشف صباء الشفاهِ بلذةِ
واشغل فكري في بديعِ جمالها
وارتعُ في فردوسِ شمِ وضمةِ
فباتت تسليني بلطفِ حديثها
وتسحر عقلي بالمعاني الرقيقةِ
وبننا كلانا في نعيمِ مودةِ
رقيقين في نادي الغرامِ بخلوةِ

ولما دنا وقت الفراق ضممتها
وقلت : أتبغين البقاء برفقتي ؟
فقلت : كفى ما نلت من وصل غادة
بغير امتنانٍ او تشكر نعمة
ولكن اذا رمت اللقاء مجدداً
فدونك عنواني ووصفي وبلدي
ففزت بلثمٍ من ورودٍ ونرجسٍ
وودعت خلا شق قلبي بفرقة
فاحنت وحيث ثم قامت وودعت
واودع كبدي بعدها حرّ جرة
وراحت وراح الطرفُ يتبع اثرها
وقلبي عليها في التبايعِ وزفرةٍ
وغابت وغاب العقل فيها مُدلماً
ودمعي على الخدين جارٍ بحرقه

ولما طوى عنبي الزمان حديثها
وزاد النوى شوقي الى خير خلتي
بعثت رسول الحب يحمل رقةً
ليسأل عنها في الديار بدفة

فطاف رسولي في البلاد منقباً

بجدٍ وجهدٍ عن مقام حبيبتى

فحين اتاها الخط منى تنهدت

وفضت غلافاً كي تطالع رقتى

تساقط درُّ الطلّ من غض نرجسـ

وضرّست البلور شوقاً بدرقـ

وخطت سطوراً ضمختها بعنبرـ

وحيت بها المحبوب خير تحية

وضمت الى المكتوب سبعة اشعرـ

تبيح بما قاست لبعدي وفرقتى

وقالت من الشعر الرقيق قوافياً

لها في فؤاد الصب اعذبُ نعمة :

« لقد بتُّ في شوقٍ شديدٍ اليكـ

وقلبي غدا في قيد حب ولوعةـ

« واضرم بعدُ الدار ناراً باضاعي

اذابت فؤادي واستباححت منيتى

« وزاد اشتياقي بازدياد تغري

وشق فراق الحب لى ومهجتي

« واقضى اذا جنّ الدجى طول ليلتى

بفكرٍ ووسواسٍ وعمٍ ومحنةـ

« واذكر اوقاتٍ وساعاتٍ نزهةٍ
 تمتعتُ فيها حينَ كنتُ برفقتي
 « واذرف من عيني دموعَ مسرةٍ
 خيالك انِ وافى اليَّ بهجمةٍ
 « سانحومتى هلَّ اللالُ مقامكم
 واقضي مرامي من هواكم بعودةٍ
 فقبلتُ ذاك الخطُ ثمَّ بللتهُ
 بدمعِ سخينِ سالٍ من فيضِ مقلتي
 وفاح من الطرسِ المعطرِ نشرهُ
 وطيبَ انفاسي بطيبِ حبيتي

ولما انتقضت ايامِ وعدِ رأيتها
 على البابِ في ثوبِ ثمينِ وحليةٍ
 نقول: وقد زان الجمالِ ابتسامها :
 أيدخلُ محبوبٌ اناكَ بعودةٍ ؟
 فقات لها : اهلاً وسهلاً ومرحباً
 وقبلتُ ثغراً مرةً بعد مرةٍ
 وسرتُ بها كفاً بكفِ اقودها
 وقلتُ لها : هذي ديارك خلتي

حلت وحلّ الخير عندي مضاعفاً
 يقيناً لقد زينت داري وحجرتي
 وزالت همومي يومُ جُدتِ بعودةِ
 وغاص فؤادك في بحور المسرة
 وحين جلسنا زحبتُ عنها وشاحها
 وخفت عنها ثقل شعثِ وسفرةِ
 فقالت : لقد خفت ثقل مشقتي
 وفرجت عن قلبي زفير ي وكربتني
 جزاك بخير ربُّ فضلٍ ونعمةِ
 ودمت سلباً في ودادي وصحبتني

ولا استراحت واستطابت نعيمها
 فدوزت القانون دوزان قينةِ
 وغنت غناء هيج القلب قدّه
 « أئن من الشوق الذي شق مهجتي
 » « لقد زعموا ان الحبيب اذا دنا »
 « فان وصال الحب ينش مهجتي
 » فوصلك فردوسي وقربك جنتي
 « فيا ليت ساعات الوصال مديدة
 » وليت ليالي القرب تتخذُ سوداً
 اشارت الى الاوتار تطلب سلوتي
 ودقت على الاوتار اعذب نعمةِ
 كورقاء تشدو فوق اغصان دوحه :
 اين عليل لا يداوى بوصفةِ
 يل فضلوا عن سراط الحقيقةِ
 ويشفي غليلي من ظلماء وحرقةِ
 ووجهك محرابي وشخصك قبلتي
 ووقت التناهي عنك اقصر مدةِ
 وحبك انسي طول يوي وليلتي

« ويا ليت روحي في هواك اسيرة »
 « ويا ليتني ورد تفتح زره »
 « ويا ليتني مثل البنفسج نشأة »
 « ويا ليتني زهر الخزامى بجنة »
 « ويا ليت وجهي كالشقيق نضارة »
 « ويا ليت خدي وردة عندمية »
 « ويا ليتني ورقاء اشدو بدوحة »
 « وددتك من يوم التقيتك صدفة »
 « وجدتك يا خير المحبين منسفاً »
 « وحين جفوني طار عنها رقابها »
 « رشفت رصاب الثغر منك معبراً »
 « اذا جن لي ليلى كنت لي خير مونس »
 « وقربك احلى من سلاف وكوثر »
 « يمينك عقدي والشمال وسادتي »
 « متى صاح ديك الصبح قلت بمسرة »
 « بقربك دهري مثل طرفة لحظة »
 « وليلى نهار ان رأيتك حاضراً »
 « وشدوي لذيذ في سماعك منيتي »
 « اذا كنت في قربي ثلجت جوانحي »
 « حياتي وموتي في هواك سعادة »
 وليتك مرلي قد تلك مهجتي
 واطيار اسحارِ ثقل وجنتي
 يصح بشي من دمه محبتي
 اطيب قلب المستهام بنفعتي
 وثعري بهلذ في شميم ونكهة
 وعنقود كافور وزهرة بقعة
 وليتك بان في رياض اريضة
 فيا سعد يوم كان اول نعمة
 وداد فتاة انصفتك واوقت
 وارقت من شوقي اليك ولوعتي
 بكاس شفاه من عقيق وفضة
 ووجهك بدري في غياهب دجنة
 وربك زاحي في رقادي ويقظتي
 ودقات قابي في فوادك دقت
 جزيت غراب الين شراً لفرقتي
 وبعذك عني ساعة مثل حبة
 وان غبت فالايام اطول دجنة
 وصوتي رخيماً مثل ورقاء دوحة
 وان بنت عني شق بذك مهجتي
 وانت نعيمي في جحيم وجنة

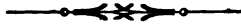
واعظم حظي ان احبك يا منى فوادي واهوى في هواك منيتي
وكيف فوادي لا يجبك جهده وانت مقيم في جناني وفكرتي

فلما انتهت من عزفِ عودِ ونعمةٍ
لثمت عقيقَ الثغرِ شكراً لنعمةٍ
وخلت جدارِ الدارِ كادَ بسقفه
يُصنقُ تحميذاً لعودِ ونعمةٍ
وهزَّ جناني من رخمِ غنائها
سرورٌ وطابت بالنشائدِ ليلتي
فقلت لها: احسنتِ يا طيرِ جنةٍ
واذهبتِ عني كل غمي وكرهتي
فلا فضَّ فوكِ المسجدي حبيبي
ولا عاش من يهجوكِ جوراً بكلمةٍ
فذلكِ شادٍ في البريةِ ما شدا
ومثلي لم يسمعِ كمثلك قبنتي
فانتِ نعيمُ القلبِ انتِ نديمه
وصوتكِ عودي والنشائدِ خمرتي
فيا ليت ليلِ العمرِ دام نعيمه
بوصلِ حبيبِ جبهُ اصلِ غبطتي

ودامت ليالي العزف ما دام عمرنا
 ودامت لك الافراح ما دمت فرحتي
 ويا ليت دام الوصل يجمع شملنا
 على رغم انف الحاسدين بجنة

ولما وعت سحر الكلام تبسمت
 وماست دلالاً في سرور وبهجة
 وناطت ذراعها بعنقي وقبلت
 وقالت : يقيناً في هواك منيتي
 اطعتك في قيد الحياة وفي الردى
 وانبت عليك مستبداً بامرة
 ولكن دعاء لي اليك بخارني
 رجوتك باسم الحب دار فضيحتي
 عليك بكتمان الغرام عن الورى
 ولا نفس سرّاً من حديثي وفتني
 اذا شاع بين الناس سرّ زيارتي
 وادرك قومي شرّ فعلي وزلتي
 حرمت وداد الوالدين ومنزلاً
 نشأت به في مهد عزّة ونعمة

فقلت لها : لا بأس ان غرامنا
 غرام عذارى من قبيلة عذرة
 سارعى الهوى العذري عمري وانامت
 رعنه عظامي للنشور بترتبي
 فلا تخشي مني فاني امرء
 اذا قال قولاً كان عين الحقيقة
 اتيت ديارى في شعاري بكاره
 وعدت خروداً في قلائد عفة



الجمال

وقلت في فتاة رأيت خالاً على الجانب الايسر من شفتها العليا
 وذلك في مدينة « برمنكهام » في ٨ نيسان سنة ١٨٨٢

وتغر سباني بالملاحه والفلج
 على بابيه عبد من الزنج قد درج

فقلتُ لهُ : يا عمُّ انك حارسُ
على بابِ بستانٍ به الخوخُ قد نضجُ
فقال : انا خالُ كفيلٍ بقاصرٍ
اصدُ دخيلاً عن شفاه اذا عرجُ



باكورة الصبا

هذا اول شعر قلته وانا صبيٌ وذلك بمدينة حلب
سنة ١٨٥٢

يا من غدا في فكري لا يبرحُ
مالي اراك بسيف صدك تجرحُ
ان كنت تأبى ودَّ صبٍ قد غدت
منه الحشاشة بالمودة تطفحُ
قل لي ارتحل عن ساحتي يا صاحبي
واطلب فتى غيري لحبك يصلحُ

او كنت خلاً في المودة صادقاً
 واخا الوفا وعن الولا لا تجنحُ
 انعم عليّ بنظرة تشفي الجوى
 وارفق بقلب حاله لا يشرحُ
 ان كان اسري في هواك جنابةً
 لك قلب محبوب يرق ويصفحُ
 اسفي على دمع جري من مقلي
 فوق الحدود العنمية يسفحُ
 ارحم خليلي وجد صبٍ مخلصٍ
 تبع الغرام وعن خلاً ينصحُ
 ويلي بكبدٍ فرحتها اوعه
 منذ الصبا فيها زادك نقدحُ

نكث المهود

عرفت فتاة من الغيد الحسان كأنها حورية من مقاصير الجنان
 ثم تفارقنا على وعد بان نراعي الذمام ونحفظ العهد فكان منها ان
 اخلفت المهود وماطلت الوعود فبينما انا سائرٌ يوم عيد في قطار سكة

الحديد وإذا بفتاة اقبلت نتهادى وهي مسرعة ودخلت القطار وجلست
 متربمة فأمنت فيها النظر فاذا هي فتاتي المبهودة وخليتي المفقودة
 وضالتي المنشودة ولما لم يكن ثمة بيننا رقيب ابتدرتها بالعتاب واطلت
 في هذا البحث الخطاب وعنفها على صرم حبال الوصال فاعذرت
 عذر المحال واثرت حسم الجدل فانشد لها لسان حالي في ارتجال قبل
 بلوغنا مدينة (فرسال) من بلاد الفرنسيس وذلك في ١٥ شباط عام ١٨٨٦
 يامود خنت العهد حين هجرتني

يامود صنت العهد منذ عرفتني

ما اطيب اليوم الذي وافيتني

وامر يوم ختني وهجرتني

يوماً لمحت ضياء وجهك ساطعاً

فهويت ذاك الوجه منذ لمحتني

يا ليت ما وجد الغرام بهجتي

حظاً وليتك ما اتيت فزرتني

يامود مات القلب فيك تصبياً

فلعل يحبي القلب ان واصلتني

اذكى فؤادي منك هجر محرق

يامود ما جرمي؟ لما احرقنتني؟

هلاً عليك نصيبي وتوجدني

هلاً عرفت توجعي فوجعتني

هلاً ذكرت الوعدَ يوم فراقنا
 أهمل نسيته الوعد ثم نسيته
 لا حمل الخلاق نفساً حملتي
 يكفي وربُّ العرش ما حملتني
 ان كان وجددي في هواك جنابةً
 فجئت قبلي يوم قلت : وددتني
 ذنبي وذنك في الغرام تساويا
 فذرتُ ذنك ليت انتِ عذرتني



﴿ الغفوة ﴾

غمضت جفوني حين غضت لحاظها
 وساد سبات النوم طرفناً مثقلاً
 وسرنا على خط الحديد بمركبـ
 يقلُّ كلينا في حثيثٍ تنقلا

وقلت في فتاة من البندقية يقال لها (ليزا) سنة ١٨٨١

لما تفلك في التراب نهدها
 فعشقتها والعصن يعشق مشرا
 وبدت بثوب احمر فهورتها
 لما علمت الحسن يلبس احرا
 وتدفت كأس الرضاب عذوبة
 فرشفت من ثغر الحبيب الكوثرا

✽ الثغر ✽

وقلت اصف فم ظبية من الفرنسييس وذلك بمدينة ليون عام ١٨٨٤

وخاتم مرجان مصوغ بصنعة
 حكى ثغر ظبي بالملاحه واليه
 عقيق اتيق باللاي مرصع
 صغير ولكن بالتبسم قد زهه
 لطيف شفاو اراح خمر رضابه
 نروح به سكرى وقد سلب النهى

﴿ الحب نوخذان ﴾

وقلت في صورة بديعة كان (كومان) المصور البارع قد رسمها
وسماها باللغة الفرنسية « امور بيلوط » [L'Amour Pilote] ومغزاها (الحب
نوخذان) ثم علقها في دار التحف المعروفة باسم (صالون دولوفر) بباريس
وكان موضوع تلك الصورة فتاة حسناء ذات شعر اشقر طويل منتشر
على منكبها وهي مضطجعة وحدها في سفينة قد صار ربانها (كويد)
المعروف في اساطير اليونان بمعبود المشق . وكان المصور قد رسم السفينة
كأنها تمخر في بحر عجاج متلاطم بالإمواج من شدة الرياح الخافقة تحت
سماء قد تلبدت في جوّه غيوم كثيفة . وكنت قد اصطحبت معي
من باريس نسخة من تلك الصورة البديعة وجعلتها في غرفة القلم ثم
علقت عليها هذه الايات

الى اي قطرٍ والصبية ترقدُ

تسير بها يا حُبُّ والجر يزبدُ

تهدد انواءً سخيفِ سفينةِ

وتخفق ارياحُ وجوئك يرعُدُ

فئن ذا الذي يدري مصير صبيةِ

تسير بفلكِ والغرام يعربدُ

بجار غرام لا يجد قرارها
وامواج ذاك البحر تدني وتصعد
تولى بلطف يا حفيظ غزاة
وصفها بليل والكواكب تشهد
وبلغ فتاة دار أمن وغبطة
فانك رب في المصائب تقصد

* الندم *

(القصة) وردت عليّ الوكة . بنجتم الود ملكوكة . من خروود
زهت بالجمال . وتفرّدت بالكمال . تعزم بها عليّ بالذهاب الي دارها
الزهمية . واعتمار مشاعرها البهية . فسهوت عن لطيف بطاقتها . والتهميت
بترهات عن زيارتها . فشكت امري الي صديق لي . فجاءني موهباً
علي سوء فعلي . فاعذرت علي سهوي لديه . وكلفت من باب المودة
اليه : ان يعذرني لديها . ويشعرها بعزمي علي ائذهاب اليها . ففعل
وفعلت . وحين وقفت بين يديها قلت . وذلك في مدينة فيلادلفيا
باميركا الشمالية

ساقرع سني (مرغريت) ندامة
سهوت بجهل عن كتاب بعثته
ولما صحوت من ذهولي وسكرتي
طرقنك يوماً في حياءٍ وخجلةٍ
فلاح ابتسام فوق ثرك عندما
رميت فؤادي (مرغريت) بلحظة
فيا سعد يوم كنت فيه منعماً
نثرت كلاماً شر درٍ وعسجدٍ
سلبت بلطف النطق عقلي ومهجتي
على فرصة فيها فقدت وصالك
ترومين فيه ان اجيب سؤالك
ندمت على اني صرمت حبالك
احجك في شوق واقصد آلاك
رمت بعيني ابتهاج جمالك
وفوقت فيه من قسي نصالك
بلطف حديث واحتملت دلالك
وصغت من الاثنين جوهرة لك
فالحممت من خوفي وهبت جدالك

﴿ ليلة في جبال حملايا ﴾

وقلت تشبياً بصديقتي « لالا » الاميرة الهندية وانا ارعى النجم والبدر في جبال
حملايا بالهند الشرقي وذلك في ١٥ كانون الثاني عام ١٨٨٤

ابت القريحة ان تشبه بالقمز وجه الحبيب المستنير اذا ابتكر

ان اسفرت ليلاً زرت بسنائه
 فاق الشمس ضياء طلعتها الذي
 والنجم يحسد مقلتها غيرة
 والورد يرصد في الكمام نومها
 لم يخلق الرحمن حسناً في الوري
 هي كعبة الحسن البديع وركنه
 هي بزفة الدنيا وجل مآربي
 لن يدخل الفردوس جاحد حسنها
 وكست محياه فغاب عن البصر
 منه الشمس تال نوراً في السحر
 من طرفها أمُّ المجرة تستجر
 من خدها كي يسرق اللون الاغر
 كجمال (لالا) في البداوة والحضر
 من قال: ما طاف المشاعر قد كفر
 في قربها يسلو المتيم من هجر
 والجاحدون مقرهم وادي سقر



﴿ محابر كتاب ﴾

وقلت في عيني فتاة يقال لها مس (بني دافيس) وانا مار بطريق يقال له
 « نطينغ هيل » بلندرة وذلك في ١٥ تشرين الاول لعام ١٨٨٧

عيونك احلى من عيون غزاله
 ومقلة ظبي تحت جفن ممرض
 رأيتك في ليل يحاكي سواده
 عيون اذا خط المصور شهبها
 وطرفك يسبي القلب في كل لحظة
 تمرض فيها قلب صب بنظرة
 سواداً بعينيك التي هي فتني
 حسبت دواة خطها في صحيفه

محابر كتاب يسيلُ مدادها على هذبِ أجفانِ العيونِ الكحيلَةِ

﴿ وقلتُ ايضاً ﴾

وبي علةٌ اعبي الطيب دواؤها بلائي بها ظبيٌّ من الغيد احور
سألتُ إلهي أنْ يمنَّ بقربها ويشفي فؤادي والوصالِ مقدرٌ



البدران !

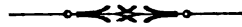
خرجتُ في رفقة خلٍ واني ذات ليلة راق جوها الصافي وتعرض
البدر في سماها تعرّض المفضل والنور ينثق من قرص محياه المكمل فقال
خلي الحميم سبحان الخلاق العظيم . اجلى وجه البدر في منتصف هذا
الشهر وبيننا يقول ذلك اذا بغادة هيفاء ذات طلعة حسناء مرّت بنا
مرور الغزال في تجرّ ودلال فانشدت اقول وانا في شارع يُقال له
(هاي ماركت) بلندرة وذلك في ٢٦ من تشرين الثاني لعام ١٨٨٧

قالوا : اجنلى بدر الدجى بسنائه فانظر اليه واغتمبط بضياه
قلت : اجنلى في الارض بدر كامل يسطو على قمر الدجى بسنائه

✽ حصرُ الفؤاد ✽

وبينما انا مارٌّ بباب قهوةٍ بلندرةٍ يقال لها (مونيكو) رأيت مهاةً فاجأها
 ألمٌ فخرّت الى الارض مغشياً عليها . فقلتُ فيها الايات الآتية وذلك بعد
 الغياب باربع ساعات في ١٤ كانون الاول سنة ١٨٨٧

لقيتُ مهاةً تشتكي ألم الحشا	وأغمي عليها في شوارع بلدةٍ
وماعابها بل زادها الضعف رقةً	يرق عليها القلب مني برحمة
تحاول شكوى مادهاهاً بفعأة	وتومي الى حصر الفؤاد بنهدة
نهمٌ بنطق والشفاه تعيقها	يموت بفيها صوتها تحت بجة
«فيا ليتني كنت الطيب المداويًا»	اداوي عليلاً داؤه مس مهجتي



الهدب الطويل

وقلت في طرف فتاة اميريكية جاله هدبٌ طويل رأيتها في مدينة بوسطن
 باميركا في العشرين من شهر ايار لعام ١٨٧٢

تدفق نور الحسن من شمس طرفها فلاح صباحٌ في جبين ووجنه

ولما رأى الرحمن فرط ضيائه تدارك ذاك الامر منه بحكمة
خداً من الهدب الطويل مظلةً تصون حدوداً من شهاب بمقلة

العمرة

راض الربيع بشهر ايار . واكتست بدباج اوراقها الاشجار . واقترشت
المروج بساط الاخضرار . وتشكلت عرائس الجنان بالازهار . فاقبل عليّ
جوق من اصحاب الوفاء . يعزمون ظليّ بالخروج فيهم الي جنان الصفاء .
فبرزت فيهم بغاية من ربات النقاب . وهي تيمس بالفخر جلباب . فلما
بلغنا البستان . وتخللنا فسيح الجنان . لقيت فيه مهابةً كانت لديّ من اعز
الخلآن يقال لها مس (شريدان) معدودة من الغادات الغواني الحسان .
ذات قوام وجمال فتان . وكانت ابنة نائب من نواب الامة الانجليزية .
يدار الندوة البريطانية . فحينما رأته مصحوباً بفتاة رشيقة القد . مليحة الخد .
نبض عرق العيظ بين عينيها وغطت بدر الوجه بغمامة كفيها وانبرت
للقريبي وتعنييني وتهديدي وتخويبي فاستفرغت الجهد في استعطافها
حتى نجحت في استلطافها واطفأت نار الغيرة في فؤادها واستعدت
ما خسرت من غالي ودادها ثم انشدتها هذه القصيدة في الثامن
والعشرين من شهر ايار لعام ١٨٨٦

غداة ربيعٍ طابَ فيه نعيمهُ
 خرجتُ إلى البستانِ ابني نزهاً
 ولما امتطى ظهر الجيادِ مصافنا
 اتينا رياضاً قد جلاها اخضرارها
 وجدتُ حبيباً كان عندي معززاً
 مهاةً فداها من فؤادي صميمهُ
 تجلت بثوبٍ من حريرٍ ومخل
 فلما رأته قد اتيتُ بظبية
 وقالت وقد لاح اغبرارٌ بوجهها :
 وعودك برقٌ في سمابةِ حلب
 حلفت ميمناً لا تحل عقودها
 فأين يميزُ والفؤاد مقسم
 نقضت ميمناً ثم خنت عهدونا
 فياليت لاجثم ولا جاء ندنا
 ألا فاغربا عني فليس تراكما
 فقلت لها : لا تهمني بل اكتفي
 فهذي فتاةٌ ما استذقت وودتي
 فانت ملكة القلب طراً وحزته
 وانت مني وجدي وغاية مقصدي
 ما يسطع نجمٌ والشموس طالعُ
 وراق رقيقٌ حين رقاً نسيهُ
 وزهرُ الرُّبى قد فاح عرفاً شميهُ
 وكلُّ حثوثٍ والسرور نديمهُ
 وكلُّ خليلٍ يقننيه حميمهُ
 وكان غرابُ البين دوماً يضيهِ
 وسالت دماءٌ في هواها كلومهُ
 زهور الخزامى نقشهُ ورسومهُ
 تنفس صدر واعترتهُ غمومهُ
 فؤادي تعيسٌ انت حقاً جسيمهُ
 وودك مينٌ جدُه وقديمهُ
 فواءك في حبي غريق صميمهُ
 واين ودادٌ حيث غيري قسيمهُ
 وجئت بخصم ان قلبي خصيمهُ
 فاني يقيناً في النشور غريمهُ
 عيونٌ قذاها الاثم انت اثمهُ
 عتاب بري، فالعتاب يضيهِ
 ولا ادركت حبي ولا ما نعيمهُ
 وانت غرابي والفؤاد كتومهُ
 وانت لقلبي حبهُ ونديمهُ
 فانك شمس القلب تلك نجومهُ

فقلت: وقد غرّ بساء بغيره : قيت عنذرًا ونحو حنية
فأنا كك وجبت صقّ وودي وثيق جرّه وقصيه

جاذر الحسن

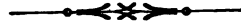
ازمعتُ الشحوصَ في روضِ الجنّ في زمره من اخلان فوجدنا
سرباً من الغزلان نحن يرحن في ظل شجر بستن ونضير غنى
في النصون ورنج وثنا سن في خريه ودمده وكنت نك عده
للرجال والنساء ان يخرجن الى مستنزل برك في النساء في تضممت
في سلكهن وصرت اجول بينهن قلت شيئاً في وصفهن وثنا عيين
وذلك في مدينة (نيويورك في الثالث من شهر ايار عام ١٨٧٢)

وجاذر غيد خرجن عثية يرحن اسراية بغير تحجب
بيض الوجوه كبد تم منجل يسمين كغزلان سعي المنجب
سود الحواجب سود طرف ادعج سود التوائب مثل صبغة غيب
الحدث ورد والترائب زنبق والنهد رمان بشكل انكوكب
منهن سمر والقوام كاسمر يخظرن تيباً في وشاح مذهب

منهنَّ شقرُّ والضفائرُ عسجدُ والظرفُ ياقوتُ يراشُ باشهبِ
 منهنَّ حمرُّ في رداءِ احمرِّ حمرُّ القلانس مثل رأس الاصبِ
 منهنَّ هيفاءُ نخالُ قوامها غصناً يميلُ مع الرياح القلبِ
 منهنَّ غنجاةُ تدلُّ بحسناها ولحاظها ترمي السهام وتستبي
 منهنَّ من تسمى وتلفتُ لحظها يماً ويسراً كالغزالِ المعجبِ

وقلتُ ايضاً في المعنى

غيدُهُ خرجنَ الى الرياضِ لنزهةِ يخطننَ تيباً مثل غصنِ البانةِ
 ما للبدورِ اذا سفرنَ بدجنتهِ نورٌ ولا للغصنِ خطرةُ قامهِ



لطف يهودية

قصدتُ الايَّاب من منزلِ الاحبابِ الى بيتي المستطاب في
 ليلَةٍ كثيفةِ الضبابِ وركبتُ في المقوم قطاراً معداً للذهابِ فوجدتهُ
 قد غصَّ بالركابِ وكان في القوم مهاةٌ يهوديةٌ بديعةِ الجمالِ عليها اثر
 بالنعمة والحشمة والكمالِ فضمتُ نفسها ضمَّ الغزالِ وافردت لي مقعداً

بلطف دون تسان وكفت بي الجنوس عن شمل فوجدتها
 كهروس في حجل وجزيتها خيراً على عم اخن ثم قتت فيب شعراً
 من باب الارتجال وذمت بلندرة في العشرين من شهر آب عام ١٨٩٢

لقت مهة ذات طرف مرض
 لها مسك خال مسك قلبي يحول
 عيون سبت مني سويداً مهجتي
 وراشت نصال للحظ والجفن ذابل
 قرتي لديها رحمة ومودة
 فقرت بها عيني وعقلي ذاهل
 تبسم منها اشقر عن سمط لؤلؤ
 وقالت تفضل فالملك من اهل
 جلست لديها في امتان وغبطة
 وعقلي دهنه من بهاها مشاغل
 لها قامه تحكي القناه رشاقة
 تهز علي النصل والقده مائل
 يهودية هدت عزائم صبا
 يهدب كحيل ما راته مكاحل
 ولما تودعنا بلحظ تزوداً
 رهنتم لديها القلب والجسم راحل

فيا ليت ربي يجمع الشمل رحمة
وتبدو لعيني بعد ذاك الشائل



النجم

حضرتُ حفلة رقص غراء في ليلة نجومها في السماء زهراء
وأقارها في الارض سافرة ومحاسنها للابصار باهرة وكانت الراقصات
يرفلن في ملابس مستخارة وعلى محياهن وجوه مستعارة وبيننا انا
اجول في القاعة واتفقد غزلانها نحو ساعة لمحت فتاة ذات قد رشيق
ومنظر انيق بثوب رقيق حكى لونه لون العقيق دباحه من
الانسجة الفاخرة ونقوشه نجوم زاهرة فكانها نجم قد خر من السماء
ونقمص جسم حورية من بنات حواء ولما ازاحت عن محياها ذلك
الوجه المستعار وزحزحت اذيال ثوبها السحار خطف ضياؤها نظري
فانعمت طرفي في ذلك الكوكب السحار المتغرب عن فلكه الدوار
فرايتها مهابة من حور الجنة في قرص خدها الايمن شامة بصبغ الدجنة
وفي ذقنها خالان كصرتي المسك او كدرتين في سلك فقلت لها ما
اسمك بالنجمة قالت لي : (استلا) اي نجمة فقلت لها : سيجان من

كسا النجم حلةَ الحريرِ الاصفرِ وجلبيهُ بجلبابٍ من الخملِ الاحمرِ
وماذا دعاكَ يا نجمةَ الصبحِ الى هجرِ الفلكِ الدوارِ والشروذِ في ارضِ
البوارِ ؟ قالت لي : رأيتُ محياك السنيَّ قد فاقَ البدرَ نوراً فهو بهُ
وهويتُ اليه فوراً فقلتُ لها : جلَّ من جملِ محياكِ بالملاحه و زين
نطقكِ بسحرِ الفصاحه فانتِ لي وربِّ العرشِ ارشدُ نجمة في غياهبِ
هذه العتمه بل انتِ اُنيستي في ليلتي وسلوتي في وحدتي فسيري
بنا الى ارجاءِ الدارِ وان كان مقرُّها اوضعَ من برجكِ النوارِ فقالت
لي اسيرُ بك ان اشدتني شيئاً من المديحِ بقولِ فصيحٍ في أسلوبٍ
صحيحٍ تقريباً لوجهي الملبجِ فقلتُ لها : ليكِ ليكِ خذي ما القيه
اليكِ وانشدتُ في الحالِ من بابِ الارتجالِ وذلك بمدينه (شيكاغو)

سنة ١٨٧٢

مهاةٌ تجلتُ في ملابسِ نخملِ
لها ملمسٌ مثلِ الدمقسِ المقتلِ
بياضٌ يغارُ الثلجِ منهُ وزنبقُ
ويمحسُ وردٌ لونَ خدِّ مخجلِ
سلامٌ على خدِّ تحلى بخالهِ
ارقُ واصفى من نسيمِ معلِ
تعلمني نحتِ القوافي بخالها
وتلهمُ عقلي نظمَ شعري مطوّلِ

فياربة الخالينِ يا أمَّ شامةٍ
 سمعتِ مديحي فاستجيبني توسلي
 اعيري مدادي نقطةً من كليهما
 لاكتبَ شعري بالسوادِ المجللِ
 فقلت سوادُ الخالِ مني كياسةٌ
 اتمزجُ حسني بالمدادِ المعطلِ
 فقلتُ لنفسي : يا لها من ذكيةٍ
 كساها الهُ العرشِ ثوبَ التعقلِ
 لها وجهتهُ قد بهرجتها نضارةُ
 وطلعتها المساءُ مثل السجندلِ
 اذا ابتسمتُ لاحَ الوميضُ بثغرها
 وميضُ يُعيرُ البدرَ نوراً فينجلي
 وطرفُ صفا منه الزراقُ كأنه
 خضمٌ به نور الغزاةِ يجنلي
 ولا قصرُ قدِّ يستحقُ مذمةً
 ولا فيضُ جسمٍ يستعابُ بمثقلِ
 براها بلطفٍ ربُّ لطفٍ ورقةٍ
 رقيقة خصرِ ذات حسنِ مكملِ
 خفيفةُ اعطافٍ لطيفة فطرةٍ
 معطرةُ الاردانِ تشرحُ كلكلي

خروذٌ اذا مسَّ النسيمَ خدودها
 اغارُ عليها من نسيمِ محللِ
 اراها بعينِ القلبِ ان غاب شخصها
 واذكرُ اوصافَ الحبيبِ المدللِ
 يزور فراشي طيفها جنح دجنه
 فيشغلُ وهمي في وصالِ مخيلِ
 اراها تراني ثم تلتف طرفها
 وتعرضُ عني في طراز التدلِ
 تصدُّ جفاءً ثم تلوي ونشني
 بقدرِ بدا في ثوب قزٍ مهللِ
 ولما رأتُ صدق الودادِ وايقت
 خلوصي لما قالت : اطعتك فاقبلِ
 فقلتُ لها : يا ربة الخال انني
 الودُّ بن اضحى حليف التبتلِ
 احبك ما عنت نجوم وفرقد
 فان شئتِ جودي وانمي وتفضلي
 فقالت انا عذرية في قبيلتي
 نعيش كلانا في غرام محالِ
 فسرتُ (باستيلا) نجوم فيافياً
 وذئب فلاةٍ راح يعوي بمعزلِ

وجزنا حزوناً وامتطينا هضابها
 وخلي يلاهيبي بقول وامثل
 وابل بهيم شد برج نجومه
 بامراس كتان الى صم جندل
 فطال حديث والتبيت بجبها
 ولم ندر حتى فجرنا قام ينجلي
 فقلت لها: هذا صباح ام انجلي
 سناء محياك | الاغرة الجملي
 فقالت: انا ليل ويا ليل ليلتي
 تطول فارعى نيم طرفك في عل
 نعم انني ليل وانت صباحنا
 ومن مقلتيك الشمس تبدو بهوجل
 فقلت لقد سماك اهلك نجمة
 وما ادركوا برجي ومركز منزلي
 انا نجمة في ذيل بدرك مركزي
 وحيث استدار البدر درت بجملي
 الى الدار دعنا ان نبادر قبلما
 يشيع لدى ربي خفي ترحلي
 فعدنا الى الاحياء والفجر مسفر
 وغاب ضياء النجم فوراً عن الولي

ولا عجب دأب النجوم افولها
لدى بزغ شمس بعد ليل مطول

الصيد

وقلت في مهاةٍ مجريةٍ لقيتها في مدينة «بودابست» وذلك ليلة الاحد في

الثالث والعشرين من شهر تشرين الاول لعام ١٨٨٩

لقيت غزالاً بالعاظ يفاضلُ له مقلة كحلاء، والجفن ذابلُ
تلفت تيهياً والدلال رداؤهُ يريد اصطيادي والعيون تراسل
تردّى بوردي ثم غضاً بنرجسٍ ولاحَ وميض البرق والغم سادل
فقلت : سلام الله يا بدر دجنةٍ فقلت : سلام الله لطفك شامل
واحتن حياءً ثم فاهت برقةٍ كلاماً لطيفاً عن شوئوني تسائل
فقلت : سلمت ان شأني ممنم وحظي بمن عني يسائل كامل
فمخضنا بجوراً من حديث صبايةٍ وخلي ساهٍ عن حماه وغافل
وغاب ضياء الليل والبدر حالك واعين خلي في الليالي مشاعل
ولما بدا الفجر المنير بشمسهٍ دهاها اندهاش من شروق يغافل
وقالت قضينا حظ وصل وسلوةٍ ونجم الدجى في آخر الليل آفل

العود احمد

علقتُ فتاةً من زباتِ الجمالِ ذاتِ ادبٍ وكمالِ اصيلةِ النسبِ
 جليلةِ الحسبِ اسيلةِ الخدِ رشيقةِ القدِ يقالُ لها مس « وِلْ » من
 بلدةٍ يقالُ لها « طنبرجِ وِلْ » وتكنُ والدها خِلي العزيزِ من كبارِ
 الانكليزِ فعشنا شطراً من الدهرِ في سعدٍ ورغدٍ حتى حال بيني وبينها
 عِلجٌ وَعَدٌ فقطعتُ وصلاً خلتهُ للدهرِ لا ينقدُ ومنتهى بالصدِ والردِ
 ثم غابت عني زماناً والفؤادِ قنيلها وندى رَغَمَ أَنفِي خليلها ولما شطَّ
 بالفراقِ مزارها ودُرستُ بالبعدِ آثارها دهاني قنوطُ من الفوزِ بِلقائِها
 وقطعَ بي اليأسُ من نيلِ وصلها وبيننا انا ذاتِ ليلةٍ في محفلٍ من
 محافلِ السرورِ ارفلُ في حللِ الحبورِ اذ بصرتُ بمهابةٍ ذاتِ خصرِ
 دقيقِ تيمسُ بقدرِ رشيقِ فانعمتُ النظرِ في توسمها وسرحتُ الطرفِ
 في ميسمها فاذا هي حبيبتي القديمةِ وختلي الحميمةِ ودرقي اليتيمةِ ونعمتي
 العميمةِ وما زاد في علي اليقينِ وازال ربي المينِ اثرانِ جميلانِ
 نتباهي بهما الغاياتِ الحسانِ من « نونه » في ذقنها كالفرقدِ وخصه في
 خدّها المورّدِ فحفت اليها بقلبِ لغوبِ وحييتها بتحيةِ المحبوبِ فبشتُ
 لامعاني وهشت لرفاني وردّت سلامي بلطفٍ واحتشامِ وقالت :
 دهشني لقاؤك يا راعي الذمامِ فقلتُ لها : قدُ سررتُ بروياكِ وضمدُ

كلوم كبدي تبسم محياكِ فقالت لي: هل ابقى البعاد في صميم انفؤاد
 اثراً للوداد بعد انقضاء الميعاد؟ ففتحت عليها باب الخطاب وفوقتُ
 اليها سهام العتاب وسدَدْتُ عليها جميع الابواب بسديد الجواب
 وقطعت عنها اسباب الاسباب واوغلتُ في سناسب الاسباب حتى
 استعظفتُ فؤادها واستعدتُ ودادها وظفرتُ بمعادها وقضيتُ
 مرادي ومرادها ثم اسفت وئنفتُ وانحصرتُ وتحسرتُ وقالت لي:
 ندمتُ على اعتياضك بعلج اوغد فقلتُ لها: لا بأس! فالعودُ احمد
 ثم قالت: ايها الصديق القديم والحل الحميم قد قصدتك في حاجة
 دون لاجة لاستنشدك قصتنا المستطابة لما فيها من الغرابة فكُن
 سريع الاجابة ولا تجعلها عليك طلابة فهل لك ان تلج سؤالي
 وتبج بالي وتحمد بابالي؟ فقلتُ لها: ليك ليك خذي ما اتيه
 اليك واثال القريض على ابال في اسرع حال وانشدت في ارتجال
 وذلك بمدينة لندرة سنة ١٨٨٨

سلاوي على خلٍ قديمٍ تكزما
 بلطفٍ لقاءٍ بعدَ وصلٍ تصرّما
 فهزَّ سرورٌ مهجبي للقائه
 وبستُ عقيق الثغر حين تبسما
 وهشَّ وبشَّ الوجهُ حين رأيتُهُ
 فقلامٍ واحني ثمَّ فاه مسلما

ولما تعانقنا عناقَ مودّةٍ
 ذكرتُ زماناً بتُّ معها منما
 وقلتُ : صرمتِ الودّةُ بعدَ فراقنا
 وما كنتُ في شرعِ المودّةِ مجرماً
 جنيتُ علي من كان في الودّةِ مخلصاً
 وادميتُ قلباً في هواكِ تكلماً
 قسمتِ ودادي واستجبتُ خيأتي
 وحبّي دواماً فيكِ لن يتقسماً
 ألم تذكري عهداً عقدنا عقوده
 فكيف نكثتي عهدنا المتقدماً ؟
 فان كنتِ قد اخطأتِ في الحب غفلةً
 فحقي علي ما فات ان اتندما
 سلوتِ ودادي يا مليكةً معجتي
 وحقكِ قلبي ما سلاكِ وآثما
 اصبتِ شفافِ القلبِ مني فتيةً
 وما زاتِ عمري في جمالكِ مغرماً
 نشأتِ كفضنِ البانِ لينا وقامةً
 وحبّي نشأ كالآسِ في اللونِ محكماً
 وهلّ من الفرقِ الاغرّ بدجنةٍ
 هلالٌ حكي قوسِ السحابِ تبسماً

ولما تلاقينا على غير موعدٍ
 ملأتِ فؤادي بهجةً وتنما
 وجددتِ حباً في فؤادٍ مقروحٍ
 بسيفِ فراقٍ مستطيلٍ نثرما
 اذا جنَّ ليلٌ والحلائقُ هججٌ
 ارتقتُ وطرفي لذّةِ النومِ حرّما
 انامٌ وعقلي لا ينام هنيهةً
 وطيفكِ عندَ الوعمِ قام مجسماً
 واهدسُ طول الليلِ فيكِ كأنني
 اراكِ بعينِ الجسمِ بدرًا متمما
 فقدصرتِ مغناطيسِ روحي ومهجتي
 وحزبتِ فؤادي المستهام المتيميا
 الى مَ تفضني بالوصالِ وتجرحني
 فؤادا غدا من جورِ بينِ مهشما
 اعيدي على قلبي نعيماً فقدتهُ
 وجودي بوصلِ طال ما قد نصرّما
 فقالت: وقد غطى الشقائق زنبقُ
 وجرهُ الحيا في وردةِ الخدّ اضرما
 ندمتُ على ما فائني من سعادةٍ
 وحقني على المجران ان اتندما

نعم انني قد خنتُ عهداً مقدساً
 وعهدُ حميمٍ لن يحل ويقصا
 فلا خيرَ في صرف الزمانِ تعاتباً
 فاني لديك الآن فأمر بكل ما
 فقلتُ هلمي يا مليكةً مهجتي
 وداوي فؤاداً في هواكِ تكلم
 نعش كما عاش اليام مفرداً
 ونقضى زماناً في الملاهي كيفما

وقلت ايضاً

فيا ليت شمسُ العمرِ دام شروقها ودامت ليالينا قرينةً شملنا
 اخلاي هل هذا الفراقُ مؤبداً أم الدهر بعد البين يقضي بوصلنا

وقلت ايضاً في ١٠ ايار سنة ١٨٨٨

فؤادي غريمي في غرلم غزاله اراها بعيني لا ترق لحالتي
 يذوب فؤادي في هواها صباةً وبجر دموعي لا يبرد غلتي

وقلت ايضاً في ١٤ من كانون الاول لعام ١٨٨٧

وابنة كرمٍ ذقتها ذات ليلة فبتُ وباتت في خلال جوانحي

ولما رشفتُ الريقَ منها بجرعةٍ سكرتُ بجنمِ خمرتهُ جوارحي

بيامات اللوى

لما كنتُ في مدينة (كنتون) من بلاد الصين رأيت ذات يومٍ سرباً من اليام يطيرُ من جهة القطر المصري فذكرُ احبةً لي في رملة الاسكندرية فقلت اخاطب اليام واذكر شدة شوقي الى احبتي وذلك في ١٣ آب لعام ١٨٧٣

سألتُ بيامات اللوى عن احبتي	فقلنَ بغير لا يرمنَ سوى اللقا
فقلتُ : متى عدتنَ يا رسل الهوى	انى فطرِ مصرِ والنخيل تبسقا
فلنَ على ربيعٍ بسقطِ رميلةٍ	وقلنَ لم قلبى اليهم تشونا
وروحى تعنت في هوام مشقة	وجسى غدا رهن السقام محقتا
وبجن بما قاسى فوادى لبعدهم	وقلنَ لم قلبى بهم قد تحرقا
وذاب فوادى في حشاي تغرباً	وقلبي بطول الين حقاً ترقا
وحرّم جفني النوم بعد فراقهم	ودمعي سخيناً من عيوني تدفقا
احنُّ الي حبي الاحبة في اللوى	واذكر شمالاً كان فيهم موقفا

زيارة شقراء

في ليلة قراء

زارتني خروذُ شقراء في ليلة قراء نخلت ان الشعرى الباتية
وافنتي مجانية وعبرت نهر الحجرّة لتلاًلاً كالزهرة واقبلت على سهيل
في جنح ليل وكانت صبغة خدما شقائق النعمان ومشقة قدّها
جرائد بان او رماحاً من خيزران وبضاضة وجهها ماء النعام ونعومة
جسمها كالدمقس الحام وزراق المقلنين اصفى من ياقوتتين في اللون
نيلينين جلاها خلاق الثقلين بقدرة لا بصنعة اليدين فمست في
دينياج الدلال وسبت قلبي بالسحر الحلال فقلت في ارتجال وانا
في بلاد (الغال) وذلك في الخامس من شهر حزيران لعام ١٨٨٨

شقراء زارت في غياهب دجنة

والصبح لاح بمفلتين ووجنة

قالوا حبيبك اشقر قلنا لم:

ما عاب شهد النحل كهرب شقرة

قد فضل العقلاء شقرة عسجد

دأباً على لون البياض بفضة

في الوردِ والتفاح جلت شقرةُ
 والشمسُ لولا شقرةُ ما ضوتِ
 شهت لنا الصبهاء شربَ كوؤسها
 والخبز قد شهى بشقرةِ قشرةِ
 ما طاب اكل الموز الا اشقراً
 والتين يجلو ذوقه في صفرةِ
 لا تنضج الاثمار الا بعد ما
 تزدان حليتها بشقرةِ حليةِ
 اختتها شقراء بين جاذرِ
 والشقرُ في النسوان اطيب نكهةِ
 شقراء يصفو لونُ بشرةِ خدّها
 فكانها الصبهاء تسكر مهجتي
 شقراء ينعم عسجدٌ من شعرها
 فكانه سلك الحرير بدقةِ
 شقراء طلعتها صحيفةُ عسجدِ
 في قرصها ياقوتتان كنيلةِ
 شقراء من قوم صفت الوانهم
 صفو السلاف بطاسة من فضة
 نسبت الى قوم اجل مقامهم
 قوم لم بالطبع صبغة شقرةِ

لا تحسبوها من عدوٍ ازرقِ
 زرق العيون بنو السماء وجنة
 مزجت كوؤس مدامةٍ برضاها
 وسقت عليل القلب كوثر مرجةٍ
 فرشفتُ من راح الشفاهِ مدامةً
 في لونها كالشعر او كالبشرة



﴿ هيفاء ونكباء ﴾

خرجتُ الى التنزيه يوم عيد وانا اخطر في رداءٍ جديد وقصدت
 رياض الجنان وتفيأت بظلال الاغصان فسمعت العندليب يشدو في
 الافنان والبلبل المصداح يؤلف الالحان بلا اوتارٍ على العيدان
 وكان لطيف الظل قد سدل سجاجه المثل على روضٍ في اخضرار
 مطرّزٍ بمقيق الازهار وكان كذلك النوار يرقص مع الجلتار على
 نغمات الاطيار طول النهار وبيننا انا جالسٌ على ضفة الغدير وماؤُهُ
 يتقلب على الحصباء في خريز وامامي نحور العيدان قد تحلت بهقود

الرمان اذ بصرتُ بهمةً هيفاءَ وظبيةً حسناءَ يحكي القمرُ محياتها الاغر
عليها من فرعها المثور فوق المناكب والنخور ديباج الملوك المنسوج
في أحسنِ سلوكٍ وقد اسدلتُهُ تباهاً والنكباءُ تعبتُ به تلهياً
وهي تخطر بوشاح الكمال وتميس في غننجٍ ودلال بين جاريتين كفرقدٍ
بين نجمتين فانثال القريض على البال وانا من الصباية في اعتقال
وانشأتُ اقول في ارتجال وذلك في شعر «بلاكبول» من منتزهات
مدينة «ليفربول» عام ١٨٧٤

هيفاءَ ماست يومَ ريجٍ تجتلي بتفنجٍ وتخطر وتدلل
عبثت محبتها بقلبي مثلما عبثت النسيم بفرعها انترسل
عقلَ عقالُ الفرع عقل متيم في الحب قبلاً قلبه لم يعقل
واستوثقته في محاصن حجرها وذراعها خفرٌ عليه من عل
قلتُ ارحم من ضاده لحظ المهى فهلاكه في الحب غير محلل
قالت: امان الله لا تخش الردى روجي فدى من وعده لم يطل
فضممتها ضم الرضيع وصنمها صوت المعامل من عدو مقبل
نجلت ومالت والحياء شفيعها ورمت فؤادي بالحاظر النجل
ورأت كأنَّ الحب غير محلل قلتُ الغرام محلل لا تجتلي
قالت غرامك مستكن في الحشا والقلب يخفق لوعة في الكاكل
ثم ابدت تشكو الجوى بمسرة واستمطرت دمعاً على الخد الجلي
فأجبتها يا ربة الحسن الذي فيه فؤادي بات وجداً بصطلي

كفي فقد هاجت شجونُ متيمٍ واستكفني دررَ الدموعِ المطل
مذ صادني سهمُ اللعاطِ بنصله باتت جهوني بالكرى لم تكحل

❖ الحية ❖

وحقك خابت منك آمالُ مغرمٍ وما كان ظني ان تجوري وتصري
لعمرى دأبُ الغايات تدلُّ ودأبُ الفتى صبرٌ على جور مظلم

رَبِّةُ الشَّامَتَيْنِ

وقلتُ في شامتين، على خدِّي فتاةٍ من الانكليز بمدينة «دربي» وذلك
نهار الاحد في السادس والعشرين من شهر حزيران عام ١٨٨٦

نجانِ في خدِّ الفتاة تجليا رشقتها بشهابها اجفانها
لم تكسف النجمين لكن فحمت نجماً ونجماً احرق نيرانها

الهلال

صعدت ذات ليلةٍ بعض الجبال استطلع قوس الهلال فلما لاحت
لعيني غرة الهلال المقلم فوق جبل المقطم تذكرت من « هلدا »
حاجبها وكان شوقي قد ازداد اليها فقلت هذه الايات فيها وذلك
عام ١٨٨٢

بروحي حبيباً قد تملك مهجتي
أراه إذا هلّ الهلالُ بمقلتي
إذا هلّ في الافقِ الهلالُ مقلما
ذكرتُ هلالي حاجبين بحبيبة
يزرُ فوادي الشوق في كلِّ مرّةٍ
يمرُّ بيالي ذكر (هلدا) حبيبتي
يمرُّ بوهمي طيف (هلدا) برقدتي
فيضرمُ في قلبي سعيرَ المودّةِ
ولو قيل لي : ماذا تريد وتبتغي
لقلت لهم : (هلدا) ، ناي وبنيتي
إذا اقبلت صارت نعيمي وجنتي
واضحت لنفسي ملء سعدٍ وغبطةٍ

العفو

غدرت بي فثاة من اهل اسكوسيا يقال لها (نلي) وانا يومئذ في
مدينة « غلاسكو » فعموت عنها وانشأت اقول وذلك في ٢٩ تشرين
الاول عام ١٨٨٦

صرمت حبالي واستبجت تيتي
وما خلت اصلاً ان تخوني وتصري
ظلمت حبيباً في هواك متياً
فأي احمج من ظلوم مجرم
فلا بأس ! دأب الغايات تدلل
ودأب كريم عفو ذنب معظم

﴿ السمراء ﴾

قالوا : حبيبك اسمر قلنا لم :
سمر القنا تفري الفؤاد من العدى
لولا اسمرار ما ذكا من عنبر
طيب الشذا في الجر لما اوقدا

تفاحتى بلاكبول

أزمتُ اشخوص ابتغاء الخنوص من قيظ تقصول فى بلدة
 (بلاكبول) وهى فرضة نضيرة السهول إلى جوار (نيفربول)
 يجتمع إليها أهل نيسار من السوق والأخير ابتغاء لاستحمام فى
 مياه الأبحار واغتنام برد التسيب فى الأشجار ومن عادة قوم فى
 كل يوم الخروج بكرة وأصيلاً وعشية وليلاً إلى جسر عظيم نضير
 ممتد من الساحل إلى قلب البحر الكبير يشنفون السمع بالآلات تطرب
 وينفون عن القلب انكرب فالنساء يخطن بين الرجال بته وعجب
 ودلال وبوجوه سافرات ملاح وشعور منتشرة تعبت بها الرياح
 فبينا أنا وصديقى نسير ذات يوم إذ بصرنا فى القوم بهاتين جويتين
 كانتا اخنين كأنها شقيقنا حور الجنان يقال لهما بالعجمه « جاردن »
 وبالعرية بستان وكنتا رشيقتي القدة موردي الحدا عليها أثر انهمه
 والجمال والأدب والكمال وكانت الكبرى منها تيس فى حلة خضراء
 فى حمراء وتخطر الصغرى فى حلة خضراء فى صفراء جبرى لصديقى
 الحلبي حديث مع الصغرى اقترحه على نرى فليته فى الحال
 ونظمت قصتها فى ارتجال وصدرت القصيدة بصفة جديدة كان
 ينعت بها معذبتى قلبه الملول وهو يهتف ويقول : يا تفاحتى بلاكبول

متى اظفر من صفرا كما بالأمول فقلت وذلك في شهر آب من
عام ١٨٧٤

تفاحتان على قضيب أخضر
صبغت بلون العاشقين ثيابها
سارقتها النظر الخفيف مخافة
فافترت الهيفاء عن ثغري به
واهتل من فرق هلال جمالها
غمزت بطرف ذابل وتهدت
فعلت ان الحب اوقد جمره
اومت الي كأنها تبغي اللقاء
فأتيتها من حيث لا تدري بنا
بسطت الي يمينها ببطاقة
ففتحتها وقرأتها وثمنتها
فوجدت أنمها اللطيفة فطرة
تهدي سلاماً طيبته صباية
لما رأت كبراهما ما قد بدا
قالت لها مزورة : ماذا الذي
نجلت وهمت ان تكاتم سرها
قالت : كتبت اسمي فلا تنوهمي
حمراء في صفراء مثل العصفور
صفراها وبدت بجدة أحمر
من عادل ومراقب في المحضر
سمطان كالدر الذي لم ينثر
في ليلة أثارها لم تسفر
فجرت دموع فوق خدي اصفر
والقلب منها في التباع مضمر
وتختشى بسط الكلام بجهر
عين الرقيب مخافة من منكر
قد ضمنت بعبق مسك اذفر
والقلب يضطرب اضطراب الابجر
قد سطرت بالمسك احسن اسطر
وفؤادها يشكو النوى بحسر
من اختها الصغرى بذاك المحضر
سطرت في طرس بجبر عنبري ؟
لكنها خافت مكائد مفتر
سوءا فما في رقعتي من منكر

سكتت وهمت كتم غيظي في الحشا
 اومت اليّ بغمزة صفراهما
 وتهدت أسفاً على ما نابنا
 أحتت اليّ برأسها مذعورة
 جزعت من الرقباء حين تبعتها
 ودعتها وثمتها متأثراً
 سارت وسرت وراءها منقياً
 بانت وبت مراقباً نجم السه
 لما بدا الصبح النذير بنوره
 هل شمس صبح اشرفت وتبرجت
 هذا ضياء الفجر يا مفتون لا

وغيظ اثى في الحشالم يستر
 فارحل ولا تقنط وفي الصبح احضر
 همت ولكن دمعها لم يقطر
 كحامة جفلت بوجه اصفر
 فلوت إلى عطف اللوى فالعبر
 مما بدا من حالها المتغير
 خطواتها حتى اختفت عن منظري
 طول الدجى كنجم متحير
 قلت: السلام عليك خير المنذر
 ام وجه حبي كالصبح المسفر
 تأمل رجوعاً من غزال مدبر

لما تولى اليأس قلبي المبلى
 اذرفت من عيني دموع صباية
 وطلبت من عني اختفت كغزاله
 وندبت حظي ندب مرءٍ ثاكل
 من منقذي من بلهتي من مسعفي

وقنطت من بين يدوم لادهر
 وصبرت صبر العاشق المتحسر
 وتوغلت في بطن وادٍ محجر
 ولسان حالي في الدجى لم يفتر
 من مرشدي لديار خلي الاصفر

لما انقضت أيام ندب محرق
 وعجزت عن قول: ايا قلب اصبر

غادرتُ ارضاً قد ذوتَ جناها ورياضها بعد النوى لم تزهر
وقضيتُ ليلَ الهجرِ ارقبُ صبحه والقلبُ يُحرقُ في لميب مسعر

فما انا اقصي النهار تحيراً والليلَ اطوي في بكى وتحسر
ورَدتُ عليّ بطاقةً مخنومةً وطروسها قد ضمختُ بالعنبر
فلثمتها بتلفٍ وضممتها بتنهدي وفضضتها بتفكر
وقرأتُ ما قد سطرتُ في طرسها من درِّ شعري فاقَ درَّ الابجر
« لما غدا قابي بمحبك مغرمًا وعرفتُ ان الحب قلبك يعاري
» ارسلتُ خطي عن فؤادي نائبًا يهديكَ وجدي واشتياقي فاعذر
يني وبينك موعدٌ لللتقى في روضةٍ قربَ انفيرِ الاكبر
« اغدوا إلى روضِ الجنانِ كعادتي صبحاً فالبثُ في انتظارك فاحضرِ

لما قرأتُ الخطَّ خلتُ سطورهُ اسباطَ درِّ فصلتُ بالجواهر
لم تكمل عيني بائمه غفوةً حتى بدا نور الصباح المسفر
والعقلُ بين مصدقي ومشكِّكٍ في ما اتاهُ من بشاره مخبر
ادلجتُ قبل الطيرِ اقصدُ دوحهً فيها الزهور على بساطِ اخضر
فوجدتُ من ملك الفؤادِ ودادهُ بين الخمائلِ فوق برجِ مزهر
لما التقى طرفي بطرفِ حبيبتي خفقَ الفؤادُ خفوق موجِ الابجر

فبسطتُ كفاً للسلامِ مصاحفاً كفاً طلتهُ بالعبيرِ الاذفر
هشتُ وبشتُ ثمَّ قالتُ : مرحباً وروتُ حديثاً مثلِ راحِ الكوثرِ

لما انقضى منها كلامُ تحيةِ
قالت وقد صبغ الحياءَ خدودها :
بسطَ الربيعُ على المروجِ زهورهُ
قلتُ : اذكري جلستُ لديه امانا
فلبستُ وتلطفتُ وتناولتُ
فجلستُ ارقبُ وجهَ بدرٍ في الضمى
قالت : وقد لاحت عليها كدّةُ
« اني اتيتك للوداعِ بدمعةِ
فاجبتها : ماذا عنيتِ بذا القضا ؟
قالت : اودك ما حيتُ وانما
« يشنو الغريبَ سفاهةً بتكرهه
« ان كنتِ حقاً في غرامي صادقاً
« فلقد منيتُ بما بهِ قتلُ الفتى
« لا تبغِ مني الوصلَ في مستقبلِ
« من لم يجدُ سبلاً لكتمانِ الهوى
قسماً بربِ العرشِ ما لك حيلةُ

وجئتُ جثومِ الظبي فوق الازهر
هلاً تجالسني بهذا المحضر ؟
لاييكَ آدم في الجنان تذكري
حواهُ ايضاً في نعيمِ مدير
كفي وقالت : قد سبقتك فانظر
وانا طروبُ بالحديثِ السحر
والكبدُ أنتِ من حشا متحسر
لا تقنطنِ نفذ القضا فتصبر
روحي الفدى قولي ولا تستعذري
لي والدُ ذو سطوةٍ وتجبر
وكذاك أُمي في عَمى وتكبر
فاسألها ان فزت او لم تظفر
كفَّ البكاءَ على غرامك واقصر
واكتمِ هواك تجلداً وتحذر
ذاك امرؤ بين الورى لم يذكر
غير الوداعِ غفرتِ ام لم تغفر

هذا احتجاجي واعتذاري في الهوى ان كنت ممن ينصف الخل اعذر
قامت وقالت وهي تذر ف ادهماً لا تبغ وصلأ بعد هذا المحضر

❖ ألم الجوى ❖

وقلتُ في الخاتون (جوليا لثبرج) الشريفة الانكليزية وذلك بلندرة
في الثالث من تشرين الثاني لعام ١٨٨١
اذا حال ليلُ الهجر بعد وصالها
وشقَّ على المفتونِ حملُ دلالها
قضى العمرَ يرعى النجمَ من الم الجوى
وبات رقيبَ البدرِ عكس جمالها
فلما وعت نديبي ومرَّ تحسري
وما نابَ قلبي من جروح نضالها
اجابت : لك البشرى تمتع برفقتي
فاني فتاةٌ قد وفيت بنقالها

﴿ لنجار حق بنشفة ﴾

اقتُ في حيدٍ من احياء لندرة في منزلٍ واسعٍ ذي منظره
وجارتي مهابةٌ خروءٌ مخدرةٌ قد خصها بالحسنِ الخلاقِ فلاحت من
محيائها الشمس بالاشراق واصمت فؤاد صبا بالاحتراق في جهارٍ
واستراق وكانت قد بلغت سن اتميز وابوها امير البحر في اسطيل
الانكليز وكانت اذا اطلت في مهلل اطارها من نوافذ دارها على
نوافذ منزلي خلتها الشمس في برج الحمل تنجلي واذا التقى منا الطرفان
اطرقت حياءً بفتورٍ في الاجفان وجفلت جفول الغزلان وادمعت
تارةً بالصباية المقلتان وكانت اذا خرجت الى التنزه خرج معها كلبٌ
صغير خفيف المسير اسود اللون كالمسك الاذفر كأنه مهر الابجر
وفي اطرافه رقةٌ ونحافةٌ وفي خلقته جمالٌ ولطافةٌ وكانت طوراً نقوده
بسلسلةٍ وطوراً يقفو خطواتها المسترسلة وكان هواها قد اخذ باعشار
قلبي واثار عجاج الوسواس في وهمي ولبني وكلما نظرتُ إلى طاقٍ
روياها ازددتُ عناءً في استجلاب رضاها فمرت ذات يوم بباب الدار
وانفق خروجي منها على غير انتظار فالتقى طرفي بطرفها وكاد كفتي
يماسُ كفتها فتبسمت شفتها وانطلقت عجمتها واسرَّت اليَّ من
الكلام ما وجب سردهُ في هذا المقام وذلك في الخامس والعشرين من

شهر آب لعام ١٨٨١

مرّت مهاةً في الفداء بمنزلي
 تمشي وتلفت كالغزال الاحل
 وكليبها الف يسير وراءها
 بتقفز وتلفت وتدلل
 لما رأتي فجأة بجوارها
 نجلت ولكن ظيئة لم تجفل
 وحنّت فحيت ثم القت طرفها
 نحو الفلا تبغي اللقاء بمعزل
 فانتيتها من حيث لا تدري بنا
 عين تراقب فعلنا من منزل
 وضممتها بجوانحي ولثمتها
 ورشفت كوثر ريقها المتعسل
 لما رأته مني فبيع جسارتي
 قالت : لك الويلات فاقصر وانجل
 افضيعة بعد التحصن والخبأ
 وتمك بشوارع وتنقل ؟
 وبكت حياء والدموع زواخر
 تجري كسيل حط فوراً من عل
 قالت وقد غطت براحة كفها
 شمس الضحى وتنهدت بتملل

استر على خودِ الحمى يا منيتي
اني خرودٌ اختشي من عدلي
فسحتُ دمعَ العينِ ثم جعلتها
مأمونةً من عاذلٍ في عملِ
والى الحمى سرنا معاً في معزلِ
ووقيت شرَّ العاذلين بمنزلِ
لما استراحت وانجلي عنها العنا
طلبت شراباً قد خلا من مثلِ
فأتيها بدمامةٍ وسقيتها
راحاً رخي منها عروقِ المفصلِ
«لما شربناها ودبَّ دبيبها»
في مركزِ الافكارِ قالت : فاسألِ
فحصرتُ بالفودينِ ثم لثمتها
ونفقتُ في الاذنينِ سحرِ توسلي
يا جارتِي جودي فجوركِ قاتلي
ان كنتِ قد ازمعتِ قتلي فاميلي
لم ادري ما ذنبي وقد اقصينني
والقلبُ مني في غرامكِ مبتلي
يوماً لمحتكِ من نوافذِ منزلي
اشرفتِ كالبدرِ السنِّيِ المكملِ

ورشقت من قوس الحواجب اسهماً
 نفذت فؤادي من نوافذ منزلي
 وثمت ثمر الكلب ثم ضمته
 ورمقتني بتغزل وتدلل
 فاللحظُ يرقبني وثرك لاثمُ
 ثمر الكايب بجيلة وتحيل
 فعنيت بالثقبيل حين حضته
 حضي واثي بالحقيقة فافعل
 لك مقلة تصي فؤادي كلما
 تربي النبال جهلت ام لم تجهلي
 لك وجه بدر والشائل حلوة
 والحدث ورد امر فتهللي
 للجبار حق في الوصال بشفعة
 والله اوصى الجار بالجار الولي
 لما وعت شعري وسحر قصائدي
 هتيقت ود الفؤاد المبثلي
 قالت: وعود الخود برق خلب
 كم من بروق شمتها لم تهطل
 حان ارتحالي والفرق مقدّر
 لولا فراقي وصلكم ما طاب لي

نقد القضاء عليك ما لك حيلة
 فاصبر على ألم الجوى وتحمل
 قبل خدودي واقتنع بمودتي
 هذا الختام كفاك لا تتوسل
 ودعت خلي والدموع تدرّة
 وعقدت وعداً للقاء بمنزلي

* الندم *

وافت فتاة الحبي ترثي صبا احداقها لبست حداد متم
 صرمت جبال الوصل عمداً واشتكت مرّ النوى من مهجة المتندم

وقلت في جسم فتاة املس وانا في مدينة (سكرمتو) بكاليفورنيا

واملس جسم كالسجنجل منجل
 وخذ اعار الورد لونا ونضرة
 وصدر صقيل مثل صفحة فضة
 وغصن قوام هزه الشوق فانثني
 اذا اللحظ فوق الجلد مرّ تزلقا
 اذا عند شق الفجر فوراً تفنقا
 اعار ضياء بدرنا حين اشرقا
 وحين تجلى للعيان فأورقا

الشاعر الغيور

وقلتُ في التاسع من شهر ايلول لعام ١٨٨٦ وانا في مدينة (طورين)
 بايطاليا . وذلك تغزلاً بفتاةٍ سترت رأسها بمظلةٍ
 نسيمُ الصبا يوماً تمرُّ على الربى
 تحملُ شذا الازهار واهدِ حبيبتى
 وقبل ورود الحدِّ عني نيابةً
 ميمناً ويسرى في غرامٍ ولوعةٍ
 وحاكٍ نسيماً هبَّ فوق سنابلٍ
 إذا مرَّ حياً ثم فاز بلثمةٍ
 واياك من تخديشِ خديٍّ منعمٍ
 يكادُ بنور البدر يُدمى ونسمةٍ
 مهاةٍ براها ربُّ لطفٍ من الهبا
 لطافةُ نور البدرِ منها تجلتِ
 اخافُ عليها من شعاعِ غزاةٍ
 جفونُ عيوني ظلها كل لحظةٍ

ويرجف قلبي حين يلمس جسمها
 زلالُ مياهٍ لاغتسالٍ ونكهةٍ
 وروحي اذا مسَّ القميصَ ضلوعها
 تذوب هياماً في احتراقٍ وغيره
 اموتُ اذا مسَّ الزجاجُ شفاهها
 وساغَ رحيقُ الماءِ إطفاءَ غلغلةٍ
 واحسدُ ظلاً قد غشاها صيانةً
 من الشمس والرمضاء تحت مظلةٍ
 فياليتني قد كنتُ قرصُ مظلةٍ
 اظل عليها من شعاع غزاةٍ

الثامنة

وقلتُ في شامةٍ رأينا على خدِّ فتاةٍ المانية في مدينة (ستراسبورغ)
 عام ١٨٩٠

عظفتُ عليَّ بعرض خدِّ ناعمٍ فرأيتُ فيه مثل اسود درةٍ
 قلنا لها : ماذا السوادُ بوجنته ؟ هل عنبرٌ ام حقةٌ من مسكةٍ ؟
 قالت مويدها القلوب تطايرت من لبِّ عشاقِي وآوتُ وجنتي

الصد والرد

قلبي غريمي في غرامي والهوى
 قاضٍ يجورُ فمن لحقي ينصفُ ؟
 خلي نفورٌ والزمان معاندي
 والكبدُ ملت من جفا من يخلفُ
 اهوى غزالاً قد منيتُ بصدّه
 يبغى هلاكي دون ذنبٍ يُعرفُ



التبسم

وقلتُ في ثغر مهاةٍ من الروم رأيتها تبسم في جزيرة الامراء . وذلك
 ٨ شباط لعام ١٨٩٤

وخاتم مرجانٍ ترصع لؤلؤةً حكي ثغرٍ خودٍ بالملاحةٍ ينجلي
 عقيقٌ جلتهُ بالتبسم ظبيةً فلاح سرورٌ في البريةٍ يجلي

وقلتُ في فتاةٍ ايطاليةٍ رأيتها بمدينة (رومة) في شهر نيسان لعام ١٨٢٩

حلالٌ تجلى جنحَ ليلٍ بفرقها فبارى قسيّ الحاجين تزججا
وانحمُ طرفيها بفلكِ حواجبٍ تحيلُ ظلامَ الليلِ صبحاً تبججا



باكورة الصباية

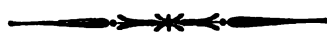
اطلقت زماناً عنان القريجة واجهدتُ جواد سليقتي الفصيحة .
بنتِ القوافي في القفار والفيافي وما خطرَ لي ببال غزلُ مهارةٍ او
غزالٍ نخرجتُ ذات يوم في جوق من القوم إلى قارة اميركا الشمالية
اريدُ اموراً ماليةً ونزاتُ على صديقٍ لي ضيفاً واقتُ لديه شتاءً
وصيفاً وكان لهُ اختٌ من ربات الجمال والادب والكمال رشيقة
القدّ اسيلة الخد يقال لها مس « مود » ذات قلب ودود وكانت
تحسن النطق بلغة الفرنسيين كأنها من ادبيات باريس فاصرتُ على
تعليمي الانكليزية برفقها الغريزية فليتُ لسؤالها وتمسكتُ من اللغة

بأذيالها وشمرتُ عن ساعد الجدِّ ونسجتُ برودة دروسي على منوالها -
 حتى بلغتني آملي ونالت آمالها من تعليمي لسان آلهما فما فرغتُ من
 تعلمه والتكلم به حتى شعرت ان قلبي قد امتلأ بالصباية وانصب
 اليها اشد انصباية وبتُّ في قيود غرامها مأسوراً وبلطف كلامها
 مسحوراً فاتثال في الحال على الببال قريض الغزل بذاك الغزال -
 فقلت وذلك ببلدة يقال لها (غوشن) من اعمال (نيوجرزي) في الخامس
 من شهر آب لعام ١٨٧١

أمدحُ سعيَّ ام يلامُ بلا حدِّ
 ام الحب جبارٌ عنيدٌ بلا ندِّ ؟
 أشكرُ خلي أم اذمُّ ودادهُ
 أم الحب مهديُّ وقلبي مستهدي ؟
 فلا الحب مدمومٌ ولا الخللُ معتدِ
 واكن فراغُ القلبِ داعٍ لذا الوجد
 فبعد فراغٍ من دروسٍ نقتتها
 وجدتُ فؤادي مستفيضاً من الود
 فلما افاضت في لهجة قومها
 افاضت بقلبي علم حبٍ بلا قصد
 فياربة اللهجاتِ حسنكِ بارعُ
 ونطقت احلى من سلاف ومن شهد

على اية من بيض ايديك منيتي
 اجود بشكر في القصائد والحمد
 توليت تعليمي فصرت حبيبتني
 وقد كنت حراً صرت في حالة العبد
 اصبحت شغاف القلب يوم لمحتني
 ولا علم لي من اين ذا الحب في كبدي
 ظفرت بقلبي وانفردت بملكه
 فصرت رقيقاً واستبدت بالمعد
 فكم عادة قد حاولت قبض مهجتي
 فخابت وما نالت مراماً من الوجد
 وحقق ما احببت قبلك ظلية
 فكيف اليك القلب اصبح يستهدي؟
 اذا غبت جسماً كان طيفك حاضراً
 امامي كفصن البان في اللين والقدر
 اراك بعين الفكر يومي وليلتي
 وشخصك محبوب فياليتته عندي
 فاعمض عيني للرقاد نعداً
 لاظفر في حلي بطيف على الوعد
 قوامك غصن البان والطرف نرجس
 ووجهك بدر التم والحد كالورد

وبني شريك الدر الثمين منضد
 وشعرك ليل جن في الطول والجمد
 تباغت سعاد ثم ليلى وعزة
 ودعد بحسن في القوام وفي الخد
 فحسن اللواتي قد ذكرنا خرافة
 وحسبك فاق الكل بالصدق والجد



وقلت يوم ورد علي شبيه «هلدا» في لندرا وانا وقتئذ في القاهرة
 وذلك في الثالث من شهر شباط لعام ١٨٨١

والتي فوادي في سعير من الوجد	سلامي على من حبا قدرى كبدي
فألمو بذاك الشبه والشبه لا يجدي	سلامي على من لا ارى غير شهبها
تسامت بها بين الخلائق بالمجد	كريمة اصل زيتتها مناقب
ولا وعدا يلهي ولا شخصها عندي	تلاهي فوادي بالوصال وعودها
وتسمي جفوني في الغرام على السهد	فوادي يراعي الوجد طول فراقها
اذا كان من تهوى يخاتل بالود	ولا نفع في قرب الديار واهلها
امينة عهد في المحبة والوعد	«وهلدا» على طول البعاد عهدتها
ونار التناهي في الفواد وفي الكبد	سقاني زماني كأس بين تجرعاً
سيجمع شمالاً في الديار على العهد	نحن شت الاحباب في كل بلدة

لقد كان امر الله فينا مقدراً لنحبي ونشقى في الوصال وفي البعد

وردة ايار

يا وردة عبث الغرام بقلبيها فاصفر شوقاً بالصباية خدّها
بالترجس الطرف الكحيل مشبه وبفصن بان قد تمثل قدّها
فاذا رأت عيني جمالك مرة غضت وحسنت عن سواك يصدّها

الزيارة الليلية

وقلت في مهاة من رهط الانكليز زارتنى ليلاً من غير ميعاد وذلك
بلندرة ليلة الاحد في الثالث من شهر حزيران عام ١٨٧٩

زار الحباء شقيق بدر في الدحي

فظننت ان الفجر فوراً البجا

كشف النقاب بانمل مخضوبة

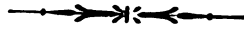
فحسبت عناباً بفصن ادلجا

أحني قواماً مثلَ بانٍ واجنلي
 فشعرتُ قلبي في حشايَ نوعجا
 أدنى إلى ثعري الشفاهِ بلثمةِ
 وأسراً في اذني كلاماً مبهما
 شاهدتُ بدرًا بالنبوم مكللاً
 هجر السماءِ وزارني جنحَ الدُجى
 قد اسدلَ الشعر الطويلَ مجدداً
 وسوادهُ في لون ليلٍ امزجا
 فسألتهُ يا من ملكتَ حشاشتي
 كيفَ القديمِ بغيرِ وعدٍ يُرتجى ؟
 فرمى الفؤادَ بلحظةِ مأنوسةِ
 واجاب : من يُحِبُّ يزرِكُ بلا رجا
 فضمتهُ بجوارحي واثمهُ
 مبرحباً في من الى حضني التجا
 ورشفتُ حلوَ رضابهِ متمماً
 بجمالِ بدرٍ من خسوفٍ قد نجا
 ما زالَ يلثمُ والتمُّ خدَّه
 حتى ابادَ همومِ قلبي مفرجا
 فصرفتُ ليلي في نعيمِ وصاله
 لم اخشَ عينَ مراقبٍ او من هجا

الوداع

وكنثُ إِذَارمتُ الرخيل تشفعتْ
 ولما انطفنا للوداع تشبثتْ
 بلمع صيبِ فوقَ خدِّ مورِّدِ
 بعني ورامتْ لثمةً للترؤدِ
 فقلتُ خذِها واحفظي اثرَ لثمةِ
 على شفةِ تطوى إلى يومِ موعدِ

ولما دنا وقتُ الرخيلِ تهذتْ
 فقلتُ : لما هذي الدموعُ فاجهرتْ :
 واجرتْ دموعاً من عيونِ نقرحتْ
 لنسلِ ضلوعِ من هوكِ تجرحتْ



النبات

وقلتُ في نباتِ مهاجٍ من اهلِ المجر اخبرتها زماناً وذلك في عام ١٨٨٧
 خروُدُ إِذَا خان الزمانُ تجلّدتْ
 يقولون : ان القفرَ يفسدُ حينها
 ولاذتْ بمحصنِ الحبِ من جورِ محنةِ
 فني خالتي عُسرٍ ويسرٍ رأيتها
 تجنوا ولم يدروا نباتَ حبيتي
 امينةً حبّـ لا تخونُ مودتي

الطيف

غمضتُ جفوني كي اراها برقدتي
 فزار فراشي طيفها بعد غفوتي
 بسطتُ اليها الساعدين معانقاً
 اناطت ذراعيها بعنقي وضمتم
 ولما هممنا والغرامُ اليفنا
 فولى رقادي والحبيبةُ وات

وقلت وانا في جنينة (شان زيليز) بباريس

لقتُ غزالاً بين سربٍ من الغنابا له مقلةٌ ككلاءٍ والجنفُ ذابلُ
 فاس بفنجٍ اخجلَ العنصنَ قدُهُ وتاهَ دلالاً في الهوى وهو غافلُ

الروضة

وقلتُ اصفُ روضةً بجزيرةٍ الى جوار مدينة نيويورك يقال لها بالعجمه
 (آيونا أيلند) قضيتُ فيها حظاً في معشرٍ من الاحباب والغواني

لامبريكيت وذلك في غرة شهر يريسة ١٨٧٢

رَوْضُ رَيْضٍ فِي زَيْبِ حَسْتِ
 فِيهِ ثَمْتٌ بِمَلَالِ جَدْرٍ
 وَكَيْتٌ قَدْ فَحْتِ أَزْهَارِ
 وَأَطِيرُ يُخْطِبُ وَتُحْصِنُ مَتَابِرُ
 وَالْمَاءُ يَجْتَرِقُ الرِّيَاضَ تَدْفِقًا
 وَالرَّاحُ تَطْفَحُ وَالْحَيْبُ مَسَامِرُ
 فَارْتِقُ خَمْرٌ وَالشِّقَاةُ كَوْسُهُ
 وَالْحُلُّ عَوْدٌ وَالْحُدُودُ مَجَامِرُ
 وَالْوَجْهُ قَرَطَاسٌ صَقِيلٌ أَيْضُ
 وَالْمَدْبُ رَيْشٌ وَالْعِيُونُ مَحَابِرُ



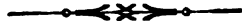
﴿ الهجر ﴾

حَمَلْتَنِي وَفَرَّ هَجْرِي وَاثْنَتُ
 ظِيَّةٌ عَيْنِي سِوَاهَا مَارَاتُ
 وَدَعْتَنِي فِي نَجْبِي وَاخْتَفْتُ
 عَنِ عِيُونِي بِاشْقَائِي إِذْ نَأْتُ

نقشة شتاق

و كنتُ قد خرجتُ من لندرا الى (جزيرة سرديب) بالهند فخطر بيالي
ذكر «هلدا» فقلتُ اصف شوقي اليها وذلك في آب لعام ١٨٨٣

اراكِ بقلبي لا بعيني حبيبي
فيضرمُ لي في هواكِ على البعدِ
احملُ متنَ الريحِ عرفَ تحيتي
صباحاً اذا سارَ النسيمُ الى نجدِ
فياليتَ ان عادَ النسيمُ عشيةً
اليّ اتاني حاملاً اطيبَ الرندِ
فانشقُ منه عرفَ خلٍ مطيبِ
بطيبِ يداوي القلبَ من لوعة الوجدِ



الحامتان

وقلت في فتاةٍ من الاندلس رأيتها قد زينت غطاء رأسها مجسم حمامة

بيضاء وذلك عام ١٨٨٤

فله درك من حمامة جنة
 خطرت دلالاً في وشاح تجمل
 بحمامة بيضاء فوق جبينها
 بسطت جناحها وحطت من عل

الموعود السري

وقلت اصف وعداً انجزته سرّاً في ليلة قرآء وذلك بمدينة نابولي
 بايطاليا في شهر اذار لعام ١٨٨٤

علقت من الغادات اجمل غادة
 طرقت خباها والعوائل جمع
 وطئت بلاط الدار همساً مخافة
 وفيما انا انساب في مسلك الحى
 دهاني ارتعاش وارتعاد فرائص
 سمعت على بعد تخشخش حلية
 نفلت تماثيل المخادع كلها
 سلمية قلب لا تخون توددي
 وبدر الدياحي والثريا بمشهد
 وقلبي خفوق من رقيب وهجد
 اريد لقاء من حبيب مبعد
 حذاء تماثيل الرخام وجلهد
 وخشخش اثواب بها الخلل مرتد
 يخبر بعضاً بعضها سر موعدي

فلما دنا بدرية وبدر سمائنا رقيبٌ علينا خفت انظار حسدِ
 خلوتُ بها همساً بأحجب منزلٍ وصنتُ حبيبي من تجسس فرقدِ
 فقالتُ: وقد مسَّ الغرام فؤادها ولاحَ ضياءُ النجمِ من طرفِ اغيدِ
 ضناني جفاءً منك يا خير منيتي اتيت فاطفات اضطرار توقدي

﴿ النجمان ﴾

وقلت في عيني مهارة من الجركس رأيتها في (قاضي كوي) من ضواحي
 الاستانة العلية وذلك في ٧ ايار سنة ١٨٩٠

رأيت نجوماً في صباحٍ مضيئةً ومن ذا رأى في الصبح نجماً تألقا
 فأعجبُ من نجمينِ ضاءاً بموضعٍ عليه شعاعُ الحسنِ في الفجرِ اشرقا
 عيونُ مهارةِ نجمتانِ ووجهها صباحٌ به نورُ الجمالِ تدفق

الصياوة

وقلت في سيدة من اشرف الالمانيين طويلة القمد اسيلة الخد رأيتها في
 محفل الرقص بالاستانة العلية في شهر شباط سنة ١٨٩٠

تصيد اسوداً حين ترفص بينهم وترشق لحظاً كالغياهب اسودا
فقلت لما روجي فداك تكريمي بوصل على من بات عبداً مقيداً
فقلت اذا هلّ الهلال مقلاً اناك حبيب لن يخالف موعداً

﴿ الثغر المالح ﴾

وقلت في ثغر فتاة ارمنية بتسمُ وقد لاحت اسنانها كالادر المنظوم

يا صاحب الثغر المالح ودره ال

منظوم هل من لئمة يا هل ترى؟

قالت: وما يجديك مني ما ترو؟

م؟ فقلت كل الصيد في جوف الفراء

﴿ الشفاه المسكرة ﴾

شفاه إذا مصت شفاهي رضاها

سكرت براح حوله الدر منظوم

يعاف لبان المرضعات لاجلها

طفيل ولا يبني سوى تلك مفطوم

شراك اللعاط

سلبت فؤادي باللحاظِ ومعجمي
هيفاً سلبُ القلبُ فناً دابها
نصبتُ شراكاً للأسودِ تصيدها
صيدَ الارانبِ والحبالِ شهابها

جنى الورد

وقلت في الثامن من تشرين الاول سنة ١٨٩١
ومن كان في روضٍ تفقع زهره
ايرحلُ عنه قبل قطف وروده ؟
حبيبي روضٌ قد حلتُ مقامه
واجملُ وردٍ في رياضِ خدوده

❖ التمني ❖

وقلتُ في ٢٥ تشرين الاول سنة ١٨٩١

وقتَ الصبا قلبي صبا لاجتبي ياليتَ خلي قد صبا لصباتي
وقتَ الضحى قلبي اشوى بسعيه ياليتَ حيي بصطلي بجرارتي
روحي الفدى قلبي غدا جمرَ الفضا ياليتَ حيي يقندي بصداتي

الهدية

قلتُ وقد اهدتني الخاتون « لينوكس » الانكليزية كلباً وذلك بمدينة
لندرة سلخ اذار لعام ١٨٨٩

غزالي محاطاً بالكلاب صيانةً
جماهُ اِلهي من كلابِ همُ العدى

هدائي بلطفٍ خيرَ كلبٍ احبهُ
 فأشكرُ خليّ ثمّ اقبلُ ما هدى
 فكابي ظريفٌ والغزالُ مهيفٌ
 أخافُ على الاثنينِ من موبقِ الردى
 ولما توادعنا وصاغتُ كفها
 تقربَ منها الكلبُ واستلمَ اليدا
 فقالتُ لهُ يا كلبٍ لا تعصِ امرهُ
 فأني أوصيهُ بأن يتودّدا
 ولكن إذا رامَ اصطيادَ غزاله
 سوايَ فكن ليثاً مُصدداً معندا
 وان قال: سرّ يا كلبٍ واصطدغزاله
 فبادر إلى دارى وصدني تعددا

* نكت العهود *

خرجتُ ابتغاءَ التبرّه إلى غابهٍ في ظاهرِ باريس يُقال لها (بودوبولون)
 فلقيتُ فيها مهاةً من الروس وكانت قد وعدتُ بوصولِ ثمّ ماطلتُ
 ثمّ نقضتُ العهد . فقلتُ فيها هذه الايات وذلك في الخامس من

شهر حزيران سنة ١٨٨٩

جرحت بسيفِ العجرِ فلذةَ مهجتي
 وما كنتُ في شرعِ المودّةِ مجرماً
 افاتك ان العجرَ يقتلُ من غدا
 اسيراً ذليلاً في جمالكِ مغرماً
 خلفتِ وعوداً ثم خنتِ عهدنا
 ولتِ حبيباً لن يخونَ ويظلماً

تصريف

وقلتُ اقرظُ الفتاةَ فريدةَ ابنةِ اخي جرجس يوم زارتنى بمجزيرة
 الامراءِ وذلك عام ١٨٩٧

عذراءُ هل في الجنةِ العليا من
 ملكٍ اخذتِ جمالهُ في الاولِ
 ام امنا حواءُ قبل سقوطها
 اوصتِ اليكِ بحسنها المستكملِ
 بشراكِ اعطاكِ الالهُ مواهباً
 في شخصٍ غيركِ جملةً لم تحصلِ

الندم

بعثت اليّ برسالة فتاة من البندقية يقال لها « ليزة » تشكو فيها ألم
الفراق وتعاتبي على قطع الصلات الودادية . بعد ارتحالي من البندقية .
فناثرت من كتابها واستصوبت عتابها وندمت على اغترابها وقلت فيها
الايات الآتية وانا بلندرة وذلك في ١١ ايار لعام ١٨٨١

﴿ النظم ﴾

اذكرُ صباً عهدَ وصلٍ نصرّما	اتاني كتابٌ من مهابةِ كريمةِ
على رِقِّ خديّ قد تخضبَ بالدماءِ	نقول لقد خطتْ بدمعِ عتابها
وتندبُ خلاً قد سلاها واظلمها	وباتت على جمر الفضا تشتكى النوى
وحقي على الهجران ان اتندما	نعم اني قد خنتها وهجرتها
على فقدٍ محبوبٍ تواري عن الحى	والطم خذا قرّحته مدامعي



غزل

ارتجلت هذه الايات وانا راكب قطار السكة الحديدية تحت اقبية
لندرة مع فتاة انكليزية وذلك في ٢٢ تشرين الاول لعام ١٨٨٥

* النظم *

عذراء قد صبغ الحياء خدودها وعيونها النجلا تغازل مهجتي
رمانتان بصدرها وبجيدها عاج وفي فيها الآلى صفت
عينان قال الله كونا كاتنا نجمين ضاءا في مجرة جبهة

خيمة آمال

ركبت انقطار في يوم كثير العثان والغبار اريد جي (كزكتين)
من ضواحي لندن فلقيت فيه فتاة او حورية في جسم مهاة وما
لبثت الا قليلاً من الزمان حتى رحلت وغادرني كالولمان فقلت فيها
وذلك عام ١٨٨٦

﴿ النظم ﴾

رأيت فتاةً في قطار المدينة
 مهاةً تولتُ مذ تجلت لمقلتي
 لما طلعتُ كالقدر في ليل فرعها
 وعينان كالنجم المنير بدجنته
 فيا لهف نفسي كان حظي بقربها
 قصيراً كذا الدنيا لقاء لفرقة
 نسمتُ بالوصل القصير زمانه
 تمنيت لو طالت مسافة سفرني
 فما كل ما ينبغي الفؤاد يناله
 يموت المعنى في رجاء وخيبة
 فكم ذاب قبلي أملٌ من مرامه
 وكم مات قبلي العاشقون بحسرة
 بليت بين ثم هجر وخيبة
 بدت خيبة الآمال في دار جنة



رسول الهوى

وقلت في شبيه الدوقسة « سذرلند » وذلك بلندرة

* النظم *

اتاني رسولٌ من حبيبٍ مسلماً
 يذكرُ عهداً بالفراق تصرّماً
 يقولُ بلطفٍ : هل ذكرت حديقةً
 رأيتَ بها خلاً لديك مكرّماً ؟
 فقلتُ : أجلُ والذكر عندي مكرّرٌ
 وقد بات خلي في فؤادي مجسماً
 نعم اذكرُ اليوم الذي كان غبطني
 وفيه فؤادي في هواها تكلماً
 رأيتُ مهابةً في كمالٍ وحشمةٍ
 بوجهٍ حكى بدرًا تلاًلاً في السما
 لما حاجبٌ كالقوس يرشقُ اسهاماً
 وثرثراً عن الدرّ اليتيم تبسماً
 اصابَ شفافَ القلب مني غرامها
 فخبى محياها الفؤادُ مسلماً

فودتُ سلامي عند ذلك رحمةً
 وبشتُ حديثاً مثل درِّ نظماً
 فاضحِي فوادي في هواها معذباً
 وعقلي مدهوشاً بجديّ تنعماً
 ولما رأّتْ وجدِي وفرط صبايبي
 اناطتْ بعنقي ساعديها ومعصماً
 وقالت بلطفٍ : هل عشقتنّ يافتى ؟
 فقلتُ : نعم هل تحسبيني مجرماً ؟
 فليس على وجه البسيطة شاهدوا
 كمثلك هيفاء ومثلي مفرماً
 فيا سعد حظي ان قبلتْ صبايبي
 وان خبتُ اجريتُ المدامع عندما
 فشخصك محرابي وشبهك كعبتي
 احجّ مناه ثم ارشف زمزماً
 فمالت كفصن البان ثم تبسمتْ
 وقالت : ورب العرش والارض والسما
 أثبتتُ في حبي وتحلف بالتقى ؟
 فقلتُ : نعم عهدي على ما تقدماً
 فحين رأّتْ مني الخلوص بيجبها
 هدتني شيباً جاءني متبسماً

وهب نسيمُ الشوق منه معطراً
 بمسكٍ غرامٍ راح يُنشرُ في الحمى
 فعانقت ذاك الشبه والشبه باسمُ
 وطرفي به نور الجمال توسما

السُّلوة

وقلت وانا ارقب السماء في ١٠ تشرين الاول لعام ١٨٨٦ وقد هزّني
 شوق الى «هلدا»

أَسلاكِ يا شمس الضحى طول المدى من وجه (هلدا) نور حسن ان بدا
 أَسلاكَ يا قمرَ السماء بليلاً فوراً اذا قري الى داري اهتدى
 أَسلاكَ يا نغم السهى في دجنه ارعى بها طرف الحبيب المفدى

العقلة

طحايا مرحُ الشباب الى زيارة الاحباب فليت بداعي الاشتياق
 في زمرة من الرفاق واهتطيت صهوة القطار السريع مع ربة حسن

بديع يصحبها اخٌ صنديد كالبطل العنيد فلما اجهده الوسواس وغلب
 عليه النعاس وغطاً في السبات وشخر صارت الفتاة تسارقني النظر
 واصابت بنصال المحظ هدف المعج وسبت فوادي بطرف من دمع
 فاجهدت جواد السليقة في وصف محاسن تلك الرفيقة ولكن دولة
 الجمال وهيبة الكمال وغنج الدلال وروعة النصال من لحظها
 الغزال نفرت عني القوافي نفور الغزال ووصدت في وجه قريحتي
 باب الارتجال فتكلفت الشعر اليها تزلفاً وقات فيها هذه الايات تल्पناً
 وانا بين يديها وعقلي وقلبي لديها وذلك في غرة كانون الثاني لعام ١٨٨٦

﴿ النظم ﴾

غفل الرقيب عن الحبيب تناعساً	وخلت لنا الاوقات ليلة وصلها
كشفت قناعاً كان يحجب وجهها	ورمت فوادي المستهام بفعلها
وبدت تسارقني اللحاظ بركة	ورمت من الاهداب ارفف نصلها
فغمزتها وطفقت ارقب مقلة	ياقوتها يزري بنيلة كحلاها
فدرت باني قد فتنت بجها	فتنهت فوراً جئت بمثلها
وتلا تنهدا تنهد مغرم	ما الفضل الا بدئه من فضلها
وتراسلت منا اللحاظ رسائلاً	فهمت معانيها القلوب برسلاها
رمت ارتجال الشعر في اوصافها ال	حسنى التي زادت بفتنة عقلها
ملك الفواد غرامها بتدله	فذهلت حتى عن تسلسل نسلها
فدرى بالخاصي العذول تشفياً	وهجا احتباسي حين فزت بوصاها

قال ارتجبل فيها القريض تغزلاً
واذكر صفات أوتيت من أهلها
قلت الهوى قد سد باب قريحتي
« كملت محاسنها » فسه عن عدلها

الدلال

ثارت في فؤادي عجاظة الشهوة وتاقت نفسي الى اغتياق القهوة
فطلبتها فاحضرت نكمرة في دنها قد عنقت وشربتها بنسكة وشنبر .
فوجدتها كلسبيل وكوثر فولعت بجمها واكثرت من شربها ففنت
دماغي بالسهاد وحرمت جفوني لذة الرقاد وارقت في ليلتي الدهاء
وباتت عيوني بالسهاد قرءاء فطرفني ذكر فتاة هيفاء كان يهاها
صديق لي من الظرفاء وكانت تعند بجمالها وتشمخ عليه بقدها واعتدالها
وتجمل عليه بوصالها وتنكيه بدلالها فقلت فيها هذه الايات بعد نصف
الليل بثلاث ساعات وذلك في التاسع من كانون الثاني لعام ١٨٨٦
أيا ظبية البیدِ ارحمِ وترفقي

بصبِ صلاه جرحبِ محرقِ

حباكِ غزالٍ في ذهولٍ ولفنتِ

وتصمين أضلاعاً بسمِ مفوقِ

أظبيُ بصيدُ الليثِ نصلَ لمُحَاطِه ؟
 فنُ ذَا الَّذِي لم يَمشَ لَيْثًا وَبِتقِ ؟
 فقالتُ ترى لي معجزاتٍ بديعةً
 وَأَصحابَ وَحِيٍّ من بَحاري تَسني
 أنا كعبَةُ الحِسنِ البديعِ وَرِكنُهُ
 يَمحُجُ مَقايِ أَهلِ غَربِ ومَشْرِقِ
 مَهائِهِ أَنَا في البِيدِ بَينَ جاذِرِ
 لآلِي عَقدِي مِثْلَ نَحري كَرَبقِ
 إِذا مِستُ يَومًا في قَوامِ رِشاغِ
 حَسبتُ نَفيلاً في دِمَقسِ مَنقِ
 تَجلي صَباحٌ مِن جِبيني وَغَرتي
 وَهَلْ هَلالُ الحِسنِ من قَوسِ مَفرقي
 عِيونِي نَجومٌ وَالحوَاجِبُ فُلكها
 وَلحَظي كَسَمِ لِلقَلوبِ مَمزِقِ
 أَنَا نَزهةُ الدُّنيا وَخَيرُ نَعيها
 شِيبِي عَروبٌ لَم تَكونَ وَتَخلِقِ
 أَنَا الوَردَةُ الحِسانُ لَونا وَرِيحَتِ
 يَفوحُ شَذاها من جَنائِنِ مَشرِقِ
 جَويرٌ عَناني في رَقيقِ قَريضِ
 وَفِيسٌ تَغنِي في غَرامي المَحرِقِ

فأين جمالٌ من سعادٍ وعزّةٍ
 وأين قوامٌ من نخيلي المسق
 لحسني يخرّ العاشقون تحشماً
 ومن فاته حبي فلم يتعشق
 ومن قال ان العشق مسّ فؤادهُ
 بدوني وربّ العرش غير مصدق

﴿ المظلة البيضاء ﴾

هامة تجلت في الحديقة ضحوةً تيسُ دلالاً فوق روضٍ توردا
 تظللُ غنجاً رأسها بمظلةٍ كشمسٍ توارت تحت غيمٍ تعمدا
 عجبتُ اشمسٍ ظللتها مظلةً وعهدي بشمسٍ لا تجلببُ بالردا
 نعم انها شمسٌ وثلجٌ رداؤها ومن ذا رأى في الشمس ثلجاً منضدا؟

الجمانة

وقلتُ في فتاةٍ ايطالية يقال لها « جماء » اي جمانة رأيتها في جزيرة

الامراء سنة ١٨٩٢

رأيت غزالاً ذبت فيه تغزلاً
 جاءه جلالاً خالق الكون والملا
 مهاة اذا ماست حسبت قوامها
 قضيباً من البان الرشيق تمايلا
 وقد مس منها الفرع كشمًا مختصراً
 يروق لعين العاشقين مرسلاً
 فقلت لها: ما الاسم يا خير درة؟
 فجودي به اني اطلت التوسلا
 فقالت دعاني الوالدان جمانة
 كذا اسمي كجسي بالجمانة مثلاً
 فقلت لها الله درهما فقد
 اصابا بما قد سميك تجملاً
 فأين اللآلي منك اين جواهر
 فانت لأغلى من جان اذا انجلي
 لقد زدت جيد الكون حسناً وبهجة
 كما زان جيد الخود عقد وجملاً
 فزيدي فوادي بهجة وتكري
 بلثم اذا اشقر استباه فهللاً
 فقالت: أما عنك الغواية تنجلي
 وهلا تخاف الراقين وعذلاً

فقلت احتجاجي عند ندي تفني
فقلت أبا لي بانمذول اذا ابتلا

﴿ شكوى مهجورة ﴾

هجرت حياً كان انك سرمداً
وعشت بعيداً عن حماه مؤبداً
فماذا دعي خلي الى ذلك الجفا؟
وما كنت اجفو في وصالك سرمداً
جنيت على خل حميم وخته
وما خنت حياً عن سواك تجرداً

فتاة

فتاة ريقها احلى من الكوثر
وثغرها قدح يزدان بالجوهر
احباها ثملوا من خيرة عنتت
في دن مبسمها روجي فدى الكوثر

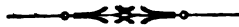
وقلتُ في جفاء قاسيةٍ وذلك بمدينةِ دهلي بالهند الشرقي في ٢٢ نيسان

سنة ١٨٨٣

انينُ فؤاديِّ وانسجامُ مدامي
 يرقُّ له الجلود والصخرُ يقصمُ
 وقلبُ فتاةِ الحميِّ ليس يلينه
 نحولي وسفمي والفؤادُ المكلمُ
 غلبتُ عليها حين خانت مودتي
 وقلتُ لها: باللهِ ماذا التصرُّمُ؟
 اجابت: بان البعدَ خيرٌ من اللقا
 لصبِّ بداءِ الحبِّ بيلي ويُسقمُ

« فقلت جواباً على ذلك »

أمن موعدي بالوصل بعد فراقها
 يعلنني ان عيل صبري لاجلها
 فوتُ الفتى في الصدِّ اثمٌ محرمٌ
 فان متُّ اضحى جرم موتي بنجرها



الحريير

اسئلت خدما فاستبعته وقد ظنت حريراً براه الرب من ازل
 قالت : الا تخدشن ابريساً رخماً لما تمنيت لثم الحدّ في عجل

(وقلت في « هلدا » اول يوم رايها)

لقد نصبت في الحب « هلدا » شراكها وصادت فواداً بالغرام يمدبُ
 فكيف يطيقُ القابُ منها تملصاً وقد صيدَ في الاشرالك والظبي يلعب
 فلا الظبي ذو قلبٍ رقيقٍ ورحمةٍ ولا القلب يسلو حب « هلدا » فيهرب

ورّة الهند

خرجتُ عن أهلي صبيّاً أمدد اريدُ بلاد الروم في مقصد لا أخلص
 من الله في معبد وأطلب العلم وأجهد فطالت غربتي عن الأهل
 أعواماً لم أسمعُ عنهم من الاظغانِ اعلاماً ثم ساقنني المقاديرُ إلى شر

بيروت فأثمتُ بها فترةً والأهلُ عني في سكوتٍ وبيننا أنا ذاتَ يومٍ
 اهدسُ فيهم وقلبي يتوقُ اليهم إذ نفذتُ إليَّ مُغلغلةً من الهندِ
 معطرةً بالمسكِ والرندِ فأزحتُ لثامها وفضضتُ ختامها وشممتُ
 خزامها واستوعبتُ كلامها وإذا في طيها شبيهُ صوفيةِ ابنةِ شقيقتي
 وردةٍ عليها من الدباجِ اثنُ بردةٍ فهاجتُ لها الاشواقَ الحفيةَ في
 مهجتي الوفيةِ واثثالِ القريضِ على البالِ وطفقتُ أقولُ في ارتجالِ
 بعد افتراقِي عن الأهلِ عشرين عاماً بلا صلَةٍ ولا وصالِ وذلك سنة

سنة ١٨٦٨

وافثُ تيمسُ بقدها المتدللِ ورختُ صفائرَ فرعها المتسلسلِ
 كشفتُ نقاباً كان يسترُ وجهها الغائي فلاحَ الصبحُ فيهِ ينجلي
 وأرتُ قواماً كالنخيلِ مخضراً وسبتُ بهِ قلباً يهيمُ ويصطلي
 ألتُ إليَّ تحيةً فأجبتها أهلاً وسهلاً بالحبيبِ الأوّلِ
 وضممتها بجوارحي ولثمتها فثملتُ من صهباءِ شعرٍ مثلِ
 والطرفُ طافَ بمشعرٍ من حسنها والقلبُ حجَّ إلى الجمالِ المجتلي
 أنسى الجمالَ اليوسفيَّ جمالها جلّ الذي خَلقَ الجمالَ الميكي
 رشقتُ بسهمٍ من لواحقِ جفنها فأصابَ من قلبي محلّ المقلِ
 لما استهلّت قوسَ مفرقِ فرعها قلتُ استدِرْ بدرِ الدياحيِ وأكملِ
 لو جمعَ الناسَ الجمالَ بصورةٍ لحوتُ بحاسنِ شبيها التجميلِ
 بالذّةِ الدنيا ونزهةً مهجتي يامتني أربي وعيشي الأرعلي

ياربة الحسن التي ملكت على
 هل اشرفت شمس الضحى ام انت يا
 هل حبُّ مزنِ ام ثنابك التي
 هل غرَّ في الافق الهلال مقوساً
 هل ضاع عطرُ من (عروس) في الوري
 هل اشرق الفجر الصبوح تبليجاً
 هل غنت الاطييار في الاغصان ام
 أبروجُ عاجِ ام نهودِ كواعبِ
 أبروقِ ماطرةٍ تألق نورها
 أشقائى النعمان تزهرو في الربى
 هل وردةٌ بالارجوان قد اکتست
 سهلٌ سهيلٌ في البروج تجلياً
 من ذا الذي جسّ المثاني؟ قينةٌ؟
 انقامها قد شنت سمع الملا

عيدٌ جديدٌ يومَ عودِ عوادها

عود الصفاء بعودها لم يبطل

يوم اللقا عندي السنين دقيقة

ودقيقة المجران حول ممثلي

لما ثنت قلت حسن قوامها

اغصان بانٍ او رماح الجحفل

وتبرجت سحرًا فأنجبت الشمو
 س تليجًا ورنت بطرفِ الكحل
 فاحت روائحُ عطرها من فرعها
 ساحت مسائحُ شعرها المسترسل
 حمل النسيم اليّ من نفحاتها
 ربا الكبا ممزوجة بقرنفل
 ونسمت ارواحنا باربيجه
 وتنفس الصعداء صدر المتبلي
 ان راح رَوْحٌ من خلال خبائها
 طفت مصاف الطير تصدح من عل
 وبمنحة الرسم الجميل تكرمت
 بل كملت قلبي بمنحة مرسل
 فتت كلومًا قد تولى رثتها
 عنق الزمان ورمقت عيش الولي
 شطنت جفاء في بواطن ارضها
 فطننت مواطن هندها التمول
 قرّت بقرّة عين من يقري القرى
 ووجلّت لمن حلت لديه بمنزل
 حامت جوارحُ حول حورٍ نحورها
 هلمت جوائح بالعيون النجل

فعيونها إتحكي الغزال تلفتاً
 وجفونها ترمي السهام بكلكل
 وبأفقها الداني اهتدى بدر الدجى
 من فرقا الغاني اغتنى الفجر الجلي
 ولقد جفا جفني الرقاد صبابةً
 أمٍ لطرفٍ بالكرى لم يكحل
 اسفي على عمرٍ مضى في غربه
 صبري انفضى دهري قضى بحمل
 هل في ثرى تلك المتأوي ثروةً
 ترثي رثيث رثائتي وثكلي
 ان كان نهر (الكنج) يروي غلةً
 فيه اکتني عني وما شئت افعلي
 بالله ردي سيف لحظك ليس من
 شيم المروة قتل صب اعزل
 حسبي بقاؤك في ديار سعادة
 وأرى محاسن جسمك التجمل
 رسمٌ اذا في الليل لاح سناؤه
 قلت استر بدر الدجى ثم ارحل
 لما وعت حلو العتاب تحققت
 شوقي الى سكان ذاك المنزل

قالت اراك متبياً يرعى الهوى
 فلما قعدت عن الديار بمعزل
 قلت الزمان اعاقني عن وصلكم
 حسن اصطباري في الهوى لم يجمل
 بيني وبينك للبحور تعرض
 يبلي بليل الين قلبي المثلبي



وقلت ارشد الشبان الى وسائل الزواج في محافل الرقص باوروبا وذلك
 في السادس من ايار لعام ١٨٨٦

جمالٌ ومالٌ في عروبٍ رشيقه
 نصيبُ الفتى ان كان يتقن مهنتي
 تعلم فنوني ان هويت غزالة
 غزالُ الحى صيدُ الرجالِ بحرفة
 شباكُ الطيِّ قولٌ رقيقٌ مصنعٌ
 ولطفٌ حديثٌ في مديحٍ بكثرة

تحبُّ انغواني ان تصادَ موعداً
فكأثر مواعيداً وزدها بمحةٍ
وان كنتَ تهوى ظيئةَ ذاتِ عفةٍ
تخضع لذيها في احتشامٍ وهيبةٍ
وحيٍّ مجاها بلطفٍ تحيةٍ
وجارٍ رضاها في اعتناءٍ وخفةٍ

وربَّ فتاةٍ تبغي منك منحةً
فبادر الى ما تبغيه بسرعةٍ
وربَّ مهاةٍ تستعينُ بمكرها
على سبر أفكار الفتى بدسيةٍ
ثقولُ بكيدٍ : ما ارقَ شمائلًا
فتاةٌ ثنتُ كأنفصون الرشيقه
فاياك والتليحَ او مدحَ قدما
فالك تسي في دمارِ بنيةٍ
تدكُ بناءً قد عنيتَ برفعه
وتنقضُ عهداً كان أسَّ المودعة
تحاشَ مديماً أو كلاماً بينها
ولا تمدحنُ أثى لها بيزيةٍ

بل اهج فتاة ثم بالغ بصيها
 وموة كلاماً بافعالٍ وحيلةٍ
 وليس من الآدابِ عصيانُ عادةٍ
 فذاك لديها شرُّ ذنبٍ أوجحةٍ
 بل اسمع حديثاً ثم لبّ كلامها
 بصدقٍ وتحقيقٍ ولطفٍ وهيبةٍ
 فلو انها قالت رأيت حمارنا
 يطيرُ ويرقى في السحاب كريشةٍ
 فطأطئ وقاراً ثم قل بتأدبٍ
 يقيناً لقد طار الحمارُ عزيزي
 حين ترى منك التأدبَ عنوةً
 تزيدك حبا من فؤادٍ ومهجةٍ

وان خطرَت يوماً تيمس تباهياً
 وقالت دلالاً : هل تُسرُّ بجلتي
 فبادر الى مدح الرداءِ وقل لها :
 لاجلُ ثوبٍ قد توشى بآبره
 لمن حسنِ خديكِ استعارَ جمالهُ
 وفي قدك المياسِ زادَ بقيمةٍ

ولكن اذا قالت : كساها بضمها
 لسمك نسيج او كثافة برودة
 فتعني بان القبط آت فتشهي
 سواه من القز الرفيع بنجبة
 تلق معانيها بجندق وسرعة
 ولح اليها بابتدار المدية
 غداة تهاديا رداء منقأ
 يليق بقدر مثل بان ونخلة
 وعدد لما ما شئت من كل حلة
 وصف كل صنف من مصوغ وحلية

ورب فتاة تبغي الرقص تارة
 فجار رضاها واصطحبها لحفلة
 فقد يعقد الاملون في الحي حفلة
 تدور رحي رقص بها طول ليلة
 وتهوى المذارى والكواكب جملة
 مختصرة الشبان في كل لذة
 فيرقصن في شوق بدون تحجب
 بمحض رجال وانتقال بدورة

تعلم من الرقصِ الاديبِ فنونه

وثابر عليه باجتهادٍ وكثرة

ولما ترى قد قام كلُّ لخله
وسلم على خير الغواني مطاطناً
فان كان لم يسبقك غيرُ مكلفِ
وفي وقت رقصِ دُرِّها ثم سلها
وضمَّ نخيل الحصر في كل دورةٍ
وقل : ما لذَّ العيشُ معكِ كزوجةٍ
عسى ان يكون اليوم بدءُ سعادةٍ
فان قدرَ المولى وصرت خطيبها
وفي آخر الرقص اسقها راح خمرةٍ
وحين تزيجُ الثوبَ عنها تخففاً
وطوراً تدلُّ ثم تشكو نغماً
بمروحةٍ رَوْحٍ فواداً ونشفاً

تخمسُ قفازاً واستعدَّ لرقصةٍ
وكلف اليها الرقص في كل حشمةٍ
بلفت مراماً من فتاةٍ رشيقه
بلطف حديثٍ في احتشامٍ وحرمةٍ
وطبقُ على الانتقام تنقيلَ خطوةٍ
فتلك مدى الاعمار احسن عيشةٍ
لنقضي كلانا خير عمرٍ بنبطةٍ
تمتع بما قد نلت من خير زوجةٍ
فذاك لديها من أشدِّ اللذةِ
تسلم رداءً من يديها بسرعةٍ
من الحرا او من فرط رقصٍ وزحمةٍ
جييناً بمنديل حوى عطر مسكةٍ

وعند ختام الرقص هي وشاحها
وبعد ثلاث زُرِّ حماها بضمه
ولكن توقَّ المنكرات ولا تجز
يباح رقيق القول في الرقص تارة

وودَّع بلطفٍ من سبتك برقصه
من الزهر في شوقٍ وكل مودةٍ
حدود اجتسام في سلوكٍ وعشرةٍ
دليلاً على صدق الوداد ونيةٍ

فما الرقص عند القوم الا وسيلة
ولا تشغلن عقلاً ووقناً مندداً
فما الغيد إلا من سلالة آدم
ومن رام بنتاً لا تعابُ بخلّة
وانت الذي في الغيد تطلب عصمة
كمالٌ بحصر القول في نوع آدم
فان سرت سيرى واقبلت نصيحتي
لفتح سبيل الحب او عقد زيجة
بنقص تراه في فتاة اديبة
ورثت عيوب الامهات بجنة
قضى العمر في وهم محال وخيبة
فهل نلت حظاً من كمال بمصمة
محالٌ فلا تبغ المحال بحسرة
ظفرت بوصل من عروب رشيفة

﴿ نورٌ وهدي ﴾

اقترح عليّ الايات الآتية سيوفي افندي في قريته «نور» وابته
«هدى» وذلك بالاستانة العلية عام ١٨٨٩

نورٌ تجلي في الظلام وميضه
كالسيف لما النمد عنه يُنزع
بدرٌ سنيّ من منازل حسنه
لاحت «هدى» وبها الضلالة تقشع
فعلى «هدى» ذات الجمال تحية
ما دام «نورٌ» في البرية يسطمع

﴿ قوسنا الحاجيين ﴾

قلت الايات الآتية في حاجي فتاة ايطالية رأيتها بمدينة رومية
وذلك في شهر نيسان لعام ١٨٧٩

هلالٌ تجلي جنح ليلٍ بفرقها فبارى قسيّ الحاجيين تزججا
وانجم لحظيها بفلك جفونها تحيل ظلام الليل صبحاً تبليجا



﴿ العاج والآلي ﴾

ارتجلتُ الايات الآتية وانا راكب قطار السكة الحديدية تحت اقبية
لندرة مع مهاة انكليزية . وذلك في ٢٢ تشرين الاول لعام ١٨٨٥

عذراء قد صبغَ الحياء خدودها

وعيونها النجلى تفازل مهجتي

رمانتانِ بصدرها وبمجيدها

عاجٌ وفيّ فيها الآلي صفتِ

عينان قال الله كونا كانتا

نجمين ضاءا في مجرة جبهة

﴿ زيارة مشتاق ﴾

قلتُ الايات الاتية في صليقة زارتنى وذلك سنة ١٨٦٤

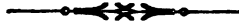
وافت الى دارى مهاةً فى الضحى وبدت كشمس ابهرت نور البصر
 سطعت اشعةً حسنها وكالمها اذا سمرت عن وجهها ذاك الاغر
 عبت من الثغر الاغر روائح كالمسك من ردن الغزال اذا انتشر
 من فرقها هلّ الهلال منوراً والبدر فى وجه الحبيب قد ابتدر

وقلتُ فى فناةٍ يقال لها هند سنة ١٨٦٩

هل نور شمسٍ قد تبدى فى السجر
 ام وجه هند فى الليالى كالقمر ؟
 هل وجهها الباهى خفت بنقابها
 ام بدر تمّ فى الغمام قد استتر ؟
 هل نور برقٍ لاح فوراً فى الدجى
 ام فجر صجرٍ من محياها انفجر ؟
 حمل الهواء الى حماي عبيرها
 لما سرى سحرًا شذاها وانتشر ؟

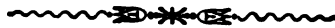
* الحُب *

مهةٌ حبوبُ الدرِّ تفتشُ جبينها
 حياةٌ اذا ثغرٌ وخذتْ تلامسا
 وما اجملُ الثغرُ اللذيذُ رضابه
 اذا الدرُّ والمرجانُ فيه تنافسا
 غرامٌ فؤادي في هواها مقرٌّ
 وقلبي سواها ما احبٌ وانسا



* المياسة *

مهةٌ بصحنِ الدارِ ماستِ بقامةٍ
 رمتني بسهمٍ من جفونِ مريضةٍ
 حكمتها فتاةٌ في اعتدالِ مكلٍ
 اصابت بنصلِ اللحظِ اعشارِ كلكلي
 اذا افترتْ ثغرٌ بابتسامِ حسبتهُ
 ضياءٌ تجلّى من نجومِ بهوجلِ
 جمالِ الهيا زينتُهُ فتوةُ
 ودلُّ تبدّى في غرامِ محللِ



﴿ الشباك ﴾

وقلتُ في عروس شعري « هلدا » اول يومِ رأيتها

لقد نصبتُ في الحب « هلدا » شباكها
 وصادتُ فؤاداً بالفرام يُعذبُ
 فكيف يطيقُ القلبُ منها تلمصاً
 وقد صيدَ في الاشباكِ والظبيُّ يلعبُ
 فلا الظبيُّ ذو قلبٍ رقيقٍ ورحمةٍ
 ولا القلبُ يسلو حُب « هلدا » فيهربُ

﴿ الزيارة ﴾

وقلتُ في فتاة ايطالية اتت الى زيارتي من رومية وذلك

سنة ١٨٦٧

مهةً انتني في دلالٍ من الغربِ
 عليها وشاحٌ من نسيمِ بني العربِ
 رشيقهٌ قدِ قدِ ضناني دلالها
 اسيلةٌ خدِ بالهوى احقرت قلبي

تجلت بوجهٍ مثل بدرٍ مَكلٍ
 تلاًّ عن بُعدٍ كما ضاء عن قربٍ
 ازاحت نقاباً كان يغشى جبينها
 فلاح هلالُ الحاجبين بلا حجبٍ
 تجلى هلالُ العيدِ في فرق فرعها
 فقامت له الاعياد في الشرق والغربِ
 على رأسها تاجُ الجمالِ مزينٌ
 بأسود شعرٍ قد ترامى على الكعبِ
 لها مقلةٌ تصمي الفؤاد بلحظها
 وطرفٌ كحيلٌ قد تجمل بالمدبِ
 نفوق من قوسِ الحواجب اسماً
 وترمي نبال اللحظ في حومة الحربِ
 وتجرى رحيقاً من دنانِ شفاها
 فيسكر صبٍ مستهامٌ بلا شربِ



﴿ التهنئة ﴾

وقلتُ في عيد مولد الفتاة « سيبلا ديوزي » وذلك بلندرة في ٢٠
تموز لعام ١٨٨٨

متى هلَّ « سيبلاً » الملال عشيّة
ذُكرت هلال الحاجين بمجبة
متى النجم والبدر التام تجلياً
تذُكرت نوراً في المحاظِ ووجنة
نشأت كفننٍ لاعتبهُ يد الصبا
فزادَ غرامي في هواكِ بنسبة
إذا عادَ عيدٌ كل عامٍ بمولدٍ
اعاد على قلبي كمال السرّة
اعادَ عليكِ الله موسم بهجة
الوفاء من الاعوام في كل غبطة

باب المقطعات

موتني كارلو

القصة : « موتني كارلو » اسم بلدة صغيرة الى جوار « فلورنسة » في الجهة الشمالية من ايطاليا . وقد اشتهرت على صغرها بلعب « القمار » الذميم الذي هو اشتهر الملائب في الدنيا . ولهذا امير مستقل بنفسه لا وارد له سوى ما يأخذه كل سنة من شركة لعب القمار في نظير اجرة « الكازينو » . والكازينو عبارة عن بناء عظيم يحنوي على اماكن كثيرة منها مكان معد للعب القمار ويسى باسم « رُولت » . ومنها ما كان معداً للراحة والرياضة واللهو . وفيه حديقة عظيمة في اجمل بقعة . ويقصد هذا المثل من اقطار الدنيا كثير من الاغنياء السفهاء المقامرین . فمنهم من يخرج من قاعة « الرولت » مسروراً بما يربحه من النقود . ومنهم من يخرج مأبوساً ومكروباً من جراء ما فقده من الاموال الكثيرة . ومنهم من ينخر بعد خروجه من حجرة اللعب . ومنهم من يضيع كل رأس ماله في لعب القمار حتى لا يبقى معه ما يقوم بنفقة رجوعه الى

بلاده . فتضطر شركة القمار إلى اعطائه نفقة سفره لتبعده عن مركز اللعب وتخلص من شر انتحاره

فاذا دخل الانسان الى حجرة « الرولت » رأى فيها رجالاً ونساءً وبنات من اهل النعمة واليسار تخالطهم نساءً وبنات من الطبقات السفلى في التربية وفساد الاخلاق . ويرى على وجوه كل هؤلاء المقامرین والمقامرات سمات مختلفة وكلها تدل على اضطراب وانزعاج البال والوسواس واليأس والقنوط وقل من يكون بين هؤلاء المقامرین والمقامرات مسروراً او ساكن البال . فكان المكان جهنم واصحاب شركة القمار ابالسة وشياطين والمقامرين والمقامرات هم المحكوم عليهم وعليهن بالعبذاب المؤبد . فسجان من ازال عن اعين اصفياه برقع الغيب واراهم بمشهد « موتي كارلو » منظر جهنم الحمراء لينقوا عذابها في الدارين

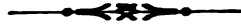
وقد اصدر مدير هذه الشركة الخبيثة بياناً بحساب نفقاته سنة ١٩٠٠ ليليلاد فكان منها ٢٠٠٠٠٠٠ ليرة انكليزية حصة حاكم البلدة . ومائة الف ليرة انكليزية اجرة مستخدمي الملعب وعددهم ١٦٠٠ مستخدم . وثمانون الف ليرة انكليزية أنفقت على مسرح التمثيل والموسيقى التي تعزف كل يوم صباحاً ومساءً في حديقة الملعب . وثلاثون الف ليرة انكليزية دُفعت الى اصحاب الجرائد ليسكتوا عن تبغيض الناس في المقامرة ١٥٠ الف ليرة انكليزية صرفت في سبيل الاحسان لبعض الاماكن الدينية (تكفيراً عن آثام اللعب) . وثلاثة آلاف ليرة أنفقت على تسفير المقامرين الذين فقدوا كل اموالهم في لعب القمار

ولما كان منظر المقامر ين على اختلاف احواله مما يقضي بالعجب
والاسف انشدت فيهم الايات الآتية :

﴿ النظم ﴾

الى اللعب والافلاس يسعى المقامرُ
وي ردهِ المال المذخرُ حاضرُ
يبارحُ حانوتاً ويهملُ ربحهُ
ويغرمُ باللعب المحرمُ خاسرُ
يفادرُ صبياناً تعيش بذلةِ
ويتلفُ اموالاً شقيُّ مقامرُ
وزوجته تطويء الليالي حزينةً
وقد ضاع منها عقدها والاساورُ
نقول لهُ قد مزقَ الجوع قلبنا
وانت تضيع المال والجوع كافرُ
تراهُ قد استولت عليه همومه
وزادت عليه في القمار الخسائرُ
ويتنفُ عشوناً ويقضمُ شارباً
ومن فقده الدينار هاجت خواطرُ
فقد كان قبل اليوم اكبر تاجرٍ
تحوط به الاشراف ثم الاكابرُ

فقد بات هذا اليوم في انقصر ونبلا
ينوح وبكي والدموع زواخر



« قلت في مولد طفل »

لن الحشا لبس اليها تجملا
طفلٌ يعبُ بالجمال تجملا
ولدت نجيباً اخت شمس في انحى
فنظرت بدرًا بالنجوم مكللا
وتبسم الشرق الاغرُّ لوجهه
وانترب قام مرثماً ومهلا



« قلت »

ولما جفوني شقها النور اولا
بكيك وغيري حول مهدي يضحك
وان عشت بالافضال ارحل ضاحكاً
وغيري بكاءً حول نعشي يهلك

* الربيع *

لما الطبيعة في الربيع تنبت
من رقدةٍ كان الشتاء غطاؤها
شقت جيوب قميصها وتبرجت
وبدت محاسنها وجلّ بهاؤها
وبجسنا الباهي اجثلت سحرًا لنا
ازهار حسنٍ يستطاب زكاؤها

* الاغترار *

ماذا يفيدك ان رأيت جميلةً
مزدانةً باساورٍ وفلائدٍ؟
تفتّرُ بالحسن البديع وتشتبه
من كان حقًا اصل كل شذائِدِ

﴿ تهنئة بوسام افتخار مرصع ﴾

وذلك بالاستانة في ٦ ايلول سنة ١٨٩٥

ها سيفك المهبودُ جاء مهتاً بوسام نخرٍ بالفضائلِ رصعا
سيفُ جلا الرحمنِ جوهر نصله بدم الذين لسانهم قد قطعاً

﴿ النشوة ﴾

سكرتُ وعقلي غاب عنه بريقهُ ودنُّ مدامي مقلتاهُ وريقهُ
سقاني براحٍ باللاي متوجٍ وما الراح الا ثغرهُ وعقيقهُ
سباني بطرفٍ رحى فيه اسيرهُ ودمع عيوني من جفاهُ طليقهُ

﴿ تقریظ ﴾

لرواية الذمام والذمية

انتني مهاةً في وشاح روايةٍ نبيه دلالاً دون كبرٍ ولا عجبٍ
نقصٌ من الاخبار ما ينفع الورى فوائد نصحٍ تستفاد من الغربِ

تلوم لثاماً قد تناهوا بغدرهم كذا الدهر لا يخلو من الغدر والثلبِ
 « امين » اتى في صدقه خير حجةٍ وراح شهيد الصدق يُدفن في الترابِ
 ونال مجازاة اللّثيم « غنيمة » وتمّ عقاب النذل بالشنق والصلبِ
 فلا تأتمنّ نغلاً دخيلاً ولو وفى فلا خير في من ليس يا تيك من صلبِ

﴿ تقرّظ ﴾

آخر لرواية « خريدة النصائح »

زفت الى عقل الانام خريده
 جاءت بعقد روايةٍ تُتضدُ
 بهرت محاسنها العقول فبادرت
 اهل النهى ورَدَ المعارف تُقصدُ
 فيها من الآداب ما يجدي الورى
 نفعاً جزيلاً فضله لا يجحدُ
 نثرٌ يفوح المسك من فقراته
 والشعر منسجم القوايف ينشدُ
 شعرٌ ارقٌ من النسيم اذا سرى
 قد قام ينشده اديبٌ اوحدُ

« وقت في خمر معتقة ١٩ عاماً و ٩ اشهر »

طرفتُ فتاةً ذات تسعٍ وعشرةٍ وحبلٍ بشهرٍ تاسعٍ غير كاملٍ
سكرتُ بها تسعاً وعشرة ليلةً وهل يتلى في شربها غير عاقلٍ؟

﴿ السحر ﴾

السحرُ وهمٌ والمشعبذُ كاذبٌ ومنجمٌ يرعى البروج لهاذرُ
ومن ادعى بالسحر شرٌّ منافقٍ وعن التلاعب بالطبيعة قاصرُ

« وفيه »

زعمَ المنجمُ والمشعبذُ جملةً ان الطبيعة تحت امر كليهما
كذباً على اهل العباوة ظاهراً واخو النباهة لا يبيل اليهما
لم يشترك ابليس في زعميهما

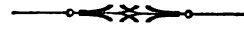
ومن السما سخط الاله عليها

« ٥٥ »

﴿ الجوهر والعرض ﴾

كتبت هذين البيتين على شبه صورتي وبعثتها الى صديق
وذلك سنة ١٨٦٨

رسمي بدا فوق الصحائف مثلما ال اعراض من فوق الجواهر تظهر
شهدت لكم اعراض شبيهي في الوري اني على الحب القديم مصور



﴿ الضيف المتطفل ﴾

قلت هذين البيتين وانا بلندرة يوم رأيت اول شعرة بيضاء بمفرقي
وذلك في ٢٧ تموز لعام ١٨٨٦

ضيف اقام بمفرقي متطفلاً لا مرحبا في من اتى جنح الدحي
ينبي بان العمر زال شبابه اسفي عليه عوده لا يرتجي



﴿ التمني المحال ﴾

فيا ليت شمس العمر دام شروقها
ودامت ليالي الوصل تجمع شملنا

أَخْلَايَ هَلْ هَذَا الْفِرَاقُ مُؤَبَّدٌ

أَمْ الدَّهْرُ بَعْدَ الْبَيْنِ يَقْضِي بَوصلنا



﴿ الْغَرِيمِ ﴾

فَوَّادِي غَرِيمِي فِي غَرَامِ غَزَالَةٍ

أَرَاهَا بَعِينِي لَا تَرَقُّ لِحَالَتِي

يَذُوبُ فَوَّادِي فِي هَوَاهَا صَبَابَةً

وَيَجْرُ دَمْعِي لَا يَبْرُدُ غَلْتِي



﴿ ابْنَةُ الْكُرْمَةِ ﴾

وَابْنَةُ كُرْمٍ ذَقْنَهَا ذَاتَ لَيْلَةٍ

فَبِتُّ وَبَاتُ فِي خِلَالِ جَوَانِحِي

وَلَمَّا رَشَفَتِ الرِّيقَ مِنْهَا بِلِشْمَةٍ

سَكَّرَتْ بُخْمَهُ خَمْرَتُهُ جَوَارِحِي



﴿ الربيع والشتاء ﴾

اراهنا بعينٍ لا تكفُّ دموعها
 وتنظر وجددي بازدراءٍ ووفرةٍ
 نقول : ألا عنك الغواية تنجلي
 فاين ربيعٌ من شتاءٍ بلمةٍ؟
 أمن عادةٍ تحشو بقطنٍ شفاها
 وتبدل ثلجاً باخضرارٍ ومنةٍ؟



﴿ الخاتمة ﴾

ذيلت بالآيات الآتية كتاب القواعد العثمانية الذي ترجمته من اللغة
 التركية الى اللغة العربية ورتبته على طرز السؤال والجواب
 وذلك ببيروت سنة ١٨٦٢

نفسى ضناها سعيها لجهادها والعين ذاب سوادها لسهادها
 حالت عليّ من السنين ثلاثةً بتامها وانا اسيرُ جهادها
 يا قارئاً هذا الكتاب معرباً اذكر بناتاً في تراب فسادهها

يفنى المؤلفُ والمترجمُ في الثرى وتدوم اوراق الفتى بسوادها

﴿ فصاحة الصمت ﴾

لساني سكوتٌ في الشدائد انما
فؤادي دواماً بالتحسر ناطقٌ
فكم صامتٌ يبدي الفصاحة صمته
وكم كاذبٌ قولاً وبالفعل صادقٌ

﴿ فصاحة الدمع ﴾

فصاحةٌ مرءٌ في انطلاق لسانه
ودمع فتاة الحيّ افصح منطقٍ
يثيرُ خطيبٌ باللسان هواجساً
وتسطو بهاةٌ بالدموع على التقي

﴿ الدمع والتبسم ﴾

ولما افاض الغيمُ دمعَ جفونه تبسم ثغرُ الورد فيه تشفيا

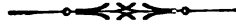
ونصَّ خزامِ الروضِ نحرًا تعجبًا
 وزهرُ الربى بالدرِّ رُصعَ صافيا
 وهزَّ سرورُه غصنِ بانٍ تدللاً
 وغنى على العيدان طيرٌ قوافيا



﴿ الدمع والدرُّ ﴾

(بنابولي سنة ١٨٨٥)

عجبتُ لدرِّ فوقِ وردٍ منضدٍ وعهدي بدرٍ يستفاد من البحر
 سألتُ حبوباً قد تلاً نورها أدراً ارى ام حبُّ مزنٍ على زهرِ
 فقالت: فتاةُ الحيِّ ناحتُ عشيةً واجرتُ دموعاً لا تُمازُ من الدرِّ



﴿ النصحُ ﴾

« بلندرة في ١٦ آب عام ١٨٨٦ »

لا تشغلنْ منك الفؤادِ بغادةٍ يأتي مواردها سواك ليرشفا
 ان مسَّ كفُّ وردةٍ في غصنها ذَلَّبتُ وزال الحسنُ عنها وانتفى

﴿ دواء العفة ﴾

« قلتُ ذلك بلندرة في ١٧ كانون الاول ١٨٨٧ »

واصحاب شهواتٍ وحسنٍ وثروةٍ كاغنام جزارٍ تساقُ الى الذبحِ -
يسوقُ الغنى حتى التقيَّ الى الخنى وينجو فقيرٌ من فجورٍ ومن فضحِ -
ولستُ ارى في الفضل حقاً كفايةً فكم فاضلٍ يكبو مساءً وفي الصبحِ -
وفي كل عمري ما رأيتُ لعفةٍ دواءً سوى الافلاس والضعف والقبحِ -

﴿ الدمع والجر ﴾

قلت هذين البيتين بلندرة سنة ٢٨٨٩

سألتُ دموعي وهي تجري زواخراً
غرقتُ كفي هذا الصيب الى متى؟
فقلن: لقد اضحى فؤادك جمرَةً
وجمرُ الغضا بالدمع يطفأُ يا فتى

﴿ السحاب ﴾

وذلك بلندرة في ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٨٨٧

سحابٌ من الاجبار يملئ زقهُ ويروي ظمأ الارض والورد يشربُ
وترفل في ثوب الدلال تجترأُ قدود غصونٍ فوقها الطيرُ يخطبُ
وينعش فح الزهر قلباً ومهجةً وخمس حواس الجسم في الروض تطربُ

﴿ العبرة والزفرة ﴾

ولي عبرةٌ مهراقةٌ لو اطعتها
لصارت بجاراً اغرقت كل سمةٍ
ولي زفرةٌ حراءٌ لو فشت وطبها
لذابت بها الاكباد وجداً بجرقةٍ

﴿ الغيث ﴾

لما بكت عين السحاب تبسمتُ
افواه زهرٍ والرياحُ تصفقُ
والطيرُ غردَ في الارائك مطرباً والماءُ من فرط المسرةِ يدفقُ

* شكوى *

الوذُ بقومٍ يجهلون مكاتي
وقدري لديهم مثل قدر البعوضة
ومن سوء حظي قد ولدت ببلدة
بها التبر تربُّ والرصاصُ كفضة

* التسليم *

« انشدت هذين البيتين في ٢٠ اذار لعام ١٨٨٧ للميلاد »

سمعنا فطعنا ثم بنا فبلغوا سلاحي حبيباً مستكناً بمهجتي
وقولوا له : اني مقيمٌ على الوفا وودّي وثيقٌ في يساري وشدة

* الشكران *

قلت الابيات الآتية شكراً على دعوة الى وليمة بالاستانة العلية
وذلك في ٢٣ نيسان لعام ١٨٩٠

اتينا فذقنا من لذيذ طعامكم شبننا وقلنا بارك الله فيكم

طعامٌ طهأهٌ خير طاهٍ بجميكم عسى انه للدهرِ يؤكلُ معكمُ

﴿ الاستنكاف ﴾

وقلت استنكافاً من اهل الكذب والغش وذلك بالاستانة
سنة ١٨٩٥

ارى اهل هذي الارض طرز بهائم.
وما همهم الا طعامٌ ومشربٌ
وشأن كبيرٍ او صغيرٍ مكائدٌ
وقد ساقهم للكذب والغش مكسبٌ

﴿ الكذب ﴾

من الناس من يخشى الحقيقة عمره ولا يخشي من قبح قولٍ منورٍ
فعندي ابليسٌ وكل جنوده اقل شروراً من كذوبٍ ومفتري

﴿ تأثير الغيث بالزهور ﴾

« قلت الايات الآتية بلندرة وذلك سنة ١٨٨٧ »

سحابٌ من الاجارِ يملئ زفهٌ ويروي ظمأ الارض والوردُ يشربُ

وتزفل في ثوبِ الدلالِ تبخترًا
 قدودُ غصونٍ فوقها الطيرُ يخطبُ
 وينعشُ نغمُ الزهرِ قلبًا ومهجةً
 وخمس حواسِ الجسمِ في الروضِ تطربُ

﴿ الحجرة ﴾

وقلتُ إذمُ الحجرة في ١٠ من شهر ايلول لعام ١٨٨٦ وذلك بمدينة نابولي
 من اعمال ايطاليا

تمدح اصحاب المدام بكاسها وبالغ قوم في صفات سقاتها
 فما الراح إلا روح سم وجنة فمن رام حنفاً او جنوناً لياتها

﴿ الزيارة ﴾

مررتُ بدار الخلل ابني اعتماره وجدتُ حبيبي غائباً فعدرتُهُ
 فلما درى ما حلَّ بي لبعاده اتاني سريعاً زائراً فشكرتهُ

﴿ الحاكم الظالم ﴾

إذا وُلِّيَ الاحكامَ قاضٍ مزورٍ دفنا حقوق الناس في القبر للحشر

فيجلس اذ ذاك الاله محامداً ويبعث مدفوناً ويأمرُ بالنشرِ



« وقلتُ في زفافِ صديق لي ببيروت وذلك سنة ١٨٧١ »

ابشرُ بعرسٍ قد سبأكَ جمالها
 بعد الجفا حطتُ لديك رحالها
 هي وردة الحسن التي قد فتحتُ
 لئلا تجلي للانام جمالها
 بشراك فالتاريخ حاز شهادةً
 في ليلة الاكيل غرَّ هلالها



وقلت في ابنة السيدة «أرنلد» زوجة امير اللواء سير «ارنلد كبل»

الانكليزي وذلك بلندرة سنة ١٨٧٩

ولد الكمالُ مع الجمالُ جميلةً
 يا حسننا من فتنةٍ في مهدها
 ومن الحشا اكتست المحاسن طفلةً
 يوماً سنسبى العاشقين بقدها
 نبث كوردٍ في حديقة «كبل»
 يا حسن لونٍ اصله من خدها

وقلت في زفاف صديق وأنا في « هوتغ كوتغ » من مملكة الصين
وذلك سنة ١٨٧٤

انعم بعرسٍ واغتنم عيش الهنا	قد نلت يا مولاي غايات المنى
زارت حماك شقيقة الشمس التي	من وجهها بدر الدجى نال السنا
قسماً بذاك الحسن والوجه الذي	فاق البدر تجملاً وتحسناً
قد طاب عيشك في جنان جمالها	اذ عقد الرمان والغصن انحنى



« ذيل واستدراك (١) »

﴿ اوهام الملل في ظهور ﴾

نجم بذب

ان اوهام الناس في تأثير النجوم من ذوات الاذئاب في احوال الناس لكثيرة وقديمة معاً . فالبشر في كلا حالي الوحشية والمدنية قد زعموا ان ظهور نجم بذب في السماء دليل على حدوث مصيبة ينكب بها اما عموم الناس واما روساؤهم او ملوكهم او كبرائهم . فكان الصينيون وقوم الاسكسيموس المتوحشون الساكنون في القطب الشمالي والكافرس المتوحشون من سكان افريقيا الجنوبية وسكان جزر البحر المحيط يعتقدون

(١) لقد وقع في اثناء طبع هذا الكتاب بعض سهو من جامعي حروفه فاهملوا وضع عنوان « باب الغزل » في موضعه ولذلك راينا التنبيه اليه والاشارة الى مكانه وهو بيندي* من عند « القصيدة القطارية » ثم انه قد سعي ايضاً في باب الافانين وضع هذه المقالة وهي في « اوهام الملل » فراينا ان نجعلها في هذا الباب كما لحق لما اتفقى من باب الافانين ثم انه قد حدث ايضاً بعض السهو في وضع شيء من قصائد الغزل في باب الافانين فلم ينتبه اليه الا بعد طبع قسم كبير من الديوان ولذلك راينا الاشارة اليه وان يكن لا يحل بجمهر الديوان ولا يفوت ذهن القارىء اللبيب

شراً في ظهور هذه النجوم كما كان يعتقد اهل اوروبا واسيا وفريقية
التمدنون . وليث هذا الوم مستويآ على عقول الجهلاء ولعلاء والشعراء
وعلاء الهية والفلاسة واللاهوتين معآ ايس فقط الى عصر المنم « كوبرنيك »
الطيب وانس والفلكي بل الى عصرنا ايضآ رغبآ عن كونه يحسب من
اكبر اعصار العلوم والمدنية . فكان كوبرنيك اول من قلب النظام الفلكي
القديم المعروف بنظام بطليموس وجعل الشمس مركزآ لكرتنا الارضية
ولبقية الكواكب السيارة . واول من انكر تأثير النجم ذي الذنب في احوال
الناس . واثبت رآيه تيغو براخي الفلكي اللانيركي المشهور . واسحق نيوتون
الفلكي الانكليزي المشهور كان اول من علم علماء الهية طريقة حساب
السنين التي فيها يتكرر ظهور النجوم من ذوات الاذئاب

وذكر ارسطوطاليس قصة نجم بذب ظهر في السماء ريثما هو كان
صبياً في بلدة « ستاجيرة » وذلك منذ اثنين وعشرين قرناً وقال ان ذلك
النجم التي رعبآ شديداً في قلوب الاهالي . لانه عند ظهوره في عرض
السماء بذيل ناري منحن انحناه السيف حدثت زلزلة هائلة وسببت طفيان
مياه البحر على الارض واغرقت مدينتين من مدن « آخينة »

ودام هذا الخوف من ظهور النجوم المذكورة يلقى الناس الى يومنا
هذا . والباعث على هذا الخوف تصادف وقوع البلايا والمصائب على
الارض وقت ظهور هذه النجوم . ولم يقتصر جهلاء الناس على جعل هذه
النجوم مصادر البلايا والشور كالحروب والطاعون والتحط الى غير ذلك
من المصائب العامة بل نسبوا اليها اموراً غريبة كثيرة ايضآ . فزعم اهل

رومية ان نجماً بذب انبأ بموت الملك قسطنطين الكبير . وقيل : لما ولد نابوليون بوناپرت بجزيرة كورسيكا ظهر في السماء نجم عظيم بذب طويل . وعلى هذا النمط لبث الناس كباراً وصغاراً تارةً يتطيرون واخرى يتشاءمون من ظهور هذه النجوم وينسبون اليها حوادث غريبة ومصائب عظيمة . فكانوا اذا رأوا ذنبها المنير منحياً انحاء السيف زعموا انها منذرةً بحروب هائلة . وان رأوه في شكل مكنسة زعموا ان ذلك دليل على طاعون عام يكس الناس الى القبور

فقد احصى علماء الهيئة نحو خمسمائة نجم من النجوم ذوات الاذئاب ظهرت في السماء وشوهدت برأى العين وذلك منذ بدء التاريخ المسيحي الى الآن . فيكون معدل ذلك نجماً في نحو كل اربع سنين . فاذا قابلنا هذا العدد من النجوم مع المصائب العامة والحوادث الغريبة التي طرأت على الكون واثرت في الخلق سهل علينا ادراك ما ينسبه عموم الناس من الخصائص والشور الى هذه النجوم

ومن الغرائب ان النجم الذي ظهر سنة ١٨٨٢ كان نفس النجم الذي ظهر سنة ١٨٤٣ وكان ذيله المنير في شكل سيف مرهف كأنه ملاك في السماء حامل سيفاً يتهدد الناس بالحرب . ومن غرائب الصدف ايضاً حدوث الحرب بمصر بين الانكليز والمصريين اثناء ظهور ذلك النجم سنة ١٨٨٢ . وكنت وقتئذٍ قد رجعت من مصر الى لندرة

وقد لهج بمثل هذه الحوادث كثيرون من الشعراء . من جملتهم شكسبير الشاعر الانكليزي المشهور الذي قال في وصفه مقتل يوليوس

قيصر ملك الروم :

When beggars die, there are no comets seen,

The heavens themselves blaze forth the death of princes.

« يموت الفقير وليس في السماء من علامة . واذا مات الامير
استنارت السماء بنجم ذي ذيل منير » .

اما بلوترخوس فكان من الذين لا يعتقدون شرًا في ظهور النجوم
المذيلة ولذلك قال اني لا اشاهد اتصالاً معنوياً او مادياً بين قتل يوليوس
قيصر وظهور النجم المذيل في عرض السماوات او دخول الطيور ليلاً الى
دار « الفوروم » دار الحكم او استماع اصوات غريبة منتشرة في جهات
مختلفة كما زعم الناس . ولذلك قام مع الفيلسوف سينكا واتندا بالامبراطور
فسبسيان وعلموا الناس ان يطرحوا عنهم خزعبلات الجهلاء الذين يتوهمون
ان ظهور النجوم المذيلة دليل على قرب حدوث البلايا في العالم او على
انقلاب في الدول وهم جراً

ومن اغرب الغرائب ان يعلم هذان الفيلسوفان الوثنيان في تلك
الاعصار المظلمة علومًا صحيحة في شأن النجوم المذيلة وملتون الشاعر
الانكليزي المسيحي يعلم في عصر المدنية ان النجوم المذيلة دلالة على حدوث
الحرب والطاعون . فقد قال في ديوانه المسمى « بالفردوس المفقود » في
وصف ابليس :

Satan stood

Unterrified, and like a comet burned

That fires the lengte of Ophiuchus hugh

In the arctic sky, and from his horrid hair

Shakes pestilence and war.

ومعناه نثرًا :

قام ابليس غير مذعورٍ كأنه نجمٌ ذو ذنبٍ ينير الجوف الفسيح في
القطب الشمالي وينثر من شعر ذيله الهائل حرباً وطاعوناً
وقال المعلم هولم الانكليزي حينما وصف انقلاب هيئة الحكم بانكازاً :
ان نجماً من ذوات الاذنان في عرض السماء رسولٌ منذرٌ بغرائب الامور
واثبت المعلم هالي *Halley* الفلكي الانكليزي الشهير بحساب مضبوط
ان النجم العظيم الذي ظهر سنة ١٨٦٠ للميلاد كان عين النجم الذي ظهر
يوم قتل يوليوس قيصر ملك الروم وان ظهوره ثانية في عهد دولة
« استوارت » *Stuart dynasty* باسكوسية كان نذيراً لها من لدن الله
لتصلح سيرتها وتعديل في الرعية . وقال المؤرخ « جون افلين »
Gohn Evelyn في وصف النجم المذكور : على اي شيء يدل هذا
النجم ؟ لا يعلم ذلك احد الا الله وحده . ولكن اذكر اني رأيت ظهور
نجم مثل هذا سنة ١٦٤٠ وذلك في اثناء محاكمة الارل استرافورد الكبير
The great Earl Strafford قبل حدوث الانقلاب السياسي العظيم في

انكثرا . سألت الله تعالى ان يردها عنا غضبه . وقد ظهر في السماء نجوم عديدة من ذوات الاذئاب وربما كان ظهورها من جملة الامور الطبيعية غير اني لا استطيع ان اغض النظر عنها بالكفاية من كونها علامات سماوية يتغذها الله انذاراً للناس . انتهى

اما النجم الذي ظهر سنة ١٦٨٢ للميلاد فهو النجم المنسوب الى المعلم هالي المشار اليه لجهة كونه اثبت بمسبب دقيق ان ذلك النجم قد ظهر مرات عديدة في مدة ٧٥ سنة . وانه سوف يظهر كذلك سنة ١٩١١ للميلاد . وانه عين النجم الذي ظهر سنة ١٤٥٦ للميلاد وفي اثناء ظهوره سقطت دولة الروم في الشرق وقامت مقامها دولة الاتراك وشمل اهل اوروبا خوف عظيم منها حتى امر البابا كلستوس ان يضيف النصرى الى الصلاة التي يقيمونها وقت شروق الشمس والظهر وذياب الشمس المعروفة « بلاك الرب بشر مريم العذراء فجلت من الروح القدس » هذا الدعاء ايضاً : « اللهم نجنا من سطوة الاتراك ومن النجم ذي الذنب »

وهذا كان الباعث على اعتقاد الناس ان البابا المشار اليه قد اصدر منشوراً في حق النجوم من ذوات الاذئاب . وربما اغترّب بهذا احد العلماء اللاهوتيين الذي ذهب الى ان النجوم من ذوات الاذئاب كتل قد تجمعت من خطايا الناس ثم ارتفعت الى الجو وراها الله تعالى واحرقها بنار غضبه . وعندما تناثر رمادها على الارض جلب الحروب والطاعون والمجاعة وغيرها من المصائب على البشر الائمة . وذهب الى هذا المذهب المعلم رايبليس

وزعم المعلم « بنتغرول » *Pantagruel* ان بعضاً من البشر الذين يعيشون على الارض عيشةً صالحةً ويصنعون خيراً مع الناس يجلي الله نفوسهم اجلالاً عظيماً حتى انه يندر الناس بجلول اجلهم قبل وقوعه بمدة والوسائط التي يتخذها لذلك الانذار هي النجوم من ذوات الاذنان . فكأنها صواريخ تشعلها الملائك في السماوات ابتهاجاً وترحاً بدخول تلك النفوس الشريفة الى جنة الخلد . فسبحان من خلق العقول وجعلها تنقلب في الآراء والمذاهب وترجم بالغيب احكامه الغامضة .
ولما ظهر اخيراً نجم من هذه النجوم في الترانسفال وتشاء منه اهلهما واستدلوا من ظهوره على دوام الحرب نظمت في ذلك الايات الآتية :

« النظم »

المرء من جهله بالوهم مشتغل
والوهم يخلق ما الافهام تنكره
من جهله زعم الاملاك ناطقة
من برجها بالبلى تنبي وتندره
ان لاح في الجو من نجم ومن شهب
اذنابها حية تسمى فتدعره
ان شاهدت عينه ذيل النجوم على
شكل الحسام اهل القلب منظره

وان رأوا ذيله في شكل مكنسة
 قالوا هواء يسم الكون اصفره
 وان رأوا انهما مثل السهام بدت
 قالوا بها قد كبا كسرى وقيصره
 واستثنأ الناس من حرب ومن قن
 نقضي على ملك قد باد عسكره
 والروم قد سقطت في الشرق دولتهم
 لمابدا النجم في الافاق احمره
 والغرب مع جيشه الجرار منذر
 من حملة من جنود الترك تكسره
 لم ينحصر جهلهم في اعصر غبرت
 بل ساد عصرنا في العلم انوره
 كل امرء جاهل في قلبه وجل
 من مدينة من ملاك الموت تنحره
 هذي الخرافات قد اصبحت برمة بها
 بوأسا على عالم في الجهل اكثره



✽ الاسفار ✽

خرجتُ من لندرا اريد باريس وركبت قطار السكة الحديدية
وانا بلا جليس ولا انيس فخطر لبالي الفرق الكائن بين اسفار العرب
وما هي عليه من الاتعاب وانكرب وبين اسفار الغربيين وما هي عليه
من رغدٍ حالٍ مبين فقلت في ذلك هذه الايات في الرابع عشر من
شهر نيسان سنة ١٨٨٩

لاسفار اهل البيدِ ظعنٌ وهودجٌ ونوقٌ عليها العربُ تغزو وتسرحُ
ونحن قد اعتضنا عن الكل في السرى بفلكٍ كحوت البحر تجري وتسبحُ
وفي البر سرنا في قطارٍ يجرهُ بخارٌ يحاكيه العقاب المجنحُ
يقينا شتاءً قرص بردٍ وثلجهُ وفي القيطِ في ظلٍ نبتٌ ونصبحُ

✽ الماطلة ✽

هذا اول شعر قلته بالاستانة العلية في من كان يماطلني بوعوده
وذلك عام ١٨٩٠

ان كنت للاقوالِ فعلاً فكن
مرّة حزوماً في الوعود مدققا

ان قال صبغاً او مساءً او ضحياً
يعطيك اعطاك المراد محققاً
اما الماثل فاجتنبهُ لانهُ
نذلٌ يحاول بالكلام تملقاً

﴿ الخُل الحَمِيم ﴾

اخلايَ ان جار الزمان عليكُم
فلا تقنطوا روجي ومالي لكم فدا
جمعتُ حطاماً كي اعيش بنعمةٍ
وأُسعدَ خلاً في الوفاء تفرّدا
اذا المال لم ينفق على خير خلةٍ
فلا خير فيهٍ للاحبة والعدى
اذا مال مالي واعترتني خصاصةً
فحسب عيبي ان تراكم على المدى
اذا زاد عقلُ المرء فوق حطامه
كفاهُ نعيمٌ لن يزول ويُفقد

« قال شاعرٌ في العيش »

انما العيش خمسة فاغتمها واستمعها نصيحة من صديق
من سلافٍ وعبيدٍ وشبابٍ وزمان الربيع والمعشوقِ

« فقلتُ رداً عليه »

عرفتُ لذيد العيش في خمسة وما لديّ من اللذاتِ شيءٌ مرافقي
سلافي دموعي والشباب قد انقضى وكيسي خال والحبيب مفارقي

﴿ نذرٌ ﴾

متى زال هي ثم جفت مدامي وصرتُ الى عيشٍ رغيدٍ بتعجيلِ
نذرتُ على نفسي الصيام ثلاثة ورفع دعائي للكريم بتعجيلِ
« ولكن »

لا ينفعُ المرءُ الصيام ولو طوى
من عمره ستين عاماً جائماً
ان صام عن اكل اللحوم ولم يصم
عن فعل فجع للفضيلة ماناً
اضحى الصيام مدناً بقبائحِ
وقضى زماناً بالذائل ضائماً

﴿ الاخلاء ﴾

دخلتُ عليَّ ليلة عيد الميلاد . وانا بالصين غريب البلاد . بعيدُ
عن اخوان الصفاء والوداد . ففضيت ليلتي في نشيد وانشاد . وقلتُ
وذلك سنة ١٨٧٣ للميلاد

وعيدِ 'يسرُ' العالمون بعوده
فضيتُ ليلته وحيداً بغربة
خلوتُ الى داري اروضُ قريحتي
وافرجُ عنى بالنشائد كرتي

﴿ الذبول ﴾

وقلتُ اصف سرعة ذبول وردة الحسن في النساء وانا في مدينة (طوكايو)
عاصمة بلاد اليابان وذلك سنة ١٨٧٣

كالزهر تزهو ثم تذبلُ عادةً ودوامها كالزهر يومٌ واحدُ
كم ظبية في الصبح ساد جمالها اهل الهوى والقلبُ فيها واجدُ
ما غاب نور الشمس حتى عابها عجزُ وفيها كل قلبٍ زاهدُ

﴿ التسلية ﴾

اسرَّحُ طرفي في الغواني تسلياً
 كأنني اراعي في المجرَّة انجما
 اذا مرَّ بي من قد هويتُ جمالهُ
 بششتُ له ان مال نحوي وسلما
 وبيننا انا اراعي الكواكب في الدجي
 رأيتُ شبيهاً للحيبة في السما
 اذا غابَ بدرٌ قام بدري مقامه
 ودارت به الهلات دوراً متمما



﴿ الرفقة ﴾

وقلتُ اصفُ فتاة جرمانية رافقتني في مركبٍ من جزيرة الامراء
 الى الاستانة وذلك في ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٨٩٢

تبدت لعيني في كمال وحشة	مهة من الجرمان يوماً رأيتها
يصبُّ بها القلب الرقيق بنظرة	جفون لها قد كسرتها صباة
لحاظ لها زرق كصبوغ نيلة	اذا بصرت بالبحر نالت زرافة
فلاحت ملاكاً في شعار صبية	حظيت بها من غير وعد ومنة
تجلى ضياء الفجر من افق جهة	على وجه بدرٍ بالملاحه مكتس
تردَّت بثوب من خياء وعفة	كحور جنان في احوار وحشة

باب التوبة والنجوى

والقصائد الالهية



﴿ ملاحظة ﴾

ان الشعر المنظوم في التوبة والنجوى والغزل والرتاء يكون دائماً موصول ما تشعر به الطبيعة . وهو الشعر الحقيقي الطبيعي الذي ينشده القلب فينظمه العقل بالسابقة الطبيعية دون تكلف وفرط اعناء . اما الكلام المنظوم في المديح والوصف فلا يُطلق عليه اسم الشعر بحصر القول لانه ليس من أصول شعائر القاب ولا مدخل للاحساس والشعور الطبيعي فيه . يتصوره العقل فقط ثم ينظمه في ابجر وقوافٍ . فهو في عين الحقيقة نظم مكلف وفي الغلب مأجور . فجدير به ان يسمى « نظماً » لا شعراً . وقد كان هذا النوع من النظم سلعةً يتاجر بها بعضٌ من اتحلوا اسم « شاعر »

اما من اقتصر على التلاعب في الكلام وانتقاء الالفاظ والجل وافنان التشابيه وحسن الاساليب في الغزل والرتاء والتوبة والنجوى فكان ممن تكلف التغزل والرتاء من دون ان يشعر قلبه بذرة من الاحساس بما انشد ونظم .

وأكثر المراثي والمدائح التي ينظمها بعض الشعراء مراعاة لاصواب المال
والمقام أو الملوك والأمراء هي قصائد مقصودة منهم لغايات مالية أو عالمية
وكلها خالية من الشعائر القلبية

﴿ الرويا ﴾

ترأى لي في النوم نذير • يقرع سمعي بكلام جهير • ويقول :
ألا اتبه ايها الغافل • واستوعب النصح يا عاقل • انت الذي في الزمان
رقيت اعالي المنابر • ودعوت الخلق الي الفلاح • وحرصتهم على عمل
الصلاح • انت الذي ولجت المضائق • وفتحت المغالق • واذبت الجوامد
وامعت الجلامد • وركبت القوارب والغوارب • وطفت المشارق
والمغارب • واقلمت سفنك في البحار • وقطعت المفاوز والقفار •
والفت شراف المحافل • وصرت في مقدمة الجحافل • الى متى الى
متى • تطوي صيفاً وشتاً • وانت ترفل في شعار الخلاعة • وتقرى
الخلق بالفضاعة ؟ أما ترى قد استشن منك الاديم • وتأود عودك القويم
واقمر رأسك شيباً • وانت لا تهاب عيباً ؟ دع عنك خلاعات النشيد
وما حواه من بحر طويل او مديد • وانذب زماناً سلف • سودت فيه
الصحف • والبس جلايب الخشوع • واسكب شآبيب الدموع •

قبل حلول الاجل . في تاجيل او عجل
فايقظني ذلك النذير الرسول . ونقرع صوته الذي يهول . وفي تجاوير
سمعي يجول . وجعلت اقول . بقلب مذلول . في ارتعاش وذهول :

« الزجر »

اتاني نذيرٌ من الهبِ محذرٌ
يقول: لك الولاياتُ حتى مَ نهذرُ؟
قضيتَ شباباً بالتغزلِ والغوى
وقد زالَ ذاك العهدُ والعمرُ مدبرُ
اضعتَ زماناً كان اثنَ درةٍ
وهمتَ بحسناهُ ورأسك مقمرُ
فهل عادةٌ تحشو بقطنٍ شفاها
وترضى بكهلٍ او عجوزٍ فتخسرُ؟
فقلت له: مهلاً نذيري وزاجري
فانَّ اعتذاري عند ربي اشهرُ
فمثلي كهلٌ لا يهيمُ بغادةٍ
ويصرفُ فيها العمرَ لهواً ويشعرُ
فمندي قريضٌ مثل لهوٍ وخرقةٍ
متى ضاق صدري بالنشائد اسكرُ

فيا عاذلي اكف ملامي فاني

هويت قريضاً لا ظباً انت اخبر

فاطرق النذير . في انكسار وتكدير . واستعاذ بالتكفير . وقال

دون تقصير . لقد اجمت حتى النذير . بكلام يسير . لله درك .

ولا سدّ ثغرك



﴿ الانذار ﴾

لما فرغت ذات ليلة من تلاوة الايات . واداء فروض الصلوات .

رقدت ففرقت في بحر السبات . واستولت عليّ اصغاث احلام كثيرات

فتراءى لي ذلك النذير . وطفق يهزني في السرير . ويقول . بصوت

يهول : استيقظ من المنام . يا حليف الاوهام . فوثبت على الاقدام .

وقلت له : ما وراءك يا عصام ؟ هات ما عندك من الكلام . فقال :

اتيتك بالانذار . لتزهد في تليفق الاشعار . قبل يوم الرحيل . حيث

لا ينفعك بكاء وعويل . والسلام . ختام . فصحوت مذعوراً من

الرقاد . واخذت انظم الانشاد :

﴿ النظم ﴾

اتاني بمجنح الليل طيفٌ محذّرٌ

يقول : دنا يوم الرحيل أتذكر؟

كفالك تضيعُ الوقت في البطل يا فتى
 تزوّد بفضلٍ قبل انك تُتمشُرُ
 لديه تعالى لا تفيد قصائدُ
 ولا الشعر يفدي مذنباً يوم ينشُرُ
 فقصرتُ عن ردّ الجواب وقد بدا
 بوجهي اصفرار الخوف والقلب يُذعرُ
 وقتُ وقد مست فؤادي ندامة
 على خير عمرٍ بالنشائد يُخسرُ
 ورحتُ الى ديوان شعري مبادراً
 لاحراقه بالنار والوجه اصفرُ
 فقال نذيري : لا تمزق نشائداً
 بل اندم عليها فالندامة تسبُرُ
 وما قلت في عهد الشباب وبعدهُ
 جديرٌ بان يبقَى وربك يغفرُ
 فقلت له : بشري لقلبي فانني
 اتوبُ الى ربي وربّي اكبرُ
 فنثري ونظمي بعد هذا مقدّسُ
 أسبجُ فيه لطف ربي واشكرُ



﴿ الحجة الدامغة ﴾

ثم انشدت النذير ما يتلو من الايات . وقلت له : اعلم يا مصلح
الغايات . ان الغواني اللاتي تنزلتُ بهنَّ . والجواري اللاتي جاء في
القصائد ذكرهنَّ . ما هنَّ الا عرائس شعر . اتخذهنَّ الوهمُ نموذجاً
للفكر . كما اتخذ المصورُ الجمالَ . مثلاً لما يروم رسمه في غاية الكمال .
فهاك الحجة الدامغة . بصدقها لامعة . واقصر الكلام . والسلام ختام

« النظم »

يبني بنظم الشعرِ كلُّ مقرّظٍ
فخراً وذكرًا في القصائدِ يخلدُ
ظبيُّ مهابةً في القريضِ وسيلةً
يختارها لما يقومُ فينشدُ
ان المصورُ حين يرسم صورةً
يبقى الجمالُ نموذجاً لا ينقدُ
ان الغرامُ مع الجمالِ وفنه
لمصورٍ ولشاعرٍ هي مسندُ
دعدُ سعادتهُ ثمَّ هندُ عزّةِ
كنموذجٍ في نظمِ شعرٍ نقصدُ

« غيره »

سعادٌ ودعدٌ ثم هندٌ وعزةٌ عرائسُ شعر في القصائدُ تقصدُ
وما خطاً في لوحٍ شبيهةً خليقةً رفائيلُ الا والنموذجُ يتصدُّ

﴿ ختام السنة ﴾

وقلت في ختام عام ١٨٨٧ وانا في « ليزربول » من بلاد الانكليز وذلك
نصف الليل

حياتي سحاب مرّ اكثرها سدى
كذاك سيمضي ما تبقى بخيبة
قضيت نصيباً من حياتي بغبطة
وشطراً مضى في كل ضيقٍ ومحنة
إلهي إلهي يا وليّ سعادتي
اليك اتوبُ عن ذنوبٍ كثيرة
انا جيك ربي طول يومي وليّتي
بشكرٍ وحمدٍ من فؤادي ومعجتي

﴿ ضلال الدنيا ﴾

وانشئت في ذلك في غرة عام ١٨٨٨

ومند على الدنيا فتمت بصيرتي رابت ضلالاً في ضلال نعيميا
 فغنُّ وتعطي ثم ترفع جاهلاً وتشقي اديباً كان يوماً حميها

﴿ التدقيق ﴾

يعيرني خلي باني مدقُّ ولا يدركُ الخل الحميمُ مقاصدي
 تولفُ من فلسٍ وفلسٍ دراهمُ ومن يهملِ الفلسِ الحقيقِ يُجاهدِ
 اذا بذخَ الانسان في المال ما اغنى وتوفيرُ مالٍ كان حلوَ المواردِ
 اخوك اذا جارَ الزمانُ مهاجرُ ولكن حطامِ المرءِ خير مساعدِ
 فدقق وبالغ في الحساب ولا تخفُ من الدهر جوراً او ملامة حاسدِ

﴿ باطلة الاباطيل ﴾

قلت هذه الايات يوم نهبت اللصوص امتعة منزلي بلندرة

وذلك في الخامس من شهر حزيران لعام ١٨٨٥

اني امرؤٌ يعبد الحياة قصيرةً

ويرى النعيمَ من الحال بدهره

العمر ظلُّ والحلود ضلالة
والمرءُ شاةٌ والنصالُ بخره
يشقى الطموحُ ولا ينالُ سلامةً
ومن اكتفى نال المنى من عمره

* جنةُ الهيام *

عشت باذني واستعمت بخاطري
ولما رأَت عيني زهدت باجمعي
فجبيَ اوهامٌ وعشقيَ 'جنة'
جنوني لعمرى كان معلول مسمعي

« غيره »

لظمت خدوداً بالدموع نقرّحتُ
ونمتُ على نفسٍ بذنبٍ تجرّحتُ
فلو كان دمعي يفسل الذنب والخطأ
افضتُ بجوراً من دماء تطفحت

الله

﴿ جلّ جلاله وعمّ نواله ﴾

(هو الواحد الموجود الواجب الوجود)

Ille tulit Praemium qui misquit utile dulci (1)

بيننا انا اتمشى ليلاً في شارع من شوارع لندن يقال له « استراند » (Strand) وذلك في الثالث من شهر شباط لعام ١٨٩٠ طرفني فكر في اصل خالقة الكون وخالقه العظيم . ومدبره الحكيم . وصرت اهدس في مذاهب الفلاسفة الاقدمين والمحدثين وفي ما توهمته في هذا الشأن طائفة من الفلاسفة الدهريين والماديين . وكان هذا الفكر قد طرفني مراراً عديدة وانا اتمشى وحدي ليلاً . وهدست به طويلاً . ولا سيما اني اطلت الفكرة فيه ذات ليلة مغمرة . وانا اتمشى في شارع آخر من شوارع لندن يقال له « فولهام رود » (Fulham road) ولما قفنا راجعاً الى الدار . اثبت تلك الافكار . واذ كنت وقتئذ افكر باللغة الانكليزية

(١) قال هوراس الشاعر اللاتيني المشهور النواضع اصول العروض للشعر اللاتيني قولاً جديراً بان يكتب بمجول الذهب . وينصب امام عيون الكتاب من اهل الادب :

« مَنْ فَرَنَ الْقَوْلَ الْمَقِيدَ بِالْعَذِيبِ رُزِقَ السَّعَادَةَ فِي مَا كَتَبَ »

كتبت هذه الملاحظات بهذه اللغة في سفر عمالي اليومية . ثم ترجمتها
الى العربية . وجعلتها دباجة لقصيدتي الالهية

زاحمتني الافكار . في شارع كثير الانوار . وانا اسير الهويتنا ليلاً
بلا سمير . واتفرس في وجه البدر المنير . الناشر نوره الساطع في فلك
الاثير . والمكل بالملابن من الدراري المتلائية . والسائر في الآفاق
العالية . حتى يظنه الناظر اليه كأنه الجمال المسفور . مع عالم مهجور
مع انه كان ولن يزال البدر الذي يتغزل به الشعراء . وتثوق جميع
الامم الى مشاهدة طلعه الغراء . فلما اطلت النظر اليه . وقد خطف
نوره بصر عيني طرفني فكر اصله ومصدر خالقه وخلقه ما حوله من
الملابن من الكواكب المتلائية . التي هي عوالم عظيمة مثل كرتنا
الارضية . فجعلني ذلك غريباً في بحار الافكار . انقلب بين الحقائق
والاسرار . فقلت لنفسي في جدٍ واستفهام . وعناء واهتمام : أفهل ووجد
هذا العالم العجيب من تلقاء نفسه كما يزعم معاصر الماديين والدهريين .
ام ابدعته قوة حكيمه واجبة الوجود « هي علة العلل » ؟ فلبثت اهدس
في ذلك بين متردد وقانع . كأنني انتظر من عقلي رد الجواب القاطع
بدليل ساطع . ولكن كلما طال انتظاري . اشتد الامر تعقيداً على
افكاري . فصرت حينئذٍ اردد في فكري الآراء المختلفة . التي ذهبت
اليها الفلاسفة في الاعصار القديمة والحديثة . من عهد فلاسفة اليونان .

« كهرافليط » و « ديموقراط » وغيرها من الدهريين الى عصر الفلاسفة الالمانيين في هذا الزمان مثل « مولسشوط » (Moleschott) و بوخنر (Büchner) وغيرها من طائفة الماديين . فكان ديموقراط يقول : ان الساعي في طلب الحقيقة لا يدركها حتى يفتق عينيه ويتخلص من المناظر المادية التي تلهي عقله عن التأمل في حقائق الامور
 اما انا فخالف ديموقراط في ما ادعاه واعتصمت بالقاعدة الاساسية في المواد الفلسفية الآتية :

بسلم معرفة الخلائق * نرتقي الى معرفة الحقائق

وقلت لنفسي : ان الفيلسوف الحقيقي الساعي في طاب الحقائق لا يدركها حتى ينظر اليها بعينه ويشغل فيها حواسه الخارجة والباطنة ويتفرغ الى امتحان المواد وحاسها . وتسهيل الاجسام الجامدة وتركيبها ومقابلة بعضها ببعض والوقوف على القوى والنواميس العامة التي تُسّاس بها
 وسنن الحكمة اني نتدبر بها جميع الكائنات

فلما قرّرت قراري على هذه القاعدة . قلت : يتصور عموم الناس مع محمد ابي عبدالله الكرامي صاحب الفرقة الثالثة المسماة « بالجمعة » ومع اصحاب الفرق الاسلامية الخارجية المسماة بالبنوية والعبدية والاسحاقية والدوشية والهيمضية والواحدية (١) ان الله جل جلاله ذو جسم ويجلس

(١) جاء في تاريخ اسماعيل شاهنشاه وفي كتاب « المل والنحل » للشهرستاني ما حرفيته :

قال النبي : ستفرق ابي على ثلاث وبعين فرقة الناجية منها واحدة والباقون هلكي قيل ومن الناجية ؟ قال : اهل السنة والجماعة

على عرش عظيم في القبة الزرقاء او في الفلك الاطلس او في فلك الاثير
 او في مكان يسمونه بالجنة او الفردوس . وقال لفيب الانبياء : ان الله
 يجلس على عرش من نور وحوله جيوش من الارواح توصف بالملائكة
 الكارويم والساروفيم ولكل منهم ستة اجنحة يسترون وجوههم بمناحين
 ويسترون اجسامهم بمناحين ويتطاير احدهم نحو الآخر بمناحين وهم
 يسبحون الله اثناء الليل واطراف النهار بالتسابيح والتهاليل . واذا افنكر
 الناس بالله وارادوا مناجاته رفعوا عيونهم وايديهم الى القبة الزرقاء كأنه
 تعالى جالس فوق رؤوسهم . ولا حرج عليهم في ذلك . لان الانبياء
 والاولياء عليهم اشرف السلام كانوا قد صوروا الله تعالى لعموم الناس على
 الصفة المذكورة . ولا شك في ان هذه تصاوير مأنوسة تقرب من
 ادراك العقل البشري اكثر من غيرها . ومن المعلوم ايضاً ان كلاً من
 الانبياء والاولياء كان حكيماً وكلم عموم الناس على قدر تفهيمهم في
 زمانهم . وعموم الناس ليسوا بفلاسفة . اما الفيلسوف الحقيقي المدقق في
 احوال هذا الكون بعين الانتقاد والاستدلال وقيام البرهان يرى تصور
 الله جل جلاله على الصفة المذكورة لا ينطبق على القياس الفلسفي . لان
 الله تعالى في عرف الفلاسفة المدققين واللاهوتيين الحقيقيين
 « موجود غير متناهي الوجود وكيان غير محدود »

ومن كان غير محدود بجوهره لا يسهه مكان محدود مثل العرش والجنة
 وهم جراً بل هو مالي الكون كله والكون كله فيه . وكما قال الفيلسوف
 الكبير بولس السليج الحواري :

« في الله نوجد وفيه نحى وفيه نحرك »

ولذلك قلت في قصيدتي الالهية الايات الآتية :

إلهٌ بلا بدءٍ وحدٍ وحيزٍ
 بهِ البدءُ منذُ البدءِ كانَ ممثلاً
 إلهٌ بلا عرشٍ يُجدُّ كيانهُ
 إلهٌ وحيدٌ لا شريكَ لهُ ولا

ولن المعلوم ان اصحاب الاديان على اختلاف مذاهبهم لا يحتاجون الى ادلة فلسفية حتى يسلموا بوجود اله هو علة كل العلل ونقطة مركز كل الاديان . وانما قد افرزنا هذه النبذة واثبتناها في هذا الباب اقتناعاً لبعض من شبان هذا العصر الذين يطالعون شيئاً زهيداً من كتب بعض من الفلاسفة الماديين ويستقون من مواردها آراء مغلوطة فيضلون بها ويزعمون ان كمال المدنية ونهاية الظرف ومحمد المعارف قائم في جحود وجود الله جل جلاله . ولا شك في ان هؤلاء الشباب هم من زمرة الذين قال فيهم الفيلسوف باكون آفيرولام الانكليزي هذا القول المصيب :

« ان الذين يرشفون ماء الفلسفة باطراف شفاهم يتعدون بها عن معرفة الله . والذين يتشربون حقائقها بلاء افواههم ينقربون بها الى معرفة الله . ولذلك نقول :

ان وجود واجب الوجود وعلة كل العلل حقيقة من الحقائق الاساسية التي لا يتصل الفيلسوف الحقيقي الى ادراكها والتسليم بها عن اقتناع علي

ألا بدرسه احوال ما يراه في الارض والسموات وما بينها من الخلائق
ولا ننكر ايضاً ان العقل البشري مها افرغ من الجهد الجهميد لا
يستطيع ادراك الله ادراكاً تاماً . لان العقل البشري « جزء » من
المخلوقات . والله هو « الكل » وهو مبدع المخلوقات كلها « والجزء »
لا يسع « الكل » هذا بصرف النظر عن باقي الملاحظات . وقد قال في
هذا المعنى المعلم « غوث » (Goethe) « ان الانسان لا يستطيع ادراك
جوهر الله ادراكاً تاماً ولو وصفه بتسعة وتسعين اسماً من الاسماء الحسنى
ولكنه يستطيع ان يعرف شيئاً يستدل منه على حقيقة وجود هذا الاله
الواجب الوجود »

اما الفلاسفة الماديون الذين يقولون : « لا يليق بالانسان العاقل ان
يسلم بوجود ما لا يدركه » فهم في ضلال ميين . لان العقل البشري رغماً
عما يدعيه من المعارف المتفتنة ما اتصل بمدى ادراك حقيقة « النور »
وجوهره . ولا الى معرفة « الحياة » وكنها . ومع هذا كله فالنور
والحياة من الاشياء الموجودة . فبناءً على ذلك لا يابق بالانسان العاقل
ان ينكر وجود كل ما لا يدركه . لان جهله حقيقة الاشياء لا يكون
دليلاً قاطعاً على عدم وجودها . ولذلك قال سليمان الحكيم قال « الجاهل »
في قلبه : « ليس اله » . ولم يقل : قال « الحكيم » ليس اله . وذلك
لعله ان الحكيم لا ينكر كل ما لا يدركه

لا ريب في ان وجود علة اولى لجميع المعلولات هي حقيقة من
الحقائق التي لا يسلم بها العقل على البديهة بمجرد استماعه اياها . بل هي

من الحقائق الاستقرائية التي يستنتجها العقل من حقائق اخرى تقع تحت ادراك الحواس

اما الفلاسفة الماديون الذين يجحدون وجود الله فيزعمون ان ادلتهم على ذلك مسنودة الى حقائق طبيعية ولكنهم لا يستطيعون اثبات ادعائهم بادلة قاطعة ومن اراد الوقوف على اقوالهم المتضاربة عليه بمطالعة ما جمعه البارون « هولباخ » *Holbach, Système de la nature* الجرمانى في كتابٍ وسمه باسم « نظام الطبيعة »

ومن جملة اقوال الدهريين الذين يجحدون وجود الله قولهم :
« اذا افترضنا وجود الله مدبر حكيم اقضى ان يكون هذا المدبر الحكيم خارجاً عن هذا العالم »

فهذا لا شك فيه قولٌ اوهى من نسيج خيط العنكبوت لان تصور إلهٍ خارجاً عن العالم كحضور ملكٍ خارجاً عن ملكه واذا سلنا بهذا الافتراض اقضى لنا ان نسألهم : اين هي حدود هذا الكون حتى نتصور وجود هذا الاله والمدبر الحكيم خارجاً عنها ؟ وهل يستطيعون ان يضعوا حداً لهذا الكون الفسيع ؟ فهل يريدون بقولهم ان العالم كله مادة والله موجود خارجاً عن هذه المادة ؟ فان كان ذلك كذلك فليقولوا لنا : ما هي هذه المادة وما هو كونها وكيف يكون هذا الاله الحكيم خارجاً عنها ؟ هذه الاسئلة قد اُختمت ولكن ان سلنا بقولهم : ان المادة هي عبارة عن مجموع ذرات لا تُحصى ولا تُتحد امتنع ان يكون هذا المدبر الحكيم خارجاً عن مجموع ذرات لا تُحصى ولا تُتحد بل اقضى ان يكون فيها وتكون فيه وهو

يحفظها ويدبرها ويسوسها بالشرائع التي وضعها لها وهو روح هذا الكون والقوة التي تحركه وحكمه فيه حكم الروح في الجسد وهو في كنه المادة والمادة فيه كالاسفنج في البحر ومن المعلوم ان الاسفنج يكون في الماء والماء فيه وفوقه وتحتة وحوله والحويونات التي فيه تحبى وتتحرك في خلال ثقوبه

اما الفيلسوف المادي « مولشوط » الالماني فيعترض على ذلك بقوله :
 « ان القوة التي تدبر المادة ليست (باله) وانها ليست ممتازة عن جوهر المادة نفسها بل هي خاصة ملازمة لها ومولودة معها منذ الازل » وقد بني على هذا الاساس الفاسد القياس الآتي فقال : ان القوة المحركة ملازمة للمادة دائماً والحال ما كان ملازماً للمادة بلا انفصال لا يكون ممتازاً عنها فاذا القوة المحركة هي من خصائص المادة وليست بشيء ممتاز عنها يدبرها بمقام اله . وفسر ذلك بقوله : مثلاً ان عنصر « الازوت » و « الكربون » و « الاكسجين » (مولد الجوضة) و « المدروجين (مولد الماء) والكبريت والفسفور وهم جراً هي عناصر قائمة بذاتها ولها خاصيات ملازمة لها منذ الازل . واذا كانت جميع الاجسام مكونة ومركبة من هذه العناصر كان هذا الكون كله تحت تدبير تلك الخاصيات فقط وليس تحت تدبير اله . ممتاز عنها وبناءً على ذلك ان الانسان يسعى في اصلاح نفسه وترقي نوعه بطريقة معقولة صادرة عن مركب حمض الفم وروح النشادر والماء وبقية

المحاضات « الهُومِيَّة » وبواسطتها بكل عمله السامي في هذا الكون «
وقال دهري آخر في مقالة نشرها في مجلة طبية : ان الفكر البشري
ناتج عن الفسفور . وما نسميه بالفضيلة والشجاعة والاخلاص وهلم جراً ناتج
عن الكهربية »

الجواب على ذلك ان مسرودات هؤلاء الفلاسفة الماديين لا اساس
لها لانها مبنية على اقاويل غير مسنودة الى براهين قاطعة بل هي منقوضة
بنفس القاعدة الاساسية التي ينون عليها بناء تعاليم المغلوطة فمن اشهر
قواعدهم المسطرة باحرف ذهبية على رايتهم « الدهرية » قولهم :
* كل قول لا تثبت حقيقته بادلة قاطعة مردود *)

وديدبان الفلاسفة الدهريين المار ذكره يعترض على اصحاب التوحيد
باقاويل يعجز عن اثباتها بادلة قاطعة ومن القواعد المقررة عند الحكماء ان
العاقل لا ينكر وجود ما يجمله لان الجهل ليس يبرهان قاطع

واين هؤلاء الفلاسفة الماديين من الفلاسفة الحقيقيين مثل اسحق
نيوتن الانكليزي والمعلم كبلز الفايكي المشهور وغيرها من الحكماء المدققين ؟
فان هؤلاء الرياضيين كانوا اذا اوردوا حقيقة من الحقائق المثبتة بارقام
صريحة قالوا لارباب العلم : اتنا نعرض هذه المسألة عليكم لتتروا في
امرها ولم يتجاسروا كالفلاسفة الماديين على القول بقول جازم : « اعلموا
ايها الناس ان فكر الانسان صادر عن الفوسفور » او « ان القوة من خصائص
المادة وهي ملازمة لها منذ الازل » وهلم جراً وكل ذلك بدون دليل عقلي
او مادي وقوم من الفلاسفة الماديين يكتبون بقولهم : ان « العلم » ينكر

المسألة الفلانية او ان « العلم » يوجب هذا او ان « العلم » لا يعلم بهذه القضية وما اشبه ذلك مع انهم لو ادركوا كنه « العلم » حقيقة لعرفوا ان « العلم » لا ينكر شيئاً ولا 'يوجب شيئاً ولا ينهى عن شيء ولا يسلم بشيء بل شأنه ان يفحص الامور ويدقق فيها ويمتحنها ويبرهن عنها ليدركها ويقنع العقول بحقيقتها

ولما قال الفيلسوف « اورستد » *Orsted* « ان هذا العالم الفسيع مع ما فيه من الكائنات يسوسه ويدبره عقل حكيم ازلي تظهر حكمته من نتائج الشرائع الطبيعية التي لا تتغير اصلاً »

اعترض على قوله الفيلسوفان الماديان « بوختر » و « مولشوط » :
 بالالمانيان بقولهما : اذا كانت السنن الطبيعية التي يتدبر هذا الكون بها غير متغيرة فكيف تكون تحت امر مدبر حكيم ؟ لان من شأن المدبر الحكيم ان يضع القوانين عند اللزوم ثم يغيرها حسب تغيير الزمان والظروف فاذا كانت الشرائع الطبيعية لا تتغير في حد ذاتها وبها تتدبر الكائنات بطريقتة غير قابلة التبدل والتغيير فاية حاجة بالاله حكيم يتولى امرها ؟
 اما نحن فنرى هذا الاعتراض غير معقول والدليل على ذلك ان وجود سنن ونواميس طبيعية غير قابلة التغيير لا ينفي وجود قوة ازلية حكيمه خلقت المادة وسنت لها سنناً لا تتغير لان عدم التغيير المتصفة به النواميس الطبيعية هو نتيجة حكمة ازلية ودوام هذا الكون قائم في ارادة

هذه الحكمة الازلية التي تسهر على حفظ هذه النواميس ودوامها في الوجود . ثم لا يخفى على كل عاقل ان افتراض وجود سنة وناموس يفترض اولاً وجود حكمة ازلية تسن هذه النواميس وإلا فكيف يسلم العاقل بوجود شريعة بدون مشرع ؟

ولم أرَ المعلم « استراوس » *Strauss* احد الفلاسفة الماديين ان مذهب اصحابه المار ذكره لا يطابق العقل السليم زاغ عنهم وذهب الى ان « القوة التي تدبر هذا الكون ليست بعلة خارجة عنه بل هي قوة عاقلة موجودة فيه وهي تدبر جميع الكائنات » وهذا هو ما يعتقد الموحدون وجميع الذين يقرّون بوجود « اله » واجب الوجود يستنون هذه القوة العاقلة العظيمة والمدبرة الحكيمة باسم « اله » او يصفونها في لغاتهم باسم آخر يعادل اسم « الله »

﴿ ملخص الادلة التي تثبت وجود الله ﴾

ان الادلة التي تثبت وجود اله ذي حكمة واقتدار كثيرة واخصها ما يأتي :

اولاً ان الترتيب الكائن في حركة الاجرام السماوية دليل واضح على ان هذا الترتيب المنظوم والمنزه عن الخلل هو صادر عن حكمة عظيمة وان هذه القوة الحكيمة العظيمة تسوسه وتحفظه من الخلل . وقد ثبت بالتجربة والامتحان ما علمه الفيلسوف الانكليزي اسحق نيوتن والفلكي المشهور والمعلم « كبلر » الجرمانى المشهور باكتشافاته الفلكية

الكثيرة (١) وما علمه هذان الجهبذان التحريران كان تعليماً معقولاً اقرّ لها به معظم الفلاسفة وعلماء الهيئة وهذه خلاصة تعليمها : ان هذا الكون كله مرتب على حركة دائمة منتظمة لا يعترينا خلل ولا سكوت وان الانتظام الدائم المشاهد في هذه الحركة الدائمة يستحيل دوامه من دون قوة عاقلة حكيمة مقادرة على حفظه وهذه القوة العظيمة هي

﴿ الله جل جلاله ﴾

ثانياً كان داود النبي قد سبق نيوتن وكبلر وجميع علماء الهيئة وقال في زبوره : « والفلك يخبر باعمال يديه » اي ان الذي ينظر الى ما فوّه وتحتّه والى ما حوآله يرى فيها اموراً عجيبة تنطق بافصح لسان وتجبر بحكمة سامية وقدرة عظيمة . فالنظام الموجود في هذا الكون دليل صريح على وجود منظم حكيم ومهندس عظيم

(١) سيراسحق نيوتن - هو الذي اكتشف علة الثقل والجاذبية يجرد نظره الى تفاحة سقطت امام عينيه من شجرة في بسنانه . وهو صاحب الكتاب المشهور (في نظام الكون) وهو الذي اخترع نظارة فلكية جديدة وركبها بيده وما زالت محفوظة الى الآن في مكتبة « الجمعية الملكية » بلندرة . وهو صاحب التصانيف البديعة في انور وفي انعكاس اشعته وانكسارها وانحرافها

« وكبلر » هو صاحب التأليف الكثيرة في علم الهيئة وعلم عمل النظارات الفلكية والمشهور باكتشافه العظيم الذي اثبت فيه ان الدوائر التي تدور عليها الاجرام السماوية هي بيضية الشكل وليس دوائر مستديرة . وهو الذي اشتغل نحو ١٨ سنة في الاكتشاف على القوتين الجاذبة والدااعة . واثبت بادلة رياضية صريحة ان دوران الاجرام السماوية اي الشمس والكواكب جميعها يتم بواسطة هاتين « القوتين »

ثالثاً اذا دخل الانسان بيتاً من البيوت ورأى كل ما فيه من المفروشات والاواني والمصاييح والكراسي والاسرة والموائد وهم جراً موضوعاً في المكان اللائق به بترتيب ونظام هل يقدر يتصور ان تلك المصاييح الزجاجية والاواني البلورية بعد ما تلاطمت بالاسرة الحديدية زماناً طويلاً والاواني الخزفية بعد ما تصادمت بالانية النحاسية مدةً مديدة . والستائر الحريرية بعد ما لبثت متشبثةً بالكراسي والموائد الخشبية شطراً من الزمان انتظم كل شيء منها في مكانه من تلقاء ذاته بترتيب عجيب من دون مدبر حكيم ؟ كلا . بل يستدل من وجود ذلك الترتيب على وجود مرتب حكيم في ذلك المنزل

رابعاً كان الفيلسوف شيشرون يناظر ذات يوم بعضاً من فلاسفة عصره في مسألة وجود الله . فقال له اولئك الدهريون : ان المواد المختلفة بعد ما لبثت منتشرة في الكون زماناً طويلاً اخذ بعضها يجذب بعضاً اليه حتى تكوّنت منها الشمس والكواكب والاقمار من تلقاء ذاتها بدون احتياج الى مدبر حكيم ومهندس عظيم تسميه إلهماً

فقال لهم شيشرون في جوابه : ان كان هذا الكون العجيب في انتظامه قد تكوّن من ذرات مختلفة انتظمت من تلقاء ذاتها بلا مدبر حكيم وذلك بعد ما اختلط بعضها ببعض اجيالاً عديدة كما تزعمون فلنكتب حروف الابدية كلها على رفق مختلفة ونضعها في اناء واسع ونخلطها شهوراً واعواماً بلا انقطاع كأنها ذرات تخلطها العناصر في تيار الاثير ولننظر اذا كان على مرور الزمان يتالف من تلك الاحرف ديوان هوميير الشاعر اليوناني بمجرد

اختلاط الاحرف الابدادية . فاذا لم يحصل من ذلك ما نتنى فكيف تتصور
ان هذا الكون العجيب في حسن انتظامه قد تكوّن من تلقاء نفسه من دون
مهندس حكيم ومدبر عظيم ؟

خامساً ان النظام العجيب المحكم الذي نراه في الخلائق التي على
سطح الارض من حيوان ونبات وجماد دليل آخر على وجود قوة حكيمه
قد وضعته بترتيب وتحفظه بطريقة لا يعترها خلل . فالبشر على اختلاف
عروقهم وهياتهم وطوائفهم والوانهم وامياهم . والحيوان على اختلاف انواعه
وصورة حياته وتركيب اعضائه ودرجات التناسب بين اجناسه وانواعه
المختلفة . والنبات على اختلاف فصائله وازهاره وثماره والوانه وخواصه
العطرية والطبية . والمعادن والحجارة على اختلاف انواعها والوانها .
والموائع على اختلاف تركيبها ووحدة القانون الطبيعي العام الذي يسوسها
دليل جلي على انها ليست العوبة الصدفة بل كلها تحت تديرقوة حكيمه
عظيمة تسوسها وتحفظها على صورتها الاصلية رغماً عما يحصل في تركيبها
من التبديل الدائم في ذرائرها . وهذا التبديل الدائم الواقع في ذرائر
الاجسام عند تجدها يقرّ به حتى الفلاسفة الدهريون وبعلاهونه في
مدارسهم . وسوف نبسط الكلام فيه عند كلامنا في خلود النفس

سادساً ان القانون العجيب المشاهد في انواع الزهور يدل دلالة
صريحة على ان الوانها ليست من جملة العاب الصدفة بل هي خاضعة لقانون
عام قد وضعه لها مشرع حكيم ومنظم عظيم . فقد وجد علماء النبات ان
كل فصيلة منه لزهرا لون مخصوص به دون غيره . مثلاً اننا نرى في

زهر الورد ما هو احمر واصفر فقط . ولا يوجد منه ازرق ابداً وما كان زهره احمر وازرق لا يوجد من فصيله ما كان زهره اصفر . والزهور المنسوبة الى الفصيلة البنفسجية تكون الوانها صفراء وزرقاء ولا يوجد فيها ما كان زهره احمر ابداً . فلولم يكن في الكون من مدبر حكيم ومنظم عظيم لكانت الوان الزهور خلطاً في خليط نثلاعب بها ايدي الصدف . سابعاً ان تركيب الجسم الحيواني العجيب والوظائف المعينة لكل عضو من اعضائه دلائل صريحة على القوة الحكيمة التي ركبتها وجعلت لكل عضو منه وظيفة حيوية تخدمه وتشتغل على الدوام في حفظه . وبناءً على ذلك كان الاسقف فينيلون المشهور بصاحب كتاب «تليماك» يثبت وجود قوة حكيمة في هذا الكون بوصفه هيئة تركيب اعضاء الاذن في الانسان والحيوان . وكان غيره من الفلاسفة يثبت وجود هذه القوة الحكيمة بوصفه هيئة تركيب العين في الانسان وهلم جرّاً . وكان كل هؤلاء الفلاسفة يعنون بهذه القوة الحكيمة الله جل جلاله

ثامناً اذا كان هذا الكون لم يخلقه ويبدعه من العدم الى الوجود اله الحكيم ومهندس عظيم اقتضى ان نقول : قد خلق هذا العالم من تلقاء نفسه . وحيث كانت المواد التي يتركب منها هذا الكون الفسح مواد عديدة وذرات لا تحصى ولا تحد وجب ان تكون كل ذرة قد خلقت نفسها . وعلى هذا المنوال لا يكون الخالق واحداً بل متعدداً بعدد ذرات الكون . والفلاسفة الماديون لا يسلّمون بوجود خالق واحد حكيم فكيف يقتنعون بوجود آلهة متعددة جامدة كالذرات وغير متعلقة كالجاد ؟

لعمرى انه ايسر للعقل البشرى ان يسلم بوجود اله واحد واجب الوجود
 وخالق حكيم ومهندس عظيم من ان يقتنع بوجود خالقين كثيرين بلا
 عقل ولا ادراك كذرائر الجماد

تاسعاً اذا سلنا بعدم وجود اله واجب الوجود وخالق حكيم ومهندس
 عظيم وذهبنا الى مذهب الماديين القائلين ان كل عنصر من العناصر ابداع
 نفسه بنفسه حق لكل عنصر من هذه العناصر او لكل ذرة من ذرات
 هذا الكون ان تكون صاحبة سلطة مطلقة ونايئة بنفسها ومستغنية عن
 غيرها ولا تنقاد لمن كان متساوياً لها في قوة الابداع والسلطة المطلقة
 ولا تنازل الى الانضمام في هيئة من الهيئات والاشكال تحت قانون عام .
 واذا سلنا على سبيل الافتراض ان هذه العناصر او الذرات المختلفة والمناقض
 بعضها بعضاً في الجوهر والطبيعة تنازات الى الخضوع لقانون عام فايه
 عنصر او ذرة من الذرات تقدر ان تستبد بحق وضع هذا القانون العام
 الذي يسوس تركيبها ونظامها وحركتها ؟ فاذا لمن الحال ان تخضع هذه
 الذرات الخالقة نفسها بنفسها والحاكمة نفسها بنفسها لذرات اخرى مثلها متساوية
 لها في السلطة المطلقة . وبناء على ذلك لمن المستحيل حسب الادراك
 البشرى ان تكون الذرات قد ابدعت نفسها ثم انظمت في هذا النظام
 العجيب الذي يزّين هذا الكون الفسيع

عاشراً لا يستطيع العقل الراجح ان يتصور وجود التفاوت في
 القوة بين هذه الذرات والعناصر المختلفة حتى يقال ان العنصر الاقوى
 يسوس ويدبر الاضعف منه . لان افتراض وجود التفاوت بالقوة بين

هذه العناصر المختلفة محال من جهة كونها قد خلقت نفسها بنفسها بقوة متساوية في الابداع . واذا سلمنا بوجود الفاتوت في قواها الطبيعية كان ذلك باعثاً على عدم النظام وعلى حصول النزاع بين القوي والضعيف منها والنزاع مجلبة للخراب . فكيف ينتظم هذا الكون بين عوامل قواها مختلفة وطبائعها متضاربة ينازع بعضها بعضاً على الدوام ؟

حادي عشر اذا كان هذا الكون العظيم هو بدعة الطبيعة نفسها وان الذرات قد اوجدت نفسها بطريقة لا يعرفها حتى الفلاسفة الماديون انفسهم فليقولوا لنا : كيف تيسر لهذه الذرات الجامدة كالمح والفسفور والنشادر والاكسيجين والهيدروجن والازوت والكربون وغيرها من العناصر المركبة منها الاجسام الحية وغير الحية ان تجتمع وتتنظم في نظام عالم عجيب بدون ادراك وتعقل وحكمة ؟ وكيف تستطيع المادة الجامدة كالعناصر المذكورة والمضاد بعضها بعضاً كالماء والنار ان تتفق جملة على اعطاء الحياة والعقل والادراك لمادة اخرى مثلها جامدة ثم تخلق منها الحيوان والنبات ؟ فمن لا حياة ولا عقل له كيف يستطيع ان يعطي حياة وعقلاً لغيره ؟

ثاني عشر اذا كان الانسان الذي يحسب اكمل خليفة على هذه الارض مع كل ادراكه وعلمه وتفننه في علم الكيمياء لا يستطيع ان يدبر نفسه ويسوس جسده ويحفظه من الافات والامراض ولا يستطيع ان يخلق دودة ولا ان يبدع ذرة من العدم فكيف تستطيع المادة الجامدة غير المتعلقة ان تبدع نفسها وتدبر امورها وتحافظ على وجودها ؟

ثالث عشر يقول الماديون ان المادة قد اوجدت نفسها من دون احتياج الى اله يبدعها من العدم . ولكن ما اسهل هذا القول وما اصعب اثباته بادلة قاطعة . وعدا ذلك دونه مشاكل كثيرة يعسر على الفلاسفة الماديين حلها . اما الفلاسفة الذين يقرون بوجود اله حكيم ومدبر عظيم فيسهل عليهم اثبات مذهبهم ولا يصادفون فيه مشاكل كثيرة ولا سيما انه مذهب بسيط يقرب من ادراك جميع الناس على اختلاف طبقات عقولهم

رابع عشر اذا اخذنا بعين الاعتبار حال الهيئة الاجتماعية البشرية كما كانت عليه منذ بدء المدنية وكما هي عليه الآن مع الوسائط الضرورية لحفظ نظامها نرى ان تصور وجود اله واحد حكيم ومدبر عظيم ورب عادل قد كان منذ البدء الاساس الرصين الذي بنيت عليه الاحكام والاديان والشرائع اللازمة لسياسة البشر وحفظهم في دائرة الاتفاق والاتحاد ولولم يرتخ في عقل البشر منذ حدثتهم الفكر بالله حكيم عادل لما انقادوا الى القوانين والشرائع المفروضة لحسن سياستهم وحفظهم وارتباط بعضهم ببعض ووقايتهم من الشرور وللقيام بالفروض واداء الحقوق واجتناب المعاصي المحلة براحة الهيئة الاجتماعية

خامس عشر ليس عموم الناس بفلاسفة يستطيعون التفرغ الى الدرس والتبصر في العلوم الالهية حتى يدركوا ما لهم وما عليهم بل اكثرهم ملتنون بالاشغال والارباح وهموم الاعمال وبهرجة الدنيا وزخرفها . واولا مخافة الله العادل ترفاً على عقولهم وقلوبهم لساقهم الطمع والحسد مع بقية

اهوائهم المفسدة الى ارتكاب ما يحل براحتهم الروحية والجسدية . ولذلك نرى القسم الاعظم من البشر الذين ينبذون عنهم مخافة الله يتقبلون في الرذائل والجرائم . وبالعكس من كان ايمانه بالله راسخاً كان العقل حليته والفضل حليته . والله در سليمان الحكيم الذي قال : رأس الحكمة مخافة الله ولذلك ايماني بالله راسخ وعلى هذا الايمان احبي وعليه اموت . واتمنى ان يكون آخر كلام تلفظه شفتاي عند انحلال نفسي من عقالم الجسدي كلام الفيلسوف شيشرون الذي قال عندما قتل ظملاً بامر الملكة انطونيته الرومانية :

« يا من انت علة جميع العلل ارحمني »

هذا ما كان من قضية الله الواجب الوجود . اما ما كان من « عقيدة الثالث عند طوائف النصرى »

فاقول : لقد صارت هذه العقيدة قذى في عين بعض من الناس الذين لا يفهمون معناها الحقيقي . وقد زعم كثيرون ان النصرى يتخذون الاقانيم الثلاثة بمقام ثلاثة آلهة . ويتوهمون ايضاً ان النصرى باطلاقهم كلمات « الاب » و « الابن » و « الروح القدس » على الله جل جلاله يعتقدون ان الله قد اتخذ له زوجة وخلف ولداً الى غير ذلك من الترهات . ففي عين الحقيقة ان عموم النصرى « موحدون » لا « مشركون » ولذلك قلت :

إِلَهُ بِلَا عَرْشٍ يُحَدِّدُ كِيَانَهُ إِلَهٌُ وَحِيدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا
 أَمَا «الاقانيم» فليست في عقيدتهم سوى كلمات يدلون بها على
 صفات في طبيعة الله الواجب الوجود . واثبت قولي هذا بقول المعلم
 « بلارمينوس » المسند من المعلم توما اللاهوتي والمسلم له من العلماء اللاهوتيين
 إباء الكنيسة اللاهوتية البابوية
 فقد صرح المعلم « بلارمينوس » عقيدة الثالوث على الوجه الآتي
 وقال :

يعتقد عموم النصارى ان الطبيعة الالهية او خالق هذه الكائنات
 «واحد» في طبعه « واحد » في جوهره « واحد » في وجوده الواجب
 الوجود . وهذا الاله الواحد هو الذي تسميه النصارى من باب المجاز باسم
 « الاقنوم الاول » او باسم « الاب » . وهذا « الاب » من حيث كونه
 جوهر العلم والمعرفة بالذات فقد « عرف » نفسه وعرف ما هو عليه من
 الحكمة والاقدار والعظمة والجلالة . وقد اصطلحت النصارى على تسمية
 « معرفة الله لنفسه » باسم « الاقنوم الثاني » او « الابن » او « الحكمة » او
 « الكلمة » وذلك تقرباً من الادراك البشري ومن باب المجاز . فحصل من
 هذا في عرفهم « اقنومان » اي اقنوم « الاب » واقنوم « الابن » ثم ان هذا
 الاله الواحد في الطبع والجوهر عندما عرف نفسه وعرف ما هو عاينه
 من الحكمة والجلالة احب نفسه . وكان حبه لنفسه من الامور الطبيعية
 وقد اصطلحت النصارى على تسمية « حب الله لنفسه » « بالاقنوم الثالث »
 او « بالروح القدس » او « بالفارقليط » . فحصل من هذا « ثلاثة اقانيم »

وكانت هذه الاقنيم الثلاثة عبارة عن « الله » جل جلاله وعن « معرفته
لنفسه » وعن « حبه لنفسه »

وبناءً على هذا تعتقد الطوائف الكاثوليكية ان اقنوم « الابن » (اي
معرفة الله لنفسه) صادر عن الاقنوم الاول الذي هو الجوهر الالهي المسي
مجازاً « بالآب » . وان الاقنوم الثالث الذي هو عبارة عن « حب الله
لنفسه » صادر عن اقنومي « الآب والابن » معاً . اي ان « حب الله لنفسه »
الذي هو الروح القدس قد صدر في وقت واحد سويةً عن جوهر الله
« الاب » وعن « معرفة الله لنفسه » . لان الحب لا يصدر الا عن معرفة .
ولذلك قالت الفرقة الكاثوليكية : ان الروح القدس منبثق من الاب والابن
معاً . والامر الجوهري الذي ساق علماء الطوائف النعمرانية على العموم
واباء الكنيسة الكاثوليكية على الخصوص الى التوغل في هذه الدقائق الفاسفية
واللاهوتية هو اجتهادهم في تسهيل ادراك شيء من « سر التجسد » . ولولا
ذلك لاكتفوا بقولهم : الله واحد لا شريك له :

فيتضح من هذا ان الله لا ينفصل انفصلاً طبيعياً مستقلاً عن
معرفته لنفسه وعن حبه لنفسه ولهذا لا سبيل الى القول ان الاقنيم
الثلاثة هي ثلاثة الهة منفصلة وان النصارى باتخاذهم ثلاثة اقنيم قد اتخذوا
ثلاثة الهة وصاروا مشركين وعلى ذلك نظمت هذه القصيدة الالهية الآتية



﴿ النظم ﴾

يسبح من في البرّ والبحر والعلّي
 الهما تجلى بالخلائق للملا
 اله بلا بدءٍ وحدٍ وحيزٍ
 به البدء منذ البدء كان ممثلاً
 اله بلا عرشٍ يُحدُّ كيانه
 اله وحيدٌ لا شريك له ولا
 إلهٌ وابٌ ثم روحٌ وحكمةٌ
 بها الكونُ منذ البدء جاءٌ مُكملاً
 تقومُ اقانيمٌ لديه ثلاثةٌ
 اله وحيدٌ لن يُجزأً ويُفصلاً
 رآه بعين العقل كل مؤحدٍ
 وغاب عن الزنديق بالكنه واعتلا
 قريبٌ الى عبدٍ اتاه بتوبةٍ
 بعيدٌ عن الفجار بالعمو والولا
 حلِيمٌ كريمٌ ذو ولاءٍ ورحمةٍ
 يُجيرُ خشوعاً مستجيراً توّسلاً
 متوبٌ على من تابَ عن كلّ زلةٍ
 ويتنقذ عبداً قد تطوّحَ في البلا

إلهي غدا بالحزن قلبي مقرحاً
 وكفي إلى عليك تبسط امتلا
 انوح بيجح الليل والنجم شاهد
 واطلبُ عفواً من إلهي مؤملاً
 جنيتُ على نفسي بفرط خلعتي
 وذنبِي علا هامي وكلي قد امتلا
 تعاظمني ذنبي وزادت مآثي
 فزاد عليها العفو منك تفضلاً
 عليك الهى طول عمري توكلتي
 فما خاب حقاً من عليك توكلت
 الهى علا فوديت المشيب وفاتني
 زمان شبابٍ كنت فيه مرغلاً
 رجوتك عفواً عن ذنوب كثيرة
 ولا ريب ربي ان تجيب وتقبلا
 جناحي جسيمٌ والخطايا عظيمةٌ
 واعظم منها عفو ربي اذا اجتلا
 ساحد ربي في يسارٍ وعسرةٍ
 واعقد مدحي عقد درٍ تفضلاً
 واقرع سني بالندامة باكياً
 قبيل رحيل يومه حان مقبلاً

وانظم في سلك التذلل دعوتي
اخفض صوتي في الصلاة توسلا

﴿ ربُّ الجمال ﴾

فرح جفني السهاد . فخرمني لذة الرقاد . في جنغ ليل تلبدت
سماؤه بالنيوم . وانتضت منها على قابي صواعق الهموم . وازعجتني
عواصف الهواجس . ولاطمتني امواج الوساوس . حتى صرتُ كفلكِ
تعبتُ به الامواج . في بحر عجاج . فقتتُ الى كتيبي التي اعهدتها
الصديق المجتبي . منذ عهد الصبا . كي الودبها من الارق . واريج
نفسي من القلق . فعثرت على ديوان شعر لاصحاب الغزل . فوجدتهُ
من الكتب التي تعزل . فقلت لنفسي : مالي وهذه الاوهام . المقتصرة
على اوصاف النديم والمدام ؟ فلوعة الغرام . وجنة الهيام . وسكرة
المدام لا تفي بالمرام . لا ريب في انها ترهات . وحديث خرافات .
فمليكِ يانفسي «ربب الجمال» . ومصدر الكمال . وعين الجلال ! من
حسنه كان الاصل المكتمل . وعن عكس ضيائه حسن البرايا متحل . فلبت
مرامي سليقة القريض حالا . وجادت قريحتي بالمعنى ارتجالاً . وذلك

بلندرة في الخامس من شهر ايار لعام ١٨٧٦

* النظم *

هوتِ الجمالَ تهافتاً كلُّ المللِ
 وهويتُ حسناً زانهُ نعتُ الازلِ
 قد زل من هويِ الغواني واعتدى
 وهواك يا باري الورى يحو الزللِ
 انت الذي صوّرت كلَّ جميلةٍ
 عن حسن وجهك كل حسن قد حصلِ
 قد ضلت الجهلاء في سبل البها
 وبوجهك الباغي نصان عن الضللِ
 ملّ الفؤادُ جمال حسن زائلِ
 أما الذي يهواك لا يشكو المللِ
 يُلهي العقول جمال كل مايجةٍ
 لا التهي عن حسن معبود المللِ
 قالوا: اتهمى الحسن في من لا يرى؟
 من هام في من لا يراه قد هزلِ
 قد جنّ من يهوى حبيباً لا يرى
 يا صاحبي اقصر في الغرام عن الخبلِ
 انفتك عمرك في العفاف تبثلاً
 لا خير في من عفا او من قد بتلِ

قلتُ : الذي شغلَ الفؤادَ جمالهُ
 حسنُ البرايا عن محاسنه انتقلُ
 سبحانهُ من خالقِ رفعِ السما
 وذرى النجومِ وكان جرثومَ العللِ
 لولاحِ نورِ الحسنِ من سيمائهِ
 بهر البرايا واغتشت منهُ المقلُ
 ملأَ الوجودَ بذاتهِ الحسنى التي
 ظهرت بكلِ خليفة منذ الازلُ
 حورُ الجنانِ تزينتِ بجماله
 نخيلُ العذارى من مهابتهِ حصلُ
 استقصِ من زهر الربى عن حسنه
 يخبرك من احسانه لبسِ الحلالُ
 من شهدِ منهلهِ الثمارُ تعقدتِ
 والفصن نال اللين من عطفِ الازل
 وبلابلُ الاسمار تشدو فضلهُ
 في روضةٍ او غوطةٍ او في دغلُ
 ريمُ الفلا ينجي بكحلِ جفونه
 عن جفن ربِّ كلِّ طرفٍ قد نقلُ
 من جيدهِ منحِ اليمامةِ طوقها
 من ريقه نحلُ قد انحلَّ العسلُ

والشمس نالت نورها من وجهه
 يوماً اذا حلت بمنزلة الحمل
 نجم السهي نال البهاء ضياؤه
 من حسن من جلت محاسنه الأول
 فعلى بديع جماله لك حجة
 سبحانه خلق الجمال من الازل
 قد شبه الناس العيون بنرجس
 وبدجته يوماً اذا الجفن اكتحل
 قد مثلوا الفرق الاغر بفرقة
 والوجه بالبدر المنير اذا اكتمل
 والشعر حاكى في السواد ليالياً
 والطرف سيفاً من غشاه ينتشل
 والنهد بالزمان جاء مشيهاً
 ورضاب ثغره قد تمثل بالعسل
 جنو الحواجب بالقسي ونبها
 قد شبهت والجيد بالعاج امثل
 وتشبه الثغرة الاغر بلؤلؤ
 والقدي غصن اذا الغصن اعتدل
 ذي ترهات لا تقم عاقلاً
 الا اذا تاب النهى داء الخبل

ابن الجبال السرمديُّ وحسنهُ

من حسن مخلوقٍ عن الاصل انقل
 حسنٌ بهِ وِلَعِ الفؤادِ حقيقةً
 لا وهمٌ عشاقٍ اتي ثم ارتحل
 حسنُ الخليفة دون فضلٍ ترهُ
 والحسن بالفضل العميم قد اكتمل
 قالوا: هذيتَ فما الدليلُ؟ اجبتهم:
 هذا الدليل عن الخليفة قد حصل
 دع عنك لومي عاذلي وانصت الي
 ما قيل لي من حب رباً ما انخذل



﴿ الجوى ﴾

عودي ذوى حيلي هوى عمري ارتحل
 دهري انقضى وقتي مضى نجبي اقل
 انفتت جلّ العمر في سوق الردى
 وقصدت بابك حينما خان الاجل
 واشتد حرصي في الحياة وطولها
 واحسرتي قد غرّني آل الامل

ملبى الى حب الملاهي غرني
 فسهوت عن ديني وعن خير العمل
 وتكاثرت في النقائص بعدما
 خيرني اسنقل وزاد في فعلي الخلل
 وطمعت في وصل الغواني والغنى
 وصرفت عمري في الاغاني والغزل
 لم تنهي عن قبج فعلي سنة
 والخوف قد ولي وفارقتي الخجل
 لانتقصني ربي قصدتك تائباً
 قلبي اخشى صهتي اخفى دمعي هطل

﴿ الدين والعقل ﴾

اذا كان عقل المرء ليس بكامح
 له عن شرور وارتكاب جرائم
 عليه بدین الله فهو لجامه
 يصوت هواه عن جميع المحارم

﴿ الندم ﴾

خرجت اطوف شوارع لندرة . في ليلة نجومها مسفرة . فنظرت
الى الثريا الغراء . المعلقة في القبة الزرقاء . وتفرّستُ بما حولها من
الكواكب الدرية التي مثل كرتنا الارضية . حاوية خلائق برّية وبحرية
فرايتها كأنها جماهير من الخطباء . قد استوا على منابر الجرباء . وكلمهم
يخطبون بافصح لسان . ويعربون عن عجائب مبدع الاكوان . فتزاحمت
في عقلي افكاري . وابتاحت الى نفسي بخفايا اسراري . وذكرتني بماضي
اعمالي . المدفونة في رواميس الليالي . فصرت اعدُّ بتفصيل ما جنيت
على نفسي من الآثام . في سالف الايام والاعوام . فهاج حينئذٍ بلبالي
وانثال القريض على بالي . ونسجت هذه البردة . على منوال التوبة .
ورددتها بمخشوعٍ نوبةً بعد نوبة . وعذت بالله من شر الحوبة . ونظمتها
على ترتيب حروف الابدجية . وذلك قبل انتصاف الليل بساعة زمنية
في التاسع من شهر كانون الثاني لعام ١٨٨٦

﴿ النظم ﴾

(١) أمنٌ بعد عزي وارتقاعي ورتبتي
(١) اسيرُ الى دار الهوانِ بذلةٍ

- (ب) برى وجنتي من فرط حزني وحرقتي
 (ب) بديهُ بكائي كل يوم. وليلةِ
 (ت) تذكرتُ ايام الشباب وطيشهُ
 (ت) تمزَّقَ في احشايَ قلبي بحسرةِ
 (ث) ثوتُ في ضلوعي نار سقمِ ضمرتها
 (ث) ثبُتُ اقلبي حرَّ جمرِ بحرقهِ
 (ج) جنبت على نفسي بقمع جريرتي
 (ج) جهلتُ ضلالي والجهالة شيمتي
 (ح) حسبت نعيي في اكتساب مراتبِ
 (ح) حشدت حطاماً كان اصل بليتي
 (خ) خلعت عذارى في مجونِ صبايةِ
 (خ) خسرتُ مقامي باتجار الفضيحةِ
 (د) دهنتي دواهي الدهر غدرًا بغفلةِ
 (د) دنت شمس عمري للغروب بغربةِ
 (ذ) ذوى من ثمار الخير غصنُ تورعي
 (ذ) ذلتُ لسلطان المعاصي الدينيةِ
 (ر) رجتُ بدينار العالوم تزندقاً
 (ر) رضيتُ من الدنيا بالبخس فضةِ
 (ز) زهدتُ ببرٍّ ثم لذتُ بفاجرِ
 (ز) زرعتُ فساداً فاحتصدت عقوبتي

- (س) سكنت قصوراً واعتبطت بنعمة
 (س) سعدتُ بدار لا تقاس بمجته
 (ش) شغفت الغواني حب طيش وُجته
 (ش) شربت حميا الحب في مرّ جرعة
 (ص) صبوت الى صوت الاغاني من الصبا
 (ص) صحبت ذوات العزف حباً بنغمة
 (ض) ضربت طول الهوي روض لذة
 (ض) ضمنت لنفسي طول عمر بحبيرة
 (ط) طبعْتُ على شرّ المعاصي بفطرتي
 (ط) طمرتُ كنوز الدين في شرّ حفرة
 (ظ) ظمأتُ إلى وِرْدِ المعالي شراهة
 (ظ) ظفرتُ بامجادٍ وفزتُ برتبة
 (ع) عنيتُ بنيل الفخر في كل رتبة
 (ع) عمدتُ الى مسك المحال بقبضتي
 (غ) غدوتُ سكوراً والكبائرُ خمرتي
 (غ) غدرتُ بنفسي شرّ غدرٍ بسكرتي
 (ف) فلجتُ بما ناقت اليه شيبتي
 (ف) فرطتُ على الدنيا بكل عزمي
 (ق) قطفْتُ من الايام اشهى ثمارها
 (ق) قصفتُ بمزارٍ وعودٍ كقينة

- (ك) كفى الآن يا رحمانُ فالكيل طامعٌ
 (ك) كثيرٌ خطائي انت أكثر رحمةٍ
 (ل) لجأتُ الى حصن الندامةِ تائباً
 (ل) لديك سماحٌ كالبحور الغزيرةِ
 (م) مددتُ الى عليك كفي نضراً
 (م) محوتُ بفضل منك آثار زلتي
 (ن) نجاتي من النيران اعظم منحةٍ
 (ن) نعيم اغتباطي فيك انعم جنةِ
 (هـ) هويتُ جمالاً لا زوال للملكه
 (هـ) هنتُ بمرأى وجه ربي وبغيتي
 (و) وفيت عهودي واقنضيت فرائضي
 (و) وفدتُ على حلم الإله بتوبة
 (ي) يئنُّ فؤادي بالندامةِ عمره
 (ي) ينجيك قلبي في نهارِ ويلة

* الزهدُ *

دع الدنيا وما فيها * ولا تتبع مبادئها
 فكم صدت وكم ردت * وكم جافت اهلها

ولا تركن لما تبدي * فلا تدري معانيها
 ولا تطمع بسكنائها * فكم ذكت مبانيها
 اذا بشت لنا يوماً * بكت دهرًا اماقيها
 ولا تحسن بها ظنًا * فكم خابت امانيتها
 ولا زرع ولا ري * ولا ماء بواديتها
 وفي البلوى اذا اشتدت * فلا موت يوازيها
 ولا حسن ولا مال * ولا ملك يقاديتها
 اخو خرق يخاويها * وذو عقل يعاديتها



❖ يعقب التوبة ❖

« الموت »

وقلتُ الايات الآتية في الموت وذلك بلندرة سنة ١٨٨٦
 سألت بعض التلامذة معلمهم الفيلسوف « كنفوشي » الصيني المشهور
 عن كنه « الموت » فاجابهم قائلاً :
 « انا لا اعرف كنه الحياة التي قضيت عمري في البحث عنها . فكيف
 اعرف كنه « الموت » الذي لم اراه بعد ؟
 انا الموت والاحياء طوعوا وامرئ
 انا مستبدٌ في جميع العناصر .

انا الموت منذ البدء طفت على الورى
 بكأس حمام شق كل المرائر
 وبي نحت الاكوان ثم تركبت
 انا كنت فيها منذ خلق الذرائر
 فكم باسل خاض العجاجة سالماً
 وما سلت نفس تلاقى خناجري
 وكم قاد كسرى من جيوش وقيصر
 فما عاش كسرى او مصاف القياصر
 يعالج طب طول عمر بمعرفة
 فليس على بطشي طيب بقادر
 فاين ابقراط واين اجتهاده
 فقد صار بعد الجهد رهن المقابر



باب المرآئي

وقلت ارثي صديقي القديم السيد اقليميس يوسف داود السرياني الموصل
رئيس اساقفة السريان الكاثوليك بدمشق وانا حينئذ بالاستانة وذلك

سنة ١٨٩٠

« النظم »

على كوكب الشرق العلوم تنهدُ
على السيد الملفان يوسف عمرنا
وترثي دمشق الشام فقد عزيزها
بكته علوم الأولين بأسرها
بكته من اللغات خمس وعشرة
بكته طروس والبراع وثرة
عليه عيون المجد تبكي تأسفاً
وجمع « فاتيكان » يندب فقد من
ويبكي على حبر الكنيسة معبدُ
انين البرايا لا يكف ويخمدُ
مع الموصل الهدباء اذ قام مشهدُ
بدمع غزير سيله ليس يجمدُ
بها كان درّ الحق فينا ينضدُ
وناح عليه الشعر اذ قام ينشدُ
وقلب المعالي بالتحسر يكمدُ
لديه نقاليد الطوائف توجدُ

سَأبْكَ عَلَيْهِ كَمَا نَاحَ طَائِرٌ
 لَقَدْ أَفْلَحَ النُّجْمُ الَّذِي لَاحَ نُورُهُ
 وَخَرَّ مِنَ الْعِلْيَاءِ أَرْفَعُ كَوْكَبِ
 وَغَابَ عَنِ الدُّنْيَا ضِيَاءَ شَمْسِهَا
 نَعَمْ رَاحَ مِنْ قَدْ كُنْتُ فِيهِ تَبْرَعًا
 نَعَمْ سَارَ مِنْ سَارِ الْفَوَادِ لِفَقْدِهِ
 فَلَوْ كَانَ يَفْدَى بِالنَّفِيسِ فِدَيْتَهُ
 وَلَوْ كَانَ بِالْأَفْضَالِ يَخْلُدُ فَاضِلٌ
 فَقَدْ شَقَّ جَيْبَ الْفَضْلِ حَزَنًا لِفَقْدِهِ
 فَقَدْنَا كَرِيمًا فَقَدْ غَيْثٌ وَرَحْمَةٌ
 فَقَدْنَا أَدِيًّا قَدْ رَثَاهُ تَفْجِعًا
 أَضَعْنَا مَلَكَآءَ كَانَ فِي شِدَّةِ الْعَنَاءِ
 فَتَى يَسْتَحِقُّ الْإِجْرَ حَسَنَ فَعَالَهُ
 فَتَى كَانَ يَسْمَعُوهُ وَالسَّخَاوَةَ دَابَهُ
 فَتَى كَانَ مَقْدَامًا إِلَى الْخَيْرِ سَعِيَهُ
 تَرَاهُ صَمُوتًا فِي الْمَجَالِسِ حَشْمَةً
 فَكَمْ قَامَ بَيْنَ النَّاسِ يَصْلِحُ شَأْنَهُمْ
 يَصُولُ عَلَى الزَّنْدِيقِ سَيْفَ بِرَاعِهِ
 جَنَى مِنْ جَنَانِ الْعِلْمِ إِثْمَارَ حِكْمَتِهِ
 وَشَادَ أَسَاسَ الْعِلْمِ فَوْقَ دَعَائِمِهِ

وَرَاحَ يَآمُ فِي الْإِرَاكِ يَفْرَدُ
 بَشْرُقٍ وَغَرْبٍ وَالْمَآثِرُ تَشْهَدُ
 غَدَةَ هَوَى بَدْرُ الْعُلُومِ الْمَجْدُ
 وَبَلَّتْ سِنَاءَ الْبَدْرِ فِي التُّرْبِ يَرْقُدُ
 أَرْوَحُ قَنِيلاً فِي الدِّفَاعِ وَابْعَدُ
 عَلَى جَمْرِ نَارٍ وَالْحَشَا تُتَوَقَّدُ
 وَلَكِنَّ لَا يَجِدِي لَجِينِ وَعَسْجِدُ
 لَمَّا مَاتَ هَذَا الْخَبْرُ بَلْ كَانَ يَخْلُدُ
 وَقَامَتْ رِجَالُ الْخَافِقِينَ تَعْدُدُ
 كَذَا كُلِّ شَهْمٍ فِي الْخَلَائِقِ يَفْقَدُ
 مِنَ الشَّرْقِ وَالغَرْبِ الْمَازَرَ الْمَفْرَدُ
 يَعْزِيهِ مَصَابِيَاً بِالْبَلَايَا وَيَنْجِدُ
 وَمَا يَزْرَعُ الْإِنْسَانَ ذَلِكَ يَحْصُدُ
 وَيُعْطِي لَوَجْهَ اللَّهِ مَا سَمَحَتْ يَدُ
 وَكَانَ سَرِيحًا فِي الشَّدَائِدِ يَعْضُدُ
 وَإِنْ قَامَ فِي أَوْجِ الْمَنَابِرِ يَرْعُدُ
 وَيَنْصَحُ ذَا الْأَوْزَارِ ثُمَّ يَهْدُدُ
 وَيَفْرِي فَوَادِ الْبَطْلِ حِينَ يَسُدُّ
 بِهَا الْحَقَّ يَهْمِي وَالضَّلَالَةَ تَجْعُدُ
 رَصِينَةَ رُكْنٍ لَا تَدْكُ وَتَقْسُدُ

لقد كان هذا الخبر بحر معارفٍ
 تنزه عن جزرٍ يعاب به المد
 حوى ذلك البحر الغزير جواهرًا
 اتها دهاقين البرية تنقد
 فابن خضم العلم ابن مناره
 وابن الذي فيه المعارف تحشد
 مضى من قضى خير الحياة سبيله
 وخلف ذكرًا في البرية يحمد
 وما المرء الا كالسحاب وظله
 وكالسيف يوماً يستسل فينمد
 انجزع مما احدثته نواب
 بجسم ترابٍ والتراب مبدد
 انحمد دنيانا وقد ذهبت بمن
 به كان صرح العلم فينا يشيد
 انار من الدنيا سواد ظلامها
 فقامت لاخذ النار والثار اسود
 فما نعرف الايام الا لثيمة
 خيار رجال الدهر بالموت تحصد
 لحي الله دهرًا قد بلاني بفقده
 وعاند في القيا كذا الدهر يعند

فلبت المنايا اخرت فتكاتها

لكنت اراه بعد حين واسعد

على ان من يرجو من الدهر نعمة

جهول فهل للدهر عهد وموعد

فكان من الدنيا نصيبي وبهجتي

وكنت حماه في الملمات اقصد

حزنت عليه حزن ام ووالد

وحزني عليه كل يوم يجدد

وما حزنت ام على فقد نجلها
وحزن الذي قد عاش بعد خاليه
ومن لم يم غمًا على فقد خله
يعز علي حين الفت مقلتي
ارى الدار قفري والحليل مهاجرا
اياه رسول الموت يرهب فضله
فاحنى وحيي ثم فاه بهيبة
هلم الى افراح سيدك الذي
تجرت بفضل ثم فزت برجه
هلم بنا كملت برّك كله
فسار رسول الموت يرشد روه
وبات لدينا الجسم ذخرًا نجله

كحزني على خلّ يحب فيفقد
كنار الغضا لا تستكن وتحمد
يعذب بنار في الحشا لتوقد
اقتش في ارض بها ذن يقعد
فاسكب دمعا والزفير يردد
يبلغ امرا لا يرد ويبعد
هلم لك الاكليل بالمجد يعقد
لديه جيوش العرش بالخوف سجد
جزاؤك من مولاك مجد محلد
وهاك ثواب الفضل عندك يحشد
الى جنّة فيها نقيم وتخلد
جلالة كنز في القلوب يوصد

كذا حاز اهل المجد اثنى درة
 وحرزاً من الاصداف قشراً يحد
 نجفنا بني السريان نجمة ناكل
 بجبره اليه عزنا كان يسند
 لقد عظمت فيكم وفي بليته
 لها جمره في كل قلب توقد
 فلوذوا بمحسن الصبر دوماً كثلما
 عليه ليوم الحشر قلبي يكمد
 لان الذي مات السرور بموته
 سيحيي سعيداً في الجنان ويمجد
 سلاماً عليه في الصباح وفي المساء
 صلاةً عليه كلما قمت اسجد

« وقت ايضاً في قبر الفقيده »

الموا على قبر الحبيب وعددوا
 وحيوا ضربيحاً قد حوى في خلاله
 وزيدوا : لقد حزت الكمال جميعه
 وفيك سناء الشمس والبدر يلمد
 فكانت سويداء الفؤاد مقره
 اغار عليه من خيالي وازيد
 فصار شريكى القبر رغماً بحبه
 وقلبي بشرك الحب بالطبع يزهد
 فيا عين جوذي بالدموع تحسراً
 على قبر حبر بالقداسة يرقد
 لاغسل بالدمع السخيف مقامه
 لان غليلي بالدموع يبرد
 فيا قبر خلي ما اجلك حفرة
 عفافٌ وعلم في حشاها ينضد
 ويا قبر داود الذي من سميته
 تعلم لبس التاج والفضل يشهد

مضى من ثوى للشرطيك في الثرى وعرش المعالي دكّ والغزّ يخذ
عليك سلام الله ما لاح بارق ودمت بقطر الغيث تسقى وتُقصد



﴿ حقوق الوداد ﴾

وقلت ارثي عروس شعري الفقيده (هلدا) ابنة الاميرالاي « جبن »
Chapman الارلندي وقد توفاه الله في غض صباها ولها من العمر ٢٤
سنة وذلك بمدينه (برايطن) من بلاد الانكليز نهار الخميس الواقع في
اليوم الرابع من تشرين اول سنة ١٨٨٨ وكانت رحما الله فتاة بديعة
الجمال حسنة الخصال سلمية الفؤاد لها عليّ حقوق وداد تخلد في الفؤاد
الي يوم المعاد

يقولون « هلدا » قد اصابت بشدة

فيا ليتني كنت الطيب لعله

يقولون : وافاها الحمام بفسحة

فقلت حماها الرب من كل آفة

يقولون : ان الموت نومٌ وغفوةٌ

فقلت ارى في الموت اول بقظة

فكنت « وهلدا » في الحياة مغفلاً

فلما قضت يُقظت من نوم غفلي

فيا ليت عشنا والتفغل دأبنا
 «وهلدا» دواماً في الحياة رفيقتي
 رعى الله يوماً تمّ فيه لقاءنا
 «وهلدا» خروذُ بنتِ ستِ وعشرة
 فمن ذلك العهد استتب لنا الولا
 وعشنا كلانا في سعادة الفة
 مهارةً أصابت من فوادي شفافه
 وحلت كما حلّ الغرام بمهجتي
 وشبت كغصن البان قدّاً وقامةً
 وشبّ لها حيي الشديد بنسبة
 فيا ليت راعي الدهر داعي صباقتي
 ودام لنا بالرغد عهد المودة
 ولكن زماني خان عهداً وموعداً
 وتنص عيشاً من مهارة عروبة
 فدارت بها الارزاء في غض عمرها
 كنا الشوكُ دأباً يستديرُ بوردة
 غشاه ذبولٌ في اخضرار ربيعها
 وفاز بها بالغدر ظفر المنية
 هلالٌ دهاه الخسف قبل بدوره
 وعهدي بنفسٍ لا يحيق بفرّة

هلالُ جمالٍ لاح في برج سعدِهِ
 وغاب عن الدنيا بطرفةٍ لمحة
 قضت نجبها في ارض بوئس وغربةٍ
 وما فزت منها قبل ذاك بنظرةٍ
 رأيت عجايبها الاغر مقطباً
 وقد اودع الثابوت جسم عزيزي
 وعادت الى الاصداغ اثنتي عشرة
 فيا ليت اصداغ المقابر مهجتي
 سلامٌ على الوجه المزين بالبها
 سلامٌ عليه كل يوم وليلة
 انوح عليها نوح طير يمامة
 واقضي حياتي في نحيبٍ وحسرةٍ
 وما ندب الاخوان فقد شقيقةٍ
 كندي علي « هلدا » بكبد فريجة
 اموت جويً والحزن ملء حشاشتي
 ومن لم يمت حزناً يعيش عيش حرقه
 فجودي بدمع ياسحابة مقلتي
 علي قبر « هلدا » واغسله بقطرة
 سانظم طول العمر فيها فصائداً
 وارمي بها مرعى كثير عزة

على ان هلدا بالجمال فريدة
 تفوق البرايا في كمال وعزة
 دعاها الله العرش في عز زهوها
 لتغرس بين الورد في روض جنة
 جتها يد الاقدار قبل اوانها
 كجئذ ورد يجتنى قبل ضحوة
 فجعت بها واحسرتي وتلهفي
 وزال نعيم يوم زالت حبيبتي
 قول الهى نفس اختي وختي
 وفسح لها في دار خلد وغبطة

وقلت ارثي والدي يعقوب رحمة الله عليه

فلو كان تقوى الله يفدي من الفنا لعاش الذي من ربه كان محبوبا
 ولكن رأى المولى الحياة شقية دعاه من الدنيا الى حضن يعقوبا

وقلت ارثي البطريرك انطون السمحي السرياني

شهيد لدين الله حبر ومصلي
 به يعة السريان جل افتخارها
 وشاد على اس العباد دينها
 فضاء بنبراس العلوم منارها

❁ تقوى الله ❁

وقلت يوم شيعت جنازة صديق لي بلندرة وذلك سنة ١٨٨٦

عليك بنقوى الله يا نفس سرمداً
ولا تلحقني بالخلق ضراً تعمداً

ولا تبغضي حياً ولو جار واعتدى
عليك فما يجبي البغاة محمداً
تدور على الباغي الدوائر عنوة

ويجبي سعيداً ذو الفضيلة امجداً
وكل حسودٍ ينخر الحقد قلبه

يذوب كشمع في سفير توقداً
يعيس و نار الغيظ تحرق كبده

وان مات اضحي الجمر فيه مجدداً
فجار اخا فضل وراع ذمامه

وسامح عدداً ان فلاك وندداً
لاني رأيت الفضل خير ذخيرة

لمن رام قبل الموت ان يتزوداً

﴿ قدرة الله تعالى في خلقه الجوهر الفرد ﴾

(وتركيبه وتحليله)

« الجواهر الفردة » في عرف اصحاب التحليل الكمي ذرات دقيقة وجراثيم بسيطة لا تقبل التجزي والتحليل اصلاً . ويسميا علماء الافرنج باسم « آتوم » *Atomes* ولا ندخل هنا في المسألة القائم عليها جدال طويل بين طوائف الفلاسفة في شأن تجزي. هذه الجواهر الفردة او عدم تجزئها وحلها . ولكننا نقصر على القول ان جميع الاجسام المركبة المدركة والغير المدركة منا بجواسنا نتركب من هذه الجواهر الفردة

ولكي يستطيع القارئ ان يتصور اقصى درجة الصغر التي هي عليها هذه الجواهر نقول له : قد اتصل علماء الكيمياء في تجاربهم الدقيقة الى درجة خمنوا بواسطتها عدد الجواهر الفردة المكوّنة كتلة من مادة حجمها حجم رأس دبوس ابرة بنحو ثمانية ستيليون وصورة هذا العدد الغريب رقم (٨) يتلوه واحد وعشرون صفرًا هكذا

(.....٨٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠) ويمبر عنه في الارقام الهندية « بثماني طمات » . ولكي يتصور ايضاً القارئ عظم هذا المدد العجيب نقول له : لو استطاع الانسان احصاء ملياردي في كل ثانية زمانية لاقتضى له مائتان وخمسون الف سنة حتى يكمل احصاء تلك الجواهر الفردة المكوّن منها رأس دبوس ابرة الملياردي رقم « ١ » يتلوه عشرة اصفار هكذا

(١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠) ويعبر عنه في الارقام الهندية بعشرة الاف الف الف

او بعشرة ابراج

ومن اعجب العجائب ان كلاً من الجواهر الفردة جسم قائم بنفسه لا يلمس ما يجاوره من الجواهر الفردة بل يسبح في مادة غازية يقال لها « الاثير » ويدور على محوره بجملة دائمة اتباعاً لقانون الجاذبية العام كما يدور كل كوكب في فلكه على خط اهليلجي . وكما تسرع الكواكب في سيرها في نقطة الحضيض وتبطئ في نقطة الاوج كذلك هذه الجواهر الفردة تسرع في سيرها عند نقطة الحضيض وتبطئ عند نقطة الاوج . والمسافة الكائنة بين هذه الجواهر الفردة على قدر صغرها هي بنسبة المسافة الكائنة بين الاجرام السماوية على حسب كبرها وذلك اذا استطعنا تكبير جوهر من هذه الجواهر الفردة بكبر كرتنا الارضية وتكبير جوهر آخر مما يليها بكبر القمر لصارت المسافة الكائنة بين هذين الجوهريين المبكبرين بكبر المسافة الكائنة بين الارض والقمر . وهذا دليل آخر من الادلة القاطعة والحجج الدامغة على ان الله تعالى جلت حكمته قد خلق كل الكائنات على قانون واحد لا يتغير

ومما يزيد العقل البشري حيرةً تكوين خلائق مختلفة الاجناس والانواع والفصائل من مادة واحدة بعينها . فان الله تعالى بحكمته الازلية خلق المادة كلها ذات جوهر واحد لا يتغير . وهذه الجواهر الفردة التي هي اساس تركيب جميع الاجسام من حيوان ونبات وجماد وعناصر كلها جوهر واحد ومادة واحدة في حد نفسها لا اختلاف في ماهيتها وجوهرها

وطبيعتها . ولكن ما نراه في هذا الكون الفسح من اختلاف اجناس الحيوان
وانواعه والنبات وفصائله والمعادن واصنافها والعناصر وخواصها فهو حاصل فيها
ليس من قبيل اختلاف جواهرها بل من قبيل الاختلاف الموجود في عدد
الجواهر المركبة منها . ولذلك كان الفرق حاصلًا بينها من جراء كميتها ونسبة
مقاديرها في التركيب وليس من جراء ماهيتها وطبعها . فالذهب والرصاص والفضة
والنحاس وغيرها من انواع المعادن وحجارة الماس والفحم الحجري والياقوت
والزمرد وغيرها من الحجارة الكريمة والورد والزنبق والبنفسج وغيرها من
الزهور والتفاح والبرنقال والعنب وغيرها من الاثمار وغاز الاوكسجين
« مولد الحموضة » والهيدروجين « مولد الماء » واسيد كاربونيك « حمض الفحم »
والكهربائية وغيرها مما يشابهها مركبة من مادة واحدة ومن جواهر فردة
واحدة في كنهها وماهيتها . واما ما نراه بينها من الاختلاف في الالوان
والطعم والمس والصلابة والرخاوة والنعومة الى غير ذلك فهو حاصل من
جاء الاختلاف الكائن في عدد الجواهر الفردة التي تتركب منها . فعلى
هذا المنوال ان الورق الاحمر من زهر الورد ورأثته العطرية وشوكه
الحاد وورقه الاخضر وساقه الصلب وعروقه الصفراء مكوّنة من نفس
الجواهر الفردة التي هي من مادة واحدة بعينها . ولكن لما كانت مقادير
الجواهر الفردة التي هي اس التركيب في الورق الاحمر من الوردة مختلفة في
كميتها عن الجواهر الفردة التي هي اس التركيب في شوكها او في ورقها
او في قضيبها حصل من جراء ذلك فرق ظاهر بين ورق الوردة ورأثتها
وشوكها وهم جرا

وقد نقرر ايضاً بقواعد العلم الراسخ والامتحان الكيبي ان الجواهر الفردة تتبع في تركيبها عدداً محدوداً لا يتغير ولا يزيد ولا ينقص وقد جعلت حكمة الله تعالى وقدرته السامية عدداً معلوماً من الجواهر الفردة لتركيب كل من الاجسام على كبرها وصغرها . فالجواهر الفردة التي يتركب منها زلال البيض مثلاً منحصرة في عدد محدود خاص به ولا يشترك بذلك العدد جسم آخر وقس على ذلك جميع الكائنات . ومتى انحل جسم من الاجسام بفصل ذلك العدد المحدود من الجواهر الفردة حافظ كل جوهر فرد على وجوده المطلق بدون خسارة او نقصان وصار في الحال اساً لتركيب جسم آخر كما بينا ذلك باصرح عبارة في كلامنا على سفر الجواهر الفردة وانتقالها من جسم الى جسم آخر . وليس في تركيب الاجسام وعدد جواهرها الفردة شيء من الصدفة بل كل ذلك مؤسس على قاعدة الاعداد . وقد رتب الخالق بحكمته الالهية عدداً معلوماً من الجواهر الفردة لكل جسم بلا زيادة ولا نقصان .

وعما يزيدنا ايماناً بقدره الله وحيرةً بحكمته الالهية هو شكل هذه الجواهر الفردة . فانه تعالى خلقها جميعها بلا استثناء على اشكال هندسية لا يعترىها تغيير ولا تبديل اصلاً . وتحفظ شكلها الهندسي المختص بها في جميع تراكيبيها ولا يتغير شكلها الهندسي الذي فطرت عليه سواءً تجمعت في كتلةٍ من الاجسام ام خرجت منها . فان كانت على شكل كرةٍ او مكعبٍ او مخروطٍ او مستطيلٍ او شبهه بالمعين او منحرفٍ او مضلعٍ او مسدّسٍ او مثنٍ او يبري او لبني او موشور او اسطواني او غير ذلك من الاشكال الهندسية

بقيت عليه ما دام خالقها الحكيم يحفظها بعنايته ويمررها بقدرته ويركب منها
بمحكمته ما يشاء من الانسان والحيوان والنبات والجماد والمياه والعناصر والنجوم
والكواكب والشموس وغير ذلك من المخلوقات التي لا نعرفها . وفي كل حلها
وتركيبتها لا يفقد منها شيء ، البتة

فالجوهر الفرد مثلاً من حمض الفحم (اسيد كربونيك) الذي يتطاير
عند الحل من آخر نفس الانسان او الحيوان حال النزح يتقل حالاً الى
النبات ليقيته ويحييه . وعلى هذا المنوال تتبع الجواهر الفردة القانون الذي
قد سنه لها خالقها الحكيم ولا نتعداه وليس في الكون الفسيح باسره حركة
شاذة عن القانون اصلاً

وواضع هذا القانون العام العديم التغيير هو الله الدائم جل جلاله وبه
يسوس الكون ويدبره وبه يحييه ويحفظه وهو الحكيم القادر على كل شيء
لا شريك له ولا نظير .

❖ القصيدة الكيماوية ❖

« قدرة الخلاق في تركيب العناصر وحلها ومفاعيلها »

رثيتُ بهذه القصيدة فرج الله ضاهر الحلبي اخا صديقي القديم فرنسيس
ضاهر وانا يومئذ بمدينته منجستروذلك سنة ١٨٧٥

الى الغاية القصوى نساق بتقدير ونبل يحل ثم بدل وتغيير
تسوق نواميس الطبيعة جسمنا الى معمل الكيما من غير تأخير

وتجري على كل الخلائق حكماً
 تقطرُ ارواحاً تحلُّ جوامداً
 تركبُ جسماً من شتات عناصر
 تُذوّبُ في قلب الجبال معادناً
 تصعدُ غيماً من مجور وانهر
 تخمرُ بزرّاً في اراضٍ خصيبةٍ
 تعصرُ كيموساً تجهزُ كتلةً
 تعذبُ شاباً بالفراغ وصدّه
 تحذبُ شيئاً تحت وقر زمانه
 تجودُ علينا بالوجود تبرّعاً
 وتسلبُ عمراً حين نبغي خلوده
 وتنزعُ روحاً من صدور بواسلٍ
 تجرّعنا من دنها خمر علقمٍ
 تشكُّ بشوك المم وردة عمرنا
 نعيش نشاوى والحياة مدامةً

ونصحو على باب المنون بتفكيرٍ

ونبغى كمن لا يعرف الموت والقضا

ونكبو لموتٍ فاجئٍ دون تحذيرٍ

كما تبسم الازهار في الروض ساعةً

كذا العمر يمضي في ذبول وتزهيرٍ

فنبتُ في ارضٍ ونحصد كالكلاب
 بمنجل موتٍ قاهر دون تبصير
 ونسى لنيل المال طول حياتنا
 ونرغب حرصاً في اقتصاد وتوفير
 ونجمع اموالاً ونلهو بمكسبٍ
 ولم ننجُ من موتٍ يجمع وتكثير
 وما تقني بالحل من خير ثروة
 ستنفقها بالبذخ ابناء تبذير
 نطنُّ بان الليل سوف يريحنا
 فتمضي الليالي بين حلمٍ وتعبير
 ونشغل افكاراً بحكمٍ وحكمةٍ
 ولا نغنى من حتف بعلمٍ وتأخير
 فقد مات نمرودٌ وكسرى وقيصر
 وقسٌ وسقراطٌ كذا كل نحرير
 فلا الحزن يفدي المرء من قبضة الردى
 ولا حسرة تأتي دفيناً بتبشير
 وما قام ميتٌ قد بكته محاجر
 وما عاد مدفونٌ الينا بتخبير
 لكل كيان آفة من خواصه
 وآفة كل الناس موتٌ بتقدير

وكلُّ ترابٍ والترابُ معادُهُ
 وعمرٌ بخارٌ يضمحلُّ بنقير
 فيا داخلاً دنيا الشقاء بدمعة
 ستتركا رغماً بدمعٍ وتحسير
 اتطمع في خلدٍ ومهدك صورةً
 لنعشٍ وتابوتٍ وقبرٍ وتكوير
 ونومك رضىً للمنونِ وشخصه
 حذاءً سريرٍ قد تصدى لتحذير
 فما العمر إلاَّ أسرٌ حرٌّ مقيدٍ
 وما الموت إلاَّ بابٌ عتقٍ وتحرير
 فلا ترهبَنَّ الموت عند حلوله
 فما باسلٌ يخشى خلوداً بتقدير
 الا انتهبوا يا معشر الناس واعلموا
 بان حياة المرء اوهامٌ تقرير
 اميطوا شعار الجهل والحرص واقنعوا
 وعيشوا بفضلٍ وانقاءٍ وتديير
 ولا تفسدوا في الارض طول حياتكم
 فما مفسدٌ يأتي الجنان بتقدير
 وجاروا رضى المولى ركوعاً وسجداً
 وسيروا مسيراً فاضلاً دون نقصير

لقد كان موصوفاً بهذا الفضل «ضاهر»
 وعاشَ كريماً في نقاءٍ وتطهيرٍ -
 فافرج عنه في الجنانِ الالهةُ
 ونشفَ عيناً من دموعٍ وتكديرٍ -
 وخوَّله في خير دارٍ - معاداةً
 تفوق على الدنيا بوصفٍ وتصويرٍ -



« وقلت ارثي لحالي وذلك بلندرة سنة ١٨٨٨ »

* النظم *

رثي الناس حبراً زيتتهُ مآثرُ
 أيرثي لحالي ناثرٌ ثم شاعرُ ؟
 وماذا يفيد الميت ندبُ نوادبِ
 وقد صمَّ سمعٌ ثم بادت شعائرُ ؟
 اذامتُ مات الشعر عندي واهلهُ
 ودكتُ ليوم النشر بعدي منابرُ
 رثيتُ لحالي قبل موتي ومآتمِي
 وطبعتُ من حلِّ العناصرِ نافرُ
 وتنفرُ عني في المرثي قريحتي
 نفورَ طباعٍ من فسادِ يخامرُ

اذا ذكر الانسان ساعة حتفه
 تصدع منه العقل والفكر حائر
 فليس الذي يرثي انخلال بيانه
 كمثل الذي يرثي خليلاً يفادر
 اذا كان لا منجي من الموت بتة
 فلا تقنطي نفسي كذاك العناصر
 اسير سبيلي سير جدي ووالدي
 كما سار قبلي للقبور قياصر
 نزلت دياراً لا تريح نزيلها
 وكل نزيل عن قريب مسافر
 ديار الدنيا دار المذلة والشقا
 تذل بها الاجسام ثم السرائر
 فكم ماتم فيه نشدت مرثياً
 وقت خطيباً والدموع زواخر
 غداة على قبوري تقوم منادب
 وصخر قبور للخطيب منابر
 ينوح على فقدي خيار احبتي
 وينعى وفاتي كل غاد وسائر
 اخلاء مهلاً لا تذوبوا توجماً
 فان زالت الاعراض دامت جواهر

تسلوا اذا جسيب تواری بمغفرة
 فاني لديكم بالمودة حاضر
 ولوذوا بحصن الصبر دأباً كثلما
 عليكم ليوم الحشر قبلي صابر
 لقد بنت عنكم والفراق مقدر
 وكم بان قبلي بالنية دابر
 الموا على نعشي وقولوا لحفرتي
 سقتك الغواصي حل دارك زائر
 مضى من ثوى للحشر طيك في الثرى
 وعرش معاليه الى النشر غابر
 فيا قبر حقاً لست آخر حفرة
 من الارض شقت فيك شقت مرائر
 عليك سلام الله ما دمت مقصداً
 ودامت بقطر الغيث تسقى الحفائر

❖ يعقب الموت ❖

« القبر »

نظمت هذه الايات لتحفر في حجرة قبري

فضى العمر في الاسفار طالب حكمة بروم فنوناً لا تعد وتحصر

ومن كانت الدنيا الفسيحة كلها . تضيق لديه في الحياة وتضمر
كفته بعيد الموت اضيق حفرة كما اكتفيا بالمثل كسرى وقصر

﴿ يعقبُ القبرُ ﴾

« خلود النفس »

هذه مسألة لا يحتاج الى الخوض في عباها اصحاب الاديان لانهم
يقرون بها من دون مناظرة ولا جدال . ولكن نستجلب اليها التفات الشبان
الذين قد اغتروا باقوال بعض الفلاسفة الماديين الذين ينكرون روحية النفس
وخلودها مع ما يتبع ذلك من الحقائق الجوهرية
فلقد اكثر ما قاله هؤلاء الفلاسفة الماديون في مسألة النفس والعقل
والفكر البشري . ونحن نذكر منها ما قلَّ وجلَّ ثم نبين ضلالها . ونقول :
قال بعض الماديين : كانت الفلاسفة وعلماء اللاهوت في الاعصار الغابرة
يسردون اراءهم الشخصية في حقائق غامضة لا يدركونها حق الادراك . وكانوا
يزعمون ان اراءهم في كل ذلك حقائق لا تقبل الجدل . ولبث كثيرون من
الذين خلفوهم ينقلون عنهم بكل ثقة وبدون ترور وتردد مسائل كثيرة .
وكانوا يكتفون بقولهم : قال افلاطون . قال ارسطو . قال المعلم توما اللاهوتي
قال فلان وفلان ما هو كذا وكذا . وعلى هذه الطريقة وصف بعض من
اللاهوتيين والفلاسفة الاقدمين . طبيعة النفس وعينوا اليوم والساعة والدقيقة

والواسطة التي بها تتحد بالجسد في الرحم . ووصفوها بخليقة قد حكم الله عليها بالاقامة في سجن الجسد واحتمال العذاب في وادي الاحزان والدموع منقبة عن وطنها السماوي الى اجل مضروب . ثم بينوا الطريق الذي به تخرج النفس من الجسد والمكان المد لاقامتها بعد انفصالها من الجسم الى غير ذلك من الاقويل التي كانوا يكتبون بسردها دون اعتناء باثباتها . اما العلماء الماديون في هذا العصر فقد عدلوا عن هذه الطريقة المجانية واعتصموا بالامتحان والتجربة وحل الاجسام وتركيبها . وعلى اصول هذا الامتحان اقاموا ادلتهم وقالوا :

منذ القرن السابع عشر كان العلامة « بازك » (*Balzac*) قد قال : ان الفوسفور هو العنصر المهم الذي به المخ يبرز الافكار : وقد تبين بالامتحان ان كل القوى العقلية محصول الفوسفور وليس محصول ما يسميه الناس « بالنفس » ثم ان هذا الفوسفور يكثر وجوده في المخ . والمخ يتركب من مادة دهنية تظهر فيها نقط سود . وجميع الافكار تصدر عن هذه المادة الدهنية ونقطها السوداء . وان مادة المخ بوجه العموم ليست بحاسة . فاذا ادخلنا فيها رأس ابرة لا يحصل في المخ شعور البتة . ولكن حاسة المخ منحصرة في الاهداب الحية وفي طبقات العينين . وقد جرب علماء التشريح ذلك وقطعوا المخ قطعة فقطعة في الحيوان الحي ولم يشعر بالمش . ووجدوا انهم اذا ازالوا مخ الحيوان بتمامه من قحف رأسه فقد حالاً حاسة البصر والسمع ولو لبثت عيناه مفتوحتين واذناه سالمين وانفاسه مترادفة . وصار حال ذلك الحيوان الفاقد المخ حال من يكون غارقاً في سبات عميق بلا ادراك وعدم العلاقات مع ما

حواله من امور الدنيا . والعلماء الذين اجروا هذه التجارب في ازالة المخ من رؤوس الدجاج وجدوا انهم كلما ازالوا قطعة من مخ الدجاجة نقص ادراكها بنسبة القطعة المنفصلة حتى اذا رفعوا كل منها فقدت كل اشعارها وادراكها . وقالوا : ما يحدث في مخ الحيوان يحدث نفسه في مخ الانسان

وقد استنتج الفيلسوف « بوخنر » (Büchner) المادي من هذه التجربة الاستنتاج الآتي : اذا كان الادراك يزول بازالة المخ فذلك دليل على ان العقل هو المخ نفسه فمتى ارتفع المخ من رأس الانسان ارتفعت قوته المدركة ايضاً . وبناءً على ذلك لا يوجد في الانسان روح او نفس متعلقة ممتازة عن مادة المخ . فنفس المخ هو عين ما يسميه الناس بروح او نفس

ثم قال الفيلسوف المادي « مولسشوط » (Moleschott) في المعنى المذكور لو لم يكن المخ هو الذي يسميه عموم الناس بالنفس لما كان شرب القهوة ينبه قواه العقلية وشرب الشاي ينعش قوة ادراكه وشرب المسكرات يزيلها . ثم قالت طائفة الماديين : ان الفرق بين مخ المرأة والرجل عظيم جداً فان مخ المرأة اقل وزناً من مخ الرجل بنحو ١٤٠ غراماً . وكان ارسطوطاليس الفيلسوف قد عرف هذا الفرق الكائن بين مخ الرجل وبين مخ المرأة وقد ثبتت حقيقة ذلك بالامتحان في هذا العصر . لان الطيب « بويد » Boyd بعد ما وزن ١٠٨٦ مخ رجل و ١٠٦١ مخ امرأة وجد ان معدل ثقل مخ الرجل لا يتجاوز ١٣٦٦ غراماً ومعدل ثقل مخ المرأة لا يتجاوز ١٢٣٨ غراماً . فاذا كان معدل ثقل مخ المرأة اقل من معدل ثقل مخ الرجل كان معدل قامة المرأة

ايضاً اقصر من معدل قامة الرجل . وبناءً على ذلك ما كان في مخ الرجل من زيادة في قوة الادراك كان في قلب المرأة ما يقابله من زيادة في الخنو والاشفاق وعلو الجنباب . فيتضح من هذا القول انه يوجد مناسبة بين كبر المخ وثقله واطوائه وبين القوة العاقلة . فالجنين لا يمتلي قحف راسه محناً الا في الشهر السابع من تكوينه ثم قالوا : قد اثبت المعلم تيادمان *Tiedemann* بالتشريح وقال : ان نمو المخ في رأس المعلم « فيسال » *Vesale* و « شكسبير » *Shakespear* الانكليزي و « هيغل » *Hegel* و « وغوث » *Goethe* أكثر من نموه في رؤوس غيرهم يثبت هذه النظرية

« هذه خلاصة ما ذهب اليه الفلاسفة الماديون »

اما الفلاسفة الذين يوجبون وجود نفس بسيطة غير مادية بمتازة بجنورها عن جوهر العناصر فخلاصة ادلتهم هي كما يأتي :

« تحديد النفس وتعريفها »

« النفس » جوهر فرد بسيط متصف طبعاً بقوة الافكار

﴿ تحديد « انا » وتعريفه ﴾

« انا » ضمير مفرد للمتكلم : ويدل على ما يشعر به الانسان من جهة

وجوده مستقلاً بنفسه في حالة لا تقبل التبدل . ويثبت وجود النفس مستقلةً وممتازةً عن المادة . وليس هو جوهر النفس بل هو « معرفة النفس ذاتها » . ويمتاز عنها كما يمتاز العلم بالشيء عن القوة التي تدركه وتعلمه

﴿ باب الادلة ﴾

الدليل الاول على وجود النفس وخلودها مأخوذ عن « الشعور » وذلك ان جميع البشر منذ خلقوا الى الآن قد شعروا بقوة تفكير وتعقل وسماوا تلك القوة باسم يختلف عن الاسماء التي سماوا بها بقية اعضاء جسمهم المادية . لشعورهم بكونها مختلفة بجوهرها عن جوهر الجسم . ولما ارتقى النوع البشري الى طبقات المعارف كتب علماء وعم مقالات مستوفية المعنى في وجود النفس وشعورها وقوتها المدركة والمفتكرة وخلودها . والفلاسفة الذين اوجبوا وجود النفس البسيطة وخلودها اكثر عدداً من الذين انكروه او شكوا فيه . ولولا ضيق المجال لكنا سردنا في هذا الباب اسما « النفس » بلغات اهل الارض المعروفة الى الآن وهي لا نقل عن (٦٠٠) لغة . وهذه التسمية العامة للنفس بجميع لغات العالم دليل مانوس ومعقول على وجود النفس وخلودها . لانه ليس بمعقول ان تصور اتفاق امم الارض طراً منذ خلقتهم على وضع اسم لشيء وهمي لا وجود له

﴿ الدليل الثاني مأخوذ عن « معرفة النفس لذاتها » ﴾

وذلك ان جميع الناس من علماء وغير علماء يدركون انفسهم ويعرفون

ذواتهم الى درجة حتى يقول كلٌ منهم انه يفكر وان فكره ليس بقطعة من «مخ» او «نقطة من دم» او «ذرة من فسفور» وان عقله وافكاره تمتاز امتيازاً صحيحاً عن اعضاء جسمه كما يمتاز قوله «انا» عن قوله «رجلي» او «يدي» او «قلبي» . وقد سمعنا من يقول : احسُّ بالمر في رأسي او يدي وما سمعنا اصلاً من يقول : احسُّ بالمر في «انا» . فاذا ضمير انا الذي هو عبارة عن معرفة النفس لذاتها هو شيءٌ يمتاز طبعاً عن مادة الجسم القابلة ويثبت كون النفس جوهرًا فردًا بسيطًا خاليًا

الدليل الثالث ماخوذ عن «مخ» الانسان وما فيه من الفلقات والاطواء وذلك ان «المخ» في عرف الفلاسفة الماديين هو «النفس» وهو الذي يفرز «الافكار» كما يفرز الجسم «العرق» من مسامه . اما في عرف الفلاسفة الروحانيين فهو مادةٌ تشغها النفس بمقام مركز لها وبواسطة هذا المخ تباشر اعمالها العقلية وتحكم عاياه وعلى كل ذرة من ذراته وهو يطيعها في كل اوامرها وكانت العلماء في الزمان القديم قد اهملوا فحص الفلقات والاطواء الموجودة في المخ . وزعموا انها من جملة العباب الطبيعية او انها اطواء عرضية لا تستحق دقة نظرهم . اما العلماء المتأخرون فقد وجدوا بعد الفحص المدقق ان «نظام» هذه الاطواء هو «الحد الفاصل» بين مخ الانسان وبين مخ الحيوان على اختلاف انواعه . وكلما كثرت الاطواء في مخ الانسان ولا سيما في جهة الجبهة منه دلت على كثرة تأثير النفس فيه عند ابراز افكارها بواسطته وعلى شدة قوة العقل في صاحبه وقد وجد العلماء الذين تفرغوا الى تشرح المخ في الانسان والحيوان ان الاطواء تكثر في الفلقتين الجبهيتين من

مخ الانسان وحيوان « الاورنوطنغ » و « الشمبازي » . ولا توجد في فلقتي مخ بقية انقروا اصلاً ولذلك قالوا : ان الاطواء الموجودة في الفلقات الجيبية من المخ هي الحد الفاصل بين الانسان وبعض الحيوان المتعقل وبين بقية الحيوانات غير المتعقلة . ثم قالوا : ان الاطواء تظهر ايضاً في الفلقات الجيبية من مخ بعض الحيوانات الالهية التي تألف الانسان اكثر من الاطواء التي تظهر في الفلقات الجيبية من مخ الحيوانات الوحشية . وهذا دليل اخر على ان هذه الحيوانات تكسب افكاراً وتصورات من الانسان الذي تألفه

اما مخ الجنين فلا اطواء في فلقاته الجيبية . بل يبتدىء ظهورها في مخ الطفل بعد ولادته . وكلما كبر سنّاً كثرت في مخه الاطواء والثنيات . وكذلك مخ الطفل الاوربوي والزنجي مع مخ اطفال جميع الامم يكون خالياً من العلامات الفارقة التي توجد في مخ البالغين من عموم الناس

اما شكل المخ فمعيّب ايضاً فانه يتألف من قسمين احدهما في الجانب الايمن من قحف الرأس وثانيهما في الجانب الايسر منه . ويعترض هذين القسمين خدنٌ يفصل بينهما وينعطف عليه غشاء من جلدة المخ . وكلٌّ من هذين القسمين قائم بنفسه على نوع ما وعليه خدون وعضون . والقسمان متساويان بالحجم في اغلب الاحوال . كلٌّ من هذين القسمين يقسم ايضاً الى ثلاثة اقسام احدها الفلقة الجيبية التي من امام وثانيها الفلقة الصدغية وثالثها القسم القفلي الذي في قفلة الرأس من وراء . وعدا ذلك يوجد فلقة اخرى في مركز المخ .

اما قول الفلاسفة الماديين ان المخ هو عين النفس وهو الذي يفرز

الافكار فقولٌ غير معقول لان الخ الذي لا يزيد ثقله عن ٣٥٠ درهما هو مركب من مادة نخاعية تتكوّن من الياف بيضاء او مادة شمعية ومن مادة دهنية فسفورية ومن مادة زلاية ومن ماء وغيرها . فليقل لنا الفلاسفة الماديون : اي قسم من هذه المواد المذكورة منصف بقوة التعقل والفكر ؟ هل هو الماء او المادة الفسفورية او الزلاية . كلاً لا شيء من هذه المواد جميعها متصف طبعاً بقوة التعقل والتفكير . والدليل على ذلك ظاهر لان هذه المواد كلها قد دخلت فرداً فرداً تحت امتحانات الكيا وبين الماديين . انفسهم مراراً لا تحصى . وما احد منهم امكنه ان يجد مثقال ذرة عقل او فكر او شعور في المواد المذكورة

فان قالوا : ان قوة التعقل والتفكير ذرة قائمة بنفسها مودعة من الطبيعة في مجموع مواد الخ المذكورة . قلنا : ان هؤلاء الفلاسفة بمجرد اقرارهم بهذا اقروا « بخلود النفس » لان جميع فلاسفة هذا العصر مع فلاسفة الاعصار الغابرة يقرون بخلود الذرات والجواهر الفردة كلها سواء كانت بسيطة او غير بسيطة . ويثبتون بادلة قاطعة قولهم ان هذا الكون العظيم الفسيح يتركب من ذرات لا تقبل الفساد والاضمحلال ولا ترجع الى العدم . فاذا كان ذلك كذلك كانت النفس ايضاً بناءً على قولهم ذرة قائمة بنفسها لا تقبل الفساد ولا تضعحل ولا ترجع الى العدم بل تبقى خالدة الى ما شاء الله

الدليل الرابع مأخوذ من « الوحدة الشخصية » . وذلك ان كل انسان يشعر في نفسه بانه شخص واحد قائم بنفسه . ويفتكر بحاله . واذا سها عن شيء استعان على تذكره بنفسه . واذا اخطأ في قضية بادر في الحال

الى تصحيحها بنفسه ومن تلقاء ذاته بسائقة ميله . واذا ملك شيئاً عدّه من حقوقه الشخصية كأنه المالك الوحيد عليه . وفي كل هذه الاحوال يعتقد انه شخصٌ مستقلٌ بوجدانيته لا شريك له فيها . ولا يتصورُ ابدأً ولا يشعر اصلاً بان اعماله المذكورة صادرة عن عناصر شتى كالهيدروجين والاكسجين والفسفور والنشادر والكربون والازوت وغيرها من العناصر المذكورة اعلاه . وهذا دليل آخر صريح على ان جوهر النفس مستقل في وحدانيته وممتاز عن جميع عناصر الجسم . وان لهذا الجوهر الفرد خلوداً تاماً طبيعياً وانقياداً لهذا الميل الطبيعي يطمع الانسان في الخلود والبقاء وينفر طبعاً من فكر الاضمحلال والفناء

الدليل الخامس مأخوذ من كيفية انتقال الفكر بسرعة عجيبة في وقتٍ واحد من مكان الى مكان مع وجود الجسم في مكان آخر . وذلك ان الانسان اذا كان في داره جالساً على كرسيه يستطيع في الوقت نفسه ان ينتقل بفكره الى بلادٍ بعيدة كان قد رآها من زمان مديد وان يتذكر ما رآه فيها وما جرى له مع اهلها . فلو كان الفكر محصول المادة الفسفورية والنشادرية والكربونية وغيرها كما زعم الماديون لكان الفكر « مادة » مثل علقته . ولكن يستحيل على المادة ان توجد في مكانين مختلفين في وقت واحد . فاذا الانسان في بلدة وانتقاله بفكره الى بلدة اخرى دليلٌ صريح على ان فكره ليس بمادة وان نفسه ليست بقسم من اقسام جسمه او مخه المادي . بل هو قوة « بسيطة » روحية مستقلة عن جسمه وتصرف باعمالها بطريقة مستقلة عن الجسم . والقوة البسيطة لا تقبل الحل والفساد

وبناء على ذلك كانت النفس خلدة

الدليل السادس مأخوذ من تبدل الذرات في الجسم البشري وبقاء هوية النفس . وذلك قد وجد بالامتحان المعلمان «ولسشوط» و«مارفلس» (Marfels) الماديان ان المواد الملوثة التي قذفها بالتلقيح في دم الضفادع زال اثرها منه بعد مرور سبعة عشر يوماً . ولما كانت حركة الدم في الحيوانات الحارة الدم كالانسان وغيره اسرع من حركة دم الضفادع استتجا من ذلك ان تجدد ذرات الدم كلها في الانسان تتم باقل من سبعة عشر يوماً . اما صاحب كتاب «دورة الدم» فيقول : ان التجارب العديدة التي اجراها في هذا الشأن قد اثبتت له ان تجدد ذرات الجسم كلها لا يتم في اقل من ثلاثين يوماً وغلط العلماء الذين زعموا ان دم الانسان كله يتجدد في ظرف سبع سنوات . ثم قال صاحب الكتاب المذكور ان تجدد الدم في الانسان يتم بنقدان المواد الاصلية كلها من جسمه بطريقة الافراز ودخول غيرها مكانها بواسطة التغذي اليومي . فالرجل الذي في سن الثلاثين وثقل جسمه نحو ٦٤ كيلوغراماً يفقد من جسمه في كل ٢٤ ساعة نحو كيلوغرام ونصف كيلوغرام من اللعاب . ونحو كيلوغرام وربع كيلوغرام من الصفرة . ونحو اكثر من اربعة عشر كيلوغراماً من عصير المعدة . وبناءً على ذلك ان الرجل المولع بتدخين التبغ يفرز من فمه في نصف نهار لعاباً يوازي ثقله ثقل ٧٥ جزءاً من ثقل جسمه وسرعة افرازات الجسم تختلف في الشاب والشيخ والطفل . فان الافراز الصائر من اجسام الشيوخ والاطفال يكون اقل كمية من الافراز الصائر من اجسام الشباب وذلك لان حركة دوران الدم في

الشيخ والاطفال تكون اقل سرعة من سرعة دوران الدم في الشاب والرجل الذي يشتغل بالعلوم والاعمال العقلية يتعب كالرجل الذي يكدُّ يديه ويشتغل في حفر الاراضي والمعادن وغيرها من الاعمال الشاقة . ولذلك كلا الرجلين يفقدان من جسميها مواد اكثر من الذين يصرفون اوقاتهم في البطالة . ولذلك كان الرجل المشتغل بالعلوم والمشتغل بالاعمال الشاقة يجددان مواد جسميها باسرع وقتاً من الذين يصرفون اوقاتهم بالبطالة . والذين يجددون ذرائر اجسامهم بسرعة يعيشون عيشة جذلة بوجه بشوش وخذود موردة وبكمال الصحة والعافية ويكون عمرهم طويلاً . وبالعكس ان الذين يصرفون اثنى اوقاتهم في البطالة والخمول يبطل تجديد الذرائر في اجسامهم ولذلك تستولي عليهم العموم وتصفر وجوههم وتشوهها العبوسة ويقضون العمر في الامراض العصبية وبناء على ذلك اذا دامت الموازنة تامة بين ما يفقده الجسم من الذرائر بالافراز وبين ما يكسبه من الذرائر الجديدة بالتغذية والاستنشاق دامت صحته ايضاً تامة . ومتى وقع الخلل في ذلك اختلت في الحال صحة الجسم ايضاً . اما الموازنة التامة فتوجد بوجه العموم في اجسام الشباب والكهول . ولكنها تفقد في اجسام الشيخ . لان القوة الهاضمة في معدة الشيخ تكون اضعف من القوة الهاضمة التي في معدة الشباب . وانسان العين في الشيخ يأخذ في الصغر ويفقد ما يثته فيقصر بصره . ثم تفقد العظام مرونتها من جراء قلة الدم والماء فيها وعلى هذا النسق يقل تجدد الذرائر ويكثر فقدانها بالافراز والزفير . ويقع الخلل في الموازنة ويضعف الجسم الى درجة لا يستطيع معها القيام بوظائف الحياة فيجمل ويفسد . وقد قال في المعنى المعلم

« اسلايدن » *Schleiden* الجرمانى : « ان التصور الذي نتصوره من امر الحياة والموت على عهد شبابنا يختلف اخلاقاً عظيماً عما نتصوره في هذا الشأن في زمن شينوخنا . فمتى استولى الهرم علينا تراكت المواد في جسمنا . وضارت اعضاؤنا اللينة المرنة جافية تقرب من حالة العظام فتعجز عن القيام بوظائفها . وبأخذ الجسم كله في الانحطاط ويجذب تراب الارض تراب الجسم اليه رويداً رويداً حتى تشعر الروح بثقل جسمها وتعجز عن حمله فتمتلص منه وتتركه وشأنه عرضةً للفساد والاحتراق باكسجين الهواء . اما النفس البسيطة الخالدة بعد ما تترك عقالها وتنفك من قيود اسرها تطير وتكسب حريتها الابدية »

فيتضح جلياً مما قلناه اعلاه ان الجسم المركب من العناصر لا يزال يجدد ذرائره على الدوام حتى في آخر كل شهر من حياته لا يبقى فيه خرة من الذرائر التي كانت فيه قبل ثلاثين يوماً . فاذا افترضنا ان النفس هي الخ او قطعة اخرى من الجسم كما يزعم الماديون افضى بناموس تجدد الذرائر ان تجدد النفس ايضاً وان لا يبقى في الانسان اثر من النفس التي كانت فيه قبل ثلاثين يوماً . والحال ان الانسان الذي يشعر بتجدد ذرائر جسمه وتبدلها بالتغذية والافراز والشهيق والزفير لا يشعر ابدًا بتجدد نفسه وابتدالها بغيرها . فاذا ليست النفس قطعة من مخ او من جسم قابل الحل والفساد . بل هي جوهر بسيط خالد قائم بذاته

الدليل السابع مأخوذ من « اشتراك الحياة » وذلك ان الحياة في الانسان والحيوان والنبات واحدة في كنهها وجوهرها . وهي حياة عامة ومشاركة

بين هذه المخلوقات . اي حياة الانسان هي نفس الحياة التي تحيي بها
الاشجار والزهور وجميع الحيوانات الكبيرة والصغيرة وكل من دب ودرج
على الارض وطار في الهواء وخفي عن نظرنا كالحوانات المعروفة . باسم
«مكروب» *Microbe* . وقاعدة هذه الحياة هي «الارض» وواسطتها هو
«الهواء» . وبقانون هذا الاشتراك كانت «حياة» الانسان ليست خاصة
مخصصة به فضلاً عن غيره ولذلك لا يستطيع ان يسقط به الان حياته
معلقة على حركة ذرات لا تزال في انتقال من جسمه الى جسم غيره
والذرات التي تكون علة حياة غيره ايضاً لا تزال في حركة دائمة غير
محسوسة تنتقل بها من جسم الى جسم آخر . وبناء على ذلك ان جسمنا
الذي يقبل كل يوم كمية وافرة من الذرات الجديدة بواسطة الاكل
والشرب والشهيق يفقد كذلك كل يوم عين تلك كمية من الذرات
بواسطة العرق والزفير وافراز فضلات الطعام . وعلى قاعدة (اشتراك
الذرات) يقوم بناء الحياة في الانسان والحيوان والنبات وفي جميع
الكائنات على العموم . ولذلك ان ذرة الاكسجين التي نستشقها
من الهواء ونحيا بها اليوم كانت بالامس تحيي شجرة من اشجار
الغاب وذرة الاكسجين التي كانت قبلاً تحيي شجرة من اشجار الصنوبر
في الليل قد انفرزت منها في النهار فحملها الهواء ومر بها حذاء انفسنا
فتشقناها وحيينا بها كذلك ذرة من ذرات الهدروجن او الماء الذي يقطر
اليوم من عين تاكل ربما كان بالامس من الذرات التي ينكب منها رباب
عذراء ترح طرباً . والذرة من الكربون الذي احترق في الشمعة التي كتب

المتنبى اشعاره على نورها او في المصباح الذي كتب افلاطون مصنفاته الفلسفية على ضيائه تحترق الان في رثتي اديسون الكيماوي الاميركي المشهور . والذرة من الفسفور التي الان في محي ربما كانت في الزمان القديم عين الذرة الفسفورية التي كانت في مخ سقراط او في مخ الحمامة التي كانت في سفينة نوح . والذرة الاخيرة من حمض الفهم « اسيد كربوليك » التي تطايرت بالامس من فم الانسان او الحيوان المائت قد احبت اليوم الوردة العطرية التي اتعم بشميمها والاكسجين الذي يفرزه النبات في النهار ونحن نستنشقهُ مع الهواء هو الذي ينقل الينا جواهر الحياة وعناصرها ويشركها بنا ويمسك بشرة وجهنا بالاحمرار والجمال ويصفي دمنا ويحفظ حرارة الحياة فينا . ولذلك قالت العلماء بانفاق الرأي : ان جميع المخلوقات الحية التي على وجه الارض ما هي الا « هواء ذواعضاء »

فبناء على هذه القاعدة الكلية المثبتة بالحل والتركيب اذا كانت ذرات الحياة معروضة للاشتراك بين الانسان وباقي المخلوقات فلم يبق في الانسان شي ثابت غير هويته المعنوية البسيطة التي لا تتقل ولا تشترك مع غيره ولا تحل ولا تفسد . بل تحل مستقلة بطبعها خلود الذرات البسيطة

« اعتراضات الماديين والرد عليها »

قالت الفلاسفة الماديون : يستدل الفلاسفة الروحيون على وجود النفس وخلودها من بقاء « معرفة الانسان نفسه » على حالها بلا تبدل ولا تغير رغماً عن تبدل ذرات الجسم وتجدها . وهذا ليس ببرهان قاطع . لان

لون العيون ولون البشرة وسياء الوجه وشكله وهيئة الجسم كله لمن الاشياء المادية ومع هذا كله لا تتغير في الانسان طول حياته وان تغيرت كل ذرات جسمه

الجواب : اولاً ما من احدٍ من الفلاسفة الماديين قد استطاع الى الآن ان يثبت بادلة قاطعة ان بقاء لون العيون وسياء الوجه وشكل الجسم لها علاقة مستقيمة مادية مع تغيير ذرات الجسم . ولذلك نقول : ربما كان بقاء لون العيون وسياء الوجه وصورة الجسم على حالها من الخاصيات المتعلقة بجوهر النفس الفرد الذي لا يتغير ويحفظ معه صورة الجسم القائم بقيامه ومن الادلة القوية على ذلك انه متى مات الانسان وخرجت نفسه من جسده تغير شكل تركيبه وصار الى الفساد . فاذاً بقاء لون العيون وسياء الوجه على حالها في الجسم الحي وتغيرها في الجسم الميت دليل على مالها من العلاقة مع جوهر النفس وقوتها الثابتة

قالت الفلاسفة الماديون : ان حجم المخ في الانسان يأخذ بالتناقص بعد سن الخمسين من عمره ولا يزال يتناقص سنةً بعد سنة حتى يصير الى درجة يستحيل قيام الحياة معها . فهذا دليل على ان المخ هو بعينه ما يسميه الفلاسفة الروحانيون « بالنفس »

الجواب : ان قول الماديين ان حجم مخ الانسان يتجه الى النقصان بعد سن الخمسين من عمره قولٌ مجانيٌّ لم تثبت صحته الى الان بادلة قاطعة وقد اختلف العلماء في مسألة « نمو المخ » وذهبوا فيها الى مذاهب شتى وما كان عرضة للجدال ونقسم الآراء لا يؤخذ قاعدة لقيام الادلة القاطعة

فقد قال المعلم «سميرنغ» *Soemmering* : ان مخ الانسان ينمو الى السنة الثالثة من عمره . وقال المعلم «ونزل» *Wenzel* : ان المخ ينمو الى السنة السابعة من عمر الانسان . وقال المعلم «تيادمان» *Tiedemann* المادي : ان المخ ينمو في الانسان الى السن الثامن من عمره . وقال المعلم «غراسيوليت» *Gratiolet* ان المخ ينمو الى سن الشيخوخة . فاذاً اعتراض الفلاسفة الماديين المأخوذ من «نمو المخ» لا طائل تحته

قالت الفلاسفة الماديون : ان كبر العقل يكون بنسبة كبر المخ . فالخ اذاً هو عين ما يسمى «بالنفس»

الجواب : هذا الاعتراض مردود بالتجربة . وقد ثبت فسادُه من صغر قحف راس نابوليون الاول وفولتر الفيلسوف ورفائيل المصور الشهير فان قحف روءوس هؤلاء الرجال العظام بالعقل والاقنذار لا يفرق في الكبر عن قحف الروءوس المتوسطة في الكبر

قالت الفلاسفة الماديون : ان اصحاب العقول الكبيرة والمعارف الواسعة يمتازون دائماً عن غيرهم بكبر جباهم الواسعة والعالية . وكبر الجبهة دليل على كبر الفلقتين الجببيتين من المخ . فالخ اذاً هو العقل والنفس

الجواب : قول الماديين المذكور اعلاه مردود بالامتحان والتشريح فقد اثبت المعلم «ليلوت» *Lélot* بالفعل والتجربة ان القسم الاعظم من البله والمغفلين تكون جباهم عالية وكبيرة

الجواب : هذا القول ايضاً مردود . وقد اثبت فسادُه علماء محققون مثل «ليلوت» واسكويرول (*Esquirol*) و«ليوريت» (*Leuret*) «هوجيورجيت»

(Georget) و « فرُّوس » (Ferrus) الذين بينوا بادلة قاطعة ان الجنون عارض من العوارض النفسية ولا يظهر له تأثير في المخ الا متى كان مقروناً بامراض لها علاقة باعضاء الدماغ

اما قول الماديين : ان الفسفور هو مولد الافكار فهو كذلك من الاقوال المجانية التي لم يستطيعوا اثباتها الى الآن بادلة قاطعة

﴿ عقدة الجدل بين الماديين والروحيين ﴾

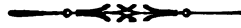
يقول الماديون : ان الدماغ او المخ هو ما يسميه عامة الناس « بالنفس » وان الافكار هي خلاصة ما يفرزه الفسفور والزلال اللذين في المخ وحكم افراز المخ للافكار حكم افراز الجسم للعرق

ويقول الفلاسفة الروحيين : ان المخ هو آلة النفس وهي تظهر قواها العقلية بواسطة اعضاء المخ وهي تحكم وتامر وهو يطيعها

وخطا الفلاسفة الماديين في هذه المسئلة قائم في جعلهم الوسطة علة وقد وقعوا في هذا الخطا من جراء ما يرونه من الاتصالية بين المخ واحواله وبين الاعمال العقلية التي تصدر من النفس بواسطته

اما الفرق الذي يظهر بين درجات العقول في البشر فليس يتأتى عن وجود تفاوت في جوهر النفس او عن صغرها وكبرها . لكون جوهر النفس واحداً في عموم البشر واما الفرق الذي يظهر بين العقول ناتج عن حالة الآلة التي تستخدمها النفس لظهار قواها العقلية وهذه الآلة هي المخ فان كان تركيب المخ كاملاً خالياً من خلل كانت الاعمال العقلية الصادرة من النفس

بواسطة كاملة أيضاً وان وجد نقص في تركيب الخنج او ضعف في اعضائه كانت الاعمال العقلية الصادرة من النفس بواسطة ناقصة وضعيفة ايضاً ونضرب لذلك مثلاً ونقول : ان حكم النفس والنجنج حكم رجل موسيقي ماهر وآلته . فان كانت الآلة متقنة على الاصول الموسيقية استطاع معلم الموسيقى ان يظهر مهارته الكاملة في فن الموسيقى بواسطة الآلة التي يستخدمها اما اذا كان في آلته نقص او ارتقاء في الاوتار عجز عن اظهار كل مهارته في فن الموسيقى بواسطة الآلة مرتخية او مقطوعة اوتارها . ولا يحسب عجزه هذا ناشئاً عن ضعف عقله او عن جهله الا تمام . وعلى هذا النسق اذا النفس قصرت احياناً في اظهار كل قواها العقلية بكاملها لا يحسب ذلك من صغر النفس او من ضعفها بل من ضعف آلة الخنج وما فيها من الخلل . والعلم عند بارئها



﴿ النظم ﴾

« في خلود النفس »

الى الله تنحو النفس بعد انفصالها

وتجزى بهيـرٍ او بشرٍ فعالها

وان قيل : بعد القبر ليس قيامة

فقلنا : على الكفار كان وبالها

وان قيل : ليس النفس تدري معادها

فقلنا : ستدري حين يأتي انفصالها

لكل من الاشياء اصلٌ محققٌ
ومن ذلك الاصل الوحيد نوالها
الى الاصل عود النفس بعد جهادها
متى حلَّ من قيد الحياة عقالمها

اذا كان هذا الجسم ينحل كله
ولا شيء يبقي في الكيان من الفكر
اذا كانت الارواح طيناً مركباً
من الحمض والكربون والجير كالصنبر
او النفس كانت من ذرات اكسيمين
يخالطها الفوسفور كالمع في البحر (١)
وان كان بعد الموت ينحل عنصري
ونفسي كعظمي تختفي في ثرى القبر
وان كان بعد القبر ليس عدالة

(١) قال المعلم « الفرد موري » : قد وجد العلماء منذ القرن المنصرم ان عظام الحيوانات المستخرجة من القبور القديمة تتركب خاصة من المواد الآتية :
الكربون (الفحم) والامونيا (الشادر) والكلورور والبوتاس وفوسفات الصودا والكالس
والمغنيسيا والمديد وحمض الكبريت وسيليس والاكسين (مولد الحموضة) والمدروجن
(مولد الماء) والاسيد كربونيك (حمض الفحم) والازوت . فاستنتجوا من ذلك ان جسم
الانسان ايضاً يتركب من جميع المواد المذكورة .

بها النفس تجزى عن صلاحٍ وعن شرٍ
 فما الكون إلا طابَةٌ صولجانها
 اناملُ اقدارٍ تدور ولا تدري
 ولا كان في الكون العظيم مدبرٌ
 يسوس بقانونٍ يدومُ مدى الدهرِ
 فمن قاوم القول الصحيح تعمدًا
 خلي من العقل الرزين بلا نكرٍ

﴿ بدء السنة ﴾

«وقلت في بدء سنة ١٨٩٣ وذلك بالاستانة»

بدأتُ بحمد الله والشكر بعدهُ
 وحمد الهى خير فرض أعدهُ
 وبالشكر احسان الاله وفضله
 يدومان ما دام الخضم ومدهُ

﴿ بالشكران تدوم النعم ﴾

وقلت في ختام سنة ١٨٩٣ وانا بجزيرة الامراء الى جوار الاستانة

شكرتك ربي من صميم حشاشتي
 وشكري على فيض المواهب مدوم
 تجددُ فضلاً كل عام مجدداً
 وفضلك من كل البحار لاعظم
 فشكري لمدى كل عام مرادف
 كما كنت تفوق كل عام وتعلم
 تقبل الهى شكر عبدٍ وحمده
 لانك ربُّ تستجيب وترحم

﴿ وصيتي الاخيرة ﴾

اموتُ وشكري لا يموت الى الدهر
 ويحيى ذمامي في ترابي الى الحشر
 اموتُ وفي قلبي من الشكر نسمة
 لمن مد كفَّ الجود نحوى مدى العمر
 اذا متُ ما مات الوفاء بمهجتي
 وديدان جسي تنشد الشكر في قبري

قد اعتاد اهل الارض وضع وصيةٍ
 لاهل واولاد تخلف من حرٍ
 وان كان يوصي المرء بالمال للورى
 فاني لقد اوصيتُ بالشكر والذكر
 فلا رحمةٌ مثل الوفاء مفيدة
 ولا يرحم الرحمان نفساً بلا شكر
 اموتُ على شكرِ الاله مؤملاً
 خلوداً بدار لا تزول مدى الدهر

❖ الخاتمة ❖

ففتحت بتسبيحِ العليّ نشائدي
 ختمتُ بتمجيدِ الاله قصائدي
 نحتُ بتنميقِ الكلام قوافياً
 قصدتُ بها حمداً بكل مقاصدي
 مديحاً وشكراً ثم تعظيمِ خالقِ
 وردتُ بها ورداً اجل المواردِ
 فيوماً بنجدِ بين وادٍ وهضبةٍ
 اقرظُ حرّاً من خيار الاماجدِ

ويوماً اذا جئت التهامه مشدأ
 نحتني الغواني رغم انف الحواسد
 وفي البر ثم البحر قلتُ قصائدأ
 وجئتُ فنونأ في نسيج النشائد
 ركبتُ سنامَ اللهو طورأ وتارة
 تصاييتُ جهلاً والغرام مرادوي
 ولا دهاني الدهر بالكيد والدها
 تواريتُ مكرأ في كمين المكائد
 لجأتُ الى حصن القريض وقاية
 لنفسِي من دهر يظل معاندي
 فكم حارب الاخيرأ دهرأ معاند
 وما فاز الا كل حر مجاهد
 حذوتُ بجهدِي حذو قيس وعنتر
 وكان قريضي في جهادي معاندي
 اسبح ربي كل يومـ بالبحر
 كما سبح الخلاق اهل المعابد
 كذا كل نحرير يسير سبيلنا
 فيلبس طول العمر ثوب المحامد
 فاول شعري كان لهو صبايتي
 واخر نظمي توبة عن شواردي

ايضاح

لما كانت بعض القصائد مزينة بفوطراف اصحابها فقط وبعضها مزينة بتساوير اخرى تناسب معاني ابياتها كثر عددها وضايق المجال في حصر جميعها بين ابيات القصيدة المنسوبة اليها . ولذلك اقتضى الامر ان نتوزع التساوير على الصفائف التالية حسب ترتيبها . وقد عني صاحب الديوان في تذييل كل تصوير بيتين او اكثر من يبين تناسب موضوع التصوير وتدل في الوقت نفسه على القصيدة المنسوب اليها ذلك التصوير . ثم قد سعى أيضاً في انتخاب تلك التساوير ونقلها بالة الفوطراف عن تساوير الاشخاص الذين نظم فيهم او فيهن القصائد وجعل قطعها بقطع الديوان نفسه . وبعض من التساوير التي تناسب موضوع قصائد منقولة بالة الفوطراف عن تساوير المصورين البارعين . وتعد من الصنائع البديعة :

(*Chef-d'oeuvre des beaux arts*)

وبعض من هذه التساوير منقول عن تساوير بلغ ثمن الواحد منها من الف الى خمسة الاف ليرة انكليزية . وكان صاحب الديوان قد جمع بعضاً من هذه التساوير واستنسخ بعضها عن التساوير الاصلية اثناء اسفاره في ايطاليا وفرنسة وانكلترة واميركا والهند واليابان والصين

وقد بلغ عدد التساوير المخصصة لتزيين هذا الديوان نحو مائة تصوير فن اراد ان يقتني هذا الديوان مزيناً بتساويره اقتضى له ان يدفع علاوة

على ثمن الديوان نصف فرنك فقط ثمن كل تصوير فوتغرافي . وذلك ثمن ورق الفوطغراف وطبعه وشغله . ولا يرجح من التصاوير لصاحب الديوان اصلاً من هذه التصاوير . ومن المعلوم ان تصوير فوطغرافي بقطع فوطغراف هذا الديوان يمثل مثلاً منظره اهرام الجيزة او منظره القاهرة لا يباع في نفس الديار المصرية باقل من فرنك . ولكن المقصود من هذا العمل هو نشر ديوان شعر مزين بتصاوير الاشخاص الذين جاء ذكرهم في القصائد من الرجال والنساء والبنات والملوك والملكات والامراء والاميرات والشرفاء والشريفات والاصدقاء والصدقات . وذلك على اسلوب جديد لم يسبق اليه الى الان سواء كان من شعراء الجاهلية او من المولدين وسواء كان في مواضع قصصه المسلية وقصائده المتفننة او في مقالاته التاريخية والادبية والعلمية والطبية والكيمائية والفلكية والطبيعية والفلسفية واللاهوتية . وفي الحقيقة ان هذا الديوان قد حوى من كل فن خبراً وجمع بين العذب والمفيد وجاء . كانه دائرة معارف صغيرة وقد تشرف صاحب هذا الديوان برفعه بيده الى اعقاب حضرة مولانا امير المؤمنين السلطان ابن السلطان السلطان الغازي

﴿ عبد الحميد ﴾

خان الثاني نسخة من هذا الديوان مجلدة بثلاث صفائح من الفضة الخالصة وقد عني في تزيين الصفيحة الاولى منها بالطغراء الغراء السلطانية مرصعة بمجارة الماس (برلنطى) وياقوت ازرق . والصفيحة الثانية مزينة باسم الحضرة السلطانية ومرصع اسم

« عبد الحميد »

بججارة الماس (برانطي) ثمينة . وحواشي الصحيفتين دائراً ما دار مزينة
بإهالة ونجوم وكلها مرصعة بججارة الفيروز . وجعل الديوان في محفظة غطاؤها
من المخمل الاحمر الحريري ومزين بالطغراء الغراء السلطانية وعليها اقبال من
الفضة المرغلة بمحلول الذهب .

وقد عنى بنقل رسم الصفائح بألة الفوطغراف وازافتها الى بقية تصاوير

الديوان

ثم قد تشرف برفع نسخة ثانية من هذا الديوان الى حضرة صاحب السمو
والدولة عزيز مصر وخدوها المنعم

✽ عباس حلي ✽

باشا المعظم ادام الله بقاءه بالعز والاقبال



فهرسة

ديوان شعر النحلة

صحيفة

- ١ شبيه صاحب الديوان (فوطغراف)
 ٤ ديباجة الديوان مع شبيه حضرة السيدة الكساندرا افيرينوه (فوطغراف)
 ٥ الفاتحة
 ٦ رجاء - ابيات
 ٧ مقدمة الديوان مزينة برسمين

* باب المديح *

قصيدة في مدح حضرة مولانا السلطان الغازي

- ٩ « عبد الحميد خان الثاني »
 ١٠ اول تهنئة بعيد ولادته السعيدة ابيات ، زينة برسم حفلة «السلامك»
 ١١ ثاني تهنئة بعيد ولادته السعيدة
 ٢٢ تبريك اول بعيد جلوسه المأنوس
 ١٣ تبريك ثاني بعيد جلوسه المأنوس
 ١٤ تهنئة لجلالته بعيد المولد النبوي الشريف
 ١٤ تبريك لشوكته بحلول ليلة المعراج المباركة

- ۱۵ تبریک آتش بيد جنوس - نوس
- ۱۶ تبریک جلالت بهمه رمضان تبرک
- ۱۷ تبریک شوکت بيد تقدر سعيد
- ۱۷ تبریک آخر جلالت بيد تقدر سعيد
- ۱۷ تبریک زنج بيد جنوس شوکت - نوس
- ۱۸ تبریک جلالت بيد لاسمی سعيد
- ۱۸ تبریک شوکت بدخون سے ۱۲۱۲ هجرية
- ۱۸ تبریک بذاتي ذات جلالت بيد جنومه تقضي مع قوضرف لغت
قوضرف خديہ زرقوعه من صاحب اديون جلالت بتدبیر عيد
- ۱۸ اجنوس تقضي مع لاشعر نکتوبه عليه
- ۱۹ آيات استغفر وقت ن جلالت
- شده هزموتيات لقب في حضرة سلطان قاري «عبد حميد»
- ۲۰ خان اثني يوه حدوث نزول
- ۲۲ وصف قاعة عرش وقوضرف
- ۲۵ وصف الحيلة نيوکة
- ۲۸ وصف حدوث نزول في قاعة العرش شفاء الحيلة
شبه صاحب اديون بتوضرف في الهيئة نبي کن عليه وقت
- ۲۹ الزلزلة في قاعة عرش
- ۳۳ قصيدة تبریک جلالت بيد لاسمی ووصف ثبات قلبه وقت النزول
- ۳۳ ملاحظات قية في اسباب حدوث الزلازل

كتاب الى صاحب السمو والدولة والقائمة حضرة خديوي مصر

- ٣٧ « عباس حلمي باشا »
- ٣٧ مع شبيه سموه بالفوطغراف
- ٣٩ قصيدة الاخلاص الى سموه
- ٤١ قصيدة تهنئة الى فرانكو باشا متصرف جبل لبنان الاسبق
- ٤٢ تبريك له بالوسام المجيدي من الرتبة الاولى
- ٤٣ الخطبة الرمضانية الى السيد برغش حاكم زنجبار مع رسمه بالفوطغراف
- ٤٤ الروءيا وقصتها
- ٤٥ قصيدة الروءيا في وصف مكارم السيد المشار اليه اعلاه
- ٤٦ التعزية والتهنئة - خطبة الى السيد خليفة حاكم زنجبار
- ٤٩ الطواف - قصيدة في مدح صاحب الدولة منيف باشا
- ٥٠ شير خورشيد - قصيدة تبريك لخليل افندي الخوري .
- ٥١ الموالدة - قصيدة في مدح والدة صاحب الديوان مع شبيها بالفوطغراف
- ٥٣ نينو - قصة حياة البابا ليون الثالث عشر مع شبيهه
- ٥٦ قصيدة - تبريكاً لقدسته بمناسبة عيد يوبيليه
- ٥٦ دار الندوة الانكليزية ورسمها من خارج بالفوطغراف
- ٥٧ الاسقفية - كتاب تبريك بدرجة الاسقفية
- ٥٨ نظم في شأنها
- ٥٩ الكرم - قصيدة في وصف مكارم السيد روبين ساسون وشبهه
- ٦٠ البلبل المصداح - قصة حياة المغنية الشهيرة ادليينا بائي

٦٥

قصيدة في مدحها مع شبيها

* باب الفخر *

٦٦

المقدمة

٦٧

الفخر بالعلم - قصيدة

٦٩

الفخر بعلو الهمة - قصيدة

٧١

الفخر بمراعاة الذمام - قصيدة

٧١

الفخر بالكرم - قصيدة

٧٣

الفخر بالحرص على الزمان - قصيدة

٧٣

الفخر بالصبر - قصيدة

٧٣

الفخر بالمرورة - قصيدة

٧٤

الفخر بالمرورة - قصيدة

٧٠

الفخر بالثبات - قصيدة

* باب الحماسة *

٧٧

القصة

٧٧

الدفاع - قصيدة مع شبيهه صاحب الديوان ايام كان بمصر

٧٩

الوطن - ابيات

٨٠

بطل كسروان - قصة تاريخية

٨٢

نظم في مدح يوسف كرم بطل كسروان

* باب الافانين *

- ٨٤ عجائب النحلة العسلية - مقالة فنية
- ٩٠ غرائب النحلة المعنوية - مقالة ادبية مقتبسة
- ٩٤ ابيات لمجلة النحلة مزينة برسم معنوي
- ٩٥ تربية النحل - مقالة فنية
- ٩٧ وحدة الحال بين النحل - مقالة فنية
- ٩٩ زمان تعسيل النحل مقالة فنية
- ٩٩ الانتقاد - مقالة ادبية
- ١٠٥ قصيدة في حسن الانتقاد
- ١٠٦ البدر الغيور - قصة تاريخية
- ١٠٨ قصيدة في البدر الغيور
- ١٠٩ دعاء عانس - قصة
- ١١٠ نظم في دعاء عانس مع شبيها بالفوطغراف
- ١١١ الانتحار - قصة وقصيدة
- سوق عكاظ - قصة في وصف معرض باريس ونوال صاحب
الديوان وسام شير خورشيد من يد جلالة ناصر الدين شاه
ايران بباريس مع رسمه في الزي الذي كان عليه وقتئذٍ
- ١٢١ قصيدة في وصف معرض باريس ورسمه من داخل

- ١٢٣ تاريخ حجر الماس الكبير المذكور في القصيدة السالفة
- ١٢٧ الطوفان - قصة تاريخية
- ١٣٦ قصيدة في وصف حدوث الطوفان مع رسمه
- ١٣٨ الوطن القديم - قصة تاريخية
- ١٤٠ قصيدة في ولادة صاحب الديوان ورسمها
- ١٤١ وطن اجدادي - قصيدة
- ١٤٢ الوداع - قصيدة مع رسم الاحبة بالفوطوغراف
- ١٤٤ المرفع - قصة تاريخية في اصل تاسيس المرفع
- ١٤٥ قصيدة في وصف خلاعات المرفع بباريس
- ١٤٦ جبل النار - او الفيسوف - قصة تاريخية
- ١٥٠ النار - قصيدة في وصف جبل النار مزينة برسمه
- ١٥١ عصر الفساد - قصة مزينة برسم فوطغراف
- ١٥٤ قصيدة في تهتك البنات مزينة برسم فوطغراف
- ١٥٤ النو - قصة
- ١٥٦ نظم - في وصف النو
- ١٥٧ العاصفة القاصفة - قصة تاريخية مزينة برسم فوطغراف
- ١٦١ قصيدة في وصف العاصفة
- ١٦٣ الحيوان معلم الانسان - قصة تاريخية
- ١٧٠ قصيدة في وصف الحيوان والانسان
- ١٧٢ المطبعة ام العلوم - قصة تاريخية

ويوماً اذا جئت التهامه منشداً
نحتني الغواني رغم انف الحواسد
وفي البرثم البحر قلت قصائدًا
وجئت فنونا في نسيج النشائد
ركبت سنام اللهو طوراً وتارة
تصايت جهلاً والغرام مراودي
ولما دهاني الدهر بالكيد والدها
تواريت مكرًا في كمين المكائد
لجأت الى حصن القريض وقايةً
لنفسي من دهر يظل معاندي
فكم حارب الاخيار دهر معاند
وما فاز الاكل حر مجاهد
حذوت بجهدى حذو قيس وعنتر
وكان قريضي في جهادي معاضدي
اسبغ ربي كل يوم بالبحر
كما سبغ الخلاق اهل المعابد
كذا كل نحرير يسير سبيلنا
فيلبس طول العمر ثوب المامد
فاول شعري كان لهو صبايتي
واخر نظمي توبة عن شواردي

ايضاح

لما كانت بعض القصائد مزينة بفوطراف اصحابها فقط وبعضها مزينة بتساوير اخرى تناسب معاني ابياتها كثر عددها وضاق المجال في حصر جميعها بين ابيات القصيدة المنسوبة اليها . ولذلك افنضى الامر ان تتوزع التصاوير على الصفائف التالية حسب ترتيبها . وقد عني صاحب الديوان في تدبير كل تصوير بيتين او اكثر من بيتين تناسب موضوع التصوير وتدل في الوقت نفسه على القصيدة المنسوب اليها ذلك التصوير . ثم قد سعى ايضاً في انتخاب تلك التصاوير ونقلها بألة الفوطراف عن تصاوير الاشخاص الذين نظم فيهم او فيهن القصائد وجعل قطعها بقطع الديوان نفسه . وبعض من التصاوير التي تناسب موضوع قصائد منقولة بألة الفوطراف عن تصاوير المصورين البارعين . وتعد من الصنائع البديعة :

(*Chef-d'oeuvre des beaux arts*)

وبعض من هذه التصاوير منقول عن تصاوير بلغ ثمن الواحد منها من الف الى خمسة الاف ليرة انكليزية . وكان صاحب الديوان قد جمع بعضاً من هذه التصاوير واستنسخ بعضها عن التصاوير الاصلية اثناء اسفاره في ايطاليا وفرنسة وانكلترة واميركا والهند واليابان والصين

وقد بلغ عدد التصاوير المخصصة لتزيين هذا الديوان نحو مائة تصوير فمن اراد ان يقتني هذا الديوان مزيناً بتصاويره افنضى له ان يدفع علاوه

على ثمن الديوان نصف فرنك فقط ثمن كل تصوير فوتغرافي . وذلك ثمن ورق
 الفوطغراف وطبعه وشغله . ولا ربح من التصاوير لصاحب الديوان اصلاً من
 هذه التصاوير . ومن المعلوم ان تصوير فوطغرافي بقطع فوطغراف هذا الديوان يمثل
 مثلاً منظره اهرام الجيزة او منظره القاهرة لا يباع في نفس الديار المصرية
 باقل من فرنك . ولكن المقصود من هذا العمل هو نشر ديوان شعر مزين
 بتصاوير الاشخاص الذين جاء ذكرهم في القصائد من الرجال والنساء والبنات
 والملوك والملكات والامراء والاميرات والشرفاء والشريفات والاصدقاء
 والصديقات . وذلك على اسلوب جديد لم يسبق اليه الى الان سواء كان من
 شعراء الجاهلية او من المولدين وسواء كان في مواضع قصصه المسلية وقصائده
 المتفننة او في مقالاته التاريخية والادبية والعلمية والطبية والكيمائية والفلكية
 والطبيعية والفلسفية واللاهوتية . وفي الحقيقة ان هذا الديوان قد حوى من
 كل فن خبراً وجمع بين العذب والمفيد وجاء كانه دائرة معارف صغيرة
 وقد تشرف صاحب هذا الديوان برفعه بيده الى اعقاب حضرة مولانا
 امير المؤمنين السلطان ابن السلطان السلطان الغازي

✽ عبد الحميد ✽

خان الثاني نسخة من هذا الديوان مجلدة بثلاث صفايح من الفضة الخالصة
 وقد عني في تزيين الصفيحة الاولى منها بالطغراء الغراء السلطانية مرصعة
 بمجارة الماس (برلنطى) وياقوت ازرق . والصفيحة الثانية مزينة باسم الحضرة
 السلطانية ومرصع اسم

« عبد الحميد »

بججارة الماس (برلنطي) ثمينة . وحواشي الصحيفتين دائراً ما دار مزينة
بإهالة ونجوم وكلها مرصعة بججارة الفيروز . وجعل الديوان في محفظة غطاؤها
من المخمل الاحمر الحريري ومزين بالطغراء الغراء السلطانية وعليها اقبال من
الفضة المرغلة بمحلول الذهب .

وقد عنى بنقل رسم الصفائح بألة الفوطغراف وازافتها الى بقية تصاوير

الديوان

ثم قد تشرف برفع نسخة ثانية من هذا الديوان الى حضرة صاحب السمو
والدولة عزيز مصر وخدوها المنعم

✽ عباس حلي ✽

باشا المعظم ادام الله بقاءه بالعز والاقبال



فهرسة

ديوان شعر النحلة

صحيفة

- | | |
|---|---|
| ١ | شبيه صاحب الديوان (فوطغراف) |
| ٤ | ديباجة الديوان مع شبيه حضرة السيدة الكساندرا افيرينوه (فوطغراف) |
| ٥ | الفاتحة |
| ٦ | رجاء - ابيات |
| ٧ | تقدمة الديوان مزينة برسامين |

✽ باب المديح ✽

قصيدة في مدح حضرة مولانا السلطان الغازي

- | | |
|----|---|
| ٩ | « عبد الحميد خان الثاني » |
| ١١ | اول تهنئة بعيد ولادته السعيدة ابيات مزينة برسم حفلة «السلامك» |
| ١١ | ثاني تهنئة بعيد ولادته السعيدة |
| ٢٢ | تبريك اول بعيد جلوسه المأموس |
| ١٣ | تبريك ثاني بعيد جلوسه المأموس |
| | تهنئة لجلالته بعيد المولد النبوي الش |
| | تبريك لشوكته بحلول ليلة المعرا |

- ١٥ تبريك ثالث بعيد الجلوس المأنوس
- ١٥ تبريك لجلالته بصوم رمضان المبارك
- ١٦ تبريك لشوكته بعيد الفطر السعيد
- ١٦ تبريك اخر لجلالته بعيد الفطر السعيد
- ١٧ تبريك رابع بعيد جلوس شوكته المأنوس
- ١ تبريك لجلالته بعيد الاضحى السعيد
- ١٨ تبريك لشوكته بدخول سنة ١٣١٢ هجرية
- ١٨ تبريك بثاني لغات لجلالته بعيد جلوسه الفضي مع فوظغراف اللغات
فوظغراف الهدية المرفوعة من صاحب الديوان لجلالته بمناسبة عيد
الجلوس الفضي مع الاشعار المكتوبة عليها
- ١٨ ابيات استغفار رفعت الى جلالته
- ١٩ شدة العزم وثبات القلب في حضرة السلطان الغازي « عبدالمجيد »
- ٢٠ خان الثاني يوم حدوث الزلزال
- ٢٢ وصف قاعة العرش وفوظغرافها
- ٢٥ وصف المعايدة الملوكية
- ٢٨ وصف حدوث الزلزال في قاعة العرش اثناء المعايدة
شبيه صاحب الديوان بالفوظغراف في الهيئة التي كان عليها وقت
الزلزلة في قاعة العرش
- ٢٩
- ٣٣
- ٣٣

كتاب الى صاحب السمو والدولة والفخامة حضرة خديوي مصر

- ٣٧ « عباس حلي باشا »
- ٣٧ مع شبيه سموه بالفوظغراف
- ٣٩ قصيدة الاخلاص الى سموه
- ٤١ قصيدة تهنئة الى فرانقو باشا متصرف جبل لبنان الاسبق
- ٤٢ تبريك له بالسام المجيدي من الرتبة الاولى
- ٤٣ الخطبة الرمضانية الى السيد برغش حاكم زنجبار مع رسمه بالفوظغراف
- ٤٤ الروء يا وقصتها
- ٤٥ قصيدة الروء يا في وصف مكارم السيد المشار اليه اعلاه
- ٤٦ التعزية والتهنئة - خطبة الى السيد خليفة حاكم زنجبار
- ٤٩ الطواف - قصيدة في مدح صاحب الدولة منيف باشا
- ٥٠ شير خورشيد - قصيدة تبريك لخليل افندي الخوري .
- ٥١ الوالدة - قصيدة في مدح والدة صاحب الديوان مع شبيها بالفوظغراف
- ٥٣ نينو - قصة حياة البابا ليون الثالث عشر مع شبيهه
- ٥٦ قصيدة - تبريكاً لقداسته بمناسبة عيد يوبيليه
- ٥٦ دار الندوة الانكليزية ورسمها من خارج بالفوظغراف
- ٥٧ الاسقفية - كتاب تبريك بدرجة الاسقفية
- ٥٨ نظم في شأنها
- ٥٩ الكرم - قصيدة في وصف مكارم السيد رو بين ساسون وشبهه
- ٦٠ البلبل المصداح - قصة حياة المغنية الشهيرة اديلينا باتي

٦٥

قصيدة في مدحها مع شبيها

* باب الفخر *

٦٦

المقدمة

٦٧

الفخر بالعلم - قصيدة

٦٩

الفخر بعلو الهمة - قصيدة

٧١

الفخر بمراعاة الذمام - قصيدة

٧١

الفخر بالكرم - قصيدة

٧٣

الفخر بالحرص على الزمان - قصيدة

٧٣

الفخر بالصبر - قصيدة

٧٣

الفخر بالمرورة - قصيدة

٧٤

الفخر بالمرورة - قصيدة

٧٠

الفخر بالثبات - قصيدة

* باب الحماسة *

٧٧

القصة

٧٧

الدفاع - قصيدة مع شبيهه صاحب الديوان ايام كان بمصر

٧٩

الوطن - ابيات

٨٠

بطل كسروان - قصة تاريخية

٨٢

نظم في مدح يوسف كرم بطل كسروان

٨٣ الاغراء ابيات حماسية .

✽ باب الافانين ✽

- ٨٤ عجائب النحلة المسلية - مقالة فنية
- ٩٠ غرائب النحلة المعنوية - مقالة ادبية مقتبسة
- ٩٤ ابيات لمجلة النحلة مزينة برسم معنوي
- ٩٥ تربية النحل - مقالة فنية
- ٩٧ وحدة الحال بين النحل - مقالة فنية
- ٩٩ زمان تعسيل النحل مقالة فنية
- ٩٩ الانتقاد - مقالة ادبية
- ١٠٥ قصيدة في حسن الانتقاد
- ١٠٦ البدر الغيور - قصة تاريخية
- ١٠٨ قصيدة في البدر الغيور
- ١٠٩ دعاء عانس - قصة
- ١١٠ نظم في دعاء عانس مع شبيها بالفوظغراف
- ١١١ الانتحار - قصة وقصيدة
- سوق عكاظ - قصة في وصف معرض باريس ونوال صاحب
الديوان وسام شير خورشيد من يد جلالة ناصر الدين شاه
ايران بباريس مع رسمه في الزي الذي كان عليه وقتئذٍ
- ١٢١ قصيدة في وصف معرض باريس ورسمه من داخل

- ١٢٣ تاريخ حجر الماس الكبير المذكور في القصيدة السالفة
- ١٢٧ الطوفان - قصة تاريخية
- ١٣٦ قصيدة في وصف حدوث الطوفان مع رسمه
- ١٣٨ الوطن القديم - قصة تاريخية
- ١٤٠ قصيدة في ولادة صاحب الديوان ورسمها
- ١٤١ وطن اجدادي - قصيدة
- ١٤٢ الوداع - قصيدة مع رسم الاحبة بالفوطوغراف
- ١٤٤ المرفع - قصة تاريخية في اصل تاسيس المرفع
- ١٤٥ قصيدة في وصف خلاعات المرفع بباريس
- ١٤٦ جبل النار - او الفيسوف - قصة تاريخية
- ١٥٠ النار - قصيدة في وصف جبل النار مزينة برسمه
- ١٥١ عصر الفساد - قصة مزينة برسم فوطغراف
- ١٥٤ قصيدة في تهتك البنات مزينة برسم فوطغراف
- ١٥٤ النبو - قصة
- ١٥٦ نظم - في وصف النو
- ١٥٧ العاصفة القاصفة - قصة تاريخية مزينة برسم فوطغراف
- ١٦١ قصيدة في وصف العاصفة
- ١٦٣ الحيوان معلم الانسان - قصة تاريخية
- ١٧٠ قصيدة في وصف الحيوان والانسان
- ١٧٢ المطبعة ام العلوم - قصة تاريخية

- قصيدة في وصف المطبعة مزينة برسم فيه (٢٥)
- ١٨٠ شكلاً من حروف لغات الدنيا
- ١٨٢ الشمس - مقالة فنية في عمر الشمس
- ٢٠٥ قصيدة في النور
- ٢٠٨ كذب المنجمون - مقالة تاريخية
- ٢١٨ قصيدة في وصف كذب المنجمين
- ٢٢٠ نهاية العالم - قصة فنية
- ٢٢٣ قصيدة في حالة ايام البؤس
- ٢٢٥ التكفير - قصة نابليون الاول والشاب الانكليزي
- ٢٣٠ قصيدة في مدح مكارم نابليون مزينة برسمه
- ٢٣٢ التبغ - مقالة فنية
- ٢٣٧ قصة تاريخية في ادخال التبغ الى اوروبا اول مرة
- ٢٣٩ مقالة زراعية في وصف التبغ
- ٢٤٠ مقالة كيم اوية في سم التبغ
- ٢٤١ مقالة طبية في اضرار التبغ ومنافعه الوهمية
- ٢٤٤ نظم في مدح التبغ
- ٢٤٥ نظم في ذم التبغ
- ٢٤٧ الضباب بلندرة - قصة غريبة
- قصيدة في وصف بلاد الانكليز مذيلة بشبيهه صاحب الديوان في الزي
الذي امثل فيه بين يدي ملكة الانكليز
- ٢٥٠

- ٢٥٢ الطقس في بلاد الانكليز مزينة برسم مدينة لوندرة
- ٢٥٤ التندان قصة مضحكة ببلاد الانكليز
- ٢٥٥ قصيدة في جنون العشق
- ٢٥٨ الرفيق الشفيق - قصة حدثت لصاحب الديوان وهو في جبال حملايا بالهند
- ٢٥٩ قصيدة في وصف غطاء خلمه على هندي في جبال حملايا
- ٢٥٩ قصة وعظية « في شقاء الحياة »
- ٢٦٠ قصيدة في وصف شقاء الحياة
- ٢٦٢ غرور الحياة - رواية حقيقية بالندرة مع قصيدة
- ٢٦٣ القرد - مقالة فلسفية في تعليم الفيلسوف دروين
- ٢٦٥ قصيدة في المعنى المذكور اعلاه
- ٢٦٧ الفقر الوضع - قصة تاريخية
- ٢٨٦ قصيدة في الادباء والشعراء الفقراء
- ٢٩١ سفرة مرة - قصة حقيقية مذيلة بقصيدة
- ٢٩٢ الثلج - قصيدة مذيلة بتصوير صاحب الديوان والثلج ساقط عليه
- ٢٩٣ السوءال والجواب - قصة
- ٢٩٤ القصيدة الاستفهامية في احوال الكون
- ٢٩٥ القاضي العادل - ابيات
- ٢٩٥ سفار اهل المدر والحضر - رواية
- ٢٩٦ قصيدة في رحلة صاحب الديوان الى باريس
- ٢٩٦ الدهر - قصيدة في شكوى الناس من الدنيا

- ٢٩٧ الحجة الدامغة - قصة وايبات
 ٢٩٨ الغربية - قصيدة مرسله الى شقيق صاحب الديوان ومذيلة برسمه
 ٣٠٠ ماء الورد ايبات
 ٣٠١ ايبات في الزبيح بدمشق
 ٣٠٢ الخريف - قصيدة في وصف جزيرة الامراء مذيلة برسمها
 ٣٠٤ قصيدة في عرائس جزيرة الامراء مزينة بفوطغرافهن
 ٣٠٦ العود احمد - قصيدة في عودة صاحب الديوان الى الاوطان
 ٣٠٨ لواء الخلافة - قصة تاريخية
 ٣١٢ نظم في لواء الخلافة

* باب الغزل *

- ٣١٤ قصة التصيدة القطارية
 ٣١٥ القصيدة القطارية في المحاسن النسائية
 ٣١٥ فوطغراف المرحومة « هلدا » عروس شعر صاحب الديوان
 ٣١٦ فوطغراف سيده عنوانه « النونة »
 ٣١٧ فوطغراف سيده عنوانه « صدر صقيل »
 ٣٢٣ فوطغراف سيده عنوانه « حين اتاها الحظ »
 ٣٢٤ فوطغراف سيدتين عنوانه « الهوس »
 ٣٢٥ فوطغراف سيده عنوانه « دوزنت القانون »
 ٣١٨ فوطغراف سيده عنوانه « تباهت بنهدي صدرها »

- ٣٢٩ الخال - قصيدة مزينة بتصوير سيدة « ذات الخال »
- ٣٣٠ بأكورة الصباء - قصيدة مذيلة بتصوير صاحب الديوان وهو صبي
- ٣٣١ نكت اليهود - قصة
- ٣٣٢ قصيدة في سيدة هولندية مزينة بتصوير
- ٣٣٤ قصيدة في فتاة من البندقية مزينة ببوطغراف
- ٣٣٤ الثغر - ابيات في وصف ثغر سيدة فرنسوية
- ٣٣٥ الحب نوحذان - قصيدة مزينة بتصوير
- ٣٣٦ الندم - قصة
- ٣٣٧ قصيدة في وصف المركيزة مرغريتا جوليانى وبوطغرافها
- ٣٣٧ ليلة في جبال حملايا - قصيدة في الاميرة « لالا » مزينة بتصوير
- محابر كتاب - قصيدة في وصف عيني السيدة « دافيس »
- ٣٣٨ مزينة ببوطغراف
- ٣٣٩ البدران - ابيات في وصف اختين مزينة بتصوير
- حصر الفواد - ابيات في وصف فتاة غشي عليها
- ٣٤٠ حزينه بتصوير
- ٣٤١ الاميرة - قصة فتاتين انكليزيتين مزينة بتصوير
- ٣٤٢ جاذر الحمى - قصيدة في وصف بعض السيدات الامريكيات
- ٣٤٣ حزينه بتصوير
- ٣٤٤ لطف يهودية - قصيدة في وصف سيدة يهودية مزينة بتصوير
- ٣٤٤ « غيد » - ابيات مزينة بتصوير

- النجمة - قصة جرت لصاحب الديوان مع فتاة
بمدينة شيكاغو بأمريكا
- ٣٤٦
- ٣٤٧ قصيدة في وصف السيدة المذكورة مزينة بتصوير
- ٣٥١ الصيد - قصيدة في وصف سيدة مجرية مزينة بوظراف
- ٣٥٢ العود احمد - قصة جرت لصاحب الديوان مع فتاة انكليزية
- ٣٥٣ قصيدة في وصف السيدة المذكورة مزينة بتصوير
- ٣٥٧ يامات اللوى - قصيدة في حمام مزينة بتصوير
- ٣٥٨ زيارة شقراء - قصة بين صاحب الديوان وبين سيدة من بلاد الغال بانكترا
- ٣٥٨ قصيدة في وصف السيدة المذكورة مزينة بتصوير
- ٣٦٠ هيفاء ونكباء - قصة لطيفة في سيدة جميلة
- ٣٦١ قصيدة في وصف السيدة المذكورة مزينة بتصوير
- ٣٦٢ الخيبة - ابيات
- ٣٦٢ ربة انشامتين - ابيات مزينة بتصوير
- ٣٦٣ الهلال - قصيدة في وصف السيدة «هلدا» مزينة بتصوير
- ٣٦٤ العفو - ابيات في وصف سيدة اسكوسية مزينة بتصوير
- ٣٦٤ السمراء - ابيات في وصف سيدة سمراء مزينة بتصوير
- ٣٦٥ تفاحتا بلاكبول - قصة حقيقية غرامية
- ٣٦٦ قصيدة في وصف اختين انكليزيتين مزينة بتصوير
- ٣٧٠ أم الجوى - ابيات في وصف السيدة جوليا لثبرج الانكليزية مزينة بتصوير
- ٣٧١ للجار حق بالشفعة - قصة لطيفة

- ٣٧١ للجار حق بالشفعة - قصة لطيفة
- ٣٧٢ قصيدة في وصف ابنة الاميرال الانكليزي مزينة بتصوير
- ٣٧٥ الندم - ابيات
- ٣٧٥ المساء - قصيدة في وصف سيدة بكاليفورنيا مزينة بتصوير
- ٣٧٦ الشاعر الغيور - قصيدة في وصف سيدة بمدينة طورين
- ٣٧٧ الشامة - ابيات في وصف فتاة جروانية
- ٣٧٨ الصد والرد - ابيات في وصف فتاة قاسية القلب مزينة بتصوير
- ٣٧٨ النبسم - ابيات في وصف فتاة تبسم
- باكورة الصباية - قصة ما جرى لصاحب الديوان مع معلمته اللغة الانكليزية
- ٣٧٩ بايريكا .
- ٣٨٠ قصيدة في وصفها مزينة بفوطراف
- ٣٨٢ ابيات في شبه « هلدا »
- ٣٨٣ وردة ايار - ابيات
- ٣٨٤ الزيارة الليلية - قصيدة في وصف سيدة انكليزية مزينة بتصوير
- ٣٨٥ الوداع - ابيات مزينة بتصوير
- ٣٨٥ الثبات - ابيات في وصف فتاة مجرية
- ٣٨٦ الطيف - ابيات
- ٣٨٦ ابيات - منظومة في جنينة « شانزايلزه » بباريس
- ٣٨٦ الروضة - قصيدة في وصف ضيافة باميريكا
- ٣٨٦ المهجر - ابيات

- ٣٨٨ خسرة مشتاق - قصيدة في وصف « هلدا »
- ٣٨٨ الحمامتان - ابيات
- ٣٨٩ الموعد السرى - قصيدة في انجاز موعدٍ مزينة بتصوير
- ٣٩٠ النجمان - ابيات في وصف عيني فتاة « بقاضي كوى »
- ٣٩٠ الصيادة - قصيدة مزينة بتصوير
- ٣٩١ الثغر الملبج - ابيات
- ٣٩١ الشفاه المسكرة - ابيات
- ٣٩٢ شراك اللحاظ - ابيات
- ٣٩٢ جنى الورد - ابيات
- ٣٩٣ التمنى - ابيات
- ٣٩٥ نكت العهد - ابيات في وصف فتاة روسية
- ٣٩٥ ثكريظ - ابيات في وصف فريدة ابنة اخي صاحب الديوان مزينة بفتوحها
- ٣٩٦ الندم - ابيات في وصف سيدة من اهل البندقية مزينة بتصوير
- ٣٩٧ غزل - ابيات
- ٣٩٧ خيبة امال - ابيات
- رسول الهوى - قصيدة في وصف الدوقسة سذرلند الانكليزية
- ٣٩٩ مزينة بفتوحها
- ٢٠١ الساوة - ابيات
- الغفلة - قصة ما جرى لصاحب الديوان في ليلة سار فيها
- ٤٠١ بقطار السكة الحديدية

- ٤٠٢ قصيدة - في وصف رفيقته بتلك الليلة مزينة بتصوير
- ٤٠٣ الدلال - قصة وقصيدة في وصف فتاة جميلة مزينة بتصوير
- ٤٠٣ المظلة البيضاء - ابيات مزينة بتصوير
- الجمانة - قصيدة في وصف سيدة ايتاليانية من صديقات
- ٤٠٥ صاحب الديوان صاحبة عقل رفيع وجمال بديع
- ٤٠٥ فوطغرافها البديع في الحسن
- ٤٠٧ شكوى مهجورة - ابيات
- ٤٠٧ جفاء قاسية - ابيات
- ٤٠٩ الحرير - ابيات في وصف خدي ناعم
- ٤٠٩ الشراك - ابيات في وصف «هلدا»
- ٤٠٩ درة الهند - قصة فراق صاحب الديوان عن اهله
- قصيدة في وصف السيدة صوفي ابنة اخيه ورده التي بالهند
- ٤١٠ مزينة بفوطغرافها
- ٤١٤ المراقصة - قصيدة في وصف الرقص عند الافرنج
- ٤١٩ نور وهدى - ابيات في ام وابنتها
- ٤٢٠ قوسا الحاجبين
- ٤٢٠ العاج واللائيء - ابيات
- ٤٢١ زيارة مشتاق - ابيات مزينة بتصوير
- ٤٢١ هند - ابيات في وصف فتاة مزينة بتصوير
- ٤٢٢ الحجب - ابيات

- ٤٢٢ المياسة - ابيات في سيدة مياسة مزينة بتصوير
 ٤٢٣ الشباك - ابيات في وصف هدا
 ٤٢٣ الزيارة - قصيدة في -يدة مزينة بتصوير
 ٤٢٥ التهنية - ابيات في عيد مولد فتاة اسمها سبيلا

✽ باب المقطعات ✽

- ٤٢٦ موتي كارلو - قصة
 ٤٢٨ قصيدة في لعب القمار وذمه
 ٤٢٩ ابيات في مولد طفل
 ٤٢٩ ابيات في البكاء والضحك
 ٤٣٠ الربيع - ابيات
 ٤٣٠ الاغترار - ابيات
 ٤٣١ تهنية بوسام افتخار مرصع
 ٤٣١ النشوة - ابيات
 ٤٣١ تقرّظ لرواية الذمام والذميمة
 ٤٣٢ تقرّظ لرواية خريدة النصائح
 ٤٣٣ ابيات في خمرة معتقة
 ٤٣٣ السر - ابيات
 ٤٣٤ الجوهر والعرض ابيات
 ٤٣٤ الضيف المتطفل - ابيات في اول شعرة بيضاء

- ٤٣٤ التمني المحال - ابيات
- ٤٣٥ الغريم ابيات
- ٤٣٥ ابنة الكرمه
- ٤٣٦ الربيع والشتاء - ابيات وصف صبية وشيخ
- ٤٣٦ الخاتمة - ابيات وضعت ذيلاً على كتاب القواعد العثمانية
- ٤٣٧ فصاحة الصمت - ابيات
- ٤٣٧ فصاحة الدمع - ابيات
- ٤٣٧ الدمع والتبسم - ابيات
- ٤٣٨ الدمع والدر - ابيات
- ٤٣٩ الدمع والجر - ابيات
- ٤٣٨ النصح - ابيات
- ٤٣٩ دواء العفة - ابيات
- ٤٤٠ السحاب - ابيات
- ٤٤٠ العبرة والزفرة - ابيات
- ٤٤٠ الفيث - ابيات
- ٤٤١ شكوى - ابيات
- ٤٤١ التسليم - ابيات
- ٤٤١ الشكران - ابيات
- ٤٤٢ الاستتكاف - ابيات في ذم الكذب والغش
- ٤٤٢ الكذب - ابيات في ذم الكذابين

- ٤٤٢ الغيث والزهر - ابيات
 ٤٤٣ الحمرة - ابيات في ذم الخمر
 ٤٤٣ الزيارة - ابيات
 ٤٤٣ الحاكم الظالم - ابيات
 ٤٤٤ الزفاف - ابيات في زفاف صديق ببيروت
 ٤٤٥ الزفاف - ابيات في زفاف صديق في هوتغ كوتغ بالصين
 ٤٤٤ الطفلة - ابيات

✽ ذيل واستدراك ✽

- ٤٤٦ نجم بذب - مقالة في اوهام الام
 ٤٥٢ قصيدة - في ذم اوهام الام
 ٤٥٤ الاسفار - ابيات في اسفار اهل المدر والحضر
 ٤٥٤ الماطلة - ابيات في ذم الماطلين
 ٤٥٥ الحلل الحميم - ابيات
 ٤٥٦ العيش - ابيات
 ٤٥٦ نذر - ابيات في الصوم
 ٤٥٧ الاختلاء - ابيات في دخول سنة ١٨٧٣
 الذبول - ابيات في ذبول زهرة جمال النساء ونظمت في بلاد اليابان
 ٤٥٧ ومذيلة برسم صاحب الديوان كما كان وقتئذ
 ٤٥٨ التسلية - ابيات مزينة بتصوير

* باب التوبة والنجوى *

- ٤٥٩ ملاحظة - في انواع الشعر
 ٤٦٠ الرويا - قصة تقريع وانذار
 ٤٦١ الزجر - قصيدة في انذار الملاك
 ٤٦٢ الانذار - قصة وقصيدة
 ٤٦٤ الحجة الدامغة - قصيدة في افحام النذير
 ٤٦٥ ختام السنة - قصيدة في دخول عام ١٨٨٧
 ٤٦٦ خلال الدنيا - ابيات
 ٤٦٦ التدقيق - ابيات في مدح التدقيق في الحساب
 ٤٦٦ باطلة الابطال - ابيات في قصر الحياة
 ٣٦٧ جنة الهيام - ابيات في جنون الغرام

* الله جل جلاله *

- ٤٦٨ قصة ليلية
 ٤٦٩ مقالة فلسفية في اثبات وجود الله
 ٤٧٥ اعتراضات الفلاسفة الماديين على ذلك
 ٤٧٨ ملخص الادلة التي تثبت وجود الله
 ٤٨٦ ايضاح عقيدة الثالث عند النصارى

- ٤٨٩ قصيدة في الله جل جلاله
 ٤٩١ رب الجمال - قصة ليلية
 ٤٩٣ قصيدة في جمال الله
 ٤٩٦ النجوى - قصيدة دعاء الى الله تعالى
 ٤٩٦ الدين والعقل - ابيات
 ٤٩٧ الندم - قصة وقصيدة مرتبة على حروف الابجدية
 ٥٠٠ الزهاد - قصيدة
 ٥٠١ الموت - قصيدة في وصف الموت

✽ باب المراثي ✽

- ٥٠٣ كوكب الشرق - قصيدة في رثاء المطران يوسف داود
 ٥٠٧ قصيدة في وصف قبر المطران المشار اليه مزينة بفوطغرافه
 ٥٠٨ حقوق الوداد - قصيدة في رثاء هلدا مزينة برسم المدينة التي توفيت فيها
 ٥١١ الوالد - ابيات رثى بها والده
 البطريرك - ابيات رثى بها البطريرك انطون السحيري مزينة بفوطغرافه
 ٥١١ الذي تكرم به على صاحب الديوان سنة ١٨٥٥
 نقوى الله - قصيدة في وفاة الدكتور جرجس باجر صديق صاحب
 ٥١٢ الديوان مزينة بفوطغرافه
 ٥١٣ قدرة الله في خلقه الجوهر الفرد - مقالة علمية
 ٥١٧ القصيدة الكيماوية في الحل والتركيب - رثى بها فرج الله صاهر

- ٥٢٣ القبر.. ابيات نظمها لتحفر في صخر قبره
- ٥٢٤ خلود النفس - مقالة فلسفية في روحية النفس وخالودها
- ٥٢٧ تحديد وتعريف « انا »
- ٥٢٨ باب الادلة على وجود النفس وخالودها
- ٥٣٧ اعتراضات الماديين على الادلة المذكورة والرد عليها
- ٥٤٠ عقدة الجدال بين الفلاسفة الماديين والروحيين في وجود النفس او في
عدم وجودها
- ٥٤١ قصيدة في خلود النفس
- ٥٤٣ ابيات شكران في بدء سنة ١٨٩٣
- ٥٤٢ بالشكران تدوم النعم - ابيات
- ٥٤٤ الوصية الاخيرة - ابيات



فهرس

التصاوير واسمائها في الاصل واسماء مصوريها البارعين من القدماء
والمحدثين لذين نقلنا عن تصاويرهم بعض التصاوير التي تزين ديوان شعر النحلة

الاسماء الاصلية	اسماء مصوريها	اسماؤها في الديوان
<i>Holy eyes,</i>	<i>J. G. Middleton,</i>	دعاء عانس ١٠٩
<i>The Convolvulus,</i>	<i>K. Meadues,</i>	الطوفان ١٣٦
<i>Lilies,</i>	<i>E. T. Parris,</i>	ولادتي ١٤٠
<i>Honey Suckle,</i>	<i>E. T. Parris,</i>	المجران ١٤٢
<i>Vesuvius,</i>	<i>J. Arnald,</i>	الفيسوف ١٥٠
<i>Forget me not,</i>	<i>E. T. Parris,</i>	عراس جزيرة الامراء ٣٠٤
<i>The Sunflower,</i>	<i>A. Derby,</i>	النونة ٣١٦
<i>The Passionflower.</i>	<i>Corboux,</i>	الصدر الثقيل ٣١٧
<i>Night Blowing Con- vol.</i>	<i>Eliza Sharpe,</i>	الحظ ٣٢٣
<i>The Laurel,</i>	<i>M. Corboux,</i>	الموس ٣٢٤
		القانون ٣٢٥
		النهد ٣١٨
<i>The Homlet's Pride,</i>	<i>H. Room.</i>	محلبر كتاب ٣٣٨
<i>Lalla Rookh,</i>	<i>A. D. Valentini,</i>	لالا ٣٣٧
<i>The Sisters,</i>	<i>J. W. Wright,</i>	القمران ٣٣٩

اسماء التصاوير في الاصل	اسماء مصوريها	اسماءها في الديوان	صفحة
<i>Sleeping Beauty,</i>	<i>W. Frith</i>	الانغاء	٣٤٠
<i>The Pansy,</i>	<i>K. Meadows</i>	جآذر الحمى	٣٤٣
<i>Mavourneen,</i>	<i>J. Fisher</i>	لطف يهودية	٣٤٤
<i>The Accacia,</i>	<i>F. Worns</i>	الغيد	٣٤٤
<i>Jessie</i>	<i>J. Fisher</i>	العود احمد	٣٥٣
<i>The yellow Rose,</i>	<i>Miss Eliza Sharpe</i>	حمام الزاجل	٣٤٧
<i>Nora Crina,</i>	<i>W. P. Frith</i>	الشفراء	٣٥٨
<i>The Grecian maid,</i>	<i>S. Newton, R. A.</i>	العفو	٣٦٤
<i>The Tulip,</i>	<i>Eliza Sharpe</i>	تفاحتا بلا كبول	٣٦٦
<i>The Canterbury Bell</i>	<i>Louiza Sayffarth</i>	الصد والرد	٣٧٨
<i>Nannie</i>	<i>J. Fisher</i>	الزيارة الليلية	٣٨٣
<i>The Marigold</i>	<i>Mrs. Sayffarth</i>	الوداع	٣٨٥
<i>The Morning of life</i>	<i>W. P. Frith,</i>	الموعد السري	٣٨٩
<i>Orange Flower,</i>	<i>E. T. Parris, 1834</i>	الغفلة	٤٠٢
<i>Annie Laurie</i>	<i>J. Fisher</i>	الدلال	٤٠٣
<i>The Peri</i>	<i>H. Warren,</i>	الملاك	٤٦١
<i>The Cottage maid</i>	<i>E. M. Ward,</i>	الغزاة	

اسماء التصاوير في الاصل	اسماء مصوريها	اسماؤها في الديوان	صحيفة
<i>Eveleen</i>	<i>R. T. Bott,</i>	الغياب	
<i>Love's summer cloud</i>	<i>W. P. Frith</i>	العهد الوثيق	
<i>Hinda</i>	<i>J. G. Middleton</i>	هند	
<i>The Garland</i>	<i>J. Woods</i>	الرقاصة	
<i>The Home bird</i>	<i>J. W. Wright</i>	الغنوة	
<i>The Marvel of Peru,</i>	<i>K. Meadows</i>	الغنج	
<i>The Poppy</i>	<i>Miss Corboux</i>	الرصد	
<i>The Myrtle</i>	<i>Miss Corboux</i>	البطاقة	
<i>Heart Ease</i>	<i>E. F. Parris</i>	لطف الاخذين	
<i>Lilies of the Valley</i>	<i>E. F. Parris</i>	سوسن الوادي	
<i>The Holy Hock</i>	<i>Mrs. Sayfforth</i>	المغازلة	



اما بقية التصاوير فهي منقولة بالفوطغراف رأساً عن الاشخاص
الذين تمثلهم

* جدول *

(الخطاء الذي وقع في طبع هذا الديوان)

خطاء	صواب	صحيفة	سطر
نفسني	نفسني	٦	٦
وبانائه	وبانائه	٨	٧
سلطشة	سلطنه	٨	١٢
مئد	مئد	٨	٢٠
انقضت	انقضت	١٠	٣
تجد	تجد	١٠	٦
تهنية	تهنية	١١	١
تهنية	تهنية	١١	٨
وانتشار	وانتصار	١٣	٣
تهنيه	تهنية	١٤	١
هل	اهل	١٥	٤
الاصحي	الاصحي	١٧	٥
واغتبط	واغتبط	١٨	٢

خطأ	صواب	صحيفة	سطر
لديار	الديار	٢٣	١١
واتى	واوتى	٢٤	٢٠
ثبناً	ثبيتاً	٣٠	٤
الرملة	الرميلة	٣٤	١٩
فثللو	فثللو	٤١	٢
تهنية	تهنئة	٤١	٣
بمقتطف	بمقطف	٥٥	٩
الرب الصباوت	رب الصباوت	٥٦	٢
فانعم	ننعم	٥٨	١٣
كل ما	مثل ما	٦٠	١
وعرقنه	وعرقنى	٦٠	١٤
ويامة	ويامة	٦١	١٣
هزرها	هزارها	٦٥	٣
فيا ابنت	فيا ابنة	٦٥	١٤
فاشعلت شيئاً من قضيب براسه			
صوابه			
قبلة	فاشعلت عوداً قد تكربت رأسه	٦٨	١٣
قبلة	قبله	٦٩	٣

خطأ	صواب	صحيفه	سطر
سرا	نسرى	٧٠	١٨
ثبتاً	ثيبتاً	٧٠	١٨
باسمى	بامرى	٧١	٢
تخطب	ترهب	٧١	٢
لصدر	لصور	٧١	٩
نقرء	نقرء	٧١	١٤
مقتر	مقتر	٧٢	٦
شق	شف	٧٢	٢
وحملى	وحملنى	٧٤	٤
ويلقانى	وخلى يرانى	٧٥	٩
الابى	فى حبور	٧٥	٩
يبهجة	وبهجة	٧٥	٩
سبعة	بضعة	٧٥	١٤
وكتمت	واضمرت	٧٥	١٦
جايى	جاءنى	٧٦	٤
تنكب	اتنكب	٧٨	٩
فان	فلم	٧٩	٤
ففتح	شهيد	٧٩	٤
وان يفقد فله	الى دار السعادة	٧٩	٤

خطأ	صواب	صحيفة	سطر
خاملاً ولئن يعيش	خامل الذكري الوري ٧٩	٧٩	٦
الجحى	الجحى	٧٩	١٣
لمعنوية	المعنوية	٩٠	٤
فتطيب	فيطيب	٩٣	١١
اغياب	غياب	٩٧	٥
واذ	واذا	١٠٢	١٦
باليه	بتاليه	١٠٢	١٦
فكان	فكان	١٠٤	٤
كردينالاً	كردينال	١٠٢	٤
فلما	فلما	١٠٤	٥
المحور	المحور	١٠٨	١
ترى	ارى	١٠٨	١٧
فناحت	فلامت	١٠٩	٦
به في	فيه ببعض	١١١	٣
ايفيل	ايفيل	١٢١	١٦
حدوثه	حدوثه	١٢٨	١٢
ان	لن	١٤٣	٥
المنقولة عن	بما نقله	١٢٤	١
أعدّ	أعدّ	١٤٨	١٢

خطأ	صواب	صحيفة	سطر
هي علة	التي هي علة	١٤٨	١٧
بأسي	لهيبي	١٥١	١٢
فهزبي	فهزني	١٥٢	١٥
ثمانين	اربعمائة وثمانين	١٥٨	١٥
لانخفاض	على انخفاض	١٦٣	٦
وبناء	وبناء	١٦٤	٢٠
لاحنفار	على احنفار	١٦٦	٣
واماتها	وامهاتها	١٧٧	٤
مليون	مليوناً	١٨٧	٩
يذهب	يذهب الى	١٨٩	١٤
غلاستون	غلاستون	١٨٩	١٥
الموجودة	مثل البرودة الموجودة	١٩٠	٤
التحليل	الحل	١٩٢	١٥
التحليل	الحل	١٩٣	١١
التحليل	الحل	١٩٣	١١
مليون	مليوناً	١٩٥	٤
المجذبة	المنجذبة	١٩٥	٨
صاد	صار	١٩٧	٩
بتحليل	بجل	١٩٧	١٧

خطاء	صواب	صحيفة	سطر
تحليل وتحليل	حل وحل	١٩٧	١٨
تنحل	تُحل	١٩٧	٢٠
ذهب	ذهب اليه	١٩٨	١٨
من وقوع	من دون وقوع	٢٠٠	١٩
السيار	السيارة	٢٠١	١٣
بالغير	بغير	٢٠٢	١
الغير	غير	٢٠٢	١٠
الغير	غير	٢٠٢	١٢
الغير متناهي	غير المتناهي	٢٠٢	١٤
الغير	غير	٢٠٤	١
لم ينزل	لم ينزل	٢٠٥	٣
التحليل	الحل	٢١١	١٢
التحليل	الحل	٢١٦	١٩
تحليلها	حلها	٢١٦	٢٠
بالتحليل	بالحل	٢١٧	١
لتحليل	لحل	٢١٧	٩
تحليل	حل	٢١٧	١٧
لتحليل	لحل	٢١٧	١٩
التحليل	الحل	٢١٧	١٩

خطاء	صواب	صحيحة	سطر
غماق	غمامة	٢٢٢	٢
نواة مواد	نواة من مواد	٢٢٢	٦
ومنها لا	ومنها ما لا	٢٢٢	٧
لمن	لم	٢٢٦	٥
منيعة	منيعة	٢٢٨	٩
بجائف	بجائف	٢٢٩	٧
بتمثل	بتمثل	٢٢٩	١٨
وملاكت	ونلت	٢٣٠	٥
تنبي	تروى	٢٣٠	١٢
يقم	يقم	٢٣٢	٧
فاشع	فبدد	٢٣٣	١٨
باخلاً	درهماً	٢٣٤	١
للتمدن	بالتمدن	٢٣٦	١٤
المشار	المشار اليه	٢٣٧	١٧
الغير جيدة	غير الجيدة	٢٤٠	٦
الذن	الذان	٢٤١	١٥
سيغارة	سيغاره	٢٤٣	٢٠
خبيثاً هواؤها	خبيثُ هوائها	٢٥٠	١٢
يفقد	أُعدِمَ	٢٥١	٢

خطاء	صواب	صحيفة	سطر
حرما	أحرما	٢٥١	٨
شملها	شملها	٢٥٧	١٨
فتشت	فتشت	٢٦٠	١٠
ساقتها	اذرقتها	٢٦٠	١٠
وصحة	وصحة	٢٦٣	٨
لتنقيب	لتنقب	٢٦٥	١١
بيقنسلدا	بيقنسلدا	٢٦٨	٧
الذئع	الذائع	٢٧٥	١٢
فوقه	فوقه	٢٨٦	١
الاخبار	الاخبار	٢٨٩	١٢
تفتن	تفتن	٢٩٤	١٥
الفراق	الفرق	٢٩٥	١٢
تمنع	تمنع	٣٠٠	٣
الكائم	الكائم	٣٠٣	٦
خز	قز	٣١٣	١٤
جمن	جمن	٣١٤	٤
ايد	ايدي	٣٢١	٢
حي	حسي	٣٢١	٣
التقيتك	لقتك	٣٢٦	٨

خطأ	صواب	صحيفة	سطر
في	على	٣٣٥	٤
تولى	تولّ	٣٣٦	٣
وصفها	وصنها	٣٣٦	٤
بمعني ابتهاج	بمعني في ابتهاج	٣٣٧	٥
اكتفي	اكتفي	٣٤٢	١٦
كبر	كبر	٣٤٣	١١
طرفك	طرفك	٣٥٠	١٠
وانت	وانت	٣٥٠	١١
مقتنيك	مقتنيك	٣٥٠	١٢
نجمة	نجمة	٣٥٠	١٣

« اخطار » في صحيفة ٣٥٠ قدسها الطباعون والمصححون عن سقوط
 بعض مصاريع من القصيدة فوق من جراء ذلك اضطراب في المعنى
 والصواب كما يأتي :

فقلت : لقد سماك اهلك نجمةً فانت يقيناً نجمةً في تنقل
 فقات : دعاني الوالدان بنجمة وما ادركا برجي ومركز منزلي

خطأ	صواب	صحيفة	سطر
ادركوا	ادركا	٣٥٠	١٤
بدرِك	بدرِك	٣٥٠	١٥
ضياء الليل والبدر حالك	ضياء البدر والليل حالك	٣٥١	١٣

خطأ	صواب	صحيفة	سطر
فقطت	فقطت	٣٥٢	٦
ومتهى	ومتهى	٣٥٢	٦
ذات	ذات	٣٥٢	١٠
نعرما	نعرما	٣٥٥	٤
فذكر	فذكرني	٣٥٧	٤
حديث	حديث	٣٦٥	١٥
برج	مرج	٣٦٨	١٥
تذكرني	تذكر	٣٦٩	٥
السحر	المسحر	٣٦٩	٨
نضالها	نضالها	٣٧٠	١١
طاق	طلق	٣٧١	١٣
بتقفز	بتقفز	٣٧٢	٤
لم ادري	لم ادري	٣٧٣	١٧
لمحك	لمحك	٣٧٣	١٩
حيا	حي	٣٧٦	٩
توعجا	توهجا	٣٨٤	٢
هوك	هوك	٣٨٥	٦
لم اسمع	لم اسمع	٤٠٩	١١
تسر	تسر	٤١٦	١٤

خطأ	صواب	صحيفة	سطر
غنيمة	غنيمة	٤٣٢	٣
ومنة	ودمنة	٤٣٦	٧
Lengte	Length	٤٥٠	٣
Hugh	High	٤٥٠	٣
Gohn	John	٤٥٠	١٦
الاملاك	الافلاك	٤٥٢	١٤
في الزمان رقيت	في الزمان الغابر	٤٦٠	٧
يبقى	يبقى	٤٦٤	١٣
يقصد	يعضد	٤٦٥	٣
المجمة	المجسة	٤٧٠	١٥
يجزا	يجز	٤٨٩	١١
اخفض	واخفض	٤٩١	٢
تشدو	نشد	٤٩٣	١٥
سار	صار	٥٠٤	٦
يعيس	يعيش	٥١٢	١١
عدا	عدوا	٥١٢	١٤
وتحليله	وحله	٥١٣	٢
التحليل	الحل	٥١٣	٣
حجرة	صخرة	٥٢٣	١٧

خطا	صواب	صحيفة	سطر
متعلقة	متعلقة	٥٢٦	٩
الافكار	التفكر	٥٢٧	١٣
القابلة	القابلة للتبديل	٥٢٩	٦
خالياً	ضالياً من مادة	٥٢٩	٧
انفسنا	انفنا	٥٣٦	١٧
الجانية	الجانية	٥٤٠	٥

وفي الصحيفة ٥٣٩ وبعد السطر ١٧ قد اهمل الطباع ذكر بضعة اسطر بتمامها وسها المصحح تصحيحها وهي عبارة عن اعتراض الماديين على خلود النفس وروحيتها والاعتراض مسنود الى الجنون الذي يعتري الخ . واكتفى الاثنان بذكر الجواب فقط



اخطار : حق طبع هذا الديوان ثانيةً محفوظ لصاحبه خاصة .
ولا يطبع الا باذن منه

Library of



Princeton University.

32101 064066473

